المجموعة المُفضّليّة

للمفضّل بن عمر الجُعفي

(ت بعد 180 هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأظلة والاشباح

رواه سيدنا المفضل بن عمر الجعفي

عن المولى الصادق الوعد منه الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس لأوَّليته ابتداء ، ولا لآخريته انتهاء ، ليس له أنداد ولا أضداد ، ولا يدخل في الأعداد ، ولا يظهر بالأزواج والأولاد ، خلق الأشياء بأحسن تقويم ، وأقام السموات السبع بعد أن لم تكن سماء ولا أرض ، وأحال بينهما بالبحار السبع ، وجعلها حصنا حصينا لسمواته ، وزينها بالنجوم ، وجعلها أعلاما يُهتدى بها ، وخلق الجبال وجعلها أوتادًا ، وجعل لما خلق باطنًا وظاهرًا ، وأدَّب خلقه بالظاهر من الأمور ، وعرفهم الباطن من العلم المستور ، فسبحان من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير العليّ الكبير المولى القدير .

ثمَّ نظرنا في علم الباطن المأثور عن الموالي منهم السلام ، فوجدنا الباطن ممازجًا ملائما للظاهر ، ولا خلاف بينهما إلا

إتبـاع الـهوى والميـل إلـى الـردى ، فلمـا رأينـا النـاس قد اجتمعوا علـى التوحيد واختلفوا فـي التأويـل بالشبهات الـتي أزاغت قلـوب المخالفين ، فركبوا الـهوى بخلفهم لتأويل محكم القرآن ، فكلٌّ قال برأيه ومال إلى هواه وطعن على مخالفيه برأيه .

فنظرنا في أقاويلهم وفحصنا عن أفاعيلهم ، فوجدنا أفضل العلوم مـا كـان عن الله عزَّ وجلَّ وعـن رسـوله إليـه التسـليم وآل بيتـه الطاهرين علينا سلامهم أجمعين .

فمن ذلك ما حدَّث به محمد بن سنان وكان أحد النقبـاء ، وبعده صفوان بـن مهـران الجمـال وكـان أيضًـا مـن النقبـاء ، وماهـان الإبلي وهو أيضًا من النقباء ، وأبـو خديجـة سالم بن مكرم وهو أيضًـا مـن النقبـاء ، ويـونس بـن ظبيـان وهـو مـن الأيتـام ، وأبـو أيـوب القِمِّـي وهـو مـن الأيتـام ، ويشـار الشـعيري وهـو أيضًـا مـن الأيتام ، وأبو الغمر الثمالي وهو من الأيتـام ، وحمـران بـن أعيـن وهو مـن الأيتـام ، وأبـو حمزة ثابـت بـن أبـي صفية الثمـالي وهـو من الأيتام ، كلٌّ هؤلاء نقلوا عن المفضل بن عمر إليـه التسليم وهو الباب في عهد مولانا الصادق الوعد منه الرحمة .

قال المفضل إليه التسليم :

قـرأت بيـن يـدي مـولاي الصـادق الوعد علينـا سـلامه هذه الآيـة

وهـي : بسـم الله الـرحمن الـرحيم قـل سـيروا فـي الأرض فـانظروا كيـف بـدأ الخلـق ثـم ينشـئ النشـأة الآخرة إن الله علـى كلِّ شـيءٍ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون .

قال مولاي الصادق منه الرحمة : يا مفضل لـو علـم النـاس أصل مبتدأ الخلق لما اختلف رجلان في الدين .

فقلت : لا علم لـي يا مولاي إلا ما علمتني ، فسِّر لـي هذه الآيـة ؟

فقـال مولانـا منـه السـلام : يـا مفضـل ، هـذه الآيـة مفسَّرة ولكـن النـاس لا يعرفـون مـراد الله فيهـا بقولـه ، وذلـك أنـه جعل الثـواب والعقاب في هذه الدنيا ، وذلك قولـه : فانظروا كيف بدأ الخلق ثمَّ ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كلِّ شيءٍ قدير .

أوما علمت يـا مفضـل أن الرحمـة والعقـاب قبـل الحشـر ، وأن الله ينقلهـم فـــي هـــذه الـــدنيا فـــي الناســـوتية والمســـوخية والتراكيـــب والتكرير والتعذيب ؟

فقلـت : بلـى يـا مـولاي ، ولكـن العـالم المنكـوس لا يعرفـونهـا ولا يعقلونها حتى تكون الساعة .

ثمَّ نظر مولانا إلى يونس بن ظبيان وقال لـه : يا يونس مـا يقـول أهل الكوفة في ابتداء الخلق ؟

قال يونس : يا مولاي ، يقولون أن الله عزَّ و جلَّ خلق إبليس قبل آدم .

فقال مولانا علينا سلامه : بالله المستعان ، لقد كذبوا على الله سبحانه وردُّوا عليه قوله ، لأن الله تبارك وتعالى خلق النور قبل الظلمة ، وخلق الخير قبل الشرّ ، وخلق الجنَّة قبل النار ، وخلق الرحمة قبل العذاب ، وخلق آدم قبل إبليس ، وخلق الأظلة قبل الأشباح ، وخلق الأشباح قبل الأرواح ، وخلق الأرواح قبل الأبدان ، وخلق الحياة قبل الموت ، وخلق الموت قبل الفناء ، وخلق الفناء قبل التراكيب ، وخلق التراكيب قبل القيامة ، وخلق القيامة قبل الرجعة ، وخلق الرجعة قبل القصاص ، وخلق القصاص قبل الندامة ، وخلق الندامة قبل الحسرة ، وخلق الحسرة قبل تبديل الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار .

قال المفضل :

قلت سيدي ومولاي ، فما أول شيء أظهره الله عزّ وجلّ ؟

قال : النور الظلي .

فقلت : سيدي ومولاي ، مما أظهره ؟

قال : من مشيئته ، ثمَّ قسمه أظلة ، أما سمعت قوله عزّ من قائل : ألم تر إلى ربّك كيف مدَّ الظلَّ ولو شاء لجعله ساكنا ثمَّ

جعلنا الشمس عليه دليلا ثمَّ قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا . وذلك أنه أظهره قبل أن يخلق سماءً وأرضًا وعرشًا وجنة ونارًا .

فقلت : سيدي ومولاي ، على أي مثال أظهره ؟

قال : على مثال صورته ، ثمَّ قسمه أظله ، فنظرت الأظلة إلى بعضها بعض فرأت نفسها فعلمت أنها كونت بعد أن لم تكن ، وألهمت من المعرفة هذا المقدار ، ثم أن الله أدبهم .

قال المفضل : فقلت سيدي كيف أدبهم ؟

قال مولانا علينا سلامه : لأنه سبَّح نفسه فسبحوه ، وهلل نفسه فهللوه ، ومجَّد نفسه فمجدوه ، وكبَّر نفسه فكبَّروه ، وكرَّم نفسه فكرَّموه ، وعظم نفسه فعظموه ، وحمد نفسه فحمدوه ، ولولا ذلك لم يدروا كيف يتكلمون أو يسكتون ، ففهموا عن الله عزَّ وجلَّ كلامه .

ثمَّ قرأ مولانا : فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيِّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال مولانا علينا سلامه : فلم تزل الأظلة على مثال ذلك تشكر الله وتحمده وتهلله سبعة آلاف سنة .

فخلق الله من شكرها أشباحًا وجعلها لباس الأظلة ، وخلق من تسبيح نفسه الحجاب الأعلى .

ثمَّ قرأ مولانا علينا سلامه : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ؛ يعني وحي الأظلة .

قال المفضل :

فقلت : مولاي فما معنى من وراء حجاب ؟

فقال : هي الأشباح التي من تسبيح الأظلة .

قال مولانا علينا سلامه : ثم أن الله تبارك وتعالى خلق السماء السابعة العالية الرفيعة وهي الأول ، وخلق فيها الجنة السابعة ، ثم قرأ مولانا علينا سلامه : عندها جنة المأوى .

وقال مولانا علينا سلامه : ثم خلق الله آدم وذريته ، وأخذ الميثاق عليهم ثم قال الباري تعالى لهم : من ربكم ؟

قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا .

فقال للحجاب الذي خلقه من تسبيح نفسه : أنبئهم بأسمائهم ومن أي شيء خلقوا .

فأنبأهم الحجاب بذلك .

وكان الحجاب الأعلى يعلمهم ويفهمهم ويرشدهم ، فمن هناك وجبت الحجة على العالم كافة .

ثم أن الله تبارك وتعالى قال لهم : قد علمتم الآن أني ربكم وأني

أقدر أن أخلق مثلكم وقدرتي على كل شيء وإنكم تعجزون أن تخلقوا مثلي .

فقالوا : نعم يا رب . فكان الميثاق الذي أخذه عليهم لهذا الحال .

قال مولاي منه السلام : إن الله تعالى خلق على ما أخبرتك به ، فكان أول آدم أجاب لأخذ الميثاق عليه آدم الأول ، ثم واحد بعد واحد إلى تناهي ذلك .

ثم قرا مولانا علينا سلامه : والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم .

قال مولاي منه السلام : ثم أن الباري تعالى خلق النور الثاني دون النور الأول وأفضل من النور الثالث ، وجعل له أظلة وأشباحا وسماء وجنة ، وقال لهم : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . إشارة إلى الذين من قبلهم . فقالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

فقال لحجابه الأعلى : أنبئهم بأسمائهم ومن أي شيء خُلقوا ومما خلقت السماء الثانية في الأظلة والأشباح والجنة . فأنبأهم بذلك ، وأخذ الميثاق عليهم ، فأجابوه كما أجاب الأولون .

ثم قرأ مولانا علينا سلامه : وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم

الطور خذوا ما آتيناكم بقوَّة .
وهي الشهادة المعروفة .
وقال مولاي منه السلام : فصار من السماء إلى السماء هواء ، وصار الحجاب يؤدي عن الله إلى أهل السموات كلها ، فمن ذلك صارت الحجب خمسة على أهل السموات السبع وصارت السموات أبوابًا لحجبه .
ثم قرأ مولانا علينا سلامه : وأتوا البيوت من أبوابها . وقرأ أيضا : باب حطة . فكل ذلك تأديبا للعالم .
وقال مولاي منه السلام : وخلق الله النور الثالث ، وجعل له أظلة وأشباحا وسماء وجنة وأدبهم وأنبأهم وأخذ الميثاق عليهم ، فأجابوا كما أجاب الذين من قبلهم .
وخلق الله النور الرابع ، وجعل له أظلة وأشباحا وسماء وجنة ، وأدبهم وأنبأهم وأخذ الميثاق عليهم فأجابوا كما أجاب الذين من قبلهم .
وخلق الله النور الخامس ، وجعل له أظلة وأشباحا وسماء وجنة وأدبهم وأنبأهم وأخذ الميثاق عليهم ، فأجابوا كما أجاب الذين من قبلهم .
وخلق الله النور السادس وجعل له أظلة وأشباحا وسماء وجنة

وأدبهم وأنبأهم وأخذ الميثاق عليهم فأجابوا كما أجاب من قبلهم الأولون .

وخلق النور السابع ، وجعل لـه أظلة وأشباحا وسماء وجنة وأدبهم وأنبأهم وأخذ الميثاق عليهم ، فأجابوا كما

أجاب من قبلهم ، وهم أضعف خلقه أركانا وأقلهم يقينا ، وأقام الحجاب حجته عليهم .

ثم أن الباري تعالى خلق السبعة أيام ، وجعل كلَّ يوم أفضل من صاحبه بسبقه وتقدّمه ، وجعل لكل سماء يومًا أخذه ، وكان ذلك في مقدار خمسين ألف سنة ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

قال مولانا : ثمّ أن الله خلق في كل جنة عينا وسماها سلسبيلا . ثمَّ قرأ : عينًا فيها تسمَّى سلسبيلا .

قال : وهي سبع سموات ، وسبع جنان ، وسبع أعين ، وإنما احتملت كل سماء أهلها وصارت أظلة وطنًا ، لأن الله خلقها من تسبيحهم .

وإنما سمِّيت الأظلة أظلة لأنها كانت ظالة في نور الله ، وإنما سميت الأشباح أشباحًا لأنها كانت أشباحًا في نور الله .

ثم أن الله غمسها في العيون ، فجعل لأهل كل سماء نورًا في عيونهم ، فصارت أرواحا لأنها استراحت بمعرفة الله عزّ وجل .

وإنما سُمِّيت السماء لأنها سمت بأعمال أهلها .

وإنما سميت الجنة جنة لأنها جنت المعرفة الثابتة في قلوب أهل السموات جميعا ومن يليهم من عالم الإقرار والإجابة .

ثم أن الله تبارك وتعالى فرض على أهل كل سماء جنسا من التسبيح والتهليل والتمجيد ، وجعل السموات أبوابا لحجبه ، وأمر الحجب على الأبواب وجعلهم رسله إلى أهل السموات السبع .

ثم أن الباري تعالى جعل ينزل من سماء إلى سماء في كل يوم ، فيسبّح نفسه فيسبّحوه ، ويمجّد نفسه فيمجّدوه ، ويكبّر نفسه فيكبّروه ، ويكرّم نفسه فيكرّموه ، ويعظم نفسه فيعظموه ، ويحمد نفسه فيحمدوه ، فلم يزل على مثل ذلك يؤدّبهم ليثبت الحجّة لهم وعليهم ، وخلق لكل روح نورانية بدنًا من النور ، وكان إذا نزل إلى سماء من السموات يلبس من تلك الأبدان النورانية بدنًا ، وكذلك حجابه ، وإنما ظهر الله لخلقه بهذه الصفة تأديبًا لهم ليفهموا عنه ما يفهمهم ، ولو ظهر عزّ عزّه بخلاف خلقه لم يفهموا عنه قوله ، لأن الشيء يفهم عن من يكون في مثل صورته .

ثمّ قرأ مولانا علينا سلامه : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون .

قال مولاي منه السلام : فمكث على ما أخبرتك به يؤدّبهم ويخبرهم كيف خلقهم وكيف أبدأهم وأدّبهم ومن أي شيء خلقهم ولماذا خلقهم ولأي شيء خلقهم ، فلما علموا ذلك جعل يخبرهم كيف يخلق الأبدان الطينية والظلمية والأبالسة ، وكيف يكرون ، وكيف يخلق
النهار والليل .

ثمّ قرأ مولانا : وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا . يعني يلبِّس عليهم ما يلبسون بسوء أعمالهم .

قال مولانا منه السلام : فأعلمهم الله كيف خلق الشمس للنهار والقمر لليل ، وكيف الإيمان خفي والكفر ظاهر ، وكيف أحبَّ أن يُعبَدَ سرًّا ، وكيف يمرقون وينقلبون ويرددون حتى لم يترك شيئًا مما يكون إلا وأخبرهم به ، وعرَّفهم كيف يخطئون وينكرون وفي أي شيء يُرَدّون ، وفي أي شيء يكون من أطاع وكيف ينسخ ولأي علة ينزل بهم النعمة والرحمة والعذاب والنقمة والبلاء ، حتى لم يترك شيئًا مما يكون في هذه الدنيا إلا وأخبرهم به إلى حين عودتهم إليه .

ثمّ قرأ مولانا علينا سلامه : كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعدا علينا إنَّا كنا فاعلين .

ثمَّ أنَّ الباري تعالى أحكم ذلك كله في مقدار خمسين ألف سنة .
ثمَّ قال لآخر خلقه من النور وهم أضعفهم أركانًا وأقلهم يقينًا : قد آذن لكم أن تنزلوا إلى الأرض لنبلوكم أيّكم أحسن عملا ، فكل من عصاني منكم خلقت من معصيته عدوًّا لي وله .
فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا لضعف يقينهم : تعالوا نجتمع إلى ربّنا فنسأله أن نطيعه في السماء ولا نحتاج
أن يهبطنا إلى الأرض .
فلما قالوا ذلك وهم لا يعلمون أن ذلك معصية ؛ اجتمعوا إلى الله عزّ وجلّ وهو ظاهر بينهم يؤدبهم ويرونه رؤية العين ، فقالوا : إلهنا وسيِّدنا ومولانا ، أخبرتنا أنّك تسكننا الأرض وتبلونا وتخلق من معصيتنا عدوًّا لنا ولك ، وأنت الذي لك المشيئة فينا ، وأمرك إليك في فعلك ، فلا تهبطنا إلى الأرض ، واتركنا في السماء نعبدك ونحمدك .
فقال الله لهم : قد عصيتموني في ردّكم عليّ ، فلو قلتم إلهنا لا علم لنا فأنت أعلم وقد سلمنا لأمرك واتبعتا رضاك ما أخطأتم .
فعند ذلك ندموا على ما كان منهم ، فخلق من قولهم حجابا وحجبهم به عنه ، وخلق لكل واحد منهم سبعة أبدان ، يكرون

فيها كل بدن دون الآخر .

فعند ذلك علموا أنهم قد أخطئوا وغلطوا وضيّعوا ونسوا ما كان الله عهده إليهم من ترك مخالفته واعتراضهم عليه في مثل ذلك القول .

ثمّ قرأ مولانا علينا سلامه : فلما نسوا ما ذكروا به . وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة .

وقرأ أيضًا : ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشدّ تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنّا أجرًا عظيمًا ولهديناهم صراطا مستقيمًا .

وقرأ أيضًا : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما . يعني عليما بما ضمن لهم في ترك مخالفته والاعتراض عليه بذلك القول .

قال مولاي منه السلام : فلما حجبهم عنه ندموا وطافوا بذلك الحجاب الذي حجبهم به عنه سبعة آلاف سنة ندامى على ما قالوا متأسفين على ما فاتهم من النظر إلى ربّهم ، ولما احترموا من لذة كلامه لهم ، وقد كانوا يتلذذون بكلامه ويستريحون ويأنسون بالنظر إليه ، فلما فقدوا ذلك واستوحشوا وولهوا وبقوا

حيارى لا يدرون ما يصنعون .

فلما تحيّروا في أمورهم أتتهم الرسل من الله عزّ وجلّ ، بعد أن خلق الباري الأكوار والأدوار والأحقاب والدساتير ، فكان أول من أتاهم من الرسل سيّدنا محمد منه السلام ، وهو رأس الأنبياء وخاتم المرسلين ، في قديم الدهر وفي حدثه ، وفي الأظلة والأشباح والأرواح والأبدان وفي الأكوار والأدوار .

وذلك أنه كان للسيّد محمد منه السلام على كلّ ظلّ إسما وعلى كلّ شبح إسما وعلى كلّ روح إسما ، وكان الله يكلمهم من الحجاب ، وكان رسول الله الحجاب ، فلم يزل يكلمهم من الحجاب الظلي ، ثم من الحجاب

الشبحي ، ثم من الحجاب الروحي ، حتى حجبهم عنه بالحجاب البدني الذي خلقه من قولهم واعتراضهم ، ثمّ أنه كلمهم منه وخاطبهم فيه ودعاهم إليه ، فبقوا حيارى لا يدروا ما يقولون فلا جحدوا ولا أنكروا ، بل بقوا متحيّرين ، فخلق من ذلك الوقوف والتحيير الأبدان الطينية .

قال المفضل :

فقلت يا سيّدي ومولاي ، ممَّا خلقها الله تعالى ؟

قال : من معصيتهم ، وهو الكلام الذي ردُّوه على الله فخلق منه

الشك ، وخلق من الشك النار ، وخلق إبليس من تلك النار روحًا بلا بدن ، لا إلى السماء صاعدا ولا إلى الأرض مهبوطا ، بل هو قائم في الهواء ، والربّ محتجب ، والأرواح نورانية مختلفة في الأبدان وهي تضيء ضياءً ، فلم يعرف إبليس كيف ابتداء خلق العالم ولا كيف ظهر ، ولا من أي شيء خلقوا ، ولم يشهد ما شهد أولئك الذين قبله ، ولم يُخبَّر بشيء من ذلك ، ولم يُحدَّث بشيء ، ولم يؤدَّب كما أدِّب المؤمنون .

ثمَّ قرأ مولانا علينا سلامه : ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا .

لأن الله تبارك وتعالى جعل الأعضد الطاعة .

ثم قال مولانا منه السلام : يا مفضل أتدري لم عصى إبليس ؟

فقلت : يا مولاي أنت أعلم .

فقال : إن إبليس هو الجهل ، خلق من الجهل والشك والتحيير والمعصية والظلمة لأنهم ظلموا أنفسهم وهو بحاله ليس فيه شيء من النور والعلم ، بل مظلم لا يخرج من الظلمة والإنكار والجحود والكفر ، ولا يرجع ولا يطيع أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وكذلك ذريته ، لأنهم من وإليه .

والمؤمنون بدؤهم من روح الحياة ، إن شكوا رجعوا ، وإن جهلوا اعترفوا حالا ، وإن عصوا استغفروا ، وإن معصية المؤمن بغير تعمُّد ، وانه يخطئ بغير علم لأنه يحذر الدخول في مثل ذلك .

قال المفضل :

فقلت : سيدي ومولاي ، من أين جهل المؤمنون ؟

فقال : من جهة الحجب المختلفة .

قال مولاي منه السلام : فنظر إبليس وذريته إلى المؤمنين ، وهو لا يعلم أنهم مؤمنون ، فإذ رآهم أبدانا قياما توهم أنه خير منهم ، فلما نشأ في الخلقة الظلمية في الظل والشبح أنكر في وقت الدعوة وقال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، والنار تأكل الطين ، وإنها تشبه النور ، والطين من التراب والماء ممتزجا ، فكيف خُصُّوا بالضياء وخُصِصنا نحن بالظلمة ؟

فاعتقد إبليس وذريته العداوة لآدم وذريته من ذلك الوقت .

قال مولاي منه السلام : فبعث الله جلَّ اسمه سيدنا محمد من السلام إلى العالم الذين هم آخر خلقه من النور .

وقد كان الباري تعالى في السموات يؤدّب العالم ويرشدهم .

فقال الله لرسوله الحجاب سيدنا محمد منه السلام : انزل إليهم

فحذرهم من إبليس وذريته ، فقد اطلعت على ما أضمروا من عداوتهم ، ولا يخبروهم بخلقهم ولا بخلق الأشياء كلها ، وآمرهم بالتقية والكتمان .

ثم قرأ مولانا علينا سلامه : إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوا .

فمن هناك أمرهم بالتقيَّة ، وهي باب الطاعة والمعصية ، لأن من لا تقية له لا دين له .

قال مولاي منه السلام : وقد كان الباري تعالى قال للمؤمنين وهو يؤدِّبهم : إني سأجعل لكم عدوًّا ، وإنه يعصيني هو وذريته ، وإني أعذبهم في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فبالمسوخية ، وأما في الآخرة فبالرسوخية والسبك في البوادق .

ثم قرأ مولانا علينا سلامه : ولنذيقنَّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون .

قال مولانا منه السلام : ثم أن الباري تعالى قال للمؤمنين وهو يؤدِّبهم : إني لست بجائر ولا بظالم ولا أؤاخذ ولا أعاقب إلا بذنب وجرم وإقامة البرهان ، وإني أريد أخذ الميثاق عليكم .

قال : فأخذ العهود والمواثيق على أصحاب المراتب والدرج ، بأن يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون بقدرة الله وسلطانه الذي

أعطاهم .

ولذلك أعطى أصحاب المراتب والدرج قدرة وفوَّض إليهم ما اختاروا وما أرادوا وجعل لهم سلطانا ، يعملون ما أمرهم به وفوَّضه إليهم ، فعلى هذا الميثاق أعطاهم هذه القدرة .

ثم قرأ مولانا علينا سلامه : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدَّ للكافرين عذابا أليما .

قال المفضل :

فقلت سيدي ومولاي ، كيف خلقهم ؟

فقال : خلق الأنبياء به ، وخلق الأبواب به وباسمه ، وخلق الأيتام به وباسمه وبابه ، وخلق النقباء به وباسمه وبابه وأيتامه ، وخلق النجباء به وباسمه وبابه وأيتامه ونقبائه ، وكذلك خلق العالمين الكبير والصغير أصحاب المراتب الدرج رتبة بعد رتبة إلى تناهي أهل الإقرار

والإجابة الذين دخلوا في المزاج .

وكتب عليهم كتابا ، وأشهد عليهم سيدنا محمد منه السلام ، وهو الشاهد على كلِّ نفس بما كسبت في بدو الخلق ، وفي الرجعة الكبرى لا يكون شاهدا عليهم في ذلك الوقت غير السيد

محمد منه السلام .

وكتبه في لوح من النور ، وضمَّنه بهذه الآية :

وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . في الأظلة والأشباح والأرواح والأبدان

قال المفضل :

فقلت : سيدي ومولاي ، أهل الكوفة يفسرون هذه الآية بخلاف ذلك ويزعمون أنها في النساء والطلاق ؟

فقال مولانا منه السلام : ويلهم جهلوا هذه الآية ، وجعلوها في غير موضعها الذي وضعها الله فيه ، أترى المرأة والرجل هم الله العلي العظيم ؟ لقد كفروا بالله وصدُّوا عنه وعتوا عتوًّا كبيرا ، أليس الله يقول : وأقيموا الشهادة لله ؟

فقلت : بلى يا مولاي .

فقال : الله امرأة أو رجل ؟ عزَّ الله وجلَّ عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

قال المفضل :

فقلت : سيدي ومولاي ، فكيف الآية في النساء والطلاق وقوله عز من قائل : ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة ؟

قال : يا مفضل ، أما سمعت قوله سبحانه : ومن يكتمها فإنَّه آثمٌ قلبُه والله بما تعملون عليم . وهذه الآية ليست في النساء والطلاق ، وإنما هي المعرفة والشهادة بإطلاق اللفظ في مقالة التوحيد ، فهذا تفسيرها في باطن علم الله وسرّه ، فاعرفه يا مفضل .

فقلت : سيدي ومولاي ، إني لأجد بعض إخواني المؤمنين العارفين المحقين ربما وقع في حال من بعض الأضداد المخالفين ، فيستعين بي أخي ويُشهدني في حال مالي به علم ولا معرفة وما أدري كيف أصنع ، إن شهدت معه شهدت بما لا أعلم أحق هو أم باطل ؟ وإن تخلفت عنه هلك ، فأي شيء أصنع يا مولاي حتى أتخلص ولا ائثم ؟

قال مولاي منه السلام : يا مفضل ، اشهد لأخيك على عدوِّه ، فما للكافر على المؤمن حرمة ولا عصمة .

قال المفضل : فقلت : سيدي ومولاي ، أشهد بما لا أعلم والله تعالى يقول : إلا من شهد بالحق وهم يعلمون . وأنا فما أعلم !

فقال مولاي : بلى يا مفضل أنت تعلم ، أوما علمت أن الله أخذ عليهم وأمر المؤمنين أن يشهدوا لإخوانهم المؤمنين إذا كانوا عندهم ، في موضع التقية والأمانة ، في جميع ما يشهدون لهم

فيه .

وذلك أن شهادة المؤمن لأخيه المؤمن بالإيمان أعظم من ذلك كله وهو لا يعلم ما في نفسه بسرِّه .

فهذه الشهادة هي شهادة صدق لأنها قضاء حق ، ولأن الحق الباري تعالى ، لقوله : ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى .

فأنت تشهد لأخيك أنه قد عرف الحق الذي هو الباري ، فما يجب أن يتخلف المؤمن عن نصرة أخيه المؤمن ، لأن الله تعالى لما أخذ الميثاق عليهم أمرهم أن يشهد بعضهم لبعض على الأعداء ، لأنه أعلمكم باستطالة الأعداء عليكم بما كسبتم بذنوبكم ، وأمركم أن يشهد بعضكم لبعض بما فيه خلاصكم من الأعداء ، وجعل ذلك فرضا واجبا للمؤمن على أخيه المؤمن ، وأي حق أحقٌّ من شهادتك لأخيك المؤمن وخلاصه من الأعداء الظالمين ؟

قال المفضل :

فقلت له : سيدي ومولاي ، ممَّ خلق إبليس وذريته ؟

فقال : من النار .

فقلت : وممَّ خلق آدم وذريته ؟

قال : من النور ، وأمر النور في الأظلة والأشباح والأرواح ، وخلقت أبدانهم من الطين ، فلما أخذ الله الميثاق على آدم وذريته قال لعالم الصفاء :

إني سأحتجب عنكم بالحجاب الآدمي ، فإذا دعوتكم إلى السجود لآدم فاجعلوه قبلتكم ، فإني قد جعلته قبلة العارفين .

وإني سآمر إبليس وذريته بالسجود له ، وإنهم يستكبرون ويعصون ويمتنعون عن السجود له ، فتحلّ بهم عقوبتي ، إني أنا الله لا إله إلا أنا ، لا أظلم أحدا ، ولا أعاقب أحدا إلا بجرم وذنب وإقامة برهان .

ثم أن الله تعالى دعا الملائكة ، أعني العالمين الكبير والصغير ، النوراني والترابي ، ومن يليهم من أهل الإجابة والإقرار الذين دخلوا في المزاج إلى السجود لآدم فسجدوا كلهم ، كل رتبة تتلو من تقدمها .

فصار آدم قبلة للعارفين ، وكذا أخبر الله تعالى فقال : وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا . الآية .

ثمَّ أن الله تعالى دعا إبليس وذريته إلى السجود لآدم ، فامتنعوا عن السجود له .

قال الله لإبليس : ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت

أم كنت من العالين . يعني الأشباح الخمسة التي هي أشخاص الحجاب الأعلى .

قال إبليس : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . والنار تأكل الطين ، وإنها تشبه النور ، والطين من التراب والماء ممتزج .

قال : فخلق الله من معصية إبليس النساء ، وخلق من معصية ذريته المسوخيات .

قال : فاشتبهت النساء عليهم لموضع مشاكلتهم لهم في الأبدان والصور ، واستبشعوا المسوخيات وتناكروهم لاختلاف صورهم .

فقال إبليس : ما هؤلاء ؟

فقيل له : بهذا تحل أنت وذريتك في المركوب والمأكول والقشاش من كل جنس وصنف باختلاف الصور والأجناس لخلافك على الله ومعصيتك وامتناعك عن السجود لحجابه .

قال : ثم أن إبليس وذريته لبسوا الأبدان كما لبس آدم وذريته الأبدان ، فبذلك اشتبهوا على المؤمنين بلبسهم الأبدان .

قال مولاي منه السلام : يا مفضل ، إنه ليلقى المؤمن الكافر وهو في بدنه فيظن أنه آدمي ، وهو بخلاف ذلك ، لأنه إما أن يكون قردا وإما خنزيرا أو دبًّا أو كلبًا أو ما شاكل ذلك ويجانسه

من المسوخ ، فمن هنالك اشتبهوا على البشر بلبس الأبدان ، لأن المؤمنين لا يعرفون الكافرين من أجل الصورة التي قد رُكبُوا فيها ، يعني الأبدان التي ألبسوها حتى يكرُّون في المسوخية .

قال : فلمّا اشتبهوا على المؤمنين بلبس الأبدان والممازجة ، جعل إبليس يسأل ذرية آدم وولده فيقول : كيف خلق الأشياء ؟ وذرية آدم وولده لا يعلمون أنه إبليس وأن أولئك الذين معه هم ذريته لما ينظرون

مشاكلتهم لهم في الأبدان والصور .

قال : فجعل المؤمنون ذرية آدم وولده يخبرونهم بخلق كل شيء وكيف خلق الله آدم وكيف أمر بالسجود له وكيف خلق النهار والليل والشمس والقمر حتى لم يبق شيء مما يكون إلا وأخبروهم به ، فعند ذلك عرف إبليس وذريته بدو الأشياء كلها ، فسجدوا لآدم وذريته ، ومن ذلك أن إبليس وذريته أظهروا السجود لكل شيء من دون الله ، وأظهروا السجود للشمس والقمر والنجوم والحجارة والأوثان رجاءً أن يكون الله قد احتجب بها ، فلذلك سجدوا لكل شيء من دون الله .

قال المفضل : قلت : سيدي ، لِما لم يوفق الله إبليس للسجود لحجابه لما ظهر آدم ؟

قال مولاي منه السلام : لأن الله تعالى خلق إبليس وذريته من النار والظلمة والخطيئة والمعصية ، وخلق الأرض من الظنّ ، ثم خلق عالم الإقرار وعالم الإنكار ومازج بينهما بالزواج والنكاح والتناسل والتوالد ، ووقع بينهم ذلك ، فمن هذه العلة يلد المؤمن للكافر ويلد الكافر للمؤمن .

ثمّ قرأ مولانا علينا سلامه : يخرج الحيَّ من الميِّت ومخرج الميِّت من الحيِّ ذلكم الله فأنَّى تؤفكون .

ثمَّ قال : كلٌّ يخرج من الأصلاب على أصله الذي هو منه ، فيكرون وينقلون ويردّون حتى يصفى المؤمنون

ويخبث الكافرون ، فإذا صفا المؤمن رقى إلى محل العالم الذي بدؤه منه ، وإذا خبث الكافر الجاحد المنكر مُسخ في مشوهات المسوخيات ، والمؤمن ينسخ نسخا ، والكافر يمسخ مسخا في أصناف التراكيب ، وبعد ذلك يعود إلى الرسخ ، ولله فيهم البدا والمشيئة والحول والقوّة ، لا يسأل عمَّا يفعل وهم يسألون .

وقرأ أيضا : والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثمَّ رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون .

وقرأ أيضا : ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد

علم شيئا .

ثمَّ قال مولاي : يا مفضل ، أتدري لمَ سمِّي المؤمن مؤمنا ؟

فقلت أنت أعلم يا مولاي .

فقال : لأنَّه أمن من المسوخية أن يرد فيها أو لها أو يدخل في شيء منها .

فقلت سيِّدي ومولاي ، فما أوَّل درجات المؤمنين ؟

فقال : أما العالية بعد الباب الأيتام ثم النقباء والنجباء والمختصين والمخلصين والممتحنين ، وأما أقرب درجات العالم الصغير وأدناها إلى عالم المزاج وأقربها اللاحقين والمستمعين والسائحين والمقدسين والروحانيين والكروبيين والمقربين وهم السابقون وهم أعلى درجات العالم الصغير ، كما أن الباب أعلى درجات العالم الكبير .

قال المفضل :

قلت سيدي ومولاي ، كم الأيتام ؟

قال : خمسة أبدا ، والنقباء اثني عشر أبدا ، والنجباء ثمانية وعشرون أبدا ، وبقية العالمين الكبير والصغير أصحاب المراتب والدرج تمام المائة ألف وأربعة وعشرين ألف شخصا .

فأما عالم الإقرار والإجابة الذين دخلوا في المزاج فإنهم لا

يحصـون عـددا ولا يحيـط بهـم ولا يـدركهم غـير الخـالق لهـم ، فتبـارك الله أحسـن الخـالقين الـذي لا تخفـى عليـه خافيـة وهـو يصفيهم ويخلصـهم ويلحقهـم بمـن تقدمهـم بلطفـه وفضلـه وكرمـه ورحمتـه ومنِّـه .

قال المفضل :

قلت سيدي ومولاي : كيف امتزج المؤمنون بالكافرين واختلاطهـم بعضهم ببعض ؟

فقال مولاي منـه السلام : يـا مفضـل إن الله تعـالى خلـق الأرض من إضمار المؤمنين وإضمار الكـافرين ، وجعلهـا طيبًـا وخبيثـا ، فمـا كـان منهـا طيبـا فهـو مـن رائحـة المـؤمنين ومعرفتهم بربِّهـم وإقرارهم بوحدانيتـه وموالاتـهم لأوليائـه ومعاداتـهم لأعدائـه ، ومـا كـان مـن أعمـال الجاحـدين المنكـرين كـان رديئـا خبيثـا بجهلهـم بـربهم وإنكـارهم لوحدانيتـه وموالاتـهم لأعدائـه ومعاداتـهم لأوليائـه وبطغيانـهم فـي الخطايا والكفر ؛ وامتزاج بعضهم ببعض بالتزويـج والتشبيه حين لبسوا الأبدان ، فالكفار فـي المسوخية والمؤمنـون لا يعرفـونهم ، أعـنـي عـالم الإقـرار الـذين دخلـوا فـي المـزاج لا يعلمون أنهـم مسوخ لموضـع المزاج الـذي فيهـم ، لأن المؤمنيـن المقـربين لهـم يؤاكلـوهم ويشـاربوهم ويبيتـون معهـم ويصـافحونهم

وهم لا يعلمون أنهم مسوخ ، لأنهم في صورة الإنسانية ، ويظنون أنهم أناس وهم بخلاف ذلك ، لأنهم إما قردة وإما خنازير أو دببة أو كلاب أو غير ذلك مما يجانسهم ويشاكلهم ، لأن المنكرين الجاحدين لمَّا لبسوا الأبدان اشتبهوا على الناس واختلطوا ووقع بينهم الزواج والنكاح كما وقع بينهم الأكل والشرب ، فهذا أصل الامتزاج بين المؤمنين والجاحدين في الظاهر .

وأما في الباطن فله شرح عجيب ؛ وذلك في الأظلة والأشباح امتزج البحر المالح والعذب ، والبحر هو العلم ، والمالح علم الظاهر ، والعذب الباطن بشرح الحقيقة لقوله عزَّ من قائل : مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان . والبرزخ هو الباب ، وهو قوله عزَّ من قائل : هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج . والعذب الفرات علم الباطن بشرح الحقيقة ، والمالح الأجاج علم الظاهر الذي في أيدي المخالفين .

قال المفضل :

فقلت سيدي ، لمَ سمي المؤمن مؤمنا ؟

فقال : لأنه قد أمن من المسوخية أن يحلَّ في شيء منها أو يَرد إليها ، لأنه دام على معرفة مولاه وآمن به في الأظلة

والأشباح والأرواح والأبدان في جميع الأكوار والأدوار والأحقاب والدساتير ، فلم يغيِّر ولم يبدِّل ، فسماه الله مؤمنا لأنه مقرٌّ بربه موفق محمود مقيم في طاعة الله واثق به عارف بربوبيته غير مستنكف ولا متكبِّر ، موفق غير مخذول في الأظلة والأشباح عند أخذ الميثاق عليه .

فقلت : سيدي ومولاي ، ولم سمي إبليس إبليسا ؟

فقال : لأنه أبلس من رحمة الله وسها عن معرفته وأنكر وحدانيته وجحد ربوبيته ، ومعنى إبليس في نفسه الجهل ، وقد كان له إسما قبل ذلك .

قال المفضل :

قلت سيدي ومولاي ، ما كان اسمه قبل ذلك ؟

فقال : ذمٌّ ، لأنه ذمَّ الله تعالى حين لم يعرّفه نفسه ، فسمَّاه الله ذميمًا ، فهو مذموم مخذول أبدًا في الأظلة والأشباح حين لم يوفقه الباري للسجود لحجابه لمَّا أظهره بآدم ، فهو مذموم مخذول أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وكذلك ذريته ، لأنهم منه وإليه قد ثبتوا في جحودهم وكفرهم في الكرَّات والرجعات لا يرجعون عن ذلك الاعتقاد والإصرار.

فقلت : سيدي ومولاي ، كيف الامتزاج بين ولد آدم وذرية إبليس

؟

فقال : بالتزاوج والنكاح على ما أخبرتك به يا مفضل ، أما رأيت مؤمنا يلد كافرا ، والكافر يلد مؤمنا ؟ فالمؤمن الذي يلده الكافر هو من ذرية آدم ، والكافر الذي يلده المؤمن فهو من ذرية إبليس ، وإنما وقع النكاح بالتشبيه لمَّا لبسوا الأبدان .

فقلت : سيدي ومولاي ، كيف يُعرَف بعضهم من بعض ؟

فقال مولانا منه السلام : يا مفضل ، يعرفون بآدابهم ومعرفتهم الحق من الباطل ، فمن مال إلى الحق وذكَّر به وحثَّ عليه وسارع إليه فهو من نسل آدم لقبوله الحق وإصغائه إلى الصدق ووقوفه عنده .

ومن مال إلى الباطل فهو من نسل إبليس الثاني لعنه الله ، لإنكاره الحق وجحوده الصدق ووقوفه على الشبهات وقبولها وإصغائه إلى اللغو وميله إلى الشرِّ .

ثمَّ قال مولاي منه السلام : وخذ إليك علامة أخرى .

فقلت : وما هي يا مولاي ؟

فقال : من دعا إلى الحقِّ وأهله فهو من ذرية آدم ، ومن دعا إلى الباطل وأهله فهو من ذريَّة إبليس لعنه الله ، وبهذه العلامة يُعرَف المؤمن من الكافر .

ثمَّ قال مولاي منه السلام : يا مفضل ، إن المؤمنين ليرون الجاحدين المنكرين وهم ظاهرون في التراكيب وقد أخفوا أنفسهم عنهم لأنهم يخالطونهم ويحادثونهم ويؤاكلونهم ويشاربونهم ويصافحونهم ويبيتون معهم وهم لا يعرفون ولا يعلمون أنهم مسوخ ، لأنهم ظاهرون في التراكيب باطنون في المعرفة ، لأن المزاج أشكلهم على المؤمنين .

فإذا لم يبق لله حق إلا أنكروه ، ولم يبق شيء من الباطل إلا أثبتوه وأقروا به وأقاموه عنادا لله ، فحينئذ تزول عنهم رتبة المزاج فيظلمون ويركسون ويرجعون إلى المسوخية فيراهم المؤمنون العارفون المقرون بما هم به وبما هو أصلهم من الظلمة والتعس والنكس .

قال المفضل :

فقلت سيدي ومولاي أخبرني عن الأرواح التي تقيم الأبدان هي واحدة في المؤمنين والكافرين ؟

فقال مولاي منه السلام : يا مفضل ، أما أرواح المؤمنين المقرّين وأرواح الملائكة المقربين فهي شيء واحد .

وأما رواح الأبالسة والشياطين الرجسين النجسين الخبيثين فهي شيء واحد .

وذلك أن أرواح المؤمنين مرفوعة موافقة لأرواح الملائكة المقربين والأنبياء الصادقين والأوصياء المفضلين والشهداء الصالحين تألف بعضها بعضا لأنها واحدة لا خلاف بينها من الأظلة والأشباح .

وأما أرواح الجاحدين المنكرين فمن أرواح الأبالسة والشياطين الملاعين الرجسين النجسين نسل إبليس وذريته وهو الثاني لعنه الله .

أما سمعت يا مفضل قول الله تعالى : ومن كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ؛ وذلك أنه من كان في أول التراكيب في أبدان البشرية أعمى عن المعرفة فهو في تراكيب المسوخية أعمى وأضل سبيلا .

أما سمعت يا مفضل قوله عز من قائل : ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه ؛ فهل هذا يا مفضل إلا من عمى القلوب ؟

فأما المؤمنين فإن التوفيق قد ألفوه لا يعرفون غيره ولا يفارقونه ولا يفارقهم ، وأما الجاحدين المنكرين فقد قرنوا بالخذلان لأنهم كما قال الله سبحانه : صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون .

وقال أيضا : إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وقال : أولئك هم الخاسرون .

وقال أيضا : ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب .

وقال أيضا : ولكل درجات مما عملوا . قال : الدرجات أبدان التراكيب ، وهذا كله يا مفضل في عمى قلوب الكافرين ، يصيرون إلى غاية الكفر ونهايته ، أما سمعت يا مفضل قول إبليس : ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون . فلم يجبه إلى ذلك ، وأجابه إلى غير ذلك ، لأنه قال له : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

قال المفضل :

فقلت سيدي ومولاي ، وما هو يوم الوقت المعلوم ؟

فقال مولانا علينا سلامه : يا مفضل ، هو ظهور القائم بالكشف والسيف ، فيكون الدين كله لله وحده ولا يعبد الله سرًّا ، ويقتل كل كافر على وجه الأرض ، حتى أن الكافر يستتر بالحائط فيمر به المؤمن ، فينادي الحائط : يا مؤمن ، هذا كافر قد استتر بي تعال اقتله ؛ فيمضي إليه المؤمن فيقتله .

وإنما سأل إبليس ربَّه أن ينظره إلى يوم يبعثون ، فلم يجبه إلى ذلك ، وأجابه إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم خروج مولانا القائم المهدي منه السلام ، وذلك أن الحرب تضع أوزارها فيقتل

القائم منه السلام إبليس ، ويقتل المؤمنون الكافرين حتى لم يبق منهم على وجه الأرض أحد .

ثمَّ قرأ مولانا علينا سلامه : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

قال المفضل :

قلت سيدي ومولاي ، ما الفرق بين المسوخيات ، وما التفاضل بينها ؟

قال : التحليل والتحريم ، إعلم يا مفضل ، أن كل ما حرَّمه الله تعالى وحرَّم أكله ؛ فقد كان بشرا ثم مسخ وبقيت فيه النفس الناسوتية لم تخرج عنه ، فإذا مرَّت عليه المدّة التي قد ألزمه فيها العذاب في المسوخيات النجسة الرجسة الخبيثة ، فأقيم الحد عليهم في خروج المسوخية بإزاء ما كان عليه أولا ، وتزول عنه النجاسة ، ويحل به الذبح في المحلل أكله ، فيحل أكله بإزاء ما بعد وأنكر بنقض عهده ، وذلك عدل من الباري تعالى إنصافا وإقامة للقسط والحق في الخلق المنكوس .

يا مفضل ، أما ترى في هذه المسوخيات أصنافا محللة ومحرَّمة ومشوهة الصور والأبدان ، فلذلك حرِّم أكلها وذبحها ، فهي معاقبة بالعذاب والبغضة والقلى والبعد والنجاسة والقذارة لايؤنس

إليهـم ولا يُتقـرَّبُ بهـم ولا يـذبحون ولا يؤكلـون ، لأن النفـس الناسـوتية بعـد فيهـم مـا خرجـت عنهـم ، فـإذا خرجـت النفـس الناسوتية عنهم حلَّ مسكهم والتقرب بهم ويحل ذبحهم وأكلهم ، فيذبحون لوجه الله ويتقرب بهم إلى الله ويسمى عليهم باسم الله ويتخذون عدَّة ويحفظون ويحرسون .

والدليل أن هذه العوارض حالة بالجاحدين هي بسوء أفعالهم ، قوله عزَّ من قائل : وما ربك بظلام للعبيد . وقوله سبحانه : ولا يظلم ربُّك أحدا .

وقوله جلَّ جلاله : ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره .

وقوله عزَّ عزّه : أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين .

وقوله تعالى شأنه : أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون .

وآي مثل هذا في القرآن كثير تدل على ما وصفناه .

قال المفضل :

سألت مولاي الصادق منه السلام فقلت : سيدي ومولاي مما

خلق الشمس ؟

فقال : من النور الأول ، منه أنارت ، فلذلك صارت تعبد من دون الله لجهل إبليس وغلطه ، وإنما سميت شمسا لأنها أشمست وأنارت ، إذ كان النور الأول حجاب الله ، فجعلت الشمس للنهار واصطفاه الله بها ، فمثل النهار كضوء الإمام ومثل الشمس كالرسول .

وكذلك القمر خلق من الحجاب الأدنى ، فجعل القمر لليل اصطفاه الله به فهو يزيد وينقص في صفاته حتى يرجع إلى الحجاب النوراني ، فمثل القمر عند العارفين مثل الإمام الذي تمَّ به الدين ، وهو الذي أبدأ كل شيء من الخلائق .

ومثل الشمس مثل الرسول الذي يبدي كل شيء من الشرائع والسنن والدين وهو الحجاب الأعلى يطلع ويغرب لا يزيد ولا ينقص .

ومثل الليل والنهار مثل الشاكين والمستبصرين ، لأن النهار هو ظهور الشخص المرئي ، والليل ظاهر ذلك الشخص للغيبة .

قال المفضل :

قلت مولاي ، فالنجوم التي بني عليها الليل والنهار والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والخير ؟

قال مولاي منه السلام : هم الأيتام الخمسة الذين تمَّ بهم الدين ، وهم الذين يجري بهم الليل والنهار والصلوات الخمس لأنهم خمسة .

قال المفضل :

قلت سيدي ومولاي ، فالنجم الثاقب ؟

فقال : هو اليتيم الأكبر عند أهل المعرفة ، وهو المقداد الذي يثقب علم الباطن ويلقيه إلى النقباء والنجباء .

قال المفضل :

قلت سيدي ومولاي ، فكم النقباء ؟

قال : إثني عشر أبدا ، والنجباء ثمانية وعشرون أبدا ، والمختصين والمخلصين والممتحنين تمام الخمسة آلاف شخص العالم الكبير النوراني .

وأما العالم الصغير فمائة ألف وتسعة عشر ألف شخص وهم : المقربون والكروبيون والروحانيون والمقدسون والسائحون والمستمعون واللاحقون وهم تمام المائة ألف وأربعة وعشرين ألف شخص ، وهم أصحاب المراتب والدرج .

فأما عالم الإقرار والإجابة الذين دخلوا في المزاج فما يحصي عددهم غير الخالق لهم يصفيهم ويلخصهم ويلحقهم بمن تقدم

منهم بفضله ولطفه وعطفه ورحمته إنه جواد كريم مجيب حكيم قريب .

قال المفضل :

فقلت سيدي ومولاي ، كم للكافر الجاحد من موتة وقتلة وذبحة في البشرية والمسوخية ؟

قال : ألف موتة وألف ذبحة وألف قتلة وألف غرقة وألف حرقة في البشرية ، ولهم مثلها في المسوخية إذا رجعوا إليها .

قال المفضل :

فقلت سيدي ومولاي ، فما الفرق بين القتل والذبح ؟

قال : التحليل والتحريم ، أما علمت يا مفضل أن كل ما يقتل لا يحلُّ أكله ، وما ذبح يحل أكله ، وذلك أنه في التراكيب المحرمة يقتل ولا يذبح لأنه ما خرجت عنه النفس الناسوتية ، فإذا خرجت منه النفس الناسوتية يحلُّ ذبحه وأكله ويحل جميع ما حمله هيكله ولا يقتل ، فإن قتل لا يحل أكله ولا استعمال شيء مما يحمله هيكله ، لأن الله تبارك وتعالى يوفي العالم المنكوس أجورهم في البشرية والمسوخية بما عملوا مع المؤمنين من الجميل ، وينعم عليهم بما يظهرون من الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والاجتهاد في الخيرات يكافئهم به في البشرية

بالعز والغنى والرفعة والترفه والرئاسة والنبل والقوة والشدة ، ثم يعيد عليهم في المسوخية من هو مرفه محبوب مخدوم عزيز قوي شديد ، وفيما هو في تعب ونصب وشقاء وكد معنوفا به ، ومنها ما هو قوي شديد وصعب وذلول .

فهذه أوصافهم في البشرية وفي المسوخية إذا حلوا فيها وردُّوا إليها وذلك عدل من الباري وإنصاف ، أما سمعت قوله تعالى : أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .

وذلك أن الباري تعالى يجازي العالم المنكوس أهل الجحود والإنكار في البشرية ثم يعيد ذلك عليهم في المسوخية مثلا بمثل عدلا منه وإنصافا وإلزاما للحجة في الحالين ، وبذلك وصف نفسه فقال جل من قائل : ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

وقال سبحانه : فوفاه حسابه .

ومثل قوله تبارك اسمه : وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين .

وآي في الكتاب مثل هذا كثير .

قال المفضل :

سألت مولاي منه السلام فقلت : سيدي ومولاي أريد أن أسألك

عن شيء يتحدث به أهل الكوفة ، وإني لأستحي أن أسألك عنه يا مولاي ؟

فقال : قد علمت ذلك عندما هممت به ، تريد أن تسألني عن تزويج أم كلثوم .

فقلت : هو ذلك يا مولاي .

فقال : افهم يا مفضل أن أصل ذلك كان في الأظلة والأشباح ، إن مولاك قد أورى العالم المنكوس أنه قد قهر وظلم في مرَّات كثيرة ، وكل ذلك تلبيسا على العالم المنكوس ، يلبس عليهم بما يلبسون لتأكيد الحجة عليهم ، أما سمعت قوله عن السيد المسيح : وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم .

فقلت : سيدي ومولاي ، كيف كان فعله أول مرّة ؟

قال : أول ذلك سبب قابيل مع هابيل ، وكان هابيل يومئذ المعنى ، وقابيل الضدّ ، الثاني لعنه الله ، وهابيل أمير المؤمنين منه السلام .

فأرسل قابيل إلى هابيل وقال : زوِّجني ابنتك ؟

فامتنع هابيل من زواج قابيل .

فقال قابيل : والله لئن لم يزوجني ابنته قتلته .

فلما همَّ بذلك زوجه هابيل بابنته – يعني ابنة قابيل – فلما نظر

إليها قابيل ظنَّ أنها ابنة هابيل ، والله عزَّ وجلَّ أعظم من أن يفعل ذلك ، لكنه يظهر ذلك لأهل الظاهر تلبيسا على العالم المنكوس لتأكيد الحجة على الأعداء .

فلما ابتنى بها قابيل نظر إليها فإذا هي جريرة ابنته ، وعلم أنه هو إبليس ، لأنه كشف له عن ذلك ، فأسرَّ ذلك في نفسه ، ولم يزل حتى أظهر قتله ، وأخذ أخته عناق التي ولدت معه توأما ، ولم يزل ذلك دائما إلى أن ظهر في القبة الهاشمية .

وولي الأمر غمز لعنه الله ، وهو قابيل ، وهو إبليس الأبالسة وفرعون الفراعنة وشيطان الشياطين .

فأرسل غمز لعنه الله إلى أمير المؤمنين علينا سلامه ، وقال : زوجني ابنتك .

فأرسل مولانا أمير المؤمنين إليه سلمان فقال له : يا عدوّ الله وعدوّ نفسه عدت إلى طغيانك وعتوك الأول ؟

فقال غمز : يا سلمان ، والله لئن لم يزوجني ابنته إلا قتلته .

فقال سلمان : إنه قد أمرني أن أعرض عليك حالا .

قال : وما هو ؟

فكشف له سلمان عن نفسه ، فنظر غمز إلى نفسه فإذا هو قابيل ، وأمير المؤمنين هابيل .

فقال غمز لعنه الله : قد عرفت ذلك أني أنا هو ، ولا بد لي من زواج ابنته ، فإن زوجني أم كلثوم وإلا قتلته .

فرجع سلمان إلى أمير المؤمنين منه السلام فأخبره بقول غمز لعنه الله .

فقال أمير المؤمنين منه السلام : إذا نزوجه بابنته جريرة كما زوجناه بها في الأول .

وأعمى الله قلبه وأنساه واشتبه عليه .

ثم قرأ مولانا علينا سلامه : إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون .

فلما دخل بها غمز ظنَّ أنها ابنة عليّ ، وظن الناس كذلك .

ولما ابتنى بها غمز لعنه الله أرسل إلى شياطينه وأصحابه يفتخر بينهم بزواجه بابنة أمير المؤمنين ، فلما اجتمعوا إليه هنئوه بذلك ، فقال لهم غمز لعنه الله : يا قوم لو كنا على الباطل وابن أبي كبشة على الحق لما كان زوجني علي ابنته ، ولكنهم سحرة كذبة .

قالوا : صدقت يا غمز .

ثمَّ قرأ مولانا علينا سلامه : شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم

إلى بعض زخرف القول غرورا .

ثمَّ قال مولانا منه السلام : يا مفضل ، أبلسهم والله أصلع قريش ولبَّس عليهم – يعني أمير المؤمنين – وأورثهم العمى وغشى على أبصارهم وغطى أفهامهم ، ثمَّ افترقوا من عند غمز لعنه الله وظنوا أنهم قد فعلوها مع أمير المؤمنين .

واتصل الخبر بأمير المؤمنين ، فلما كان من غدٍ أرسل مولانا أمير المؤمنين سلمانا إلى غمز وقال له : يا غمز كيف رأيتها ووجدتها ؟

فقال غمز : موفقة مرافقة وما رأيت منها إلا خيرا وقد رضيتها .

ثمَّ قال له غمز : يا سلمان ألم يزعم ابن أبي طالب أنا على الباطل والضلال وأنه على الحق ، فلم يزوجني بابنته أم كلثوم ؟

فقال له سلمان : يا غمز ، أتدري بمن تزوجت ، ولمن زوجك علي ؟

قال له غمز : نعم ، بابنته أم كلثوم !

فقال له سلمان : ما من هذا شيء ، بل كذبت وما دريت بمن تزوجت ، قم وانظر إليها لعلك تعرفها .

فقام ونظر إليها ، فإذا هي جريرة ابنته وهو إبليس في صورة قابيل ، فلما تحقق ذلك استشاط غيظا وقال لسلمان : أفعلتموها

يـا سـحرة يـا كهنـة ، امـا إنهـا ليسـت بـأول مـرَّة مـن أفعـالكم يـا سلمان .

قال لـه سلمان : ويلـك يـا عدوّ الله وعدو نفسـه إنـي ناصـح لـك فاقبـل نصـيحتي واكتـم هـذا ولا تبـده لأحـد ، فإنـك إن كتمتـه ظـن الناس أن عليًّا زوجك ، وإن أنت أظهرت هذا الأمر افتضحت بين العالم كافة وعرفوك وانكشفت لسائر الناس ، فاقبـل نصـيحتي لـك قبل أن تفتضح .

قال غمز لعنـه الله : إني سأقبل ذلك منك ، ولا طاقـة لـي بسـحر علي وهؤلاء القوم ، استر عما سمعت يا سلمان .

وستر غمز لعنـه الله ذلك عن أصحابه وشياطينه وعلم بمـا فـي إظهاره من الفضيحـة .

فهـذا كـان السـبب فـي زواج أم كلثـوم ، والله أجـل وأعـلا وأعظـم وأسنـى ، وغمز أقل وأحقر وألعن وأبتر .

قال المفضل :

سألت مولاي الصادق منـه الرحمة ، عن قول الله تبارك وتعالـى : فإذا دخلتم بيوتا فسلموا علـى أنفسكم تحيَّـة من عنـد الله مباركـة طيبـة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون .

قال مولاي : يا مفضل ، ما يقول أهل الكوفة في ذلك ؟

قلت : يزعمون أنه السلام ، إذا دخل الرجل بيته يقول : السلام عليَّ . يعني سلامه لنفسه .

قال مولاي منه السلام : ما أجهل القوم وأعمى قلوبهم عن مراد الله بقوله ، إنما معنى سلام الرجل على نفسه ؛ إن في شيعتنا المؤمنين من قد صفا ورقى درجة فوق أصحابه الذين كانوا معه في المنزلة ، ولم يبلغوا هم إلى تلك الدرجة للتخلف عن العلم والعمل به ، فيجب على العالم الذين لم يبلغوا تلك المنزلة أن يسلموا إلى ذلك الذي قد رقى وعلا وصفا وبلغ في المعرفة والعلم ، فيسلمون إليه في جميع أمورهم ، فيوجبون له الطاعة حتى على أنفسهم حتى يرقوا إلى مثل درجته في العلم ويبلغوا إلى مثل منزلته في المعرفة ، ويصيرون في أعلى الدرجات والإيمان .

قال المفضل :

قلت سيدي ومولاي ، وما يكون لهم إذا عملوا وبلغوا إلى هذه المنزلة ؟

قال مولاي منه السلام : يكون لهم أن يرون مولاهم وحجابه وبابه بحيث حلوا ، ولا يحجبهم عن النظر جبل شاهق ولا طود منيف ولا بحر عميق ولا حائط محيط بل يكون نصب أعينهم حيث ما شاء وأراد ، فطوبى لمن وفق الله له أن يكون كذلك

والويل لمن حرُم ذلك .

قال المفضل:

فقلت مولاي وسيدي، أسألك الثبات على طاعتك والقبول بوحدانيتك والتصديق بمعرفتك والتسليم في جميع الأمور إليك، إنك أنت القريب المجيب، وأنت حسبنا ونعم الوكيل وإليك المصير.

كتاب آداب عبد المطلب

لسيدنا جعفر بن محمد بن المفضل

بسم الله الرحمن الرحيم

روى أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني قدس الله روحه قال: حدثني الشيخ الثقة أبو الحسين محمد بن علي الجلي شرَّف الله مقامه قال: وافى شيخنا أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي أعلى الله درجته أبيات شعر يمدح بها هذا الكتاب وهي هذه:

آداب عبد المطلب
قد جمَّعت عزًّا نجب
يا طالب العلم اقتبس
من نورها ترى العجب
وإن عملتَ بالـذي
قد قاله نلت الأرب

بسم الله الرحمن الرحيم

رواه عن محمد بن عبد الله الفارسي، عن إسحاق البصري، يرفع الإسناد إلى جعفر بن محمد بن المفضل.

قال إسحاق البصري: دخلت يوما على جعفر بن محمد بن المفضل، ورأيت عنده نفرًا من المؤمنين منهم محمد بن عبد الله بن مهران الكوفي، والحسن بن حماد، ومدرك بن يزيد الأمني، ونفرًا من أصحابه البالغين، وقد سألوه عن معالم دينهم وعما يحتاج إليه الرجل إذا بلغ المعرفة أن يستعمله فقال:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعلى يده جرت البركات، وبمعرفته تزول الشبهات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

إعلم أيدك الله أن المعنى عزَّ وجلَّ أحد فرد لا يعرف بغيره وخلقه يعرفون به، وكل صورة ظهر بها المعنى، الصورة صفة من صفاته واسم من أسمائه ، والله عزَّ وجلَّ لا تقع عليه صفة ولا حدّ ، والاسم لـه ، واسمه غيره ، وهو غير اسمه ، وصفته غيره وهو غير صفته ، فتعالى الأحد أنُ يحدّ أو يوصف أو يُرى إلا بما شاء من أسمائه التي اختصها لنفسه فجعلها أسماء ظاهرة نورانية ونطق منها .

فأسماؤه غيره وهو غيرها ، قوله تعالى : ولله الأسماء الحسنى ؛ فادعوا المحتجب بها ، وهو المعنى الذي قال : أنا معنى كل غاية .

والغاية محمد الذي انقطعت دونه الغايات ، ومحمد خلق من خلق الله اختصَّه واستخلصه من غير حاجة وأقامه المقام المحمود .

والمقامات كلها الظاهرة في باب الامامة الناطقة بالوصيَّة بيوت اختصها وأظهرها من غير أن يكون تحرَّك عن كيانه ، لأنه عزَّ وجلَّ صرف أبصار المخلوقين عن النظر إليه كما شاء من صغير الخلق وكبيره ، وكل

ما سوى المعنى فهو معروف بغيره وهوخلق من خلقه ، ولو لم يظهر بذاته لما صح الوجود ولا ثبت العيان ولا قامت الحجة على الخلــق ، وإنما ظهر بذاته ليؤخذ بآدابه وإرشاده ، وإنه عزَّ وجلَّ ظهر بهذه الصورة المرئيَّة إمتحانا للعالم ليؤمن به من يؤمن ويكفر بـه مـن كفر ، أعاذنـا الله وإيـاكم مـن الكفر والزيـغ وركـوب الشهوات والقول بالشبهات .

فمن أراد منكم الإرتقاء في المعرفة ودخول الجنان النيِّرة فعليه بمثل هذا التوحيد الذي بيَّنته لكم وهو التوحيد الخالص ، قال الله عز وجل من قائل : ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم .

وقولـه تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا .

فهو أحد فرد صمد ، لايقع عليه عدد ، ولا يتبعض ولا يتشعب ولا يحول ولا يزول من حال إلى حال ، ولا يتغيَّر عن كيانه وإن ظهر لعيانه وهو العليُّ العظيم .

وإنَّما يقع العدد والتبعيض على نفسه المحذرة الذي هو الاسم الظاهر بخمسة أشخاص وهم الأشباح الخمسة محمد وفاطر والحسن والحسين ومحسن ، والقديم الأزل يجلُّ عن الأشخاص والصور ، ويتعالى أن يحاط بنظر ، وكيف يحاط بنظر من لا شبيه لـه ولا نظير ولا عديل ، والصور والأسماء والمثال والمقامات كلها دونه وخلق من خلقه جلَّ وتعالى .

فأوصيكم عباد الله بتقوى الله واجتناب الأضداد ، وإيثار معرفته التي ينجو بها كلُّ مؤمن دقَّ وجلَّ وصغر وكبر .

فتأدبوا أيها المؤمنون بوصيتي ، وآمنوا بربكم قبل الحسرة والندامة واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئًا ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم تُوفى كلُّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ لـه من الله مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير .

واليوم عنده هو محمد بن عبد الله وظهوره منه .

ألا إن المعرفة والتوحيد لا يكونان إلا عند المؤمنين البالغين في المعرفة .

ألا إن لكلِّ شيءٍ زكاة ، وزكاة المؤمن في الآخرة إهداؤه العلم إلى إخوانه وكتمان معرفة الله عن الأضداد المخالفين .

وقربان كل مؤمن البراء من ولاية الأضداد الكفرة بالله ، والكفر هو الهرم .

وقلة مخالطة العامة هي النجاة ، والنجاة هي الجهاد للتلميذ ، وجهاد التلميذ رضاء العالِم ، والتلميذ بمنزلة الزوجة .

وأفضل الأعمال بعد معرفة الله العلم وبرّ الاخوان والسعي في قضاء حوائجهم .

والعلم بلا عمل كالفلك يركبها الراكب بلا ملاَّح ؛ والملاَّح في الباطن الباب ، والفلك هو السفينة التي من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها ضلَّ وغوى .

اطلبوا العلم من العلماء بالرفق والتودد ، فالعلم هو الرزق .

واكتموا معرفة الله عن غير أهلها تنجوا ، فمن أذاع سرَّ الله وسرَّ والديه فقد برىء منهما .

وأفضل العبادة المعرفة وانتظار دعوة الداعي .

والغنى هو الإيمان ، والفقر هو الكفر .

إذا رأيتم المجذوم فاجتنبوه ؛ فالمجذوم هو القاذف في المؤمنين عند الكافرين ، فلا تميلوا بسرِّكم إليه .

واجتنبوا الأبرص فإن الأبرص قد شهَّر المؤمنين في محافل الكافرين فشهره الله بالبرص .

من عرف مائة مؤمن في زمانه وسلموا من لسانه ولم يقل فيهم سوءًا صرف الله عنه مائة قالب من قوالب البشرية قد وجب عليه أن يسكنها .

وإذا أراد المؤمن المسألة عن إخوانه المؤمنين فليسارع المسير والمشي في قضاء حوائجهم وحقوقهم فإن في ذلك نجاته .

وخير رجالكم من عمل بطاعة الله ، وشرُّ رجالكم من عمل بطاعة الشيطان .

ولا تميلوا إلى علم الظاهر ما دمتم تصيبون العلوم الباطنة .

والنجاة من النار نجاة المؤمن بمعرفته ومعرفة إسمه وبابه في النورانية .

لكلِّ داء دواء ؛ ودواء الذنوب الإستغفار .

ومصافحة الإخوان المؤمنين كفارة الذنوب ، فمن كثرت ذنوبه فليصافح إخوانه المؤمنين .

ومعرفة أمير المؤمنين بالحقيقة هي نجاة العارف .

إذا سمعتم الداعي يدعوا إلينا فأجيبوه بالتلبية .

واجتنبوا المنيَّة وهي الكفر .

ومن خاف القصاص كفَّ عن مظالم الناس ؛ والقصاص هو التراكيب في أنواع القوالب .

من توكل على الله وقنع بمعرفته وأرضى اخوانه كُفِيَ البيوت الكثيفة .

خذوا معالم دينكم عن علمائكم الذين هم أعلم منكم بمعرفة الله .

أعرفكم بالله من تفكر في ملكوت الله ومعرفته فإنه يذهب عنكم الشيطان .

والإيمان يزيِّن العبد والكفر يشينه ، وطاعة الشيطان ندامة .

جاهدوا عدوَّكم وهو النفس الأمارة بالسوء .

الصدقة تدفع ميتة السوء ؛ والصدقة هي مطارحة العلم بين المؤمنين على من هو دونهم في المعرفة ؛ وميتة السوء هي الكفر بالله .

من ذكر محمد منه السلام عنده فلم يعرفه بالنورانية فهو من الذين لا يعلمون وهم الذين جحدوا ربوبية الله .

من سألكم علما فأعطوه على مقدار مقامه إذا كان من أهله ، وإذا كان من غير أهله فاقطعوا يديه ورجليه من خلاف ، وقال الله عزَّ وجلَّ : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ؛ والسارق

والسارقة هما اللذان يطلبان علم الله بالزنى ويعاندان العلماء على ذلك ويأخذانه من غير شكر فاقطعوا أيديهما ؛ أي اقطعوا عنهما العلم والمعرفة بما أضمرا من المعاندة .

وقال الله سبحانه وتعالى : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم :

الجواب : الذين يحاربون الله ورسوله هم المقزمنة والمقصرة والمفوضة ، والمحارب : المرائي المعاند للمؤمنين ، والله : أمير النحل ، ورسوله : محمد ، ويسعون في الأرض فساداً ؛ فالأرض : الأبواب وأصحاب المراتب مثل الأيتام والنقباء والنجباء والمختصين والمخلصين والممتحنين والمؤمنين وجميع أهل المراتب كلّ على مقداره ، وأن يُقتَّلوا : أي يُكَفَّروا ، أو يُصَلَّبوا : فالصلب إخراجهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف : يُمنعون العلوم الباطنة ويتركون على أهوائهم يمرحون ، أو ُ ينفوا من الأرض : لا يكلمون ولا يعاشرون ويخرجون عن حدِّ الإيمان إلى حدِّ الجحود والإنكار ، ذلك لهم خزي في الدنيا : لسوء معاملتهم للمؤمنين ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم : النار في الهياكل الضيقة التي يجري عليها الذبح في كل وقت وزمان .

من استعاذ من الشيطان فأعيذوه ؛ يقول : من سألكم أن يزيل عنه وعن نفسه الشيطان والشكوك بالعلوم فأعطوه على مقداره .

عُقُّوا عن أولادكم : أي أخرجوهم من الظلمة إلى النور ، واسقاط الشعر نفي الظلمة .

إذا أتاكم السائل المستحق فأعطوه من نثائر موائدكم ؛ الجواب : إذا أتاكم السائل المستحق الطالب معرفة الله فأعطوه ما تعطون تلاميذكم ، والتلميذ : الطالب ، والمائدة : الباب ، والنثارة : العلم يخرج منه ، فإذا شكَّ في معرفة الله فليخرج الشك عن قلبه بمسألته وليسلِّم لمن هو فوقه في العلم والمعرفة حتى يعرف أمره فيرجع عن شكه ، والشاك بالله كافر ، قال الله تعالى : فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين .

وقوله تعالى : وتمت كلمة ربِّك صدقًا وعدلاً لامبدل لكلماته وهو السميع العليم ؛ فالكلمات هم الرسل ؛ أي لاتشكوا في رسلي فإن الشك من عمل الشيطان .

تزاوروا تحابوا ؛ أي تزاوروا في المعرفة تحابُّوا في الصفوة .

وقال أهل الفضل : أربعة من السعادة لايتمُّ الإيمان إلا بها وهي : معرفة الربّ ، والثانية : العلم الباطن ، والثالثة : التلميذ الصالح ، والرابعة : الأخ الشفوق المواتي أخاه بما يريد .

وقيل : أربعة من أُعطيهنَّ فقد أُعطيَ ملك الدنيا والآخرة ؛ الجواب : الصفوة للاخوان من غير علَّة ، واتباع الحق من غير ملَّة ، وترك علم الباطل ، واتباع علم الباطن .

وقيل : تهادوا العلم بينكم تهتدوا إلى الطريق الأعظم والبلد الأيمن ، فإن في الهديَّة زوال الشحنة ؛ يعني

الهديَّة بالعلم زوال الشك عنكم .

صافحوا اخوانكم المؤمنين يُزل الله عنكم الهمَّ والفقرَ والعللَ والأسقام .

اكتموا دينكم عن غير أهله تغنموا .

صحَّة البدن وحسن الحال على ثلاثة وجوه : مكافأة ونحلة ومحبة .

بذل الرجل ماله ونفسه وعلمه لإخوانه العارفين يمنع ميتة السوء وهي الكفر .

صاحب العلوم الباطنة العارف بها وبمعناها العامل بما أمر الله به يرى ربَّه بالنورانية .

صلة الرَّحِم وهي برُّ المؤمن زيادة في المعرفة وينفي الشك .

ما نَقُصَ مالٌ من صدقة ؛ يقول : مانقص علم من بذله لأهله ، وبالعلم يرفع الله عن المؤمنين الكفر والشرك والفسق وانواع العذاب .

أفضل الأعمال بذل العلوم الباطنة للمؤمنين العارفين .

ولا تلقوا معرفة الله إلى أحد حتى تعرفوه .

من سأل عن العلم – وقيل عن المعرفة – فلا تجيبوه إلا من ثبت على معرفة الله وسلَّم ذلك إلى ربه في كلّ ما أخذ منه أخرجه من ظلمة الكدر إلى الصفوة .

ومن فتح الله عليه في المعرفة فَلْيَسْعَ في قضاء حوائج المؤمنين ليكون إيمانه كاملاً ، لأنه لا يكمل إيمان المؤمن إلا في قيامه بحقوق إخوانه .

واتقوا فراسة المؤمن – يعني دعاءه – لأنه ينظر بنور الله ؛ يعني يدعوا بإذن الله .

المؤمن مرآة أخيه المؤمن ، يعني ؛ يعطيه من العلوم الباطنة إذا حضر ويدعوا له إذا غاب ويرفع قدره عند المؤمنين .

وليس منَّا من أفسد تلميذًا على سيِّده .

والمعرفة دين المؤمن ، والعلم كرمه ، والعمل إيمانه ، والتوحيد آلته .

واتَقوا جدال المشركين ولا تجالسوهم فيضلوكم ، فإن المجادل في النار .

واسألوا علماءَكم ما تتفقهون به من العلوم الباطنة تسلموا من الضنك والبلوى .

ومهما ازداد الرجل معرفة وإيمانًا بربِّه فليزدد في المؤمنين محبةً وفهمًا ومعرفةً .

ولا تشكُّوا في اليتيمين ، فإن من شكَّ فيهما هلك .

ومن اتَّبع الأضداد وقاطع إخوانه بَعُدَ عن الله وكان في الآخرة من الخاسرين .

أفضلُ المؤمنين من لم يقارب الأضداد ، وشرُّ الهياكل هياكل الأضداد .

وإذا أردتم التقرُّب إلى الله فتقرَّبوا ببواطن علمه ، وإذا أردتم استبعاد الناس فبالعلوم الظاهرة أبعدوهم وأخرجوهم .

وأبعدوا المنازعين لكم في دينكم ممن يدَّعي شيئًا أنتم عليه ولا تقربوهم مساجدكم ولا جماعتكم .

وقيل : إن الله خصَّ أولياءه بالتسليم والرحب .

وتباعدوا عن المدَّعين للسر فإنهم يريدون بذلك الرياء والسمعة والرئاسة .

ومن طلب العلم على بصيرة فلا تمنعوه فإنَّه الناجي ، ومن طلبه على غير بصيرة فداروه وألقوا إليه الكلمة بعد الكلمة حتى يتطهَّر قلبه وتزداد بصيرته ، ومن طلبه عنادًا فلا تعطوه شيئًا وامنعوه ، وتأدَّبوا بآداب الله عزَّ وجلَّ حيث قال : فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم . وقوله : ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار .

ثم قال : المستهزىء بالمؤمنين بغير يقين يستهزىء بنفسه في النار كما كان يفعل بالمؤمنين في دار الدنيا .

وقيل : إن الملائكة تصعد بعمل العبد إلى السماء ، فإن كان العمل فاسدًا يقول الله عزَّ وجل : اجعلوا عمله في سجِّين ، وإن كان عمله صالحًا يفتح الله له سبعين بابًا من أبواب الرحمة التوبة والمغفرة .

أعلى الإيمان بالله المعرفة به لا بغيره ، فإن غيره مخلوق وهو خالق ، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق ؛ وهو إزالة الضد عن الحق .

وقيل : لا تطلعوا الأحمق على معرفة الله ، فإن الأحمق ممن قال الله سبحانه وتعالى فيهم : ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ؛ وهم الأحمق ، والمتأكل في دينه ، والمجادل في معرفة الله .

والأحمق هو الحزوق الذي أبدًا ينصب الأشراك للمؤمنين ويغضب من أدنى شيء ويرضى من أدنى شيء .

ثلاث دعوات مستجابات : دعوة المؤمن الممتحن ، ودعوة المؤمن الطالب المظلوم على عدوِّه ، ودعوة المؤمن على تلميذه .

ومعرفة الله تبعد الشيطان عنكم ، والعلم الباطن ينوِّر القلب ، وطهارة المؤمنين البالغين تكسر ظهر الشيطان ، والعمل الصالح ومحبة الاخوان يقطعان دائرته ، وبرُّ الاخوان يرضي الرحمن ويقطع وثبة الشيطان .

ومجانبة الضد أرضى للرب ، فمن عرف الله حق معرفته ثمَّ أحب الأضداد كفر بالله وكان منه بريئًا ، ولا دين لمن تابع الأضداد على أن يغلب الولي .

ما أقبح الجهل بعد المعرفة ، وأقبح الكفر بعد الإيمان ، وأقبح من هذا رجل عارف أذنب ذنباً فسلبه الله المعرفة ، والذنب الذي بسببه سلب المعرفة هو البغي على الولي .

من عرف الله في غيبته فهو العارف به عند ظهوره ، ومن غاب عنه ربُّه وقع في التيه والحيرة ، فليسأل من هو أعلم منه بربه عن الغيبة والظهور والنقلة ، وليعرف كل ما قاله العالم ويمتثله ، فإن بقي في شكِّه وتيهه فهو ملعون .

من انتبه من نومه وهو عارف بربِّه فارق الضنك ونجا من العبودية .

ومن قال أنا من ولد عليّ فهو من أولياء الطاغوت ، ومن قال أنا من ولد فاطمة فهو في عقاب النار يتردد .

فقال ل.هـ محمد بن عبد الله بن مهران : وإن كان موحِّداً مؤمناً ؟
فقال : يتبرأ من هذا النسب ، لأن العلوي المطلع على معرفة الله يحتجُّ في هذه النسبة على أهل الظاهر ، وعند المؤمنين لا يتعرَّف المؤمن الموحِّد بأنَّه علوي ولا يفتخر على المؤمنين بهذه النسبة ، وله أن يتبرأ منها وأن يقول : إن المؤمن الذي عرف الله أجلُّ من العلوي الذي لا يعرف الله ، فإذا عرف اللهَ العَلويُّ كان أجلُّ من المؤمن الذي عـرف الله .
ثمَّ قال : أجمل القول وأمِنَ الحسد ، والله ما الحسد إلا فيهم ، إن سمعوا ياأخي من المؤمنين شيئاً من علوم الله حسدوهم ، وإن أعطوهم كشفوا أمرهم وأذاعوا سرَّهم وذووه عنهم وادَّعوه لأنفسهم ، وزعموا أن كلامهم مفترضة طاعته على المؤمنين ، ويحبون أن يكون الناس كلهم محتاجين إليهم في العلم والمعرفة وحطام الدنيا ، ولو أن أحدهم ملك الدنيا لتلهفت نفسه إلى أخذ دانق ، وقد حرَّم الله عليهم الصدقة في الظاهر والباطن ، فظاهر الصدقة المال ، وباطنها الإقرار بهذه النسبة عند المؤمنين .
ثمَّ قال : يا أخي أعرض عمن هذا سبيله .
وقيل : إن المؤمن الموحِّد منهم يتبرأ من نسبه ظاهراً وباطناً حتى يصير كواحد من المؤمنين يأتمر لأمرهم وينتهي عن نهيهم ، فإن كره ذلك في بلده في ترك نسبه فليخرج إلى بلد لا يعرفه أهلها ويظهر للعامة والخاصة أنه من عامة الناس ، فإنه إذا فعل ذلك فهو العلوي الخالص ويكون علويا في معرفة الله ووحدانيته في السراء والضراء والشدة والرخاء والظاهر والباطن .
ثم قال : يا أخي وأين يوجد مثل من قد وصفته ؟ إنما هذه الصفة لصاحب مرتبة يتيم أو نقيب أو نجيب أو مختص أو مخلص أو ممتحن ، فإن أصحاب المراتب هم العلويون الذين علوا بمعرفة الله إلى العلو وسموا في العلوم الباطنة إلى السموات السبع وحلُّوا في الأرضين السبع فأخذوا في كل سماء داراً وفي كل أرض بيتاً فسكنوا فيه كسكون الروح النيِّرة إلى النور الفاضل ، ومن تسمَّى بهذا الاسم على غير معرفة لعنته ملائكة السموات والأرض .
وما من عبد مؤمن يصبح ويمسي صائماً إلى أن يؤذن له بالإفطار إلا وله أجر الصائمين والبيوت النيِّرة والوجه الحسن والمعرفة السنيَّة والعلم الكثير وأُخرج من فيء التناهي إلى جوار الرب ورضاه .
ومن أصبح عارفاً بالله نال الملكوت الأعلى .
أفضل الجهاد مجاهدة المؤمن نفسه عن الشبهات وارتكاب الشهوات .
استيقظوا من نومكم عند النهار وعند الليل ، ولا ينام أحدكم على غير طهارة فتخرجون عن حدِّ الإيمان إلى حدِّ الكفر ، ولا تغفلوا عن ذكر الله صباحاً ومساءً وفي كل الأوقات .
اعملوا الخير تكونوا من أهله ، وارفضوا الشرَّ تدنوا بذلك إلى الحجاب الفاضل النيِّر .
وإذا عرفتم ربكم فاطلبوا العلوم الباطنة لتكملوا المعرفة ، واعملوا بما أمرتكم لتتطهروا بذلك ، وصبُّوا العلوم الباطنة على أنفسكم صبًّا فإن في ذلك نجاتكم ، وطهِّروا قلوبكم وصححوا نيَّاتكم بما تنطق به ألسنتكم من معرفة الله ولا تقولوا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ، إن أغفل ما تكونون فيه يطلع عليكم مالا ترجونه ،

ولا تمرُّ على كافر ولا على مشرك ولا على منافق إلا أهلكته ودمرته تدميراً .

ومن كان محمد إليه التسليم دعوته وسلسل حجته وأمير النحل عمدته فليبشر بالرحمة والرضوان والفوز والغفران .

إذا نسيتم شيئًا من أمور دينكم فاذكروا الله حقَّ ذكره وقولوا : ما كان ربك نسيًّا ، يا مذكِّر سلسل ومعلمه ومبدي محمد ومقيمه وخالق الأسامي والصور ذكِّرني ما نسيت من أمور ديني واجعل لي من أمري فَرَجاً ومخرجاً، إفعل بي ذلك وبإخواني المؤمنين يا أمير النحل ، إنك كما وصفت نفسك بنفسك فقلت : وما كان ربُّك نسيًّا ؛ اللهم لا تنسني معرفتك وثبتني على طاعتك وطاعة رسولك محمد ووليك سلسل وأسمائك الأئمة الذين تسمَّيت بهم ، فأنت يا أمير النحل خلوٌّ منهم وهم لا يخلون منك يا عليُّ يا عظيم .

العلم نور المؤمنين فلا ترفضوه .

الثبات على معرفة المسجد الأقصى وإقامة الصلاة على اليقين تورث النورانيَّة .

إذا جاءَكم السائل الذاكر بالليل فلا تردُّوه ، فلعلَّه من الملائكة المذنبين الذين أهبطهم الله بذنوبهم إلى الأرض ليكملوا العقوبات ثمَّ يصفوا إلى أماكنهم ، ولعلهم هبطوا إلى الأرض إمتحاناً ليعلم الرب هل يطيعون أو يعصون ، وهو عزَّ وجلَّ أعرف بهم ، وربَّما امتحن عبيده بهم فيجازيهم على مقدار حسناتهم إليهم ، ويعاقبهم على مقدار سيئاتهم .

المؤمنون هم الفائزون .

اطلبوا العلم من العلماء ، فالعالم شبه ضرع الشاة التي يُحْلَب منها كل وقت اللبن ، واللبن أصل الخيرات ، وكذلك العالم تدرُّ منه ومن عنده العلوم الباطنة فتُجلى بها القلوب الصديَّة إذا عُملَ بها .

علموا أولادكم وتلاميذكم السعيَ في ظلمة الليل والخوض في البحر اليمين ليميِّزوا بذلك الحق من الباطل والناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فيفوزوا به .

شرٌّ من اليهود المقزمنة ، وشرٌّ من النصارى المفوِّضة ، وشرٌّ من المجوس اليزيدية ، وشرٌّ من كلِّ ذلك الإنكار والجحود ، ينالون بالإنكار المسوخيَّة في العذاب .

خير ما ينال المؤمن الصفوة والإرتقاء في المعرفة .

إذا انكشف لأحدكم عن أخيه شيء مما يغمّه فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم لبيك يا أمير النحل هل من مَرَدّ ؛ فإن الله عزَّ وجلَّ يردُّه إلى الحق .

لا ينام أحدكم بين الشمس والظل ؛ يقول : لا ينام أحدكم عند غيبة الحق وظهور الضد فيفتنه الشيطان وهو حبتر كما أخرج من كان قبلكم من معرفة الله إلى معرفة صاحبه .

اغسلوا أيديكم من دنيا الضد فما لكم فيها نصيب ، أما ترضون أن يغفر الله لكم ؟ أما تحبُّون أن يكمل الله لكم درجاتكم فتفوزوا فوزاً عظيما ؟

طوبى للمساكين الذين يسكنون إلى معرفة الله المأسورين الذين سروا في معرفة الله وارتقوا إلى الملكوت الدائم .

إن أجلَّكم العارف بربه ، وأجلكم مقامًا في العلم الصفوة .

طوبى للمتأدبين بآداب الله السابقين إلى رضوانه أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

الغضب يفسد الإيمان .

خذوا معالم دينكم عن أهل ملَّتكم ، وارفضوا المفوِّضة الذين قصَّروا في معرفة الله ، وهم أضداد المؤمنين .

إن الله عزَّ وجلَّ أعطى المؤمن ثلاث خصال : العلم والعمل والمهابة في صدور الجهال .

من أعطى شيئًا من علوم الله ومعرفته لمؤمن ممَّا يحتاج إليه أعطاه الله بكلِّ حرف سبعين ألف حرفًا ، وإن أعطاه وقد أشرف ذلك المؤمن على الهلاك والإرتياب فأنقذه من الشبهة والزيغ والزلل أُزيل عنه عشرة بيوت وقيل ثمانون قميصًا قد وجب عليه مما يُعاقب فيها .

إذا وسوس لكم الشيطان في معرفة الله عزَّ وجلَّ فقولوا : بسم الله الرحمن الرحيم ، لبيك ياأمير النحل ، آمنت بك ربًّا ، وبمحمد رسولاً ، وبسلسل باباً ، أخلصت لك روحي وبدني وما أقامت مني الأرض ، أشهد أنَّك القادر على كلِّ شيء قدير ، لم يشبْك شيء من الباطل أنت الغالب على كلِّ شيء وعلى كلِّ نفس تعاليت ياأمير النحل .

وإن كُسيَ أحدكم ثوباً جديداً فليستقبل الشمس أو القمر أو أي نجم ولينظر إلى السماء أو إلى أي شيء من آيات الله ثمَّ يجمع القميص ويصبّه على نفسه صبًّا ويقرأ الحمد وقل هو الله أحد وإنَّا أنزلناه في ليلة القدر وآية الكرسي ثمَّ يقول : اللهم إني أسألك أنا المقرُّ بظاهرك وباطنك ونعمتك وإحسانك وجنتك ونارك وبعثك وحسابك أن تلبسني ثوب النور وأن تريني بابك الظاهر واغشني بشعاع نورك واكنفني بفناء ظلك فإنك الأحد الفرد ياأمير النحل أشهدأنك كما وصفت نفسك لم تتخذ صاحبة ولا ولدا سبحانك تعاليت يا ذا الجلال والإكرام .

وإذا أكرم أحدكم إخوانه المؤمنين بمعرفة الله فليقل : اللهم إني أسألك تمام النعمة والمعرفة في بطونك وظهورك وفي مقاماتك وأسمائـك الحسنى .

وإذا نظرت إلى المرآة فقل : يا أمير النحل منك وبك ولك ، اللهم ارزقني الصفوة ومُنَّ على عبدك بكرمك وجودك وعلى المؤمنين .

وإذا أتيت إلى الفراش فقل : بسم الله الرحمن الرحيم العليِّ الكبير أشهد أن الصورة خلقك والأسماء مقاماتك والصفات رسلك والنعوت عبيدك ، وأشهد أنك لا تحول ولا تزول ولا تتغيَّر ولا تأخذك سنة ولا نوم يا أمير النحل نبِّهني من نومي بكمال العافية واصرف عني الشبهة والغفلة إنك لا تحب الغافلين عن معرفتك ، اللهم ارزقني زيارة المؤمنين في رقدتي هذه وألق عليَّ لباسك المضيء وثبِّتني بالقول الثابت وتوفني موحِّدًا وألحقني بإخواني الصَّافين حول عرشك .

وإذا انتبهت من نومك – والنوم هو الغفلة – فقل : لا إله إلا الله العليّ العظيم الحيّ القيُّوم سبحانك يا عليُّ يا عظيم ، سبحان من يحيي العظام وهي رميم ، أشهد انَّك يا مولاي تحيي وتميت وأنت حيٌّ لا تموت وإليك المصير .

وإذا جلس أحدكم من نومه فليقل قبل أن يقوم من مضجعه : حسبي الله العلي الأعلـى ، حسبي من لـه الآخرة والأولى ، اللهم إني أسألك أن تنبهني من نومي وألق عليَّ لباسك واجعلني من المتيقظين في معرفتك ، جلَّ جلالك ولا إله غيرك ولا باري سواك يا أمير النحل يا علي ياعظيم .

ثمَّ ترفع رأسك إلى السماء أو إلى السقف وعليك أبدًا بالعلوِّ فإن الله قد علَّى ذكرك وجعلك من العالين .

وإذا دخل أحدكم منزله فليسلم على أهله ويقول : السلام عليكم أيتها الأرواح الطاهرة الطيبة الزكيَّة التي رُوِّحت إلى معرفة الله واستراحت من الضنك والأغلال والآصار ، عليكم السلام من العليِّ العلام أيتها الأرواح الطيِّبة ، اللهم يا سيِّدي اجعل أرواحها إلى جنتك وحضائر قدسك صافية نقيَّة تنزل إذا شاءت من غير كدٍّ وترحل إذا شاءت من غيرجدٍّ ولا نكدٍ ، واجعل ذلك بجميع المؤمنين يا عليُّ يا عظيم ؛ فإن ذلك ينفي الفقر ولا فقر أشدّ من الكفر بالله والشك والشرك .

ولا يدخل أحدكم إلى الغائط حتى يقول : إخسأ يا ملعون ، اللهم إني أعوذ بك من نجسه ورجسه ، اللهم لا تجعل مقعدي في هذا الوقت مقعد الشياطين ، اللهم إني أبرأ إليك من شخصه وصورته وروحه وتلوينه .

وإذا خرج أحدكم من الغائط فليقل : الحمد لله الذي أزال عني مقرة الشيطان وأخرج عني الفقر والأذى والشك والإرتياب وطهرَّني من الدنس والبلوى .

وإذا استاك أحدكم بسواك فليقل : سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون ، أشهد أنك شخص الباب الذي قال الله عزَّ وجلَّ : وأتوا البيوت من أبوابها ، وقال سبحانه : باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ؛ وأنت يا مولاي مقام من مقامات النور الذي يستضيء بك المؤمن والكافر وبمعرفتك ترفع عن المؤمن العبودية وتضع على الكافر الآصار والأغلال .

ولا يتوضأ أحدكم ولا يغتسل بالماء حتى يقول قبل أن يمسَّ الماء : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم طهرني بعلومك الجارية منك على أوليائك الذين هديتهم إلى معرفتك وهدوا من دونهم بالنورانية والجلال ، اللهم طهرني وزكِّ عملي واجعل ما عندك خيرا لي .

فإذا فرغ أحدكم من وضوئه أو من غسله فليقل : أشهد أنك أمير النحل مقيم الباب وخالقه ورازقه ، وأشهد أن محمدا نفسك وحجابك ، به يستضيء المؤمنون ومنه يقتبسون معرفتك ، سِّيدي أدخلني إلى دار الضياء وأزل عني العاهات والآفات .

وإذا مشَّط أحدكم أو سرَّح لحيته فليقل : اللهم زيِّني ولا تخلقني ولا تبدلني غيري فإني لنعمتك من الشاكرين ولآلائك من الحامدين ، اللهم أرني الحقَّ حقًّا لأتبعه ، فالحق يتيمك الأكبر ، وأرني الباطل باطلا فأجتنبه ، فالباطل عدوّ وليِّك ، إلهي أتمم لي حسناتي .

وإذا تخلل أحدكم يقول : اللهم انزع عني الغلَّ والحسد وقوِّني بسلاحك وهو يتيمك الأصغر لأنقذ به نفسي من أفخاخ المردة وبؤس الفقر ، اللهم افعل بي ذلك ظاهرًا وباطنًا .

وإذا قلم احدكم أظفاره فليقل : بسم الله الرحمن الرحيم خالق الأسامي _ وليبدأ بيده اليمنى وليكن ذلك ضحوة النهار من يوم الجمعة إلى أن يبلغ الإبهام ، ثم يرجع إلى الخنصر فلا يقلمها ، فإذا كان في يوم

الجمعة الثانية يبدأ بخنصر اليد اليسرى ويقلم أظفاره على ما ذكرناه إلى أن يبلغ خنصره اليمين فيدعه _ والخنصر هو الأصل وهو فاطمة ومن عندها انفجرت عيون الكبرياء وعلى معرفتها دارت القرون الأولى ، فيجب على المؤمن أن يقلم أظفاره في كل يوم جمعة على ما بيّناه ، مرَّة بيده اليمنى ومرَّة بيده اليسرى ، ويدع جمعة خنصره اليمين ، وجمعة خنصره الأيسر على حسب ما ذكرناه ، فإذا فرغ من تقليم أظفاره فليقل : أشهد أنك يا مولاي أصل الأصول ومؤيِّد الأبد والخالق القديم ، خلقت فأحسنت ، وصوَّرت فأنرت ، وتمَّمت وقسمت فأظهرت ، وسمَّيت فرفعت ، ونطقت فأحكمت ، وكلمت فنطقت فأعلنت ، وكم دُعيت فأجبت ، لك الحمد سبحانك يا عليُّ يا عظيم ، ما أعظم شأنك وأجلّ ذكرك وأنور قدسك وأبهى صورتك وأضوأ علمك وافضل حلمك وأكمل خلقك ؛ ثم يغسل أصابعه بالماء القراح .

وعند الغسل الصغير يقول : سيدي أزل عني الشبهات والشهوات وردَّني إلى موطني الذي خُلقت منه نورًا لا ظلام فيه وحكمًا لا جهل فيه وعلمًا لا زلل فيه وإيمانًا لا نفاق فيه وأمنًا لا خيانة فيه وصبرًا لا جزع فيه وصدقًا لا كذب فيه وشكرًا لا كفر فيه وعدلا لا جور فيه ورضاءً لا سخط فيه وصيامًا لا فطر فيه وعافية لا ابتلاء فيها ، اللهم افعل ذلك بي وبجماعة المؤمنين .

وإذا خرج أحدكم إلى السفر فليقل إذا خرج من منزله : اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الحضر – وكان رسول الله منه السلام كثيرًا ما يناجي عند خروجه من منزله في سفره بهذه الكلمات وكان يقول لأمير المؤمنين : أنت الصاحب في السفر والخليفة في الحضر ؛ والسفر في الباطن طلب العلوم الباطنة والمعرفة السنيَّة – اللهم ارزقني الصفوة وجنبني سوء المنقلب يا مولاي أسألك ببابك زيادة معرفتك فارزقني ما وعدتني حيث قلت : ادعوني أستجب لكم ؛ فأنا أدعوك كما امرتني فاستجب لي كما وعدتني إنك لا تخلف الميعاد .

وإذا وحَّد منكم الرجل ربَّه فليقل : اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ؛ اللهم اجعله مستقرًا ولا تجعله مستودعًا يا أمير النحل إنك لذلك فاعل فافعل بي وزدني معرفة سنيَّة لا أنكر شيئًا يرد عليَّ من معرفتك وعلومك وأقرُّ بآياتك ورسلك ومقاماتك ، سيِّدي أدخلني إلى دار الصفوة عارفا بك غير منكر ولا جاحد وافعل ذلك بجماعة المؤمنين .

وإذا دخل أحدكم إلى السوق وأشرف على الخلق فليقل : الله أكبر الله أكبر تعاليت يا عليُّ حيث ساويت بين خلقك ورزقتهم كلٌّ على مقدرة علمه وإقراره وإنكاره ما يستطيع استعماله من الخير والشر فذهبوا عنك وعن معرفتك وأنكروك وجحدوك وقالوا بغيرك واتخذوا لك شريكا وضدًّا وولدًا ، فما أجلك يا سيِّدي ، أشهدت عليهم الداعي حيث قال : ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم إن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردَّنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد .

فما أكفر هذا الخلق المنكوس المتمرّد ، وقد جهلوا عنك وعن معرفتك فتبًّا لهم من عبيد وسحقا ومحقا

سيحلون في المعذبات ويمسخون في المركبات ويمزقون في الكرات طبقا عن طبق لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، اللهم ارفع وادفع شرَّهم عني وعن جماعة المؤمنين وخذ سمعهم وأبصارهم واجعل على قلوبهم غشاوة حتى لا يصلوا إليَّ ولا إلى أحد من إخواني المؤمنين .

ثمَّ يقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك يا صاحب البطشة الكبرى ، لبيك يا صاحب النقمات ، لبيك يا صاحب الحجرات ، لبيك جبار السموات ، لبيك أنت كما وصفت نفسك أحد فرد صمد لك الأسماء الحسنى والمثل العليا والآلاء الكبرى .

هذه صفات الربّ تعالى وتقدست أسماؤه ، ثم يتلو عن يمينه قل أعوذ بربّ الناس وعن يساره قل أعوذ بربّ الفلق ثمّ يقرأ قل هو الله أحد .

وإذا دخل أحدكم صفقة القصَّابين ، ونظر إلى الشياه والبقر مذبوحات ومعلقات فليقـــل : بسم الله الرحمن الرحيم الذي لايظلم أحدا ، اللهم إني أبرأ من لحومها ودمائها وأشهد عليهم بالضلالة ، اللهم إني أعوذ بك أن أحلَّ محلهم أو أقوم مقامهم ، اللهم اجعلني من الذابحين ولا تجعلني من المذبوحين .

وإذا وصل إليكم شيء من دنياهم فقولوا : اللهم إن كان هذا الشيء مطلقا لنا قبلهم فنحن نحمدك على ذلك ، وإن كان اصطناعا منهم إلينا فهوِّن ذلك علينا واجعله حلالا لنا مطلقا لا ردَّ فيه ولا مطالبة ، وإن كان غير ذلك فلا تعاقبنا عليه ، فإن الحلال والحرام أشخاص النور والظلمة ؛ الحلال أشخاص أمرتنا بطاعتها ومعرفتها والحرام أشخاص أمرتنا باجتنابها ونهيتنا عنها ، اللهم لا تحرِّم علينا ما حللته لنا ولا تحظر علينا ما أبحته لنا واجعلنا من أهل هذه الآية : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ؛ آمنا بك وأيقنا بك ورضينا بك ربًّا وكفرنا بمن تشبَّه بك وبارزك وناصبك ونشهد أنك العليّ الكبير الأعلى سبحانك وتعالى جدُّك .

وإذا هنأ أحدكم أخاه بولد ذكر إذا جاءه فليقل : بارك الله لك يا أخي في مولودك وجعله الله من المؤمنين البالغين الذين يسيحون في الأرض وبنور ربِّهم يهتدون .

وأما الولد في الباطن هوالتلميذ ، فإذا بلغ المولود وهو التلميذ أشدَّه في المعرفة فليقل لـــه : ثبَّتك الله وأعطاك وجعل ما منحك من المعرفة مستقرًّا غير مستودع وألهمك العلوم الباطنة الجارية منه في محبَّة العارفين به .

ومعنى أشدَّه ؛ يعني إذا بلغ التلميذ في المعرفة ووحَّد ربَّه .

وإذا قدم عليكم أخوكم المسافر المهاجر إليكم فقولوا له : تقبَّل الله مشيَك وشكرَ سعيَك وجعل هجرتك فيه وأنارَ بيتك ورضي عمَلك وعلا ذكرك وزادك وجعلك على ما خوَّلك وأنعم به عليك من معرفته من الشاكرين وزادك علوًّا في العلم والمعرفة وأعتقك من العبوديَّة فكن من الشاكرين .

وإذا تزوَّج أحدكم فليقل : اللهم إنِّي تزوَّجت حلالا مطلقا لادَنَسَ فيه ولا ارتياب ولا شكَّ ولا غائلة ، اللهم حلّل لي ما حرَّمته على غيري ولا تؤاخذني بشقوتي وتقصيري فإني أريد بذلك النجاة من البيوت النكرة النكدة إلى جنان رضوان والبيوت السماويَّة وزيارة الأنوار ، اللهم أسألك أن ترزقني القيام بذلك ظاهرًا

وباطنًا .

والتزوُّج هو الدعاء إلى الله ، فمن أجابك إلى ذلك فقد تزوَّجته .

وإذا أتى أحدكم زوجه فليقل : بسم الله مسهِّل الأمور ورازق الخيرات ومنيل أولياءه الدرجات العالية ، اللهم سهِّل لي زوجتي ويسِّر لي قبول ما أريده منها وقدِّرني عليها ، اللهم إني استحللت ذلك بأمرك وقبلته بأمانيك ، فاجعله مؤمناً ذكرًا سويًّا ولا تجعل للشيطان فيه نصيبًا .

ذلك هو العالم والتلميذ وما يجري بينهما من علوم التوحيد ومطارحة العلم للتلميذ .

وإذا ذكرتم محمدًا وآله الأئمَّة إليهم التسليم والأبواب وأصحاب المراتب والمقامات فقولوا : سبحان ربِّي العليِّ الأعلى ؛ فإنكم تزيلون بذلك عن أنفسكم الشكِّ في معرفة الله عزَّ وجلَّ .

وإذا ركبتم الدَّواب – وهم هذا الخلق المنكوس – فقولوا إذا استويتم على ظهورها : سبحان من سخَّر لنا هذا وما كنا له مُقرَنين ، اللهم إنَّا عبيدك المقرِّين بتوحيدك العارفين بجنتك ونارك ، لا تذلَّنا بعد أن عززتنا ولا تخرجنا من النور إلى الظلمات ، اللهم إنَّا راضون بما قسمت لنا من سعة المعيشة وضنكها ، اللهم لاتخطر على قلوبنا غير معرفتك وعلومك الباطنة الجارية منك إلى أوليائك الحافين حول ديك العرش ، إفعل ذلك بنا يا عليُّ يا عظيم .

ما من عبد إلا وفيه واحدة من ثلاثة : طيرة أو تمنِّي أو كبر .

وإذا تثاءب أحدكم فليذكر أمير النحل وليقل : بسم أمير النحل هرمن ، اللهم إنف عني الطيرة ووسوسة الشيطان وكيده فإني أعوذ بك منهم .

وإذا تمنَّى أحدكم فليتمنَّ الزيادة في معرفة الله وليقل : سبحان من لا شريك له في ملكه ، اللهم امنحني معرفتك لتكون سبب خلاصي من هذا القميص ، لك الكبرياء والآلاء ، اللهم ارزقني التواضع وانفِ عني وسوسة الشيطان والمردة .

وإذا بلغ أحدكم الكبر في السن فليجالس من هو فوقه في المعرفة ويسأله عمَّا يحتاج إليه من معرفة الله فإن ذلك ينفي الفقر ، وليسأل ربَّه ويبتهل إليه ويقول : يا علي أسألك ببابك يا مولاي انقرضت أيامي وبقيت آثامي ، أسألك تمام مغفرتك والفوز بالجنَّات ، اللهم إني أسألك أن ترزقني نفحة من نفحات رزقك وتجعلها عونًا لي في ديني ودنياي ولا تضلنّي عن معرفتك وارزقني ما أنت أعلم وأعرف به مني .

وإذا ضاق على أحد أمره فلا يشكو ربَّه بل يقول : اشهد بالله أن ما أنا فيه لذنب قد سبق وإني ظلمت نفسي وإنك لا تظلم أحدا ، وكيف تظلم وأنت العدل الذي لا يجور ، اللهم إن كان ما أنا فيه محنة فارزقني الصبر عليها ، وإن كانت عقوبة فسهِّل لي اجتنابها وهون عليَّ خلاصها ، اللهم اجعل ما أنا فيه محنة ولا تجعله عقوبة .

ولا يطغى أحدكم على العالم بكلامه لتلاميذه وإخوانه في معرفة الله فيهبط .

ولا يجعلنَّ أحدكم الدعاء بإزالة دولة الضدّ ، فإنَّ كلَّ نفس بما كسبت رهينة ولا يظلم ربك أحدًا ، يكافىءُ ربُّك بالإحسان إحسانا وبالسيِّئات سيِّئات مثالها ولا يفعل ظلما ولا يبخس أحدا منكم أجرَ ما عمل ، فعليكم

بالصبر والتسليم لأمر الله إلى أن يتم موعد الله ويوفِّي الأعمال السالفة ، فإنَّه إذا كان ذلك جاءكم الأمر من حيث لا تحتسبون .

وإنَّ النظر إلى بئر زمزم يذهب الداء ؛ معناه : إنَّ معرفة آمنة بنت وهب تذهب الشك عن المؤمنين الشاربين من مائها .

وإذا اردتم أن تداووا به فممَّا يلي الركن الذي فيه الحجر الأسود ، فإن تحت الحجر خمسة أنهار من الجنَّة ؛ الفرات والنيل وسيحون وجيحون ومهران ؛ يقول : خذوا معالم دينكم من محمد منه السلام واعرفوه حقَّ معرفته ، فإن زمزم آمنة بنت وهب والماء محمد وهو العلم الجاري من محمد إلى المؤمنين .

فإذا أردتم معرفة الله تعالى فمن الركن الذي فيه الحجر الأسود ؛ فالركن أبوطالب ، والحجر الأسود عقيل بن أبي طالب ، وتحت الحجر خمسة أنهار ؛ يقول : إن عقيل أحد حجب أمير النحل لأنه احتجب بأربعة عشر حجابا ، وقال قوم : تسعة عشر ، وقال قوم : اثني عشر ، وكلها حق ، لأن أمير المؤمنين مدبّرها ومقيمها والمحتجب بها ، لا على سبيل أنه حلَّ فيها وتكلم منها ، لكنَّه احتجب بالأب والأم والزوجة والأخوة والأخوات والعم والعمَّة والإبن والإبنة والخال والخالة والزوج والزوجة والصهر ، احتجب بأهل البيت من غير أن يكون قد تحوَّل من بيت إلى بيت ومن دار إلى دار ، لأنه عزَّ وجلَّ أورى نفسه كخلقه من صورة إمام بعد إمام من غير أن يزول عن معدنه ، وصرف أبصار المخلوقين عن النظر إليه في كيفيته وهو جلَّ وعزَّ لا يحول ولا يزول من حالة إلى حالة ولا من هيكل إلى هيكل ولا يكيِّفه شيء ولا يحويه مكان ولا يعدّه شيء ولا يقع عليه العدد ولا يتبعض ، ولا تفرَّق ولا تشتَّتَ ولا تشعَّب بل هو أحد فرد صمد يُري نفسه كيف شاء كما يشاء لمن يشاء كلٌّ على مقدار ما فيه من النور ، فهذه صفة الربّ جلَّت قدرته .

وأما الأنهار الخمسة ؛ الفرات : محمد ، وسيحون : الحسن ، وجيحون : الحسين ، والنيل : فاطر ، ومهران : محسن ، جلَّ ربي تعالى .

ولا تلقوا معرفة ربكم إلى من لا يؤتمن على كتمانه ولا يحافظ على المؤمنين ولا يعرف حقوقهم ، فإن فعلتم فتأدَّبوا بآداب الله ؛ قال الله جلَّ من قائل : فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا .

علموا أولادكم الصلاة وجدُّوهم ليتنزَّهوا بها ؛ يعني التلاميذ عرِّفوهم معرفة أمير النحل ، وقيل الميم لأنه الصلاة ومقاماته .

تنزَّهوا عن قرب الكلاب ؛ يقول : لا تجالسوا العامة ولا المقصرة ولا المفوضة ولا المقزمنة ولا تحادثوهم ولا تجاهروهم بمعرفة الله تعالى وعلومه فتهلكوا فإن أحسُّوا منكم شيئًا أباحوا دماءكم ، فاستغفروا ربكم واسألوه الإقالة .

لا يُظهر الرجل منكم نفسه ودينه في دولة الضدّ وهو شخص الحمَّام ، وذلك قول العالم : لا يقرأ أحدكم القرآن في الحمَّام فمن فعله ورأى ما يكرهه فلا يلومن إلا نفسه .

أعطوا كلَّ سورة حقها من الركوع والسجود ؛ يعني أقيموا كلَّ مقام مرتبته التي أقامه الله بها ورتَّبه وأظهر منه القدرة والنطق .

لا يصلي الرجل منكم في قميص متَّسخ ؛ يقول : لا تعرفوا ربّكم بالحجاب ، لأن الحجاب لا حقيقة لـه وهو البشريَّة الناسوتية ، بل اعرفوه بقدرته ونطقه فإن الحجب كثيرة والمعنى هو القادر والناطق .

ولا تقولوا بالحجاب ولا بالصورة وقولوا بالمعنى الذي خلق الصورة والحجاب .

ولا تقولوا بصاحب النطق بلا قدرة ، فإن صاحب النطق يخطىء ويصيب ، وصاحب القدرة مصفًّى من الكدر ولا يخطىء في قولـه ولا يدَّعي ما ليس لـه ويصيب في كل أوقاته ، فإذا رأيتم صاحب قدرة ومعجزة يعجز عنها جميع الخلق فاسألوه عن مقامـــه ، وكل ما قاله لكم فصدِّقوه ، فإن صاحب القدرة لا يدَّعي ما ليس له .

كونوا كنفس واحدة ، وتجاوزوا عن المؤمنين في عثراتهم ، فوالذي نفسي بيده إن المؤمن أشدُّ اتصالا بـالله من شعاع الشمس بالشمس ، وليس بين الضوء ومخرجه فرق ، والشمس محمد والشعاع الحجب الصوامت عليهم السلام ، والضوء المؤمن ومخرجه محمد .

لا تقيموا أئمَّة الضلال مقام أئمَّة الهدى ، ولا أحدًا من أتباعهم مقام المؤمن ، وهو قول أمير المؤمنين : لا تصلـّوا على كدائس حنطة ولا شعير ولا على شيء مما يؤكل .

الجواب : من عرف محمدًا إليه التسليم بحقيقة المعرفة فقد صلى .

لا يأخذ أحدكم العلوم الباطنة من دون الباب والباب حاضر إلا إذا لم يصل إلى الباب ، إذا قدر الوصول إلى الباب يسأله عمَّا احتاج إليه ، فإذا غاب الباب ورأيتم نقيبا أو نجيبا أو مؤمنا عالما فاسألوه عمَّا احتجتم إليه من معالم دينكم ، وقال أمير المؤمنين : لا يصلي احدكم نافلة في وقت الفرض إلا عن عذر ، ولكن يقضي بعد ذلك إن صلى الفريضة إن أمكنه القضاء ، فإن الله سبحانه يقول : الذين هم على صلاتهم دائمون ؛ لايداخلهم الشك والإرتياب ، فإن فاتهم لقاء الباب عند حضوره ولقوه بعد ذلك فإنهم لقوا المولى عند حضور الباب لقوه بعد ذلك إذا قدروا عليه .

والنهار هو الناطق ، والليل هو الصامت ، هذا في بعض البواطن .

ومعرفة اليتيمين بالحقيقة تعادل معرفة ألف مؤمن بالغ كامل الصفاء ، وهو قول أمير المؤمنين : الصلاة في الحرمين تعادل ألف صلاة في غير الحرمين ؛ والحرمان : اليتيمان ، وكل مؤمن بالغ أصله الصلاة .

من ألقى حرفا من علوم الله الباطنة إلى مستحق في وقته تعادل ألف كلمة في الباطن في غير وقتها ، وهو قول أمير المؤمنين منه الرحمة : نفقة درهم في الحج تعادل ألف درهم في غير الحج .

وإذا عرف أحدكم ربَّه بحقيقة المعرفة فليعرف حقوق المؤمنين ، وهو قول أمير النحل : إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليخشع لله فإنه من خشع لله خشعت له جوارحه .

قفوا بين المقام والمقام إلى أن يجمع الله كلمة المؤمنين على المقام الثاني ، وهو قول أمير المؤمنين : اجلسوا في الركعتين حتى تسكن جوارحكم ثم قوموا فإن الله يغفر لكم وإن ذلك من فعلنا .

إذا عرفتم ربكم بحقيقة المعرفة فعليكم بالدعاء إليه ، وهو قول أمير المؤمنين منه الرحمـة : إذا فرغ أحدكم من صلاته فعليه بالدعاء ، وليرفع يديه بالدعاء إلى السماء ، وفي السماء رزقكم وما توعدون ، ومن أين

يطلب الرزق إلا من معدنه ؛ باطن ذلك : إنه يجب على المؤمن أن يدعو إلى ربه في كل وقت لقولـه : كل سماء سلسل ؛ والرزق العلوم الباطنـة ، وما توعدون في الظاهر الصورة المؤنقة وهو الشخص الذي يظهر وهو القائم ، وهو يوم مجموع إليه الناس ، وذلك يوم مشهود ، فمن أين تطلب العلوم الباطنة وإظهار الحق إلا من موضعه ومعدنه وهو محمد منه السلام ، إذا كان الله عزَّ وجلَّ خلقه وفوَّض إليه أمره ونهيه .

فلا يشكَّ أحدكم في صلاته التي افترضها الله عليه – والصلاة معرفتــه – وليسأل ربَّه أن يرزقه المعرفة في كل بيت وأن ينقذه من ولاية الأضداد ، وأن ينحلـه البيوت النيِّرة الصافية ، قال أمير المؤمنيـن : لا ينقلبنَّ أحدكم من صلاته حتى يسأل ربَّه الجنة ويستجيره من النار ويسأله الحور العين .

ولا ينكر المؤمن ذكر الأضداد عند العامة ، لكنَّـه إذا اعتقد في قلبه ولايتهم فهو قول أمير المؤمنين : لا يقطع الصلاة التبسُّم ولكن تقطعها القهقهة ؛ وهي ولاية الأضداد .

إذا شكَّ أحدكم في معرفة الله يجب عليه إتيان الباب والإستغفار إليه ، فإن لم يقدر على لقاء الباب فليسأل من هو أعلم منـه من البشر ، وهو قول أمير المؤمنين : إذا غطَّ أحدكم في النوم – والنوم هو الشك – وجب عليه الوضوء ؛ والوضوء بالجملة العلم من الباب .

إذا أقرَّ أحدكم بتوحيد الله وهو أمير النحل ورسالة محمد وقدرة سلمان عليه السلام وأن الباب صاحب النقمات والرجعات وأن المؤمنين يصفون من الكدر ويخرجون من القبور – والقبور هي الهياكل التي قد حُبس فيها المؤمنون – ثم لم يذنب ذنبا مما يذنبه الناس – وهي الذنوب التي قد نهوه عنها – فقد تمَّ إيمانه ؛ وهو قول أمير المؤمنين منه السلام : إذا قال العبد في التشهُّد أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدا عبده ورسوله وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور ويعلم مافي الصدور فقد تمَّت صلاته ؛ والصلاة في الجملة هي الإيمان والمعرفة بالله .

وما عُرف الله حق معرفته إلا بالطلب والإنقياد إلى العلم من العالم ؛ قال أمير المؤمنين : ما عُبد الله بشيء أشدّ من المشي ؛ والمشي هو الطلب .

ليس لمؤمن أن يكشف دينه للمقزمنة والمفوِّضة ، قال أمير المؤمنين : ليس للرجل أن يكشف عن فخذيه ويجلس بين قومه ؛ والفخذان هما الوالدان وقومه هم المقزمنة والمفوضة .

ومن أخذ علمه عن زرارة وأبي بصير وسدير وعبد الله بن أبي يعفور ومحمد بن أبي مسلم والحكم بن أبي عقبة وحنان بن سدير ويزيد العجلي وحجر بن زياد وعامر بن خزاعة ومن هو مثلهم في العباد فلا يقربن المسجد الحرام ، والمسجد الباب ، وقد قال أمير المؤمنين : من أكل شيئا من المؤذيات فلا يقربن المسجد ؛ ويعرف مقدار معرفته بربه فلا يظلم نفسه إذا عرف ربه .

وقال أمير المؤمنين : لا يرفع الساجد مؤخره في الفريضة إذا سجد ؛ وإذا أراد أحدكم التوحيد فليعرف الله حق معرفته .

وقال أمير المؤمنين : إذا أراد أحدكم الغسل فليبدأ بذراعيه ؛ والغسل هو التوحيد ، والذراعان هما المعرفة ، وأن حركة الرجل بذراعيه ، والتوحيد لا يتم إلا بالمعرفــة بالله .

إذا عرف أحدكم ربَّه بكمال المعرفة فليُعرِّف إخوانه ذلك ، قال أمير المؤمنين : إذا صليت فسمِّع نفسك القراءة والتكبير والتسبيح ؛ الجواب : الصلاة هي المعرفة ، ونفس المؤمن : إخوانه في الله ، والقراءة : العلوم الباطنة ، والتكبير : التوحيد ، والتسبيح : العمل بطاعة الله .

وإذا عرف أحدكم ربَّه فليعرف محمدا منه السلام حق معرفته ، قال أمير المؤمنين : إذا انتقل أحدكم من صلاته فلينتقل عن يمينه ؛ واليمين محمد – وقيل : المقداد – .

وعليكم بالعمل الصالح ، قال أمير المؤمنين : تزوَّدوا من الدنيا فإن خير ما تزودتم التقوى .

ارفضوا أصحاب النسبة ومن يدَّعي أنه من ولد الحسن والحسين وأن أمير المؤمنين أجريَ في الأصلاب والأرحام .

عليكم بالمؤمنين البالغين في معرفة الله ومن قد نفى عن الله الولادة والولد جلَّ الله وتعالى ، قال أمير المؤمنين : مسختُ من بني إسرائيل أمتين واحدة في البرِّ وأخرى في البحر فلا تأكلوا إلا ما عرفتموه ؛ اسرائيل : محمد ، وبنوه : المؤمنون ، والأمتان : أصحاب النسبة ممن يدَّعي أنه من ولد الحسن والحسين ، فالبرُّ : الحسن ، والبحر : الحسين ، لأن الإمامة والعلوم في ولد الحسين وهو البحر في باطن العلوم .

ولا تقولوا لمن عرَّفتموه الإيمان والتوحيد حتى ينفي النسبة عنه ظاهرا وباطنا ، غير المارق والقاذف والصغير والكبير ، فمن كانوا على هذه الصفة فخالطوهم واركنوا إليهم وعرِّفوهم دين الله سبحانه وتعالى ، وإذا لم يكونوا على ذلك فتبرأوا منهم في الباطن ووالوهم في الظاهر فإن في ذلك نجاتكم منهم .

من تداخله شكٌّ وارتياب في معرفة أمير النحل وكتم ذلك عن العلماء واخوانه ثلاثة أيام كان من الشاكّين ، ومن أظهر ذلك للعلماء واخوانه وسألهم عن ذلك كان حقًّا على الله أن يخرجه من شكِّه ؛ قال أمير المؤمنين منه الرحمة : من كتم وجعًا به ثلاثة أيام ولم يلق مطببًا دام وجعه ، ومن لقي الطبيب وعرَّفه علته كان حقًّا على الله أن يعافيه .

أبعد ما يكون العبد من الله عزَّ وجلَّ إذا كان همُّه بطنه وفرجه ؛ فالبطن الأوَّل والفرج الثاني لعنهما الله ؛ يقول : من توالى هذين ورفض الحق فقد بَعُدَ من الله ، هذا في أوَّل الباطن ، وفي الباطن الغامض يقول : أبعد ما يكون الرجل من معرفة أمير المؤمنين إذا قال بالتقصير ، ولا بُعْد أشرّ من أن يقصِّر في معرفة الله .

لا يطلبنَّ أحدكم علوم العامة فيخرجه ذلك عن دينه ومعرفة ربِّه .

قال أمير المؤمنين : لا يخرج أحدكم في سفر يخاف منه على دينه وصلاته ؛ فالسفر هو طلب العلم .

الحجامة تنفع البدن وتشدُّ العقل ؛ أراد بالحجامة إقامة الظاهر ، فإن في ذلك تصفية البدن .

أخذ الشارب نظافة في البدن ؛ فالشارب عائشة ، لأن الشارب نفس القاذفين ، وعائشة وجَّهت الأول والثاني إلى الظلم والعناد ، فأزيلوا عن أنفسكم معرفة عائشة ، واعرفوا ربكم بصفاء القلب .

وأما الشارب المحمود فإنه فاطر ، لقوله : الشارب من أخلاق الأنبياء ؛ فالشارب في هذا الموضع محمود ؛ يقول : إن في معرفة فاطم نجاة المنبئين الذين تنبأوا وبلغوا الملكوت الدائم ، لأن فاطم أصل المقامات

النسابة ، فمن عرفها حقّ معرفتها كان نبيئًا ، وأخلاق الأنبياء مقامات الأنبياء .

السواك مرضاة الله ومطيبة للفم ويزيد في الدماغ ويسهِّل المجاري ويذهب مائتين وسبعين عاهة ؛ فالسواك باب الله عزَّ وجلَّ وبمعرفته يصفو الرجل ويزيد في الدرجة ويلهمه الله العلوم الباطنة إلهامًا يُذهب عنه الردى ويكشف عنه الغطاء ، وقيل : الغلط .

غسل الرأس بالخطمي يذهب عنه الدرن وينفي الأقذار ؛ معنى ذلك : معرفة محمد بالنورانية يُذهب هذه البيوت الرديَّة وينفي الشك .

المضمضة والإستنشاق سنَّة الفم والأنف ؛ فالمضمضة محمد بن الحنفية ، والأنف قنـبر ، ومحمد بن الحنفية يحضُّ المؤمنين في طلب المعرفة وما يلزمهم من حقوق إخوانهم إلى أن يبلغوا إلى التصفية ، وقنبر هو الأنف لأنه كان رسول أمير المؤمنين إلى من دونه في المرتبة ، قال أمير المؤمنين : أنا أنف الهدى ؛ وهي واقعة على قنبر لقول أمير النحل : أقنهم يا قنبر إني جلت السموات والأرض فلم أرَ مؤمنًا غيرك .

السعوط مصحَّة للرأس وتنقاء للبدن من سائر الأوجاع ؛ معنى السعوط : دعاء الباب لهذا الخلق إلى معرفة الله سبحانه فمن أجابه أسقط عنه العاهات والأفات والآصار والأغلال .

النورة طهور الجسد ؛ فالنورة المعرفة فمن عرف الله سبحانه طهر جسده ، فالنورة المحمودة نفي الشك عن المؤمن ، لأن الشعر هو الشك فإذا تنوَّر سقط عن نفسه الشعـر ، وكذلك إذا عرف ربَّه أسقط عن نفسه الشك والشرك .

لبس الثياب البيض زينة للرجل المسلم ؛ معرفة علوم الله الباطنة زينة للمؤمن ، فإن من عرف ذلك كمل إيمانه .

تقليم الأظافر يمنع الداء الأعظم ويدرّ الرزق ؛ معناه : معرفة النواطق العشرة التي قال الله سبحانه : تلك عشرة كاملة ؛ وهي مناطق فاطم ، ونفي الأضداد العشرة والتبرء منهم وهم الذين قالت العامة : العشرة الذين بايعوا تحت الشجرة .

نتف الأنف ينفي الرائحة المنكرة وهي والطيب سنّة أمر بها سيدنا – والطيب إنكار المؤمنين للضد – تقي العاهات عن المؤمن وتطهره ، وتطهيره هو ملازمة الطيب .

غسل اليدين قبل الطعام وبعده زيادة في الرزق ؛ وهي معرفة الحسن والحسين بالنورانيَّة والحقيقة ، قبل الطعام وبعد الطعام : العلوم الظاهرة ، يقول : معرفة الحسن والحسين على الحقيقة من قبل الأشخاص وبعدها زيادة في مقام المؤمن ومعرفته وصفوته .

غسل الأعياد طهور لمن أراد قضاء الحوائج بين يدي الله عزَّ وجلَّ واتّباع لسنَّة رسوله ؛ الأعياد : الفطر والأضحى ؛ الفطر : ظهور وليّ الله بالدعاء وهو محمد ، والأضحى شخص القائم وظهوره – وهو الحجاب – بالسيف وإهراق الدماء ؛ والغسل فيهما الإقرار لهما بالقدرة وهما واحد وجوهرة واحدة ، وطلب الحوائج بالتصفية واتباع سنّة رسول الله والدعاء إلى الله جهرًا .

قيام الليل صحة للبدن ورضاء للرب وتعرض للرحمة وتمسك بأخلاق النبيين ؛ معرفة الله سبحانه وتعالى في دولة الضدّ ومعرفة الوليّ والباب ، لأن الليل المذموم العكر هو الضد ، وبمعرفة الله ينال المؤمن درجة الأنبياء .

أكل التفاح يصرف للمعدة ؛ أي العلوم الباطنة نجاة المؤمن .

ومضغ اللبان يشدّ الأضراس وينفي البلغم ويذهب ريح الفم ؛ معناه : النظر في علوم الله سبحانه يشدّ قلب المؤمن من الشك والإرتياب ويقوّي عزم المؤمن على معرفة الله وينفي عنه الضد ويطيّب روحه .

الجلوس في المسجد بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أسرع في طلب الرزق من الضرب في سبيل الله عزَّ وجلَّ ؛ معناه : المسجد معرفة الإمام منذ ظهر إلى أن يظهر الإمام الآخر وهو المقام الثابت ، والتثبُّت على معرفة الله ونفي الشك والإرتياب في أمره يسهل لقاءه والنظر إليه وأخذ العلوم منه .

أكل السفرجل يقوي القلب الضعيف ويطيّب المعدة ويذكي الفؤاد ويشجّع الجبان ويحسن الولد ؛ معناه : السفرجل معرفة الأشخاص بالنورانية ، فمن عرف الأشخاص قوي قلبه على معرفة الله عزَّ وجلَّ وعلى ما يرد عليه من الباب ويخرجه ذلك إلى الصفوة والشجاعة حتى يدعو إلى ربّه ، والولد هو التلميذ ، يقول : يحسن معرفة تلاميذه .

من أكل واحدًا وعشرين زبيبة على الريق في كل يوم كفاه الله شرَّ ذلك اليوم ، وقيل صحَّ بدنه ؛ معناه : يقول من عرف واحدًا وعشرين منطقًا من مناطق الباب في كل وقت يعرفهم حق معرفتهم من الناطق منهم والصامت يدفع الله عنه الشك الذي يؤدي إلى الكفر .

يستحب للرجل المسلم أن يأتي أهله أول ليلة من شهر رمضان لقول الله عزَّ وجلَّ : أحلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ؛ والرفث المصافحة وقيل المجامعة في المذاكرة ، والرجل المسلم هو المؤمن الذي آمن بالله ورسوله ظاهرًا وباطنًا وأسلم نفسه في طاعة الله ودعا إلى ربّه ، والأهل هم تلاميذه ، والرفث : مطارحة العلم الباطن ؛ يقول : يستحب أن يلقي المؤمن إلى تلميذه العلوم الباطنة ويعرّفه شهر رمضان وهو عبد الله بن عبد المطلب ، والنساء هم المؤمنون ، يقول : مطارحة المؤمن كفارة .

من نقش على خاتمه اسم الله فليحوّله عن اليد التي يستنجي بها في الوضوء ، فمن عرف محمدًا حق معرفته ونفى عنه البشريَّة كان من المؤمنين في محلِّ النورانيين ، ويعلم أنه باشر من هو دونه في المرتبة بهيئته وباشر الخلق في البشريَّة فقال : إنما أنا بشر مثلكم ؛ أي باشرتكم بهذه الصورة .

والحمد لله ، فاحفظوا ما سمعتم ، وكان فيما قال : إعلموا أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم فلا تملُّوا النعمة فتعود نقمة ، وإعلموا أن أفضل الأعمال ما أكسب أجرًا وأورث حمدًا فتنافسوا على المكارم وأدُّوا الأمانة إلى أهلها ، فلو رأيتم المعروف لرأيتموه رجلا حسنًا يسرُّ الناظرين ويفوق العالمين ، ولو رأيتم البخل رجلا لرأيتموه قبيحًا مشوَّهًا تنفر منه القلوب وتغض عنه الأبصار .

أيها الناس : من جاد ساد ، ومن بخل ذلَّ ، وإن أعظم الناس عفوًا من عفى على مقدرة ، وأكرمهم من أعطى من غير مسألة وأجلُّهم من وصل من قطعه ، ومن لم يطيِّب حرثه لم يزك منبته ، والفروع من

معادنها تثمر أصولها وتنمو به .

الأنوار والحُجُب

رواية

شيخنا وسيّدنا وفقيهنا أبي عبد الله الحسين
بن حمدان الخصيبي قدّس الله العليّ روحه
رواه عن

محمّد بن سنان الزّاهري عليه السّلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليّ العظيم والسيّد الحكيم واسمه وبابه وأهل مراتب قدسِه، وكرّمَ الله عبيده، وزاد الله في جوابهم واجعلنا اللّهمّ لهم شيعاً وتبعاً إنّه عليٌّ عظيم وهو على ما يشاء قدير.

أمّا بعد، أيُّها الطالب، اعلم أنَّ العليّ العلاّم أظهر ذاته وبيَّن حجبَه لخلقه، وأظهرَ أبواب النُّطق.قال هذا ابن سنان رأس العلم والفلسفة ومعرفة أهل التّوحيد. قال: وإنّما صنعتُ هذا الكتاب، وجمّعت فيه الأخبار، ووضعتُ فيه الحكمةَ ومعرفةَ أمير المؤمنين العليّ العلاّم والواحد الأحد، الذي ليس كمثلِه شيء وهو السّميع العليم. وأوردناه للطالبين لينظروا فيه وليقتدوا به فيرجع الغالي ويلحق التّالي، ويتّبع الطالب العلم الذي خرج من عند الله تعالى إلى أوليائه ويقتدون بأحديّته به كما قال الحكيم محمّد بن سنان: أنَّ الله تفرّد بوحدانيّة الفرد بلا كون. ومن يكوّن فهو كائن، وكذلك هو الله عزَّ

وجلَّ بصفته النّورانيّة القائمة الصّمدانيّة الموحية والخفيّة الباقية لا نافذه. وكان ربُّنا تبارك وتعالى بهذه الصّفات لم يزل بها كائن من الأزل والأبد في أحديَّة القيّوم. ثمَّ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ: وصف نفسه بنفي خلقه أن يكونوا معه في قدمه. فوصفَ لآبائنا فنعتاً للمكان، ولا بحيث نعتاً للتَّبعيض، ولا بكيف نفياً للإحاطة أن يحيط به غيره لم يكن غير. قال: فهذه صفةٌ نفسِهِ بعد إثباتِه لها، نفياً عنها ما لم يكن معها شيء. قال الحكيم محمّد بن سنان: سمعتُ العالم يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَ الأنوار السّبعة والأيّام السّبعة، والشّهور والسنين والدّهور والأعصار والأكوار والأدوار فأوّل شيءٍ خلقه الله الأنوار وهو النّور الأوّل، وآدم الأوّل ثمَّ خلق النُّور الثّاني وآدم الثّاني، وهو الأبد وهو النُّور الثّاني وآدم الثّاني. ثمَّ خلق النُّور الثَّالث وهو الدّهر، وهو النُّور الثَّالث، ثمَّ خلق المكان وهو النُّور الرّابع وآدم الرّابع. ثمَّ خلق الله النُّور الخامس وآدم الخامس، ثمَّ خلقَ الله النُّور السّادس وهو المنتهى وهو النُّور السّادس وآدم السّادس. ثمَّ خلق الله النّور السّابع وهو الغاية وهو النُّور السّابع. ثمَّ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لمَّا خلقَ الخلق ذلكَ كلَّه لا غيره لأنَّه لم يكن معه غيره، وغيرُه لا شيء من قبل أن يكون شيئاً. ولو خلق الأشياء لا من شيء كان خلَقَها من العدم. ولو كان خلقها من العدم كانت جهلاً. ولو خلقها من

الجهلِ كانت لا تعرف الخلق، ومحالٌ كون الشّيء لا من شيء. ولو خلقها منْ ذلك الشّيء كان الشّيء قديمٌ، وإنْ كان قديماً بطلت وحدانيّة العليّ العلاّم.

قال الحكيم: سمعتُ العالم يقول: محالٌ أنْ يفعلَ أو يقعَ منْ نفسِه شيئاً فيكون غيره ينتقل من هيئته، وليس ذلك. وإنّما خلق الله أهل النُّور الأوّل من مشيئتِه التي كانت محدثة للنّور الأوّل وأدم الأوّل، فلذلك يشاءون أن يعبدوا غيره، لأنَّهم من مشيئتِه. ثمَّ خلَق النُّور الثّاني من إرادته فلذلك لا يريدون إلاَّ الله. ثمَّ خلقَ النُّور الثّالث وآدم الثّالث من تقديره، فلذلك لا يطلبون إلاّ تقدير القادر أينَ ما كانوا، فحيثُ ما وجدتم قدرة الذّات فهنالك القادر القاهر العالي فوق كلِّ شيء ولا يشبهه شيء. وخلق النُّور الرّابع وآدم الرّابع من قضائه، فلذلك لا يطلبون إلاَّ القاضي للآيات المعجبة والأمور المشكلة، فحيثُ ما وجدتم القاضي فثمَّ العلي الأعلى الفارق بين الحقِّ والباطل. وخلق النُّور الخامس وآدم الخامس من رضاه، فلذلك لا يرضون إلاَّ الله العليّ الأعلى الواحد الذي ليس كمثلِه شيء، فحيثُ ما وجدتم الرّضا فثمَّ العليّ الأعلى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور. وخلَق النُّور السّادس وآدم السّادس من محبّته، فلذلك لا يحبُّون أن يعبدوا إلاّ الله من على في الغلسِ، فحيثُ ما وجدتم محبّة الله فثمَّ العليّ الأعلى فاتّبعوه. وخلق النُّور السّابع من أمره، فلذلك

لا يؤمنون إلاَّ بالله ولا يأمرون العبادة إلاّ بعبادة الله، فحيثُ ما وجدتم الآمر النَّاهي فثمَّ العلي الأعلى فاتّبعوه. قال الحكيم: فلو خلقَ ربُّنا تبارك وتعالى هذه الأنوار السّبعة من غيره لعبدوا غيره. ولو خلقهم من نفسِه لتغيّرت ذاتُه جلَّ عن محدثاته وعن ذلك كلّه في ذاته فاعل ومفعول وقديمٌ وحديث وخالق ومخلوق، فعظمَ ربُّنا تبارك وتعالى عن ذلك. قال: لا شيءَ معه، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقهم من رضائه المحدثة القائمة بنوره وذاته ووحدانيّته وفردانيّته وصمدانيّته وبدايته وعلمه فكلُّ صفةٍ من صفات الله التي أحدثها صفة من صفات ذاته.

قال الحكيم محمّد بن سنان: فلذلك غلطتْ الزنادقة فقالوا خلق الأشياء من بعضهم. وكذلك غلطت المجوس فقالوا: كلُّ بعضٍ منه. وليس الله جلّ ثناؤه منتهى فعظمَ مولانا عن ذلك علوّاً كبيراً. ولكنَّ الله جلّ وعزَّ خلق هذه الأنوار على وصف العالم أحدث من صفة الحدث. قال الحكيم: سمعتُ العالم يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لمّا خلق النّور الأوّل وآدم الأوّل كان ولا مكان ولا موضع ولا حيثُ كانوا متمسّكين بمشيئة الله، وكانت المشيئة تمسكهم وتقيمهم كما كان يمسك المشيئة ويقيمها. قال العالم: كان الله عزَّ وجلَّ مكان مشيئة الله يراهم ويرونه بصفة الوحدانيّة يقول فيقولون، ويتكلّم فيتكلّمون، ويسكت فيسكتون، فيعلّمهم ولا يعلّمونه، ويخبرهم ولا يخبرونه، ولا

يدرون من هو ذلك لأنَّهم رأوه بالبشريّة. قال: وهو يعلم. وإنّما أراد العليّ الأعلى بذلك إذا أمرهم أن يسبّحوه رأوا كيف يسبّحوه، وإذا أمرهم أن يهلّلوه رأوا كيف يهلّلوه، وإذا أمرهم أن يحمدوه رأوا كيفَ يحمدونه، وإذا أمرهم بأمرٍ علموا كيف يقولون، وأنَّهم لا علم لهم إلاّ من عند معلِّمهم وهو العالم الذي يعلم وهم لا يعلمون. قال: فجعل الله عزَّ وجلَّ مثل ذلك في الدنيا المعلِّم للصبيان، فلا بدَّ منه فلذلك دليل على كلِّ أحد لا يعلم حتّى يعلم من دليل على المعلّم الأكبر العليّ العلاّم، وحدانيٌّ في الدنيا، وحدانيّة في الآخرة. قال: فلمّا مكثوا مقدار سبعة آلاف سنة وسبعةٍ وسبعين سنة وسبع ساعاتـ قال لهم العليّ العلاّم: منْ أنا؟ وهو يومئذٍ متصوّر ومتشخّصٌلهم بالبشريّة شخصاً، ولم يعرفوه. وذلك أنَّهم كانوا يرونه نوراً بلا شبح فلمّا ترايا لهم بالبشريّة نكروه فلمَّا دعاهم قالوا: لا ندري إلاَّ أنّا متّبعوك. قال العليُّ الأعلى: إنّني أنا الله لا إله غيري ظهرتُ كيف شئتُ وأتمثّل بأيّ أمرٍ شئتُ وأرى نفسي كيف شئتُ لصغير الخلق وكبيرهم. فقال الخلق جميعاً في أنفسهم: وكيف لنا أن نعرف العالم؟ فقال الجليل: كخلقي النُّور الثّاني من إرادتي. قال الحكيم: قال العالم: فخلق من تسبيحهم وتهليلهم وتمجيدهم حجبهم النُّورانيّة فلمّا صارت أبداناً لم يكن لها بدّ من مكان. ثمَّ خلقَ الله لهم السّماء الأوّل

وهـي السّـابعة، وهـم أهـل النُّـور الأوّل. قـال: وخلـق مـن تسـبيحهم وتهليـلهم العـرش وهـو علـم العلـيّ الأعلى المكنون المخزون الذي أخرجه إلى أوليائـه، وهو السيّد الميم إليه التّسليم. قال الحكيم: أمَّا الثمانيـة الحجـب النّورانيّـة التـي تحمـل العـرش الأربعـة النُّورانيّة أركان الهواء ممّا هو ومن معرفة القاهر نزل إليهم العليّ العلاَّم في الحجاب النّور وهو العلـيُّ العلاّم فرأوه بحجاب الظلمة وهو الحجاب البِشري. قال: فثبَّتهم بذلك وهـي درجة الحجب، وإنّما سمُّوا حجبَ الأبواب أبواباً لأنّهم بوَّبوا فـي معرفـة الله قبل أن يخلق حجبَ النّور والظلمة، فشهدوا خلقها. قال: وسمِّيتُ الحجب حجباً لأنَّهم الأبواب وهم النُّور الأوّل لمَّا نزل إليهم العليّ العلاّم في حجاب النُّور وكان المؤمنون ينزلون إلى الدنيا في ذلك العصر كما تنزّل الملائكة إلى الدنيا في عصرنا هذا. فكان عزَّ وجلَّ يسبّح نفسه ويمجّد نفسه، وكان المؤمنون أهل النُّور الأوّل يقولون لأهل النُّور الثّاني: أنَّ ما ترونه هو الحجاب الأزلي الذي لا غايةَ غيره. قال: فهو يكذّبهم وظنُّوا أنَّ الله عزَّ وجلَّ على غير تلك الصُّورة. فقال أهل النُّور الثّاني لأهل النّور الأوَّل: فكيف كان ذلك؟ فقالوا: الله عزَّ وجلَّ خلقنا قبلكم وأشهدنا خلقَكم ونحن من مشيئته واسمه، فكنّا بمقدار سبعة آلاف سنة وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات يقول الله فنقول، ويتكلّم فنتكلّم. ثمَّ قال لنا بعد

هذا: أنا ربُّكم.فلم نعلم ذلك إلاّ رأيناه في حجاب الظلمة شبحاً بشريّاً مثلنا فلم نعرفْه حتّى خلقكم من إرادته. قال الحكيم: فلذلك جُعلت الشّهادة في هذه الدنيا يشهد بعضنا على بعض. قال: فعند ذلك قبلوا شهادتهم فصار أهل النّور الأوّل أبواب هؤلاء أعني النّور الثّاني، لأنَّهم بوّبوا بمعرفة العليّ العلاّم وأقرُّوا بصمدانيته. قال: فقال العالم: ثمَّ مكثَ أهل النُّور الثّاني لا يصدّقون ولا يكذّبون ولا ينكرون. وأنّه عزَّ وجلَّ هو الحجاب البشري الذي يرونه بمقدار سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات. قال الحكيم: إنَّ الله عزَّ وجلّ اسمه الميم خلقَ من تسبيحه وتهليله وتمجيده اثني عشر حجاباً وخلق الكرسي وهو رحمته وخلق لكلِّ شيءٍ منهم أبداناً نوريّة وهي النّفس، وظهرَ فيها بين خلقِه من حجب الظلمة، وظهر فيها. قال: فلمّا أراد ذلك أهل النّور الثّاني استيقظوا، إنَّ الذي حدَّثوهم به أهل السّماء الأوّل حقّاً وقرّوا به، وجعلوا يطلبون من أهل السّماء الأوّل علمَ العليّ العلاّم. قال: فلذلك وحجب التعليم ووجبَتْ الرئاسة لأنَّ الأبواب على درجه سمي ذلك الهوى دون الحركة لأهل النُّور الثّاني. قال: فقال عالم الخلق إليهم في اثني عشر حجاباً آدميّة كهيئتهم. قال: فيقولون للعليّ الأعلى: علِّمنا توحيدك، وعَرِّفنا أشخاصك المحكمات والمتشابهات. فقال لهم العليُّ الأعلى: أتعلمون

توحيدي فتعرفون المحكم من المتشابه ممّن يتوب لكم أمري أن تكونوا. ثمَّ قال: خلق السّماء الثّالثة، فكذلك صار الهواء ما بين السّماء إلى السّماء. قال: وكذلك أهل النُّور الثّالث والرّابع والخامس والسّادس والسّابع ثمَّ كان من العليّ الأعلى جلَّ ثناؤه يظهرُ لهم في أُثني عشر حجاباً من النُّور يظهر لهم في كلّ وقت في سبع حجب محتجبة بالظلمة. قال الحكيم: فلذلك صار أهل النُّور الأوَّل أبواباً، وأهل النُّور الثّاني حجباً للأبواب وهم الأيتام وصار أهل النُّور الثّالث نقباء، وصار أهلُ النُّور الرّابع نجباء وصار أهل النُّور الخامس مختصّين وأهل النُّور السّادس صاروا مخلصين، وأهل النُّور السّابع صاروا ممتحنين فهم الذين رفع عنهم الأمر والنّهي وامتحنوا بعلم ما كان قبلهم، ثمَّ قال: ولكلٍّ منهم هواء وسماء. قال: وخلقتُ الهوائيّة التي بين السّماوات من معرفتهم بالعليّ الأعلى. وخلقتُ السّماوات من أعمالهم وكلّ أهل سماء أعدادهم سبعة آلاف وسبعة وسبعون وسبع ساعات. قال الحكيم: وسمعتُ العالم يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ احتجب من النُّور الأوّل إلى النُّور الأخر بمقدار إحدى وخمسين سنة وهو الدّور الجامع مع الدرق وهو التكثير، لأنَّه كلّما نزل الله لأهلِ النُّور وتصوَّر لهم وحجب نفسه بالحجاب البشري ورأوه شبحاً ثمّ عرفوا ذلك الحجاب وهو النّاسوت، وعرفوا أنَّ

الذّات محتجبٌ بالنُّور وهي النّفس والنُّور محتجب بالظلمة وهي البشريّة، ورأوا منه البراهين والدلائل وعلموا أنّه الأكبر. وقد ظهرَ لهم بحجاب الظلمة لاضطرار الخلقِ إليه ثمَّ كبّروا الله عزَّ وجلَّ عن الحجاب وسلّموا له بالربوبيّة وأقرّوا له بالعبوديّة. قال الحكيم: فلذلك جعل الله عزَّ وجلَّ، لا تجوز الصّلاة والتّكبير وهي إحدى وخمسون تكبيرة من إحدى وخمسين ركعة، وهي الصّلاة الخمسون، وابتدوا بصلاة الخمس تكبيرات، قال: فهذه علّة الأنوار القديمة منها والمحدثة والمحكم منها والمتشابه على ما سمعنا العالم يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق لكلِّ أهل سماْ مرتبة ومن كلِّ سماء نور ومن ذلك أرسلتُ المقداد وظهورهمن الرتبة لغير علّة ولا فيه نقصٌ وصاروا رسلاً يرسلون إلى من دونهم حتّى يلحقوا بهم. قال: يعني المؤمنين، وكذلك الإيمان صار أربع درجاتٍ كلٌّ واحدةٍ فوق الأخرى في العلم. وقد قال المعنى عزَّ عزّه على لسان اسمه وحجابه: (وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم). قال: فلمَّا فرغ العليّ الأعلى من ذلك وعرفوه أهل الأنوار بالظهور بالسّبع الظهورات، وهي السّبع قباب من هابيل إلى عليّ أمير المؤمنين، وأعني بذلك الظهور بالسّبع مقامات الذّاتيّة، وعرفوه أيضاً بالإثني عشر حجاب، وهم نظروا بهذه المقامات المعنويّة أسماء ذلك في حجبه الإثني عشر التي قدّر عليها الشّهور

والحساب، فظهر فيهم وقام بينهم بحجبه السّبعة التي قدَّر عليها الأيّام والسّنين وهي أشخاص الأئمة الإثني عشر والسّبعة حجب يظهر فيها في كلّ وقتٍ بالنّورانيّة فالمؤمنون عرفوه بالنُّورانيّة ونكروه بالبشريّة في كلِّ وقتٍ. وأمّا المؤمنون يعرفوه بالربوبيّة والكافرون يعرفوه بالبشريّة. وقد قال الحكيم: قال الله عزَّ وجلّ: إنَّ عدّة الشّهور عند الله اثني عشر شهراً وعند كلّ أهل النُّور وهم الإثني عشر الأئمة. قال الحكيم فجعلها الله السّنة الكاملة في كتابه العزيز يوم خلق السّماوات والأرض منها أربعة حرمٌ ذلك الدين القيم. ويقول: الشّهر مشهوراً. أمير النّحل فيها وهي اثني عشر حجاب وهي الأئمّة ومقاماتهم منها أربعة حرمٌ قال بالحرام على من لا يعرف أمير المؤمنين منه الرّحمة، وكفر من لا أطاعه، وأقرّ بوحدانيته وفردانيّته والمؤمن يعرف الأشخاص شخصاً بعد شخصٍ ومقامٍ بعد مقام، ومن لا يعرف فقد كفر وأشرك ما لم ينزل به سلطاناً. قال الحكيم: سمعت العالم يقول: إنَّ الله عزَّ لما خلق خلقه وظهر بينهم وانتقل فيما ينتقلون به جلَّ عن الفقر والزّوال والانتقال خلق لنفسه اثني عشر ينتقلون فيها وفيها يظهر ويعرف بأمره المؤمنين ظاهره إمامة ووصيّة وباطنه غيبٌ لا يدرك، وآخر أشخاصه القائم بالقسط لا إله إلاَّ هو العزيز الحكيم. قال: فلمّا ظهر الله عزَّ وجلَّ لأهل كل نور يحدثهم

كيف مبتداهم وكيف صوَّرهم وكيف ابتدأ خلق كل شــيءٍ مـن أعمــالهم الطيبــة والخبيثــة، وكيـف خلـق السماوات لهم. قال: فخلق ذلك بمقدار سبعة آلاف سنةٍ وسبعةٍ وسبعين سنة وسبع ساعات، فكان الله موفّقهم ومثبِّتهم. قال الحكيم فلذلك جعل الله الفقهاء في الدنيا يجتمع إليهم الناس ويتعلمون منهم، قال: ولذلك دلائل على أوليائه، قال: فجعل سبعة أنوار وسبع سماوات حتى عرفوه كلّهم وحدَّثهم وبيَّن لهم أمرهم وحملهم على معرفة نفسه وتوحيده ظاهراً وباطناً، وبيَّن لهم كيف خلق الذين من قبلهم، قال الحكيم: سمعت العالم يقول: خلق الله خلقاً واحداً على أمرٍ واحدٍ، قال: يعني به المؤمنين وصاروا يصدرون كلُّهم إلى شيء واحد، فهم أنوار ومعهم أبدان النُّور فمكثوا على ذلك أحد وخمسين ألف سنةٍ على إحدى وخمسين ركعة، قال محمد ابن سنان عن العالم منه السلام: فإذا عرف الرجل ذلك عدد التَّكبير الأوّل وعرف تكبيرة الركوع، قال: لأنهم رأوا الله عز وجل مع كلِّ نبيّ ورسولٍ ظاهرٍ لأوليائه بالإمامة والوصية بالبشرية، فلذلك خضعوا له بالركوع لأن الركوع قبل السجود وأن الباري قد تجلى فعاينوه بحجب النور والظلمة، واسم الركوع ذلك يقال ذرو الابتداء، قال الحكيم: سمعت العالم يقول: إنَّ الله عز وجل رجع إلى أهل الأنوار السَّبعة يحدثهم في كلِّ سماء، ويحدّثُ وفرغ من حديثه ما

كانَ ابتدأ من خلقهم، وحدّثَهم حديث ما يكون بمقدار سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات. قال: فأخبرهم الله عزَّ وجلَّ: أنهم يستعصون ويخلق من معصيتهم الظلمة وحجبهم على ما خلق وحجب النور في عدد ما خلق ويخلق منها الهوى والأبالسة والشياطين وأولادهم فيكونون في الهوى دون الحركة في الأبدان الظلميَّة، قال: فخلق الله لهم سبع أرضين وسبع أبالسة وأولدهم وأخبرهم أنَّه يسكنهم معهم ويحذرهم كلَّ أهل نورٍ بمعصيتهم، وأنه سيظهر فيهم ويتصور، ويُظهر من نفسه الإمامة والوصية والأتباع لأنبيائه ورسله الظاهرين معه بالرسالة ويجعل حجبه ذات نسب في كل العلوم، قال:فقالت الأنوار السبعة وهي الأشخاص: وكيف نعرفُك بارئنا؟ فقال الله عزَّ وجلَّ مجيباً لهم تعرفون أسماء حجبي وبيوتي النُّوريَّة لا في البشرية. وجعلها المواليد بالظلمة واعرفوا أسماء حجبي وبيوتي فإن ضللتم عنّي فبكتبي تعرفوني، يعني الكتب الواردة عن الأمة الصادقين الذين تركوا الدنيا وراء ظهورهم وأقبلوا على ربهم وحملوا أمر دينهم، فأولئك هم الصادقون. قال الحكيم محمد بن سنان: سمعت العالم يقول: قال العليُّ العلاَّم عن أمير المؤمنين حين دعاهم أجابوا. قال: وأنا أميركم وأعلمكم الظَّاهر والباطن وأبعث إليكم أبواباً باطنيّن ورسلاً ظاهرين لأبيِّنَ لكم الخبيث من الطيب والحقَّ

من الباطل، وأعلمكم الأرواح والأبدان وأنا القاضي بينكم ولي نسبة بالعلوية والأكوان مشهورة بالدعوة، وإنّما أكون غداً بموضع الوصيّة لا بموضع الرّسالة، وأظهرُ بالإمامة ولا أخفي أمري عن الظّاهر لأهل الظّاهر الجاحدين المنكرين ظهوري ولأكون متبوعاً على ذلك، وإنّما أنا المقهور عند الأضداد إذ حكمت المحكمات وأجرت عليه السّنين بحكم الإمامة، ونسبَتي الوصيّة، فإن طلبتموني بحيث الملوك وبموضع ظهر منهم حجابي والخوف منهم لي ولحجابي ذواً الملوك، وأنا المتبوع القادر القاهر علاَّم الغيوب، أعلمُ بخائنة الأعين وما تخفي الصّدور، فها قد عرَّفتكم. فقالوا: نعم، قال: وأخذ الله عزَّ وجلَّ عليهم الميثاق من أهل الأنوار السّبعة وهو قوله عزَّ وجلَّ: (وإذا أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتَهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم). قال ابن سنان: يعني بمعرفتهم. قال العالم: وقد ظهروا عليه في حجب النُّور والظلمة ذرّيتهم ما على كلّ درجة وزادوا في صدورهم العالم، فقال: ألستُ بربّكم. وأنا الذي تقدّمت إليكم وعلَّمتكم، وإنّي أحتجب بحجب الظّلام، قالوا: بأن يقولوا يوم القيامة: إذا قامَ القائم وكشفَ الغطاء كنّا عن هذا غافلين، قال: وإنّما جهلتموني فرأيتم قدرتي الذّاتيّة وأنا صاحبُ القدرة والمعاجز، وأنا قبلة كلِّ مصلّي والقبلةُ أنا، وأنا الإمام الذي يأمنُ بي كلّ منْ عرَفني

وجهلني، وأنا الباطن في الربوبيّة والظّاهر بالإمامة والوصيّة، وأنا التّابع لأنبيائي ورسلي، وأنا المخفي عن الأضداد والأنداد والملوك والطّواغيت والجبابرة والفراعنة وتُبَّاعهم وذلك حقٌّ حتمٌ منّي إلى يوم القيامة المعلوم يوم كشف الغطاء وإظهار الدّعوة عدلاً منّي وإنصاف. وإذا سبْتُ دولة الطّواغيت والأبالسة وجمع المسوخيّة وأشياعهم، وأفنيتُ إعصارهم ورددْتُهم في المسوخيّة والرسّخ فعند ذلك تحرم على أوليائي المؤمنين وأورِثُهم الأرضين ومنْ عليها بعد أن طهَّرتُها من الأضداد والأنداد. قال الحكيم ابن سنان: سمعتُ العالم يقول: قال الله عزَّ وجلَّ: اعلموا عبادي أنّي إذا خلقتُ الشّياطين وذرّيّتَهم خلقتُ بيوتاً دلائل على أنّي خلقتها من طاعة الجاهلين لأشخاصٍ منكرين لصورتي وخبّيتُ فيها، قيل: ولا يريدون المشركون الجاحدون مقامي يعبدوها ويريدوني وهي السّدر والجحدُر وسمّيتُها باسمي، وأنحلُها شيئاً من مالي وأعرض عليهم في أنبيائها كلّ يوم خمساً وهي المساجد وأنا الظّاهر بينَ خلقي باطنٌ بالمعنويّة وظاهرٌ بالإمامة والوصيّة، وأنا العليُّ الأعلى القادر القاهرُ عند كلِّ طالبٍ لقدرتي. قال الحكيم ابن سنان: وأخذ الله عزَّ وجلَّ ميثاقهم على ذلك أن يصدِّقوا أبوابه في الباطن ولا يكذبوا، فمن كذبَ منهم فقد حلّت عليه اللّعنة من الله والخزي ومأواه المسوخيّة.

قال الحكيم: سمعتُ العالم يقولُ: مكث الله عزَّ وجلَّ أحد وخمسين ألف سنة محتجباً عنهم، قال: فبكى المؤمنون حزناً مقدار ذلك، وقالوا: الحمد لله، قال الله عزَّ وجلَّ مجيباً لهم: سمع الله لمن حمده، يقول: قال: فسمعهم إذا حمدوه على حجب النّوريّة والظلميّة. قال محمّد بن سنان: وهذا خبر ظهوره لهم بالإمامة والوصيّة، وتزوّج فاطمة واحتجب بها وأظهر محمّداً صاحب الشّريعة ولمنْ بعدَه من أئمّة الكفر والضّلال. قال: فلذلك صار أحد وخمسين مرّةً في أحد وخمسين ركعة وسمع لمنْ حمدَه. قال: فحمدَ المؤمنون أمير المؤمنين على ما أظهر من القدر والمعاجز وإظهار الدّعوة والبراهين والعجز بعد الخوف والآيات. ويقال: هذا حين رأوه يحجبُ الظلمة وهي البشريّة النّاسوتيّة. قال: فصار أحد وخمسين مرّةً، ولذلك صارَ عليه التّكبير وعليه الرّكوع بسمع الله لمَنْ حمده. قال الحكيم محمّد بن سنان: سمعت العالم بقول: لمَّا فرغ الله عزَّ وجلَّ من حيث ما يكون من خلق الظّلام والشّياطين وأولادهم وما هم فيه وكيف يصنعون حتّى أخبرهم في اجتماعهم بالدنيا، قال: وإنّما سمّيت الدنيا بالدنيّا لِدنوِّ الكافر من المؤمن ودنوِّ الحقِّ من الباطل فسمّيتْ لتلك العلّة. قال فأخبرهم الله بذلك في قوله: (فلا تغرّنَّكم الحياة الدنيّا ولا يغرّنَّكم بالله الغرور) وهو مع الحجب في الدنوّ منها ودنوّ الكافر من المؤمن.

فقال العالم: ليعرِّفَكم ذلك، فإنَّ الأنوار ترجع من هذه الأبدان البشريّة اللّحميّة الدّمويّة إلى النّورانيّة وإلى الملكوت. قال: وكذلك الظلمة أرواح الكافرين والشّياطين وأولادهم فلا تتغيّر فإنّها ليست كذلك، يعني النّور يرجع إلى الله عزَّ وجلّ وإلى حجبِ النُّور وبليل المؤمنين إلى حجاب النُّور يعني إلى الأبدان النُّورانيّة، ويرجعون إلى السّماء وإلى الذي منه خرجوا، ومنه أبدانهم وإليه يعودون. قال الحكيم: فقال العالم: نزول الشّياطين وأولادهم حجب المسوخيّة وترجع إلى الظلمة الذي منها خرجوا ومنها ابتدأهم وإليها يرجعون ويعودون. قال: فأصل الظلمة وهي ظلمة الظّلام وهو إبليس الأبالسة وهو دلام قريش ويظهر مع كلِّ إمام في كلِّ عصر وزمان. وهي أتباع الإمامة من الأبواب، ويسلّط جنّه عليه، أتباع الأبواب من الأيتام والنّقباء وغيرهم من النّجباء والمؤمنين يدلُّونهم ويذكرون منهم المحنة من الله لأوليائه وأهل طاعته ثمَّ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يمكّن المؤمنين بعد ذلك من الأضداد والأبالسة ويخرجونهم من الدنيا بالقتل والذّبح والسّلخ والصلب ثمّ يردّهم الله عزَّ وجلَّ في أنواع المسوخيّة والرسوخيّة وهم فيها إلى أبد الآبدين ودهر الدّاهرين إلى ما شاء الله ربّك. إنَّ ربَّك يا ابن سنان، فقال ابن سنان: قال العالم: وإنَّ المؤمنين كبّروا الله على ذلك وحمدوه ومجّدوه وهي التّكبيرة

التـي بعـد الركـوع. ثـمَّ قـال: اسـجدوا وهـي تكبيـرةُ السجود حين وعدهم أنْ يردَّهم ويرجعون إلى حجب النُّـور ويرجـع الله عزَّ وجلَّ من الإمامـة والبشـريّة وهـي حجـاب الظلمـة إلـى الربوبيّـة العظمـى واللاَّهوتيّـة الكبـرى يظهـر لهـم بهـا وهـي حجـاب الظلمـة إلـى الربوبيّـة العظمـى واللاّهوتيّـة الكبـرى، والكشـف وهـو حجـاب النّـور. قـال العـالم: فقـال المؤمنون حين سمعوا ذلك منه: سبحان ربّي الأعلى في السّجود، قال فسبّحوه على ذلك وعلـى مـا ضـمن لهـم وأوراهـم مـن نفسـه مـن القـدرة النّافـذة مـن النُّورانيّة والبشـريّة وسبّحوه شكراً لـه. قـال الحكيم: سمعتُ العالم يقول: وإنّما السّجود فـي حجبِ النُّـور والظلمة. قال العـالم: فلمّا قـال أمير المؤمنين: وإنّـي منسِـخٌ مـنْ حجـبَ البشـريّة الظلميّـة وهـي الإمامـة والوصـيّة إلـى الإلهيّـة العظمـى والربوبيّـة الكبـرى التـي تكلَّمـتْ بغيـر حجـاب، قـال: فلـذلك صـارت التّكبيـرة بعـد السّـجود. قـال العـالم: فلمَّـا عـرفَ المؤمنون ذلك وأنّهم يرجعون إلى الحـال الأوّل التـي كانوا عليها في النّورانيّة سجدوا للعليّ الأعلى شكراً حين رأوه بالقدرة والحجـاب. قـال: فقـالَ المؤمنـون: سبحان ربّنا الأعلى عمّا يشركون في قدرتـه إنّـه هو العلـيُّ الأعلـى دون الخلـق أجمعـين مـن الأنبيـاء والرسـل والأبـواب الباطنـة وغيـرهم. قـال العـالم: فلـذلك صـارت خمسـون تكبيـرة وسـجدتين وركعـة

وثلاث تكبيرات مع السّجود ، قال : وأمَّا التكبيرة الرّابعة أنَّ العليَّ الأعلى لمَّا تجلّى لهم في الحجب النورانيّة والحجب الظلميّة وقّفهم على الحجاب الذي هو فيه. وذلك أنَّه اشتكلَ عليهم حين رأوه بحجابين، كبّروا التكبيرة التي تكون بعد التشهّد. قال: وإنَّما سمِّي التشهّد لأنَّه شهدوا الله بالوحدانيّة وأقرّوا له قبل حجب النّور وقبل حجب الظلمة. قال: في حجاب النّور وفي حجاب الظلمة شهدوا له بالقدرة الذّاتيّة والإمامة والاسم والكنية على أنَّه العليُّ العظيم بأنزع بطين. والحجاب الميم الله لا شيء غيره وتفرَّد بالربوبيّة والصّمدانيّة دون الخلق جميعاً. قال الحكيم محمَّد بن سنان: فلذلك صار التشهُّد بعد الركوع والسّجود والتّكبير، وشهدوا أنَّه العليُّ الأعلى. وقال: سمعت العالم له التسليم، يقول له: التسليم جُعِل له لأنّ التسليم للعليّ الأعلى بالحجاب في سجود النُّور، وهي الربوبيّة الظّاهرة وهو التسليم على اليمين اللاّهوتية، والتّسليم له على الشّمال، وهي حجْبُ الظلمة، وقوله عزَّ وجلَّ: (عن اليمين وعن الشّمال قعيد ما يلفظ من قولٍ إلاَّ لديه رقيبٌ عتيد) قال: سمعتُ العالم يقول: فالرّقيب الذي يرقبهم أن يعرفوه ويعبدوه ولا يجهلوه. قال: والعتيد: فهو بين أيديهم موجود وإنّما القول في الصّلاة ظاهرٌ وباطنٌ يقيمها في الظّاهر ويقرُّ فيها بالباطن ولا يقصّر في إقامتها لا ظاهراً ولا باطناً

ولا يشكُّ في الإقرار جهاراً وباطناً فمن عرفها وأقرّ بها سلم من أن يشرِك بالله العليّ العظيم الذي ليس كمثله شيء. وهو التّسليم لله وكيف ما كان على أنَّه هو العليُّ الأعلى نورانيّاً كان أم حجابُ ناسوت فالمؤمنون كلُّهم مقرّون بالله في ظهوره حين ظهر وببطونه إذا بطن لا يشكُّ فيه إنَّه هو الذي ظهر في الأوّلين وبطن في الآخرين. أشخاصه مختلفة وأسماؤه مفترقة. والمعنى أحد لا يتغيّر ولا يتبعّض ولا يتجزّأ ولا تدركه الأبصار عزَ عزّه ظاهره إمامة ووصيّة وباطنه غيبٌ لا يدرك. والصّلاة باطنهُ وظاهرهُ. قال الحكيم محمّد بن سنان: سمعت العالم يقول: من عرف باطنَ الصّلاة حقَّ معرفتها فقد عرِفَ المعنى حقَّ معرفته، وهو منَ الآمنين الفائزين. وهذا تفسير الصّلاة في الباطن، لا يستغني عن معرفة ذلك ولا ينفعه إيمانه بالله بشيء إلاَّ بمعرفة الله. قال الحكيم محمّد بن سنان: قال العالم لأهل النُّور: أتعلمون من ربّكم ليعلِّمَكم بقدرته حين احتجب لكم بالبشر. وقال: إنّي أخلق مثلكم وتعجزوا أن تخلقوا مثلي تعاليت عن العجز واحتجبْت كيفَ شئت بالظلمة وهي البشريّة. قال: فلمّا سمع أهل النُّور من مولاهم أيقنوا بتوحيد الله عزَّ وجلَّ أجابوه بالتلبية حين ظهر لهم بالإمامة والوصيّة، قالوا: نعم أنتَ ربُّنا لك القدرةُ والمشيئة بطنت بالربوبيّة وظهرتَ بالإمامة في البشريّة واحتجبتَ. ثمَّ ابتدأ الله

عـزَّ وجـلَّ فخلـق النُّـور الأوّل أفضـل مـن الثّـاني والثّاني أفضل من الثّالث والثّالث أفضل من الرّابع، وخلـق النُّـور الخـامس أفضـل مـن السّـادس، وخلـق النُّور السّادس أفضل من السّابع، وخلق الأنوار كلّها من أصلٍ واحد، كلُّ من سبق إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ كان أفضل وأعلى درجة وأسنى مرتبة قد بيَّن الله عـزَّ وجـلَّ فقـال : (السّـابقون السّـابقون أولئـك المقرّبـون) فـي جنّـات النّعـيم هـم الأبـواب أوّل مـن سـبق إلـى معرفـة المعنـى البـاب لأجـل ذلـك سـمّيَ السّابق يعني التّصفية من الكدورات والرجوع إلى النّورانيّـة وإلـى الملكوت الأعلـى. قـال الحكـيم ابـن سنان: سمعتُ العالم يقول: هذه الحجب التي يظهرها الإثنـا عشـر لا يزيـدون فيهـا ولا يـنقص منهـا وهـو القضاء المبرم والحكم الفصل. قال: والحجاب الأوّل أقربُ إلى الله عزَّ وجلَّ من الحجاب الثّاني والثّاني أقرب من الثّالث والثّالث أقرب من الرّابع والرّابع أقـرب مـن الخـامس والخـامس أقـربُ مـن السّـادس والسّـادس أقـرب مـن السّـابع. وسـمعتُ العـالم يقـول: هـذه الحجـب حجـبٌ بشـريّة تحـلُّ فيهـا روح المـيم فيـأمرُ وينهـى ويظهـر المـوت والقتـل والمـرض والعجز وذلك واقعٌ على حجابه البشريّ. والله عزَّ وجـلَّ لا يقـع عليـه مـوت ولا قتـل ولا مـرض ولا عجز، وكلُّ عاجز مخلوق، وذلك واقعٌ على حجابه النّوريّ الذي هو النَّفس وفيه المعنى عزَّ عزّه حاله

في البشريّة. قال الحكيم محمّد بن سنان عن جابر عن الباقر عليه السّلام، قال يا جابر: لا تصلح الروح العلوي لأنَّه غلاف علويّ في جوف غلافٍ سفليّ وهي حجاب الظلمة والعلويّ هو النّفس ولو ظهرت الرّوح لغيرها من الحجب بنزول الربّ تبارك وتعالى فيها. قال الحكيم محمّد بن سنان: سمعتُ العالم يقول: خلق الله عزَّ وجلَّ السّماوات السّبع وهم الأبواب وسبعة أنوار وجعل الحجاب الذي ينتقل منه إلى غيره أبوابٌ السبع مقامات وجعل كلّ نورٍ متقدّم أفضل من صاحبه لسابقته له، كما أنَّ ظهوره بشخص أمير المؤمنين أفضل الأشخاص، وأنَّ المعنى فيها نفسُه واحد فهو أفضل الأوصياء على ما أظهر من نفسه لسابقته وأشخاص الآيات كلّها من أمير المؤمنين ما تقدَّم منها وما تأخّر في قديم الدّهور وأمّا المعنى عزَّ عزّه لا يقع عليه تغيير ولا تبديل ولا تنقيل ولا تحويل ولا تبعيض ولا تجزّي ولا تتغيَّر صفاته بل هو قائمٌ بذاته في كلِّ عصرٍ وزمان. قال الحكيم محمّد بن سنان: سمعتُ العالم يقول مقدار ما أخبرتك به يا بن سنان أحد وخمسون سنة، وأشخاص الميم ومقاماته التي كان يظهر فيها بمثلها قبل ذلك الوقت فلمَّا انتقل منها وظهر بمثل غيرها صار ذلك الحجاب الذي هو البشريّة حجابٌ وأشخاص ومقاماتهم التي كانت قبل ذلك هذا الشّخص فالذي فيه قد ظهر الباب

صارت حجب الأبواب ومقاماتهم الأيتام. ثمَّ جرى ذلك في النّقباء والنجباء والمختصّين والمخلصين بشيءٍ واحد، فقد كفر وأشرك. قال الحكيم بن سنان: سألتُ العالم عن الحجب، قال: نعم احتجب عن حجب الأنوار حين عصُوا فطاف المؤمنين في ذلك الحجاب ، وهو حجاب الشَّخص الذي خلقتُه من معاصي أوليائي فوقفوا سبعة آلاف سنة ندماً على ما قالوا وأسفاً على ما فاتهم من النَّظر إلى رؤيتي وما احترموه من لذاذة كلامي وحلاوته ما لا نهاية له ولا غاية ولا يقدر أحد يصفه، فلمَّا دنا الاستدراج واستوحشوه، وبلغ ذلك إليهم وبقولهم بقوا حيارى لا يهتدون أمرهم ولا يدرون ما يفعلون وأدركتهم الحسرة والنّدامة، فرحمهم بعد ذلك. قال ابن سنان الحكيم: سألتُ العالم عن قول الله تعالى: (ما كان لبشرٍ أن يكلّمه الله إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب) قال العالم في جواب ذلك: هذه الحجب خلقها لنفسه ونفسه هو المعنى الأكبر فجعلها من الأظلّة وهي هذه الأجسام البشريّة التي يظهر بها لخلقه فيكلّمهم ويخاطبهم منها وهي الحجاب الظلمي الذي يحتجب به ويكلِّم البشر منه من وراء حجاب النُّور والنَّفس النُّورانيّة التي هي الحجاب الأكبر ويكلّم الملائكة شفاهاً من غير حجاب. قال الحكيم: سألتُ العالم عن الجنّة والنَّار. قال جواب ذلك: خلق الله الجنَّة السّابعة في السّماء السّابعة فعندها جنَّة المأوى وهي أعلا

الجنان ثمَّ خلق آدم وأخذ عليه الميثاق وعلى ذرّيّته، ثمَّ قال لهم: من ربّكم؟ ـ حين ظهر لهم بالبشريّة ـ فقالوا جميعاً: سبحانك لا علمَ لنا إلاَّ ما علّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم. ثمَّ قال: لم يزالوا أهل الأنوار السّبعة بمقدار إحدى وخمسين ألف سنة حتّى لحق أوّلهم وأخرهم وصاروا ملائكة، ونسوا حديث ما يكون وأخذوا له في حديث ما كان. ثمَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لأهل النُّور الأوَّل والثّاني والثّالث والرّابع والخامس والسّادس والسّابع: إنّي أخلق الأبالسة والشّياطين. قال: إنَّ الوقت الذي احتجب فيه الربُّ بحجبِ الظلمة فقالت الأنوار بعضها لبعض: تعالوا نجتمع إلى ربّنا ونسأله أن نعبده في الظّلام كما عبدناه في الأنوار. قال: فاجتمعوا إلى ربّهم وطلبوا منه ذلك فكان منهم خطيئة فخلق الله عزَّ وجلَّ من خطيئتهم حجبه الظلمة وهي سبع حجب. قال أبو علي العبّاس: هذه السّبع حجب الظلمة ما هي؟ ومن أيِّ شيءٍ هي؟ ومتى ينزلوا فيها؟ ويحلُّوا في الواحد دون الآخر. فقال: حجبُ الظلمة الظلام، وظلمة النُّور وهي معصية أولاد إبليس والظلام هو دلام قريش زفر. وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ما دام الخلق في البشريّة لا يظهر لهم إلاَّ في البشريّة وفي حجب الظلمة، وبها يحتجب فإذا نقل أولياؤه إلى النُّورانيّة وصاروا روحانيين ونقل أعداءه الجاحدين المنكرين وأشخاصهم ومقاماتهم إلى المسوخيّة، وتجلّى

لأوليائه بحجب النُّور. ويحجب أعداءه عن نفسه فلا يرونه أبداً بحجب النُّور ولا يحجب الظلمة. قال الله عزَّ وجلَّ فيهم: (عن ربّهم يومئذٍ لمحجوبون) قال: وإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يظهر كلّ وقت وعصر وزمان إلاَّ بمثل حجبه واحداً بعد واحدٍ والتّغيير والتّجزّي على الحجب يقع ولا ينزل في الحجب كلّها، ويستحيل ذلك لأنّه إذا كان كذلك وصل الطّالب والمرتاد فلا يدري إلى أيّ حجاب يقصد، فإن قصدَ واحداً دون الآخر فقد كفر وضلَّ وإن قصد الكلَّ لم يجزِ ذلك لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أحدٌ فردٌ صمدٌ وصفَ نفسه بالوحدانيّة والفردانيّة والصّمدانيّة. وفي الجماعة فساد على التّوحيد. وعرف الموجود تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا. قال: ورجع الحكيم إلى حديث العالم حين قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد خلق لكلِّ رجلٍ من المؤمنين سبعة أبدان لكلِّ بدنٍ سبعة أنوار وهو النّور الكبير الذي يكون به صعوده إلى الملكوت وهبوطه ونزوله في البشريّة والظلمة. فقال العالم: لمّا أخبرهم الله عزَّ وجلَّ أنّه قد خلق لنفسه سبع حجب ظلميّة، قال المؤمنون: أين تكون هذه الحجب السّبعة؟ فقال مخبراً لهم: أكون كواحدٍ دون السّتّة فإذا دعوت أهل النُّور منكم إلى حجابٍ واحدٍ وسجدوا لي فأنا ذلك الحجاب ولا تدعوني في هذه الحجب السّبعة وفي الاثني عشر رحمةً منّي على أوليائي وأهل طاعتي. قال الحكيم ابن سنان: فمن

هنا غلطت الواقعة وأصحاب ابن خلاّد، فقال الأئمّة سلَّمت بالمسألة الاثني عشر حجاب الذي خلقت من هذه الآدميّة البشريّة الموجودة. قال: فوفق التّسليم. قال الحكيم ابن سنان عن العالم: قال الحجبُ النورانيّة هي النّهار، والحجب الظلميّة هي اللّيل من إثني عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السّماوات والأرض. والسّماوات حجب النُّور. والأرض حجب الظلمة. وفي موضعٍ آخر: السّماء هي الأنوار والأرض هي المؤمنين. ثمَّ إنَّ الله خلق أرواح الشّياطين والأبالسة وأولدهم من الحجب السّبعة الظلميّة الأرضيّة. قال: فظنَّ الشّياطين أنَّهم منهم خلقهم، فلذلك قالوا: الثّالوثيّة. إنَّ الظلمة قديمة والأبدان منها لمَّا رأت ذلك الخلق هذه الآدام السّبعة على حدة وخلق مع كلّ آدم إبليس مع ذرّيته في الأرض سبعة آلاف سنة ثمَّ قال: ينقضي أمرهم، ويخلق الله عزَّ وجلَّ آدم آخر وإبليس آخر، فإذا فرغ من كلِّ آدم وكلِّ إبليس على هذا المثال يكرّون. قال: فيكون المؤمن ملكاً ويكون مع الملائكة الذين سبقوا إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ في اللاّهوتيّة حين ردّوا فيها وكانوا في رحمة الله ومعرفته لا يفارقونه ساعةً واحدة يتلذَّذون ويستمعون بالنَّظر إليه والله مؤنس المؤمنين وشافيهم ومربّيهم وكاليهم وقائدهم إلى جنّتهم التي يسنُّوها، فهذا الحتم اللاّزم الواجب والقضاء المبروم الذي لا مردَّ لقضائه ولا معقّباً

لحكمه وهو أسرع الحاسبين. قال ابن سنان: قال العالم: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَ حجبَ آدم الأبالسة من الأبالسة، فقالت الأبالسة وأولادهم. قال الحكيم ابن سنان: هذا حين تولّى الأوَّل والثّاني الخلافة واعتزّوا بها وعرفوا أصحابهم، فقالوا عند ذلك: نحن أفضل شيعةً على هؤلاء الآدميين وأولاد الشّيعة لأنَّنا خلقنا من ربّنا، وقالوا: الربّ دلام قريش وهو غالب أمير المؤمنين في الظّاهر. وأولئك خلق بعضنا بعضا من بعض، فنحن خير من الشّيعة لأنَّهم ذليلون مهينون لا يكادون إلى ولاية الدلام ولا ينالون من الدنيا خيراً. قال: فلمَّا قال الله عزَّ وجلَّ: إنّي لأعذّب إبليس وأولاده، يعني دلام قريش وشيعته إلاَّ عن حجبه وهو إذا ظهرت ذاتي بأمير المؤمنين وأدعوهم إلى ولايتي وربوبيّتي فلا يجيبون ويكذّبون أبوابي وحجُبي ولا يؤمنون بي وينكرون زفر وشيعته الذين هم من ذاته خلقوا، فآمنوا أنتم وأقرُّوا بربوبيّتي وولايتي إذا ناديتكم من شخص سهف فأجيبوني لأخلّصكم بإجابتكم وإقراركم لي بالفردانيّة إلى الملكوت الأعلى فأجابوا أمير المؤمنين العليّ الأعلى وآمنوا به وأقرّوا له بالربوبيّة. والأوَّل والثّاني أبوا أن يقرّوا له بمثلِ ما أقرّ المؤمنون. قال ابن سنان: فَعُلِّيَ المؤمنون في الهواء بإقرارهم لمولاهم حين ظهر لهم بالإمامة والبشريّة وأهل الأوَّل والثّاني وشيعتهم في النّار

حين أبوا وأنكروه يكرّون في المسوخيّة فلا خفَّفَ الله عنهم العذاب ولا هم ينظرون. قال الحكيم ابن سنان عن العالم منه السّلام: قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق من الأبالسة وأولادهم أبدان المسوخيّة وإنّما أبثْ الأبالسة وأولادهم عن ولاية أمير المؤمنين لأنَّهم رأوا الحجب الإثني عشر خلقت من أبدان الظلمة ورأوا أنفسهم قد خلقوا من الحجب السّبعة السّفليّة ورأت أن تسجد لآدم، قال: خلق الله الأبدان المسوخيّة بنهيهم عن الأرواح ثمَّ نظرتِ الأبالسة وأولادها إلى حجب الظلمة وإلى أبدان المسوخيّة فتعجّبوا من ذلك وهو شيء بعضهم إلى بعض فقالوا: ما هذا لا علمَ لنا، قال: فهم في ذلك مقيمون لمّا رأوا من العبرة والبلا والأبدان المنكرة إذا لقوا المؤمنين في الأبدان مثل أبدانهم وصور مثل صورهم، فظنَّت الأبالسة وأولادهم أنَّ المؤمنين منهم ومن جنسهم، قال: فخلق الله من اغتمامهم الغيظ فلذلك سمّي الغيظ غيظاً. فقالت الأبالسة وأولادهم: هذه أبدانكم التي هي من معصيتكم وقتَ دعاكم العليُّ الأعلى إلى ولايته والإقرار بربوبيّته والإيمان بأشخاصه ومقاماته الإثني عشر فأبيتم عنه وكذّبتم وقلتم له: إنَّ ربّنا ليس بمثَلٍ ولا صورة ولكن ظهر فيما سأل صغير الخلق وكبيرهم. قال محمّد بن سنان: كبير الخلق هو البشر، وما شيءٌ أكبر منه، وصغير الخلق البشريّة. قال: فقال: إنَّ الله لمَّا

خلق أبدان الثّلاثة وأولادهم، قال المؤمنون: أين كان المعنى؟ فقال لهم أمير المؤمنين: كان ظاهراً بعليٍّ متصوّر متشخِّص وهو لا غيّرٌ ولا بائن منه الرّوح والرّوح ساكنة النَّفس والنّفس ساكنة البدن وهما إسمان ونوران على معنىً واحد والله عليٌّ وعلي الله والحجب اثنا عشر حرفاً وهي أمير المؤمنين اثنا عشر، وإنَّما هو تغيير وتبديل جسم سبحانه وتعالى ليس بجسم ولا بصورة، ولكنّه لمَّا خلق خلقه منه الظهور خلق لنفسه حجب الظلمة والنّفس الحجاب والنّور. وأمَّا حجاب النّور هي النَّفس ولا يظهر فيها لخلقه إلاَّ إذا أصفاهم من البشريّة وأمَّا حجب الظلمة فاثنا عشر والنَّفس فيها تنتقل من واحدٍ إلى واحد ومن حجاب إلى حجاب واحداً بعد واحد. ظهوره تعالى في البشريّة في هذه الحجب المحمّديّة أوّل ما ظهر بأمير المؤمنين علي وآخرهم الحسن الآخر العسكري. قال ابن سنان: فهذه صفة الأنوار والحجب وصفة التّوحيد لا زيادة ولا نقصان إلاَّ ما شاء الله. قال الحكيم ابن سنان: فقال العالم: قلت الأبالسة وأولادهم للمؤمنين ومن هو الشّيء الذي رأيناه بها هي صورته أن هو غيرها؟ قالوا: لا فكذّبتهم قوم وصدّقوهم قوم منهم. فأمَّا الذين كذَّبوهم فهم الذين يقولون: أنَّ الله على صورة الإنسان، وأمَّا الذين صدّقوهم قالوا لهم كيف كان ربُّكم؟ قالوا : كن بحجاب الظلمة، قالوا لهم: حجاب الظلمة الوصيّة

والإمامة في البشريّة، مثال صورةٍ إلاّ أنَّهم قالوا: إنّا نؤاكله من جيشنا ناملة ليس فيه مزاج الظلمة تعالى الله عن ذلك، هو نور كلُّه قدرةٌ كلُّه. فقالوا لهم: كن قبل ذلك لا حجاب له، قالوا: نعم، قالوا: فلا يعقل ذلك وهم المقرّة في حجبنا فأقرّوا بحجاب النُّور وجحدوه بحجاب الظلمة فاختلفوا كيف هو قال الحكيم ابن سنان: سمعتُ العالم يقول: كانت الأبالسة والشّياطين وأولادهم يسترقون السّمع من المؤمنين إذا جلسوا يتحدّثون فيسمعونهم يقولون: إنّا كنّا بغير هذه الصّورة ومن خطيئتنا لبسنا هذه الصّورة ومن خطيئتنا لبسنا هذه الصّورة ومن خطيئتنا خلق الأبالسة والشياطين وأولادهم، كذلك احتجب ربّنا تبارك وتعالى. وقالوا: لمَّا أخطأت الشّياطين والأبالسة خلق من سيّئاتهم أبدان المسوخيّة، قالوا: فكما لبَّسنا في أبداننا بخطيئتنا فكذلك لبَّسهم في أبدانهم بخطيئتهم، ثمّ اجتمع الأبالسة وأولادهم فقالوا: أنطلبُ الله فنعبده؟ فقال بعضهم لبعضٍ تعالوا فليس يخلو من أحدٍ هذا. قال محمّد بن سنان: فعبدوه في الشّمس وعبدوه في القمر وعبدوه في النَّجم وعبدوه في كلِّ شيءٍ فلأجلِ ذلك عبادة الشّمس والقمر والسّماء يعبدهم المعاندون، حتّى أتوا إلى كلِّ حجابٍ يسجدوا له فيه ويتحوَّل إلى حجابٍ آخر فلم يدركوا السّجدة فعبدت الأبالسة والشّياطين بعضها بعضاً، حتّى عبدتْ كلَّ شيءٍ من دون الله تعالى، ثمَّ

عبدتْ أبدان المسوخيّة وكذلك عبدت النّيران والغنم والبقر والإبل والحيّاة وعبدت الحجارة وما شابه ذلك ممّا قد وصفنا ذكره في كتابنا هذا ممّا لم نذكر اسمه من صورة الذّهبِ والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والعجل تبارك الله العليُّ العظيم الذي دنا فتدلّى جلَّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه. قال ابن سنان: سمعت العالم يقول وقد سئل عن الظهور: أوَّل ظهوره في هذه القبَّة المحمّديّة ظهر بأمير المؤمنين وفيه بطن وأظهر الإمامة والوصيّة والخلافة والعجز والقتل، وبعث فيهم محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلَّم دليلاً في الظّاهر، قال: ثمّ غاب عن أعين الجاحدين وظهر بمثل شخص الحسن وهي السّماء الثّانية فلم يزل فيه ما شاء الله أن يكون ثمّ ظهر بمثل الحجاب الآخر وسمّاه الحسين وهي السّماء الثّانية، ثمَّ غاب من ذلك الحجاب وظهر بمثل حجابٍ آخر وسمّاه عليّاً وهو السّماء الرّابعة، ثمَّ غاب من ذلك الحجاب الآخر وظهر بمثل حجاب آخر وسمّاه محمّد الباقر وهو السّماء الخامسة فكان فيها ما شاء أن يكون، ثمَّ غاب من ذلك الحجاب وظهر بمثل حجابٍ آخر وسمّاه جعفر الصّادق وهي السّماء السّادسة فكان فيها ما شاء أن يكون ثمَّ غاب من ذلك الحجاب وظهر بمثل حجابٍ آخر وسمّاه موسى الكاظم وهو مؤنس المؤمنين وهي السّماء السّابعة، ثمَّ غاب من ذلك الحجاب وظهر بمثل

حجابٍ آخر وسمَّاه عليُّ الرضا وهو فيه ما شاء أن يكون. قال العالم: الحجب الاثنا عشر هي من السّبعة وإنّما خلقت هذه الأشخاص من السّبعة والاثنا عشر هي عدد السنين والحساب وهي ظهورات أمير المؤمنين. ثمَّ أنّ المعنى عزَّ عزّه لم يزل في أخذ ميثاق المؤمنين بالربوبيّة والسيّد محمّد بالإسميّة والحجابيّة وسلمان بالبابيّة، وذلك لمّا نزل المعنى عزَّ عزّه وظهر لخلقه أمرَ جبرائيل أن ينزل ويظهر سلمان ويحتجب جبرائيل، وأمر ميكائيل أن ينزل ويظهر المقداد وأن يحتجب ميكائيل، وأمرَ إسرافيل أن ينزل ويظهر بأبي ذرّ ويحتجب إسرافيل، وأمرَ أولياءه المؤمنين أن يظهروا في هذه الأبدان البشريّة ويحتجبوا في الأبدان النُّورانيّة. قال: فلمّا احتجبوا فيها واستقرَّوا وقع عليهم الأمر والنّهي على نفسه تبارك وتعالى حين احتجبَ بحجب الظلمة وظهر من نفسه ما ظهر من خلقه وأقام هذه الفرائض والشّرائع والسُّننَ التي أمرَ الخلق أن يقيموها. ثمَّ أظهر من نفسه عزَّ اسمُه الموت والقتل والعجز والمرض والخضوع والخشوع والتّقيّة دواماً والعبادة. قال الحكيم ابن سنان: سمعتُ العالم يقول: فلمّا كان الله عزَّ وجلَّ في حجاب الظلمة لم يكن بدّ من صفة العقل أن يظهرَ ما قد وصفناه، كان في ظهوره مثل ظهوره في البشريّة على مثال خلقِه تبارك وتعالى ليس له جسمٌ

عزَّ عزّه ولا صورة ولا بشر ولكن ما أراهم نفسه في المثال والصّورة إلاَّ باضطرار الخلق إلى وجوده. قال: فلمَّا كان الخلق مضطرّين إليه بالوجود ورؤية العيان ولم تَقدر الخلائق أن يروه بصفة النُّور ظهر لهم بالبشريّة وأقام لهم مثالاً كمثالهم وذلك الخلق لم يقدروا أن يروا صانعهم وهم في الأجسام البشريّة إلاّ في غلاف جوفِ غلاف مثالاً كمثالهم المحدود. وإذا صفوا من الأبدان البشريّة وحجاب الظلمة رأوه بحجاب النُّور كهيئتهم وهم يومئذٍ في أجسام النُّور. قال الحكيم: أنَّ العليّ الأعلى عزَّ عزّه لمّا ظهر بالبشريّة ظهر إبليس الأبالسة وأولاده كهيئتهم في البشريّة وإذا صعد العليّ الأعلى إلى حجاب النُّور صعدَ أولياؤه إلى حجاب النّور ثمَّ إنَّ زفر هو في الهاوية وهو إبليس الأبالسة وأولاده وشيعته وهي المسوخيّة السّفلى وهي الدَّرك الأسفل من النَّار. قال ابن سنان: سمعتُ العالم يقول: إنَّ المعنى عزَّ عزّه تفرَّد بالأحديّة وخلق لكلِّ إبليس من هواهم أرضاً ومن رضاهم أرضاً حتّى خلق سبعة أهوية وسبعة أرضين لكلِّ ولدٍ من أولاد إبليس فلذلك صارت سبع أرضين وسبعة أهوية. قال: ولو كانت الأوادم وأولادها والأبالسة وأولادها واحد لكانت تكفي الأبالسة وأولادها أرضاً واحدةً وكانت تكفي الأوادم وأولادها سماءً واحدة لكنّهم سبعة، فلذلك صارت سبع أرضين وسبعة أهوية. قال: ولو

كـان أهلُ كلِّ نـورٍ نـور واحـد وذرّيّـة واحـدة لكفـاهم سـماءً واحـدة ولكـنّهم سـبعة أنـوار وسـبعة آدميـين، فلذلك صـارت سبع سماوات. قـال الحكيم ابـن سـنان: فجعل الله الدّليل على ذلك سبعة أيَّام وجعل لكلِّ يومٍ ليلـة ولـم يجعلهـا ثمانيـة ولا سـتّة، وجعـل لكـلِّ يـوم خلاف صاحبه ولكلِّ ليلة خلاف صاحبتها دليلٌ علـى الأيّـام السّبعة. قـال الحكيم ابـن سـنان: سمعتُ العـالم يقـول: الشّـياطين سـبعة أجنـاس مجنَّسـة والأرضـين وأولادهم مثلهم. قال ابن سنان: فالسّماء الأولـى التـي تـليكم هـي مسكن المـؤمنين وهـي مرتَبـة الممتحنـين والأرضين التي تليها هـي مسكن الكـافرين والسّماء الثّانية هي مسكن مرتبة المخلصين، والسّماء الثّالقـة هـي مسكن مرتَبـة المختصّين والسّماء الرّابعـة هـي مسكن مرتبـة النّجبـاء والسّماء الخامسـة هـي مسكن مرتَبـة النُّقبـاء والسّماء السّادسـة هـي مسكن مرتبـة الأيتام، والسّماء السّابعة هـي مسكن مرتَبـة الأبـواب مسكن كلِّ مقرّب. قـال: وإنّمـا سمّوا الملائكـة لأنّهم ملكـوا علـم التّوحيـد وعلـم الله المكنـون المخـزون، ملكـوا أمـرهم وعرفـوا ربَّهـم بحقيقـة المعرفـة ولا شكّوا حين ظهر لهم بالأرضِ بالإمامة والبشريّة أنّـه هـو الـذي فـي السّماء إلـه وفـي الأرض إلـه ظـاهرٌ بالإمامـة والوصـيّة وسـمّي بـالعين والـلاَّم واليـاء، واحتجبَ في باطن المعنى عزَّ عزّه بالربوبيّة وهو غيب لا يـدرك. وظهـر بالإمامـة للخلـق ودعـا النَّـاس

جميعــاً إلـــى معرفتـــه بالربوبيّـــة فـــآمن المؤمنـــون وصدّقوا المرسلين، وجحد الكافرون بالله عزَّ عزّه حين رأوه بحجب الظلمة. قال عزَّ عزّه حين رأوه بحجب الظلمة. قال عزَّ وجلَّ: الذين جحدوا ولايته ووحدانيّته هم في المسوخيّة وهم هنا معذّبون في كلِّ يوم بألفِ نوعٍ من العذاب ولا يخفَّف عنهم العذاب وهم لابثين فيها أحقاباً. قال: فأمّا من أقرَّ بالله وعملَ صالحاً في ظاهر الأمر وباطنه فأولئك في حجب النّور فرحون مستبشرون بقرب الله عزَّ وجلَّ وجـواره متلـذّذون بـالنّظر إلـى رؤيتـه الكريمـة ومسكنهم حظيرة القدس وطعامهم الذّكر وشرابهم الصّدق ولباسهم النّور لا يغتمُّون ولا يفزعون ولا يرعبـون وهـم فيهـا آمنـون مـن المسـوخيّة وقـد استراحوا من الطّبائع الأربع وصاروا روحانيين نورانيين يسيرون في الملكوت ويُمسون ويُصبحون في أمرٍ عظيم لا يخافون من الأبالسة وأولادهم كما كانوا يخافونهم. قال ابن سنان: فهذه صفة المؤمن إذا صعد إلى الملكوت بأعماله الصّالحة في الظّاهر والباطن وارتقى من البشريّة والحجب الظلميّة بعد السّابع رتبة فعندها لا يرجع إلى البشريّة أبداً. قال الحكيم ابن سنان: سمعتُ العالم يقول: الأرضين سبعة ممتحنين بالكفر ومنهم مخلص في الكفر ومنهم مختصٌ في الكفر ومنهم نجيبٌ في الكفر، ومنهم يتيمٌ في الكفر ومنهم بابٌ في الكفر، وإذا فرغ

من هذا كلّه دخل في المسوخيّة. قال: والمؤمن إذا فرغ من السّبع درجات صار من الملائكة، وأمَّا ما كان من المسوخ الذي توكل في الدنيا فهي من أهل إبليس الأوّل الذي وجب عليه القصاص لولد آدم وأولاد التّكذيب معهم فجرى عذابهم على أيديهم والمسوخ الذي نهى عن أكلها وهي من إبليس الثّاني الذي كان قبل آدم الثّاني كان لهم حلال أكلهم لأنَّهم أوّل تكذيب فعذابهم جارٍ على أيديهم، قال: فلمّا جاء غير آدمهم لما حلَّ مسوخيّتهم في المأكول والمشروب، ووقع التّحريم لأنَّه لم يؤذيك فكيف يجوز أن تؤذيه ولم يجرم معك كيف تؤذيه ولم يكفر بربّك وأنتَ تعلم كيف تعاقبه. قال: ما وقتُ العقوبات إلاّ من اغتممتَ به واغتمَّ بك وأنتَ صدّقت وهو كذّبَ، وأنتَ آمنتَ وهو كفرَ. وإنّما العقوبات لمن وجب عليه الذنبُ لصاحبه فلذلك وقع التّحليل والتّحريم في المسوخيّة المؤذية. وأمّا ما كان من قبلهم من المؤمنين في زمن كلِّ آدم وذرّيته وقع عليهم التحليل والتحريم وهذه علّتهم. قال ابن سنان الحكيم: سمعت العالم يقول: الطّوافُ سبعة. فقال جواب ذلك، ما الطّواف بالبيت سبعاً، فدليلٌ على الآدام السّبعة، والدليل على الحجب السّبعة التي ظهر بها أمير المؤمنين إلى موسى الكاظم من الحسن الأوّل وهو أيضاً دليل على الحجب السّبعة التي احتجب بها على العالم في كلِّ وقت وزمان.

والحجب الاثنا عشر من السّبعة، والدليل على الظّهور الاثني عشر والنجوم سبعة والأيّام سبعة واللّيالي سبعة، وهو دليل على الحجب الظلمة. والعيون الاثنا عشر التي ذكرها الله في كتابه العزيز لموسى فقال: اضرب بعصاك الحجر فانفجر منه اثني عشر عيناً وهي الاثنا عشر نقيب، فهذا كلّه دليل على الحجب الاثني عشر وهي ظهورات المعنى عزَّ عزّه ومقاماته. فأمَّا الحجب فهي مخلوقة من نوره الظّاهر بمثلها بالذّات وهو خالق كلِّ شيء ومدبِّره فمن عرف المعنى بهذه المقامات بالوحدانيّة على أنّه بالأحديّة فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبةً ولا ولدا ولم يكن له كفواً أحد. فمن عرفَه فهو من الآمنين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون،قال: وأمَّا الأنوار السّبعة، فإنَّهم يدورون حول البيت بيت ربّهم الذي قد ظهر فيه بالإمامة والوصيّة وبطن بالربوبيّة. قال الحكيم: سمعتُ العالم يقول: الأشواط التي بين الصّفا والمروة ويذهب الرجل ويجيء ويرجع إلى مكانه فهو دليلٌ على سبعة أدوار يُكَرُّ فيها المؤمن ويرتقي المؤمن إلى النّورانيّة ويرجع إلى البشريّة. وأمَّا المروة، فإنَّها دليلٌ على سبعة أدوار الظلمة التي يرجع فيها إلى الدنيا ويُكرُّ في كلِّ رجعة عشرةُ أبدان قال يعني المؤمن إذا صفا حرّاً محرّراً، وأمَّا الصّفا دليل على أنّهم يصفون في كلِّ رجعة ويصفون في الدّور السّابع من الشكّ حتّى

يصير باباً على من هو دونه، فحينئذٍ لا يرجع إلى البشريّة أبداً ولا بدَّ للمؤمن أن يرقَ إلى النُّور سبع مرّات. قال: ورجوعه إلى البشريّة بغير النُّورانيّة ألا ترى قوله تعالى: ربِّ أرني كيفَ تحي الموتى قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي. فطلب إبراهيم الزيادة لأنّه كان نقيباً فصار يتيماً. قال: سمعتُ العالم يقول: الأبدان ترتقي إلى النُّور سبع مرّات ويركسُ في البشريّة سبع مرّات، ولا يُصفَّى المؤمن من الكدر إلاَّ في سبع مرّات ثمَّ يصير بعد السّابعة ملكاً روحانيّاً نورانيّاً، فإذا صار نورانيّاً رجع إلى جوهريّته الأولى التي لم يزل عليها وإلى جنسه وشكلِه الذي ليس دونها حجاب. قال العالم: فهذا دليل على السّبع مراتب، والسّعيّ بين الصّفا والمروة في درجة المؤمن الممتحن. قال: وكذلك الكافر يردُّ في المسوخيّة سبعاً ويرجع إلى البشريّة سبعاً حذو النّعل بالنّعل والقذَّة بالقذَّة. قال: وأمَّا البيت والحجر فهو دليل على الحجاب المحمّدي وهو عبد المطّلب. وأمَّا الحجر الثّاني فهو دليلٌ على الطلب الذي طلبته القرون بعد القرون. وأمَّا زمزم فهو دليل على العين لأنَّه زمَّ علم كلِّ شيء بعلمه أنَّه هو الأحد الفرد الصّمد الذي ليس كمثله شيء وهو السّميع العليم. قال الحكيم ابن سنان: فهذا بيانُ ما تحيَّرَ فيه النّاس وتاهوا فمن آمنَ بالمعنى القديم الأزل وباسمه وبابه ومراتب قدسِه فهو من

المؤمنين الآمنين، ومن وقف على هذا التفسير من العارفين الطّالبين، ما عند الله وما قد فسّرنا نحن في كتابنا هذا الذي سمّيناه كتاب الأنوار والحجب وبيّنَّاه وجمعنا فيه هذه الأخبار عن العالم علينا سلامه وفسّرناه للمؤمنين الطّالبين العارفين ما عند الله النّاظرين في علم الملكوت المتوجّهين إلى علم الباري فعمل فيه واقتصد عليه قد فاز ونجا. قال الحكيم: سمعتُ العالم يقول: وأمَّا حجاب الشّمس فهي ثلاثمائة وستّة وستّون، احتجب الميم فيها كلّ يومٍ في حجاب، فحجاب القادر بحجبه إذا أمضى حجاب الظّهر في آخر والنّجوم والنّقباء الاثني عشر الزّواهر ورعايتهم هو السّمع والطّاعة والرّضا والخضوع للباب والقناعة بما يخرج إليهم من علم الله. قال الحكيم: والحجب الاثنا عشر من السّبعة فأصل السّبعة معناها واحد وهو المعنى وهو لا يحول ولا يزول ولا يتجزّى ولا يتبعّض. وأمَّا الحجب التي يظهر بها فهي الأب والأمُّ والابن والابنة والزوج والزوجة والأخ والأخت فهذه السّبعة يظهر بها في كلِّ عصرٍ وزمان. وأمَّا الستَّةُ فهي الجدُّ والجدَّة والعمُّ والعمَّة والخال والخالة، فهذه ثلاث عشر حجاب كاملة لقوله تعالى: يا أبتي إنّي رأيت أحد عشر كوكباً والشّمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. فهذه ثلاث عشر تمام الحجب الكاملة، والمحتجب في هذه الحجب العين الأحد الفرد الصّمد

الذي لم يتّخذ صاحبةً ولا ولدا، وهو روح الحجب وغاية الأبواب وأبو الأيتام ونور النّقباء وهادي النّجباء وغاية المؤمنين. وظهر العليُّ الأعلى لخلقه بحجب النّور والظلمة يأتمُّ البشريّة، لم يزل ظاهراً ولا يزال فيها وبها إلى انقضاء هذه الدّار ثمَّ عرّفهم نفسه وحجابه الميم ودلَّهم به عليه وعلى وحدانيّته ونفسه. فلذلك كفاهم معرفتَه وأوجب عليهم طاعته ودعاهم إليها ولم يعرض عليهم غيره. قال الحكيم: فعلى المؤمنين أن يعرفوا المعنى بذاته ويعرفون أنفسهم ما هم ومن أيّ شيءٍ خلِقوا وإلى ماذا يصيرون وليس عليهم معرفة بعضهم بعضا في الحقيقة إلاَّ ما دلّهم عليه وعرّفهم إيّاه. قال: وتأويل هذا الكتاب الذي سمّيناه كتاب الأنوار والحجب معروفٌ، وقرب الحقّ وبلغ الأصليّة والتّصفية من الحذور والخروج من الأبالسة إلى هل حجب النُّور والإقرار بالعليّ الأعلى الأزل الذي ليس كمثله شيء. قال ابن سنان الحكيم: سمعت العالم يقول: ليس على المؤمنين إلاَّ ما دعوا إليه وظهر لهم يعني أمير المؤمنين وما غاب علمهم عنه فليس عليهم ذلك ولم يُستعبدوا إلاَّ بما عرَّفهم وحذّرهم. قال: يعني المقامات التي كانت قبل أمير المؤمنين أنّكم لم تستعبدوها وإنَّما عليكم معرفته بما ظهر في دينكم وليس عليكم إلاَّ مقام العليّ العلاّم جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه. أخرج أهل النّور السّابع إلى الأرض

السّابعة، يعني: الأولى مع إبليس وذرّيّته وأولاده فما زالوا فيها سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات حتّى أتوا درجتهم. وصار المؤمن في غاية درجة الإيمان، وصار الكافر في غاية درجة الكفر، وقد كانوا مسوخاً للمؤمنين يأكلونهم ويذبحونهم ويركبونهم ويتمتّعوا بهم في كلِّ عصرٍ، والعصر سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعون سنة وسبع ساعات، فقال الله عزَّ وجلّ في كتابه دليل على ذلك العصر، والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر. قال: إنَّ الإنسان خسر معرفة المعنى عزَّ عزّه في الربوبيّة والفردانيّة ومعرفة الاسم بالحجابيّة المحمّديّة ومعرفة السّين بالبابيّة ومعرفة ظهور الله، وخسر من أنكر معرفة الأبواب الباطنة التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ، فقال: ليس البرَّ أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنَّ البرَّ من اتّقى وآتوا البيوت من أبوابها. وقال أيضاً: بابٌ باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب. وقال: وأمّا من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسبه حساباً يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأمَّا من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا. يعني به ظاهره المؤمنون مستبعدون بالظّاهر والباطن حتماً، وقسماً فمن أقامه فكان في أعلى عليين ومن سقط عن نفسه شيئاً من الظّاهر عمّا أمَر الله به فقد أشرك بالله ما لم ينزّل به سلطانا. قال الحكيم: لمَّا أنكر إبليس وذريّته

وكان المعنى يقول: من أقرَّ بولايتي وفردانيتي أمِنَ من المسوخيّة، ومن أنكر ولايتي وجحد فردانيّتي وأشرك بي مسختُه في أشرِّ المسوخ، ويبثى فيها إلى آخر الدّهر. والدهر واحد وخمسين ألف سنة، وعندها أمكثهم أحد وخمسين ألف سنة في المسوخيّة. ويخرجون من الوعد إلى الوعيد، ويصيرون في مشيئته، فله فيهم البداء والمشيئة. قال محمّد ابن سنان: سمعت العالم يقول عن النّور الأوَّل حين وفى الإيمان بالعليّ العلاّم قال: نعم، إنْ وفوا بالإيمان ومعرفة الله بالميثاق ورأيت الله في الأبدان وآمنوا بالظّاهر واعتلّوا وأقرّوا بالإقرار وعرفوا حقّه، وخلصوا من مقاطن الشياطين، ورفعوا إلى مساكنهم في السّماء وصاروا ملائكة روحانيين، ثمَّ أنزل الله عزَّ وجلَّ أهل النّور السّادس وفيها إبليس السّادس وأولاده فحرَّم عليهم ما مسخ من قبلهم وأحلَّ لهم ما مسخَ ونَسخ في زمنهم قال: فمكثوا في ذلك سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات حتّى أتوا إلى درجتهم وبلغوا غاية درجة الإيمان بعد درجة السّابعة التي صعدوا فيها إلى النّورانيّة وهبطوا منها إلى البشريّة وصاروا ملائكة وصاروا الأبالسة وأولادهم إلى غاية الكفر، وكانوا لهم مسوخاً يذبحونهم ويأكلونهم ويركبونهم ويتمتَّعوا بهم على مثال الأوَّل. قال: ثمَّ رفع العليّ الأعلى المؤمنين إلى السّماء السّادسة وجعل أهل إبليس

الأوّل قد اعتقدوا من الخدمة إلى الذّبح والكدر، فصار الوحش الذي يستوحش النّاس منهم والطّير الذي يؤكل لحمه وحرام أكله. قال: ثمَّ أنزل أهل النُّور الخامس إلى الأرض الخامسة وفيها إبليس الخامس وأولاده، فمن كان من المسوخ من فبل يحرم ذلك عليهم ، وأحلَّ لهم ما كان في الدّار معهم وممّن والوه وأولادهم. قال: ثمَّ إنَّهم مكثوا في ذلك سبعة آلاف سنة وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات ثمَّ ردّوا بعد ذلك إلى مكانهم من السّماء، وفعل ذلك بهم سبع مرّات إلى أهل كلِّ نور وكلُّ إبليس مسخهم سبع مرّات وردَّهم إلى البشريّة وفعل ذلك بكلّ الأبالسة وإبليس الأوّل فأنزله السّماء السّابعة التي فوق السّماوات إلى الأرض السّابعة التي فوقها الأرض قال: ثمّ اجتمعوا كلّهم فضاق بكثرتهم وجميع أجناسهم المسوخ من الهوامّ والحشايش وغيرهم فيها وسمّيتْ دار المحنة وهي درجة المؤمن الممتحن، وهي آخر الأدوار والأعصار. قال: فلمّا ارتفع شيئاً من الأجل ولطف في الخلق عن الحساب وعجائب الليل والنّهار ممّا هو من المسوخ الأوليّة وحلّتْ أبدانهم وجعلت الجبال ونسخت أرواحهم وجعلت في المقاعد اللطيف من الحشرات وغيرها، وجعلت تسكن القفار. أمَا ترى أيُّها الطّالب ما رأيت من الخير أنّك ربّما فقدت على جبل في السّهل أو في الوعر أو في برٍّ أو في بحر

فرأيت الهوام ما لا عدد له ولا مدد، أوما ترى أيُّها الطّالب السرَّ الخفيّ كيفَ لا يضرُّ ولا ينفع فرَّ الكبير أصغر من الذرّة. قال: فتلك، هذا من المسوخيّة الثّانية أحلّ من ذلك. والثّالث أحلّ من ذلك، والسّادس أحلّ من ذلك ممّا وقع عليه الحكم. قال محمّد بن سنان: تَفكَّر رحمكَ الله أيُّها الطّالب المريد احتياط نفسك واحكم في أمر دينك، فإنّي سمعتُ العالم يقول: حرامٌ على منْ لا يعرف ولاية أمير المؤمنين ولم يبلغ فيها الغاية القصوى. فعليك بملازمة أهل العلم فإنَّ ذلك فريضة عليك واجبة، وأهل العلم دينٌ يدانُ به، وترك المماراة في الدين والوقيعة بين النّاس، واخضعْ لِمَن غذاؤه علماً تحتاج إليه فإنَّ ذلك فريضة عليك وزيناً لك وفخراً، وعليك بالزهد في المعاصي، والورع في محارم الله، وعليك في العبادة فيما يتقرّب إلى الله عزَّ وجلَّ زلفا والاجتهاد في دينك، فإنّي سمعت العالم يقول: لا ينال ما عندي من الخيرات والنّعم إلاّ بالورع والاجتهاد والزهد والعبادة في ظاهر الأمر وباطنه. قال: فمن ترك الظّاهر حين عرف الباطن سلبه الله الباطن والظّاهر معاً. قال محمّد بن سنان: قال العالم: يامحمّد حرام على من أسقط عن نفسه الظّاهر بعد أن عرف الباطن، أنّي آليتُ على نفسي أنّي أعذّب من يفعل ذلك بعذابٍ أليم لن أعذّب به أحدٌ من عبادي. قال: وسمعته يقول إلى أصحابه من

أهـل العلـم والتّوحيـد: يـا شـيعتي علـيكم بالصّـدق بالحديث وغيره،وعليكم بأداء الأمانـة إلى أيّ واحدٍ من النَّاس أدّوها ولو إلى قاتل الأنبياء، نعم وأدّوها ولو لقاتل الحسين، فمن لم يفعل فما في النّار أشد عذاباً منه، نعم أدّوها ولو إلى من تبارزونه في المحاربة. وإنّي قد افترضتُ عليكم صدق الحديث وأداء الأمانة، فإن قبلتم وصيّتي كنتم معي وإن أبيتم وجب عليكم وعيدي والنّار مثواكم وبئس المصير. قال الحكيم محمّد بن سنان: سألتُ العالم عن الغيم والمطر. قال: نعم، إنَّ الله خلقَ الغيم من غمّ المؤمنين والكافرين وهمومهم، وخلق المطر في الغيم من أعمال المؤمنين والكافرين الذين لا يريدون بها إلاَّ العليّ الأعلى على الحقيقة. قال: وذلك أنَّ العين احتجبَ بالبشريّة فيها عن المؤمنين، فاغتمّوا كيف لم يُصيبوا في النّورانيّة التي هو عليها فخلقَ من ذلك المطر، فإذا جاء لا يبقى شيء إلاَّ بلَّه من الإنس والجنِّ وكل ذي روح وبدن وهوامّ الأرض والسّباع والحيّات وكلّ ذي روح وكلّ سفحٍ ومغارة وكلّ سهلٍ وجبل، وذلك أنّه أينَ ما ينزلُ علمه ينبتُ به كلّ سيء يقع به كلّ جنسٍ بجنسه وكلّ نوعٍ بنوعه وكلّ مسوخيّة بمسوخيّتها لأنَّ الله عزَّ وجلّ عدلٌ لا يجور وحاكم لا يظلم ومثل قوله تعالى: وما ربّك بظلاّم للعبيد. وأمَّا الذي لا يكون في بلدٍ دون بلد فإنّما يعطي كلّ قومٍ ما قد اكتسبوه

ولو ذلك يُساوي بينهم في وقتٍ مختلف. قال ابن سنان الحكيم: وسألتُ العالم منه السّلام عن صفة الظهور وأصل التّوحيد فقال: أصل التّوحيد معرفة أمير المؤمنين ومعرفة الميم ومعرفة السّين ودليله تبارك وتعالى ظاهرٌ بوحدانيّة الأحد بالوجود، وخلق خلقاً منْ أقرَّ به كان مؤمناً ومن ساوى به كان مشركاً، ومنْ جحده كان كافراً. وهذا هو التّوحيد. وجعل الدّلالة عليه حجبَه وأبوابه ورسلَه ونفسه التي بها عرف الذّات، وهو قبلةُ كلِّ مصلّي والقبلة الميم وله دعاء العباد إلى معرفة نفسه ليستدلّوا به على معرفة الذّات ويؤمنون به ويقرّون بفردانيّته أنّه لا غيره في كلّ وقت وزمان وعصرٍ وأوان وإنّما أقام هذه الأشخاص تأنيساً. وإنّما المعنى عزَّ عزّه أحديّ الذّات كلّما غيّب شخص أقامَ شخصاً لميقات المعنى في ذلك واحد. قال الحكيم محمّد بن سنان: سألتُ العالم علينا سلامه عن قوله تعالى: فإذا جاء أمرنا وفار التّنّور، قال: إذا قام قائمنا ونطق بتوحيد ذات الله ودعا إليها ثمَّ كشف الغطاء فيومئذٍ ألاقيه. قال: وسألتُ عن الصّفا، قال: إنَّما تقع على النّفس التي هي حجاب الذّات وهي الميم، فأمَّا الذات لا يقع عليها اسم ولا صفة وأمّا صفة العقل فتقع على روح القدس وهي الرّوح التي تحلّ بالأنبياء. قال: وسألتُ العالم عن الذّات، فقال: الذّات في النَّفس صفة فعل لا صفة الذّات. قال العالم علينا سلامه عن المؤمنين

فقـال: أنـوار مختلطـين بالظلمـة إلاَّ مـنْ أطـاع الله وعصمه وصفّاه من الظلمة لأنَّ الظلمة مضروبة بالأوقات، النّور الأوّل فإنّه من نور الله عزَّ وجلّ نورٌ كلّه لا ظلمة فيه، والأنوار كلّها محتجبة بالظلام. وأمَّ الأنوار المستبطنة فلا توجد إلاَّ في الأنوار الصّافية لا معلوله بعلمه وهي منه. قال الحكيم: لا يجوز أن تكون العلّة إلاّ في غيره فيقع الفصل بين النّورين، فلذلك النّور المحدث الظلمانيّ وهو من النّور الأوّل لا يخرج منه إلاَّ إليه. قال الحكيم ابن سنان: سألتُ العالم عن النّفس والإنسان والرّوح؟ فقال: أمّا الإنسان فاسم المعنى لبدن وروح، فالبدن موات والرّوححيٌّ أبداً إلى ما شاء الله، والرّوح هي الفاعلة الحسّاسة الدرَّاكة نور رابعة لا في جوهر من عظمة الله. قال الإنسان هو الرّوح وهي الحسَّاسة الدرَّاكة وإنَّها روح الله ليست بخالقة ولا مخلوقة وهي من الله وإلى الله منه خرجت وإليه تعود. وقال: وأمَّا النّفس فهي غلاف الرّوح. قال الحكيم ابن سنان: سألتُ العالم عن قول الله: وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس ولا تبخسوا النَّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين؟ قال: يعني المكيال والميزان فانظروا إلى منْ فوقكم بالعلم والتّعظيم والاستماع منه والانقياد إليه والانتهاء له وإلى ما أمرَكم به من صغيرٍ وكبير، وأدّوا إلى ما دونكم في العلم والمعرفة

بالرأفة والرّحمة، وإذا لحق إليهم وهو الحقُّ ولا تعثوا في الأرض مفسدين. قال: يعني لا تؤيّد الفساد وهو من المؤمنين حرام نصَّ. وقال بقيّة الله خير لكم. قال: يعني البشريّة في الدنيا والتصفية في الآخرة ألمان منَ المسوخيّة إن كنتم مؤمنين بالله العليّ العظيم مقرّين له بالفردانيّة. قال الحكيم: سألتُ العالم عن الشّمس، قال: هي حجاب الله وفيها يحتجب الاسم كلّ يوم وهي ثلاثمائة حجاب وخمس حجب وهذه الحجب كلّها أصلُها من الواحد والواحد لا نهاية له، والأحد الأزل الذي لم يزل أحديُّ الذّات كان قبل خلق الخلق وكون الكون بالتّكوين. قال: الحجاب الواحد منه الحجبُ السّبعة والحجب الاثنا عشر من السّبعة، والحجب الثّلاثين فهي أيّام شهر الاثني عشر وأيّام السّنة من أيّام الشّهور وأصلُها من الواحد والواحد أصله فردٌ صمدٌ لم يتجسّد في جسد ولم يتّخذ صاحبة ولا ولد، ظهر بالإمامة وبطن بالربوبيّة فتبارك الله أحسن الخالقين. قال الحكيم: السّماوات سبعة والأرضون سبعة والبحار سبعة والكواكب السيّارة سبعة. ثمَّ قال: هذا كلّه دليل على الأنوار السّبعة وهي القباب السّبعة والحمد لله ربّ العالمين تمّ هذا الكتاب المبارك بحمده والحمد لله وحده وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله.

كتاب الحجب والأنوار

رواه أبو الوليد بن العبّاس المقري

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله وحده المتوحّد في بريّته القادر في مشيئته البالغ في إرادته وصلّى الله على مشاكي أنواره ومعادن أسراره ومصابيح دينه محمّد ومن آل إليه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم القيامة والدّين.
أمَّا بعد: ذلك رواه أبو الوليد بن العبّاس المقري. قال حدّثني الحسن الطبرانيّ قال حدّثني علي بن يونس ابن شادان الصعصيعاني، قال حدَّثني محمد بن سنان عن المفضّل بن عمر على ذكره السّلام، قال: يا أخي، سألتُ أبا الخطّاب محمّد بن أبي زينب عليه السّلام عن الأصل والأصول. قال: يل أخي، إنّي سألتُ سيّدي ومولاي أبي عبد الله إليه التّسليم عن ذلك فقال يا ابن أبي زينب إذا قلت: أصول، جعلتهم شتّى، وما إلهكم إلاّ إله واحد. فقلتُ: يا سيّدي اخبرني عن الأصل هل هو اختراع أم خلقه؟ فقال: بل هو اختراع اخترعه اختراعاً. قلت: سيّدي اخبرني ممّا اخترعه؟ قال: من نوره. فقلت: من

نوره أم من نور ذاته فقال: لا بل من نور ذاته. ألا تعلم أنَّ الذّات لا يقع عليها الوهم لا بزيادة ولا بنقصان، وما دونه يقع به الزيادة والنّقصان. قلت: من أيّ جهةٍ؟ قال: من جهة العبوديّة، إنَّ الله مولاكم أقام الحجاب وقال في آخر أثبت الحجاب كيف إنْشاءٍ شاء للحجاب فكان أوَّل إنشائه من النّور فجعله في الملكوت فلمّا أن تفكَّر الحجاب بالملكوت وتوهّم أنّه منشئُ لها ظهر العزيز جلَّ ذكره عن الصّفات والنّعوت بذاته فلمّا رأه الحجاب عزَّ جلاله سجدَ له فكان معرفته الحجاب له وإقراره بالربوبيّة والإخلاص بالوحدانيّة والتخاضع له بالعبوديّة فخلق الله له الأصول الأربعة أوّلهم النّار والنّور والهواء والطّين. فمن ثمَّ قال له: اخلق من هذه الأصول الأربعة ما شئتَ فبدا الحجاب فخلق الإنسان ثمَّ أمرَه الله أن يعرّف ذلك. فقال: إلهي كيف أعرّفه؟ فقال: يا عبدي هذا خلق الإنسان، فقال: إلهي فما مأكوله ومشروبه فقال: بالنّار يأكل وبالنُّور ينظر وبالهواء يمشي وبإمزاج الطين أصله. ثمَّ أمرَه أن يخلق له غذاءً يتغذّى به، فخلق له ما أراد وفي وجهٍ آخر روى أبو الهيثم مالك بن التّيهان الأشهلي لمّا سئلَ عن معرفة النّداء الأوّل فقال: نعم، إنَّ الله خلق الخلق كلّهم سواء وكان أعلم بما خلق أنّهم دعاهم بعد خلقه إيّاهم إلى معرفته فأجابوا. فقلتُ: سيّدي، فكلُّ الخلق أجابوا؟ فقال: نعم أجابوا، فلمَّا تجلّى لهم

في الهياكل البشريّة المحمودة دعاهم إلى معرفته والإقرار بربوبيّته، قالتْ فرقةٌ: سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير. وقالت فرقة: ما أنت ذلك بل الذي رأيناه نوراً ساطعاً وأنتَ جسماً بشريّاً. فقال أبو هيثم: سألت عنه جملة أكابر النّاس مثل سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذرّ وعمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وجابر بن عبد الله عن ظهور المعنى، فقالوا بأجمعهم: إنَّ الصّورة البشريّة التي رأيناها كانت محنة لنا أراد الله أن يمتحن المؤمنين بذلك المقام الذي قام فيه ودعانا إليه فأقررنا بلاهوتيته لمّا رأينا عظمَ قدرته وعظَّمنا لمّا علمنا وصبرنا على المحنة لِما فيهم ولِما فينا من العجز حتّى بلغنا محلاً آخر للصفات. قلت: يا أبا هيثم، كنتم أجساماً، قال حاشا لله، إنَّ لله فينا إرادة يدبّرنا بتدبيره ويظهرنا للخلق أشباحاً معه في الظهورات، وإذا بطن جعَلَنا أنواره. فقلت له: يا سيّدي، أخبرني عن الخلق المنكوس. قال: نعم، إنَّ لله عزَّ وجلَّ لمَّا أراد الابتداء في بسم الله الرحمن الرّحيم وقد سأل بعض الشّيعة لمولانا فقالوا له: يا مولانا منْ أنتَ؟ فقال: أنا محمّد الأوّل وأنا محمّد الثّاني وكلُّ محمّد فأنا هو. وكفاكم جحدكم ما سمعتم من مولاكم: أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد وكلُّنا محمّد. ثمَّ قال: أنا علي العسكري وعلي وعلي وكلُّ علي أنا هو. وقد روي عنه خبراً آخر في هذا المعنى. وقد

سألتُ بعض أصحابه، فقالوا: يا مولانا من أنتَ؟ فقال: أنا محمّد ابن محمّد ابن محمّد حتّى عدَّ اثني عشر محمّداً، ثمَّ إنّه قال: أنا علي ابن علي ابن علي ابن علي حتّى عدَّ اثني عشر علي. ثمَّ قال لنا: من الحروف ومبداها، ومن الأسماء معناها. وقال: منْ عرفَ مواقع الصّفة بلغ قرار المعرفة، ومنْ عرِفَ مقام الذّات عرفَ حقيقة اللاّهوت ولله الحمد دائماً أبداً في إرادته ومشيئته يبلي خلقه ويدعوهم إلى ظاهر الأمر، فمن أجاب هناك أجاب هنا. قلتُ: فمن أوّل من أجابه؟ فقال: الحجاب وهو محمّد ثمَّ الباب وهو سلسل ثمَّ الأيتام وهم المقداد وأبو ذرّ وعبد الله وعثمان وقنبر ثمَّ النّقباء ثمّ النجباء ثمّ المختصّين ثمّ المخلصين ثمَّ الممتحنين ثمَّ باقي المؤمنين. قلتُ: سيّدي ، أخبرني عن درجات المراتب، فقال: أوّل درجة ومرتبةٍ مرتبة الحجاب وهو أقربهم إلى الله وسيلةً ودرجةً ثمَّ درجة الباب وهو سلسل وإنّما سمّي سلسل لأنَّه سلَّ من درجة الحجاب وهو باب الحجاب. ثمَّ خلق اليتيم الأكبر وهو المقداد وهو الذي قدَّ من الباب ثمَّ اليتيم الأصغر وهو أبو ذرّ وهو الذي أدراهم وأبراهم ثمَّ عبد الله بن رواحة مروّح قلوب العارفين، ثمَّ عثمان بن مظعون الذي أظعن عن قلوبهم الشّكَّ والشّبهات ثمّ قنبر أقنى العارفين معرفة مولاهم وبرّهم بها. ثمَّ خلقَ النّقباء وهم اثنا عشر، وخلقَ النّجباء ثمَّ خلق المختصّين ثمَّ

المخلصين ثمَّ الممتحنين. قلتُ: سيّدي لأيّ شيء أوجد رتبة المراتب؟ قال: ليكونوا أدلاَّء عليه أدلاَّء على التّوحيد، فأوّل من أجاب الحجاب ثمَّ الباب ثمَّ الأيتام ثمَّ النقباء ثمَّ النجباء ثمّ المختصّين ثمَّ المخلصين ثمَّ الممتحنين. قلتُ: سيّدي، ولِمَ سمّي الحجاب حجاباً؟ قال: نعم، لأنَّ الله مولاكم لم يتجلّ من عظم شأنه ومن علوّ أمره ومكانه للخلق لمّا عَلِمَ ضعفهم فأظهر لهم الحجاب. فقلت ه: سيّدي، لِمَ سمّي الباب باباً؟ قال: لأنّه مبوّب الأبواب ومسبِّب الأسباب من عند الحجاب فقلت: ولِمَ سمّين الأيتام أيتاماً؟ قال: لأنَّهما يُتّموا بما جاءهم من عند الباب. فقلت: اخبرني ما معنى الحجاب في الباطن؟ قال: معناه هو العرش الذي عرَّش في قلبك علْمَ الملكوت. قلتُ: فمن حملةُ العرش؟ قال: الخمسة الأيتام وثلاثة أخوة أمير المؤمنين في الظّاهر. قلتُ: سيّدي ومولاي لِمَ سمّيتْ الملائكة ملائكةً؟ قال: لأنّهم ائتمنوا على علمِ الملكوت فملكوا فسمّوا ملائكة. قلت: سيّدي، ولِمَ سمّي النَّبي بنبي؟ قال: لمّا أنبأ من علم الملكوت. قلتُ: سيّدي ولِمَ سمّيَتْ النقباء نقباء؟ قال: لما نقّبوا في القلوب من علم التّوحيد في قلوب المؤمنين. قلتُ: المؤمنون في الباطن لهم أسماء؟ قال: نعم هم البلاد لقول الله عزَّ وجلَّ: الذين نقّبوا في البلاد هل من محيص. قلتُ: ولِمَ سمّيت النّجباء نجباء؟ قال: نجَّبهم الله من بريّته وجعلهم أركان دينه

وخزّانة علمه ولِمَ ألقوا ضعفاء المؤمنين إلى خلف؟ فقال: اسمع وعِ، إنَّ الله أمر الحجاب بطاعته فأطاعه ولم يعْصِه وأمر الباب بطاعة الحجاب فأطاعه ولم يُعْصِه وأمر الأيتام بطاعة الباب فأطاعوا ولم يَعصوا، وأمر النّقباء بطاعة الأيتام فأطاعوا ولم يعصوا، وأمر النّجباء بطاعة النّقباء فأطاعوا ولم يعصوا، وأمرَ المختصّين بطاعة النّجباء فأطاعوا ولم يعصوا، وأمر المخلصين بطاعة المختصّين فأطاعوا ولم يعصوا. وأمر الممتحنين بطاعة المخلصين فأطاعوا ولم يعصوا، وأمر سائر الملائكة فلم يطيعوا وقالوا: لا تفاضل بيننا وكلُّنا عبيد الله فأسقطوا عن درجاتهم فنزلوا إلى دار المحنة وهم الممتحنون يردّدون في الطفولة إلى أن تدركهم رحمة من الله فيخرجون من دار المحنة إلى الصّفا فهؤلاء الذي قال الله فيهم: أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة ومغفرة وأجرٌ عظيم. قلتُ: سيّدي ، أخبرني ما يفعل الله بالخلق المنكوس؟ قال: يردُّهم على أعقابهم، وذلك قوله: لا يخَفَّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون. قلتُ: فكم مقامهم فيها؟ قال: من كثيفٍ إلى كثيف. قلتُ: ما معنى الكثف؟ قال: من ظهورٍ إلى ظهور. قلتُ: الظهور له أم للحجاب؟ قال: إنَّ الله لا يدعو الخلق إلاَّ إلى لِنفسه، ألا ترى أنَّ الله دعا الخلق في البداء الأوّل بنفسه لنفسه كذا يدعو بنفسه إلى نفسه غير

محتاج إلى أحد من خلقه فيظهر من نفسه العجز. قلتُ: أخبرني ما يفعل الله بهم؟ قال: نعم، يكشفُ الحجاب بلا حجاب ويدعو الخلق بكشف الحجاب فالحجاب يدعو الخلق من المسوخيّة إلى البشريّة ثمَّ يتجلّى لهم ويدعوهم إلى معرفته وطاعته فإنْ أجابوا أوصلهم بالولاية، وإن تجنَّبوا ردَّهم في العذاب وهم لا ينصرون. ثمّ قال الاصبغ بن نباته: سألتُ أبا الهيثم مالك بن التّيهان عن عبد الله بن سبأ، قال: هو الذي كشفَ الحقَّ وعرّف النّاس دينَ الله على وجههِ فقلتُ: ما محلّه؟ فقال: محلّه من الله محلُّ الشّعاع من القرص موصولٌ لا مفصول عنه وهو الغائب أيضاً عن أبصار النّاظرين، وهو أيضاً غير مفقود وهو الذي حباه الله بهذا الاسم. فقال: إنّي عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيّا وجعلني مباركاً أينما كنتُ. قلتُ له: سيّدي أخبرني إلى ما يدعُ الدّاعي؟ قال: إلى الأديان الأربعة. قلت: سيّدي ما هم؟ فقال: البهمنيّة البيضاء الزّهراء المنيرة. فقلتُ: سيّدي منْ أينَ يظهر الحقّ؟ قال: من بين الخلق ولكنَّهم لا يعلمون. قلتُ: أخبرني عن مراجع المؤمنين في كم يؤدُّون ويُرَدُّون إلى دار الدنيا؟ فقال: وما الدنيا؟ فقلتُ: لا علْمَ لي. فقال: هي الهياكل الطيّبة الزّاهرة المنيرة. قلتُ: كم غيبة الرّوح عن الجسد؟ قال: حمل البطن لامرأة. وقال في وجهٍ آخر: بل هي كلمح البصر، ثمَّ استثنى وقال: لا تبقي ولا تذر لوَّاحةٌ للبشر عليها

تسعة عشر. وما جعلنا أصحاب النّار إلاّ ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلاّ فتنة. قلتُ: سيّدي ما معنى النّار؟ فقال لي: النّار الباب والملائكة أولياؤه. وقال في معنىً آخر: القائم والملائكة أصحابه. فقلتُ: سيّدي أخبرني عن النّار في الباطن؟ قال لي: أمير المؤمنين، وفي وجهٍ آخر أبي شعيب، وفي وجهٍ آخر عصاة موسى. فقلتُ: سيّدي، وما كان موسى؟ فقال: السيّد محمّد. فقلتُ: سيّدي، أخبرني عن النّار التي ذكرها الله فمحمودة أم مذمومة؟ قال: كلُّ نارٍ نور. فقلت: نار جهنّم المذمومة؟ قال: هي المسوخيّة. وهي أيضاً حرُّ الحديد وبرده، ونقله من بيتٍ إلى بيت من البعوضة إلى الفيل إلى أنْ يصيرَ في الخنافس ثمَّ حتّى يلج الجمل في سمِّ الخياط. ثمَّ قال: هي زجرةٌ واحدة فإذا هم بالسّاهرة. والسّاهرة الدودة التي لا تنام وهي تشعل بالليل كالنّار لها لهيب كلهيب السّراج. فقلتُ: أخبرني عن المؤمن هل يُرَدُّ إلى المسوخيّة؟ فقال: حاشا لله إلاّ في الطفولة. قلتُ: لأيِّ ذنبٍ؟ قال: بما كسبته يداه وما ربُّك بظلاّمٍ للعبيد. قلتُ: فما معناه؟ قال: سمعتُ أمير المؤمنين علينا سلامه قد سُئلَ عن هذه الآية في الحرف فأجاب عنها فقال: أُمروا بالطّاعة لإخوانهم فأبوا، فكلُّ ذلك عقوبة لهم لأنَّه قال لهم: أطيعوا الله وأطيعوا الرسل وأولوا الأمر منكم. فلم يفعلوا. فأعادهم وردَّهم على أعقابهم فإذا خرجوا عن

مظالمهم لإخوانهم المؤمنين ولشمَ عندهم حقّاً فلا تثريب عليهم لقول الله تعالى: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرّاحمين. قال: سألتُ العالم منه السّلام عن المؤمنين والمؤمنات، هل يرد المؤمن إلى كونه إلى الصّفاء؟ قال: لا. قلتُ: لأيّ جهةٍ؟ قال: حتّى يخرج من المحنة فلا يبقى علي من ذنب، فإذا أسقط ذنوبهم وكفّر عنهم سيئاتهم صفوا. وسألته عن الجنّة والنّار، قال لي: الجنّة هي المؤمنون واجتماعهم على علم الملكوت. وفي وجهٍ آخر الجنّة: المؤمن أخو المؤمن. ووجهٌ آخر، الجنّة الصفاء . والنّار المسوخيّة. وسألته عن القيامة؟ قال قيام القائم والنّار قال لي: سفينة، وسألته عن معرفة المعنى بذاته فتغرغرت عيناه، قال: يا ضعفاء ما أنتم وهذا ما لكم تسألوا عن ما لا تطيقونه، وهذا أمرٌ صعبٌ مستصعب وسرٌّ مستسرٌّ مقنّع بالسرّ لا يحمله ملك مقرّب ولا نبيٌّ مرسل ولا حملة عرش ولا كرسي. قلتُ: من يحمله؟ قال: إنّ المعنى لا يدركه أحدٌ من خلقه بكلّيته إلاّ هو. قلتُ: يُرى في الحقيقة ويظهر في الخليقة؟ قال: ألا تعلم أنَّ ذات الله لا يحجبها شيء. قلتُ له: فكيف الوجه قال: إنَّ الله تبارك وتعالى مولانا ظهر بين خلقه، ولكنّ الخلق في شكٍّ منه، ولكنَّ الله تبارك وتعالى جلّ عن الصّفات والنّعوت والهياكل الموصوفة. إنَّ الله توحّد بذاته بين خلقه. وفي وجهٍ آخر ما روينا عن إخواننا

الثقاة: أنّ مثل الشّمس كذاته ومثل الشّعاع كحجابه. وفي وجهٍ آخر: مثل الهلال في الزيادة والنّقصان كمثل الذي فيه أمير المؤمنين. وقد روينا عن العلّة التي كانت قد أظهر الحبل والولادة والتربية والكبر والصِّغر والعلل والأسقام والغنى والفقر والعجز والقهر والكل قدرةٌ. قلتُ: فما الدّليل على ذلك؟ قال: العجز من القادر قدرة وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم تسليماً إلى يوم القيامة والدين والحمد لله ربِّ العالمين ..

قلتُ: سيّدي، أخبرني عن الظهورات؟ قال: إنّما نعتْنا الحبل والولادة ولم يكن المعنى في الحقيقة كما وصفنا هذا الأمر، ولكن لهذا إرادة وتفهيم، أراد يُفْهِمُ الخلْقَ ويُعرِّفَهم فالهلال لا يزيد ولا ينقص وإنّما تراه على مقدارك، والشكّ فيك وليس فيه. قلتُ: سيّدي، أخبرني عن ظهور الشّمس حمرة؟ فقال: معناه ظهوره بالسّيف، وأمَّا بياض الشّمس فنفسه الصّغيرة ما رأيته من غيوب الشّمس فهو ما أظهره من نفسه يوم ضربة عبد الرحمن بن ملجم والاحتراق فهو ما أظهره من الغيبة. والقمر فمعناه واحد. قلتُ: نسألك عن قوله تعالى في قصّة إبراهيم: فلمّا جنَّ عليه اللّيل رأى كوكباً قال هذا ربّي. معناه اليتيم، فلمّا رأى الحجاب والحجاب القمر علم الملكوت فلمّا رأى الشّمس بازغةً قال هذا ربّي هذا أكبر قال نعم فلمّا رأى الأوّل قال هذا ربّي

فلمّا أفِلَتْ قال إنّي لا أحبُّ الآفلين إنّي وجَّهتُ وجهي للذي فطر السّماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. قلتُ: سيّدي أخبرني عن بروج الشّمس قال: اثنا عشر، وهم النّقباء. ومنازل القمر ثمانية وعشرين منزلة وهم النّجباء في الباطن. والرعد والبرق هم الأيتام المقداد وأبو ذرّ. المقداد هو اليتيم الأكبر قُدَّ من الباب وأبو ذر اليتيم الأصغر. وأمَّا الأرياح الأربعة فعبد الله بن رواحة الأنصاري ومحمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر وجابر بن عبد الله الأنصاري. قلتُ: سيّدي أخبرني عن النّجوم وما هم؟ قال: أرواح المؤمنين إذا صفَتْ فهي معلّقةٌ في الملكوت في جوار الحيّ الذي ر يموت. قلت: سيّدي أخبرني عن القائم في ماذا دعوته إذا ظهر؟ قال: إنّه يظهر في يوم واحد وفي ساعة واحدة ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً ومعنى الأشخاص معنىً واحد. ثمَّ يظهر حجبه وأبوابه وأيتامه ونقباءه ونجباءه والمؤمنين معه ثمَّ يكشف عن الخلق المسوخيّة ويكلِّم النّاس بجميع اللّغات ويخاطبهم في كلّ المخاطبة، وكلٌّ إذا رآه يقول هكذا ملكنا الذي نعبده وإذا جاءت الحقيقة جحدوه إلاّ الفرقة النّورانيّة. فقلتُ: سيّدي أخبرني عن الظهورات النّورانيّة؟ فقال لي: اسمع وعِ، إنَّ هذه محنةٌ امتحن الله بها خلقه وليس لعلّة به ولا فيه إنّما العلّة فيكم. فقلتُ: من أيّ جهةٍ؟ قال: لأنّه ظهر

النكاح في الباطن وهو نكاح ولايتنا في الباطن وهو من يُلْقي علم التّوحيد إلى من لا يعرفه قطّ فقد ابتنى به. قلتُ: الحبل، قال: هو ذا وقع التّوحيد، ووحّدَ المؤمن: وقع في قلبه. قلتُ: أخبرني عن ضيقة القبر، قال: هو الرّحم. قلتُ: اخبرني عن الولادة. قال: كان صامتاً ثمَّ نطق. قلتُ: أخبرني عن قطع السرّة. قال: قطعه عن أهل الظّاهر. قلتُ سيّدي: فما قطعه؟ قال: حجبه عنهم وصمته وكتمانه وتقيّته. قلتُ: فتحريكه. قال: انتباهه عن رقدة الغفلة ففاق. قلتُ: اخبرني عن الخلق. قال: هو الكشف وخروجه من الظّاهر إلى الباطن. ووجهٌ آخر، هو الهياكل المبدله. ووجهٌ آخر، خروجه من الظّاهر إلى الباطن. قلتُ سيّدي: تقصير الشّعر. قال: التّقيّة. قلتُ: اخبرني عن وجود المواليد. فقال: ما اختصّهم الله وهم الذين يعرفوه حقّ معرفته ولم يشكّوا فيه، وهم صفوته من خلقه وأوليائه من عباده، أطْلَعهم على أمره وأتمنهم على العالم الفاخر من البحر الزّاخر العذْب الفرات إذا لم يكشف بشيء فامتحنهم إرادةً منه ليعلم كيف صبرهم على المحنة فلمّا صبروا على المحنة جزاهم دار كرامته وجعلهم أهل صفوته وأبراره وهم حجج الله في أرضه وسمائه فإنّهم التّوحيد استنبطناه من العلماء وخرجنا إليكم ثمّ تلا هذه الآية (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّء من الجنّة حيث نشاءُ فنعم

أجـر العـاملين. وسـألته عـن البـرق والرّعـد. قـال: الأيتـام. قـال: سـألته عن المؤمنين مـا يفعل الله بهم؟ قال: منْ أيّ وجه؟ قلتُ: من أرواحهم. قـال: أتدرون كـم للمـؤمن روح؟ قلـتُ: لا علـم لـي . قـال: خمسـة أرواح. قلتُ: صفها لـي حتّـى أعرفهـا. قـال: الـروح المذمومـــة وروح الحركـــة وروح الشّـــهوة وروح الحيــاة وروح الروحانيّــة وهـــي الــرّوح المشــابهة المعاقبـة، وترجـع إلـى جوهرهـا وترجـع إلـى الجسـم المحمود إلى جوهره فتقاً منه على قدر علمـه وفهمـه ومعرفتـه، وحـال المراجـع الطيّبـة، وأمَّـا مـن العنبـر والمسك والكافور والعود إلى ما دون ذلـك بـذلك مـن الـرّوائح الطيّبـة كـلٌّ يجـري علـى قـدرِ علمـه قـال: سـألته عـن الترديـد والتّبـديل فـي الهيـاكل والنّقـل مـن دارٍ إلى دار ومن بيتٍ إلى بيت ومن بيتٍ عـامرٍ إلـى بيـتٍ خـراب. قـال: ومـا البيـوتُ؟ قلـت: لا علـم لـي بذلك. ثمَّ قـال: هـي بيـوت المـؤمنين. قلـتُ: فلمَ سـمّي البيتُ بيتاً؟ قال: هم بيوت الرّوح مثل بيت فيه سراج فمـا دام السّـراج فيـه ظـلّ البيـت مشـرقاً فـإذا أُطفـئ السّراج أظلمَ البيت، ولـه مثـلٌ آخـر كبيـتٍ فيـه سكّان فمـا دامـوا فيـه فهـو عـامرٌ وإذا رحلـوا عنـه عطِـبَ البيت. وكـذلك بيـت الـرّوح إذا رحلـت الـرّوح عَطِـبَ البيـتُ. قلـتُ: أخبرنـي، فكـم كـرّة يُكَـرُّ المـؤمن قبـل الصّفاء؟ فقال: ذلك شـيء لا يعلمـه إلاّ الله وحـده. بـل أخبرني السيّد محمّد أنّه يكشف عن المؤمنين فـي كـم

ظهورٍ يصفو فيه ويحلُّ في النّورانيّة وهو حرف عن المؤمنين في كلّ ظهورٍ فيصفو فيه خلقٌ كثير من المؤمنين وهذا حرف لم يطّلع عليه أحد لقوله: تعلّموا صعباً لأنا بها أحد أن يحصيه الألباب. وقد سألنا اليتيمين بمعرفتها وقد سألنا الباب فأجابنا عمّا سألتَ بما سمعته، ولقد سألتُ اليتيم فقال: إنّما نعرف الكرّات في الأكوار والأدوار والأعصار والدّور أربعة آلاف سنة والعصر خمسون ألف سنة. قال: سألتُعن الأحقاب، قال مولانا السيّد تبارك وتعالى اسمه وجلَّ ذكره: إنَّ الحقَّ المنعوت قريب من العقل بعيد عن المشاهدة قريب من المؤمنين بعيدٌ عن الكافرين. قال: سألتُ عن ملك الموت. قال الله سبحانه وتعالى: إنَّ الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها. ثمَّ قال في فصلٍ آخر: يتوفّاكم ملك الموت الذي وكّل بكم. قلتُ: وما ملك الموت؟ قال: مالك الأشتر. قلتُ: فهل يخلق الموت من المؤمنين؟ وهل يداخله صعوبة؟ قال مثلُه مثل رجلٍ عطشان في يوم صيف شربَ شربة ماء باردة يجد لها لذّة وشهوة. وقال في وجه آخر: عند أحدكم كرجلٍ لعِقَ لعقةً من عسل وأحلى من ذلك. قلتُ: سيّدي لقد هوّن الله هذا الأمر. فقال: لا بشراك بشيء لا تعرفه. فقلت: نعم يا سيّدي. فقال: إنَّ المؤمن لا يموت ولكن يغيب عن الخلق وسألت عن المؤمن. فقال: ما نسبَ الله إلى نفسه أحداً إلا وهو

محمود وقد رفع الله عنه حرّ الحديد والمسوخيّة وكانت عاقبة الترديد في الطفولة إلى أن يصفو أبداً بشرِّ الأبدان البشريّة. واعلم يا بني أنّي سمعتُ مولانا علي علينا من ذكره السّلام يقول: المؤمن من الله لا موصول ولا مفصول وأقرب من ذلك إذا وصله لم يفصله من كرامته على الله أنّه سمّاه باسمه وأيّده بروحه. وقيل لنفسه واحتجّ به على خلقه. قال: إنْ كنتم شهداء إذا حضر أحدكم يعقوب الموت قال كونوا شهداء على النّاس. وقال أبو هيثم مالك بن التّيهان الأشهلي: سألتُ مولانا عليما سلامه عن قول الله عزَّ وجلَّ: إذا انسلخ الأشهر الحرم. فقلتُ : سيّدي ما معنى الأشهر الحرم؟ فقال: الأئمّة. ووجه آخر أسماء الأشخاص كلّ يوم يوفّى ولم يجمعنا له. ووجهٌ آخر: أسماء المعنى واحد، وما تعلم أنَّ الأشهر الحرام مضافةٌ إلى السّنة فإذا تمَّت الأشهر سمّت باسم السّنة، فأفرِد اسم السّنة لمعنى واحد قوله: إذا انسلخ الأشهر الحرم تمّت الأشخاص، يعني بمعنى ظهوره بها وأحصي القول وأظهر الحقّ وانكشفَ الأمر وجاء يوماً لا ريب فيه يوماً لا يستحي الحقّ من الباطل يوم يدع الله المؤمنين فيه فيجعل في يدٍ واحدةٍ منهم سيف ويقول: حقّك من عدوي وعدوّك، وذلك قوله: فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، ولا قتل ولا سلبَ ولا قذفَ ولا ظلمَ يوجد بين أيدي القائم.

واعلم أنَّ الله بد لكم أمراً وعهد إليكم عهداً في حقن دمائكم وأتمنكم على سرّه وأمركم بحفظه إلى أن يصرخ صارخه ويدعُ داعيه إليه، وذلك قوله: وأتمّوا الصّيام إلى اللّيل. فذلك بيانٌ منه. فمعنى الصّوم وهو التّقيّة والإفطار المجازاة والتّذكير بين الإخوان. والفطرة هو الخروج من التّقيّة. قلتُ: فأخبرني لِمَ سمّي السّبتُ سبتاً؟ قال: لأنَّ الله تعالى عهد إلى بني إسرائيل فقال في كتابه: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم وأوفوا بعهدي أوفي بعهدكم وإيّاي فارهبون. قلتُ: فما معنى بني إسرائيل؟ فقال: ثلاث وجوه، الوجه الأوّل: أنَّ إسرائيل الحجاب وهو الميم. وبني، يعني به المؤمنين. ووجه ثانٍ الباب. ووجه ثالث: أنّه القديم الأزل الكبير تعالى ذكره. هذا هو المحقَّق المعروف والبيان الشّافي الحقيقي. أوّلاً: وهو الحجاب لأنّه أقرَّ وشهد مدخل ما يتولّى أوّل وهو الحجاب لأنّه أقرب بالمشاهدة ومدخله، وأمّا بنوه المؤمنون العارفون به وذلك قوله تعالى: كلُّ الطعام كان حلاًّ لبني إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه. فقال ما لا تقبله نفسه من المشتبه بالحقّ. قلتُ: سيّدي فمن إسرائيل بالحقيقة في تلك القبّة وجدناه الأسباط وهو يعقوب وهو الميم. ووجه آخر، الحجاب حجاب المعنى وهو يوسف منه السّلام. قلتُ: سيّدي ما تقول في زليخة والعزيز قال: كان

العزيـز مقامـه مقـام الحجـاب وهـو الـذي قـال الله فيـه حكاية عن أخوة يوسف فـي الظّـاهر. يـا أيُّهـا العزيـز مسّنا وأهلنا الضرُّ وجئنا ببضاعة مزجات فـأوفـي لنـا الكيل وتصدّق علينـا إنَّ الله يحبُّ المتصدّقين. فليس في الظّـاهر علـى هذا الخلـق المنكوس. قلـتُ: سيّدي من هي زليخا؟ فقال: مقامها مقام أسماء بنت عميس الخثعميّة أمّ محمّد بن أبي بكر زوجة أميـر المؤمنين في الظّاهر. قلتُ: فما معنى الجب؟ قال: المحنة التـي أظهرها للعالم لمَّا أظهر العجز ثمَّ أظهر القدرة بعد ذلك ليعلم أنَّ الله العلـيّ الكبيـر. قلت: فمـا مقام أولاد يعقـوب؟ قـال: مقـام أولاد السـيّد محمّد وأخـوة أميـر المؤمنين في الظّاهر. ووجهٌ آخر يقـال: أنَّهم النقبـاء. قلتُ: فمـا مقـام الحسـن والحسين علينـا منـهمـا السّلام والاسم الواقع بهما؟ فقال: ما لله سرٌّ هو أسرُّ من هذا لأنّهمـا فريقـان فرقـةٌ لليهـود وفرقـةٌ للنّصـارى. قلـتُ: سيّدي من أيّ جهةٍ وقعت بهما هذه الكرامـة الرّفيعـة والجلالة؟ قال: إنَّ المعنى نزل في بطن قريش وهو هاشم لمَّا نزل بهم باستحقاقٍ منـهم كذلك منـه. فقلـتُ: سيّدي، أخبرنـي عن الاستحقاقات؟ قال: لا يصل أحد إلى شيء ولا يعلو درجةً إلاَّ باستحقاقه لأنّـه قد وقـع الابتـداء مـن الأصـل هـذا الاقتصـاص. قلـتُ: سـيّدي وزنٌ بوزن، قال: نعم حتّـى تـأخذ المرأة من الرجـل كما أخذ منها ويردّان حتّى يأخذ كلّ واحدٍ منهما حقّه مـن صـاحبه. قلـتُ: فيـردّ المـؤمن والمؤمنـة. قـال:

حاشا لله أن يردّ المؤمن بعد إيمانه إلى القهقرى إنَّ الله عزَّ وجلّ جعلكم ناكحين ولم يجعلكم منكوحين. قلتُ: فأخبرني عن قول الأصبغ ابن نباته وما خبَّر عن أمير المؤمنين منه السّلام أنّه قال: كلّ منكوحٍ ملعون. قال: إنَّ كلام مولانا له وجه يحتاج منْ يسمع منه حرفاً فيثبتَ عليه حتّى يُسأل عنه فيجيبه ليفيق من الحيرة فيفهمه، لأنّي سألته عن النّاكح والمنكوح فقال: إنَّ النّاكح المذيع السرّ والمنكوح الذي أُلْقيَ إليه التّوحيد فإذا أذاع إلى غير أهله فإنّهما ملعونين. قلتُ أخبرني عن الزّانية والزّاني؟ قال: من هتك سرّ الله وسرّ آل محمّد والزّانية المدعية من الإناث، وقد ذكرهم الله في كتابه قال: الزانية لا ينكحها إلاّ زانٍ أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين. وقال: الإذاعة والحسد لأنَّ أكثر ما وقع النّاس من درجاتهم الحسد والإذاعة فإذا وقع من وقع من ذلك أذاق حرَّ الحديد وبرده. فقلتُ: بيّن لي ذلك يا سيّدي. فقال: الخشان ومشرط المشارط أهون شيء يعيد فيه فما تقول في النجا؟ قال: فإذا عملتَ شيئاً فاعمله لله ولنفسك خالصاً وإيّاكم تقولون في المؤمنين إلى خير وذكر الباقيات ولو لم يمرَّ بكم الظلمة للقبر والطفولة وهي أشد من كلّ شيء عصمنا الله وإيّاكم من ذلك. قلتُ: فزدني وأرشدني. فقال: إنَّ لك مجزي الأبدان يجزي فيه ويخلص. قلتُ: سيّدي، فكم المجازاة؟ فقال: الله أعلم بمقدار عمل الإنسان.

فقال: إنّي أرى واحداً سقط وآخر يموت في بطن أمّه وآخر يعيش ساعة وآخر يعيش يوماً وآخر يعيش شهراً وآخر يعيش سنة وآخر يعيش مئة سنة. قال: نعم، أمَّا من وقع سقطاً فإنّه عاش بغير هذه الهياكل مئة سنة، وأمّا من مات في بطن أمّه فإنّه يكون عاش في هيكل آخر تسعين سنة. وأمَّا الذي عاش ساعة فإنّه في غير ذلك الهيكل عاش ثمانون سنة والذي عاش يوماً واحداً فإنّه عاش في هيكلٍ غيره فعلى هذه المجازاة في الأصل المأخوذ ثوابه من كثرة الحياة وسرعة الموت. قلتُ: فأخبرني عن الخلق هل كان لهم عند الله درجة واستوجبوا بها النّجاة من هذه الهياكل؟ قال: أجل، درجات عند الله على قدر سرعة إجابتهم في الدعوات. قلتُ: سيّدي أخبرني عن الأحد، لِمَ سمّي الأحد؟ قال: الوحدانيّة الواحد الفرد الصّمد الأوّل. قلت: فالاثنين، قال: الحجاب المحتجبُ. قلت: فالثلاثاء، قال: شخص الفاء. قلت: الأربعاء، قال: شخص الحاء الأوّل. قلتُ: الخميس، قال: الحاء الثّاني. قلتُ: الجمعة، قال دعوة المعنى، دعا من نفسه لنفسه لمّا ظهر بينهم وجمعهم إليه، فسمّيتْ الجمعة. قلتُ: سيّدي، لِمَ سمّيت خطبة الجمعة خطبة؟ قال: إنَّ الجليل خاطبهم بذاته واحتجَّ عليهم بولايته. قلتُ: قراءة الجمعة جهراً. قال: نعم، لا يجوز أن يجهر إلاّ المعنى، لأنَّ الصّلاة له وهو غير متصلّه لأحد لأنّه ناطق

والنّاطق لا يجوز لـه الصّلاة بل الصـلاة إليـه. قلت: فـالأذان. قـال: دعـوة المعنــى إلــى وحدانيّتــه. قلـتُ: فالإقامـة، قـال: دعـوة الحجـاب إليـه. قلـت: صــلاة الظّهر، قـال: المعنـى موجـود بين خلقه غير معدوم فعـزَّ مـن لا يغيـب. قلـت: العصـر، قـال: شـخص الحجـاب. قلـتُ: المغـرب، قـال: شخص الفـاء وهـي الصـلاة الوسطى. قلـتُ: فالعتمـة، قـال: الحـاء الأوّل قلـتُ: اللّيـل قـال محسن الخفـي تفجّـرت منـه العلـوم علـوم الملكوت فسمّي الفجـر. قلتُ: أخبرنـي الثلاث صـلوات التــي لا تجهـر بهـا قـال: ظهـور المعنــى بالسّـيف جهـر فيهـا ودعـا كـذلك جهـراً بهـا المعنــى والحجـاب وهـو محمّد منـه السّـلام والرحمـة. قلـت: فالصّـلاتين التـي لا تجهـر فيهنّ؟ قـال: صـمتُ الفـاء والحـاء الأكبر. قلـتُ: فـأخبرنـي عنهمـا شخصٌ واحد أم هـم أشـخاص عـدّة؟ قـال: فــي الحقيقـة تريـد أم غيرها؟ قال: لم يتّصل به ما لم يكن فيـه ولـم يمتـزج فيـه شـيء، ولا يشـاركه أحدٌ فـي ملكـه بـل هـو بذاتـه قائمٌ بين خلقه وبالأسماء المعروفة المتفرّقـة ومعناهـا كلّهـا واحـد، وإنّمـا سـمّي المعنــى معنـى العلّـة وهـو المعنى لأنّه رمزٌ للعارف. قلتُ: أخبرنـي عن عيسـى بن مريم؟ قال: وجه هو الحجاب. وفي وجه: الأصل ما وجدنا في السيّد محمّد أنّـه لم يظهر فـي بيتٍ من بيـوت الأنبيـاء وإنّمـا ظهـرت فـي بيـوت الأوصـياء. قلتُ: فمن كان على عهد عيسـى الوصـيّ؟ قـال: كـان

شمعون الصّفا. قلتُ: فمريم، قال: آمنة أمُّ السيّد محمّد منه السّلام. قلتُ: أخبرني عن الله وظهوراته أنّه قال: حيث ما رأيت القدرة فيكون القادر لا متّصل به ولا منفصل عنه فاعرف ذلك. قلتُ: أسألك عن محض التّوحيد، قال: فأفرِد المعنى بمعنويّته واجعل الأربع أسماء حجبه، وهم أركان البيت، أعني معنى البيت وهم الميم والفاء والحائين. فقلتُ: أخبرني عن الركن الزّائد في البيت من داخل؟ قال: شخص محسن. قلتُ: تعالى الله أن يُقال شخص قال عزَّ وجلّ عن ذلك، وإنّما الأشخاص أشخاص الحجاب. وأمّا الأزل فهو قائمٌ بذاته. قلتُ: أخبرني عن السلسلة المادّة الممزوجة في طرف الإمامة، فقال: فيها كما قال في الأركان قلتُ: يعني أركان البيت والعرش؟ قال: هي أركان البيت، وإنّما أركان الحجاب وقد ذكرناهم في أوّل الكتاب. قلتُ: هم معاني وأئمّة بذاتها؟ فقال: سألتُ العالم منه السّلام قال: يعرف المعنى في وحدانيّته لِما دونه من الحجاب أقامها وجعلهم أركان البيت لدينه وفوَّض إليهم أمره ونهيه، ونفخ فيهم من روحه وجعلهم حجج على بريّته. فهناك صفى المعنى بنفسه. قلتُ: فما معنى منّا؟ قال ظهور الله بذاته فأقرّوا له وحدَه فسمّي منّا. قلتُ: فعرفات، قال: وجدوه وعرفوه فسمّي عرفات، قلتُ: الموقف هناك. قال: وقف النّاس فدعا بهم إلى الذي أراد أنْ يتعبّده. وقلتُ:

سمّيت المزدلفة مزدلفة. قال: لأنَّ شخص الباري نطق هناك منها فازدلفتِ النَّاس إليه فرأوا من عجائب حكمته كل يريدُ سرعة الإجابة. قلتُ: العيد، قال: هو باب من أبواب الكشف. قلت: الخطبة، قال: دعوته إلى أصحابه ألزمنا أنفسنا الإقرار له بالعبوديّة. قلتُ: النفر. قال: دعا العباد إلى نفسه بنفسه ومخاطبته إيّاهم، قلتُ: الخطبة بالموقف إلى عرفات، قال: إنَّ الله ظهر بينهم بمنى وظهر شخص الحجاب بعرفات. قلتُ: فما معنى النّحر؟ قال: نعم إنَّ مولانا دعا الخلق في البدا الأوّل إلى نفسه فأجابوه ثمَّ دعاهم إلى معرفة الحجاب فأبوا فردَّهم على أعقابهم وآلى على نفسه أن يردَّهم في الإنكار إلى موضع الدّعوة والظهورات فيذيقهم حرّ الحديد وهو النّحر. قلت: رمي الجمار، قال: نعم إنَّ إبليس الأبالسة لعنه الله ظهر هنالك للحجاب وأراد أن يغوي المؤمنين فأمر الله برحمته برمي ذلك بالجمار، لأجل ذلك قلتُ: أخبرني عن المطر الذي يجيء عد النّحر قال: يطهّر الدنيا بعد دنسها. قال: فلمَ سمّيت التهامة؟ قال: لمَّا غاب عنهم الشّخص طلبوه طلباً شديداً فسمّيت التهامة لمَّا هاموا في طلبه. قلتُ: فلمَ سمّي الحرام حراماً؟ قلتُ: ما لزم الله من حقِّ الحجاب على الخلق. قلتُ: ما بيت المؤمن؟ قال: المسجد الحرام. قال: حرّمه المولى والمسجد الذي لا يتغيّر من الصّلاة أبداً. قلتُ: فما معنى بيت

الله الحـرام؟ قـال: لـيس لله بيـت، وإنَّمـا هـو بيـت الحجاب محمّد ظهر فيه بالنّطق. قلتُ: فـأخبرني عن العتبتين. قال: شخص الحائين. قلتُ: الصّفقتان، قال: الميم. قلتُ: الحلقة التي في الباب، قال: جعفر بن أبي طالب. قلتُ: فما الباب؟ قال: شخص السّين. قلتُ: الرزّة التي تقع فيها الحلقة، قال: محمّد بن الحنفيّة. قلتُ: فما القفل؟ قال: شخص الحسين المقتول في كربلاء. قلتُ: فما الفراشة؟ قال: شخص الميم. قلتُ: فما المفتاح؟ قال: شخص القائم. قلتُ: فما الكسوة مرّه بأحمر ومرّة بالبياض القباطي، ومرّة محلّل ومرّة محرّم؟ قال: أمَّا الحمرة ظهوره بالسّيف وهرق دماء الأضداد. وأمّا البياض ظهوره بالبهمنيّة الأنزعيّة. والمحرّم الذمّ والغيبة، والمحلّل يوم يكشف الله أمره ويكشف عن المؤمنين وهو يظهر التّوحيد على رؤوس الأشهاد. قلتُ: أخبرني عن الميزاب. قال: سلمان، قلتُ: الرخامة، قال: أمّ سلمة، قلتُ: الحجر، قال: أبو طالب. قلتُ: الحجر الأسود، قال: المقداد. قلت: الحيط الممدود على الحجر، قال: جعفر. قلتُ: الدرجة التي تدخل البيت، قال: الباب. قلتُ: أخبرني عن مقام إبراهيم، قال: محمّد بن أبي بكر. قلت: الصّفا والمروة، قال: اليتيمين. قلتُ: زمزم، قال: الاسم، ويقال أمُّ سلمة زمّة العالم زمّاً. قلتُ: أخبرني عن المشاعر، قال: النّقباء. قلتُ: أخبرني عن القناديل التي تزهو في

المشاعر، قال: عالم الملكوت. قلتُ: أخبرني عن الطواف في البيت، قال: إنَّ الله تعالى ظهر هناك للنّاس فهم يطلبونه إلى يوم القيامة ويطوفون حوله ويوحّدونه. قلتُ: أخبرني عن الأذان بين يدي البيت، قال: دعوة الحجاب. فالإمام الذي يصلّي في النّاس، قال: والله لو أنَّ النّاس عرفوا هذا الموضع ما كفر منهم أحد. والإمام أمير النّحل عزّت آلاؤه. قلتُ: أخبرني عن الحمام الذي يطير في الحرم. قال: هم المؤمنون الذين يخرجون عن حرم الله. قلتُ: فما معنى حرم الله؟ قال: عهد الله وميثاقه. قلتُ: فأخبرني عن الغزلان، قال: المفوضة في الحرم. قلتُ: وريحة البعر منهم، قال: ذكر التّوحيد ثمَّ جحده. فذلك رائحة الإنكار منهم وفي بطونهم، قلت: فما معنى العالمين؟ قال: هم الأبواب. قلتُ: البريد، قال: هم الأيتام. قلتُ: المشارق، قال: النقباء. قلتُ: الميال، قال: المؤمنون يبلغون الصّفا من واحد إلى واحد حتّى يبلغون الصّفا. قلتُ: الأعراب الذين يقطعون الطريق على المؤمنين، قال: هم يذيعون عليهم سرّهم. قال: الأعراب هم المقزمنة والمفوّضة ويقطعون على المؤمنين ويذيعون عليهم سرّهم. قلتُ: أخبرني عن المساجد والجوامع، قال: هي مقامات أطاع الخلق فيها الباري لأنَّ الله أراد منهم العبوديّة ثمَّ قال: يامعلاً بن خنيس: إنَّ الله لم يكلّف النّاس ما لا يطيقون وإنّما أمرهم بطاعة من دونهم

وامتحنهم به. ثمَّ قال: أطيعوا الله والرّسول وأطيعوا أولي الأمر منكم. يا معلاًّ لأزيدك حرفاً، قلتُ: نعم يا سيّدي. قال الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله محمد، ربّ العالمين: العليّ الأعلى. الرحمن: الحاء الأكبر. الرحيم: الحاء الأصغر. مالك: العين. يوم الدين: محمّد. إيّاك نعبد: العين. وإيّاك نستعين: الاسم. أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين: قال المعلاّ: قلتُ: قدرة أسألك عنه وعن غيره مرّه. قلتُ: ما معنى الحجاب؟ قال: الميم والمحتجب العين، والاسم الميم والمسمّي العين، والدليل في هذا الموضع أنَّ الصنعة هي صنعة الصّانع بالصّانع استدللنا على الصّانع لمّا ظهر لنا الأفعال فعرفنا أنَّ الصنعة غير الصّانع. قلتُ: سيّدي، فرّجتَ عنّي. قال: يا معلاّ، كان الأصل ولا فرع ففرعت الفروع والأصل لا يحدّ المباينة منه ولا على حدّ الاتّصال، ولا تعلم أنَّ الأصل يقيم الفرع والفروع فيه البركة من الأصل. وقد وجدنا أنَّ الفرع يشرب. ما الأصل ثمّ يلتمس وكلٌّ ذلك دليلٌ على التّوحيد. يا معلاًّ: النّاس على وجهين اثنين، قالوا: إنَّ السّماوات ونجومها وشمسها وقمرها وأفلاكها وأنوارها وما يُرى فهو العالم الكبير. قلتُ: فما العالم الصّغير؟ قال: هذا كلام العميان من العامّة الذين انقلبوا على أدبارهم فهم إلى النّار صاييرين، وما جاء عن الأصل أنَّ

العالم الصّغير هو بدو خلق الإنسان. يا معلاًّ: إنَّ الله تبارك وتعالى لم يترك لأحدٍ عليه حجّة، وقد بيّنَ كلّ شيء على لسان الحجاب الذي أقامه سفير بينه وبين خلقه. قال المعلاَّ، قلتُ: سيّدي أخبرني عن البحر ما مقامه والماء العذب ما مقامه؟ قال: إنَّ الماء العذب مقامه علم الظّاهر وأمَّا البحر مقامه علم العالم وهو العالم الصّغير المستصعب. قلتُ: فما معنى الحيتان ودواب البحر الرّاسيات؟ قال: مثل الحجاب في علم الملكوت ويصدرون ويرعون في منابع الحكمة. قلت: فما معنى الجبل الذي ينصبُّ منه الماء ولا يعود إليه؟ قال: مثل العالم الذي يخرج منه العلم ولا يعود إليه. قلتُ: فما معنى باب حطّة؟ قال: سلسل وهي حطّة الحجاب الميم والسجود له. وفي وجه آخر حطّة الأصل وهو العين. ومعنى قوله: ادخلوا الباب سجّداً وقوله حطّة أي العلي الكبير الأعلى ربّ العالمين. قلت: سيّدي ما معنى قوله: فلمّا تجلّى للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقا. قال: الجبل الحجاب واقع بسلسل في هذا الموضع فلمّا تجلّى له العين بالمعنويّة خرّ له الحجاب صعقا وقيل ساجداً. قلتُ: أخبرني عن إبراهيم من دخله كان آمنا. قال: من عرف العين من الميم والحائين وأقرَّ بلاهوتيّة العين وناسوتيّة الميم والحائين أَمِنَ من التّكرير وغيرِه. وقوله تعالى: لله على النّاس حجّ البيت. قال: النّاس معرفة الحجاب من استطاع إليه سبيلاً من

المؤمنين إذا بلغوا إلى معرفة العين والميم والحائين. وقوله تعالى: إنَّ الصّفا والمروة من شعائر الله، قال: الشّعائر سلسل، والله الاسم فمن حجَّ البيت أي من عرف أصل المعنى واعترف معرفة التّوحيد فلا جناح عليه أن يطوَّف بهما. قال: نعم، يطوف باليتيمين. قلتُ سيّدي: أخبرني عن المناسك، قال: هي فروع الحجّ لمنْ حجَّ ولم يعرف المناسك فعليه أن يعرفها فهي أيضاً أمن من الله ومنْ أمِن الله فعليه أن يعرف الحقَّ وشرائعه وفروعه وكلّ ما يجب من حلال أو حرام. قلتُ: سيّدي إنَّ الله خاطب الخلق وطالبهم بذلك. قال: نعم يا معلاّ إنّما عليهم هذا الأمر ولا يدفعونه وبهذا حقن دماءهم بالعهود والمواثيق التي أخذها عليهم بالأوّل وكذا إذا قام حذروا فيردّهم الله في العذاب. قلتُ: أخبرني عن الصراط والميزان. قال: الصراط: الحاء. والميزان: الفاء. قلتُ: أخبرني عن جهنّم هي محمودةٌ أم مذمومة لقوله: إنَّ جهنّم موعدهم أجمعين. قلتُ: فالنّار، قال: محمودة. قلت: لأيّ علّةٍ؟ قال: لأنّها نار نورٍ، وإنّما معناها القديم. فقلتُ: جهنّم المذمومة، قال: الفيل وهو أوّل بيت سكن فيه الخلق من الجبابرة ثمَّ البخاتي وهي مساكن أهل خرسان، والثّالث العتاق وهي مساكن بني الشّيصبان وبني أميّة. ثمَّ يقفون في الدردور فمنهم الخيل العتاق والبراذين وهي مساكن العجم والبراذين وهي أوسط

النّاس والخيل الشّهب والدُّهم والشّقر والبلق والكمت فهم الذين ادّعوا لله ولدا. إلاّ أولادهم مساكن الحاء الأكبر والشّهب مساكن أولاد الحاء الأصغر والبلق مساكن أولاد محمّد بن الحنفيّة، والشّقر مساكن أولاد عمر بن علي والكمت مساكن ولد العبّاس بن علي. وكلّ في الرفاهية ومحسنٌ إليه. العلّة الاسم الواقع عليهما، والبغال مساكن أشرار النّاس، والحمير المحسَن إليها مساكن المفوّضة والماء المنسوب إليها فهم مساكن المقصّرة. وأمَّا السّباع فهي مساكن من ادّعى الإمامة من الزيّديّة وغيرهم. وأمّا الكلاب مساكن من خرج من عهد الله وميثاقه من المسجد الحرام وهم في الدّار إلى يوم الكشف كلّما عطل من بيت نقل إلى من هو أرزل منه إلى أن تستقرّ الأرواح ببرهوت، ثمّ ينقل إلى السّاهرة، ثمّ يقع الكشفُ فيدعو إلى باريه. قال معلاًّ: قلتُ: سيّدي أخبرني هل في الأرض من حجّة؟ قال: نعم ما من بلدةٍ إلاًّ وفيها نجيب نجّبه الله من أهلها فهو حجّة على من دونه لعلمه وفهمه وتعطّفه. وقد أمر الله الباقين بطاعته فإنْ أطاعوه فطاعته موصولة بطاعة الربّ ومن لم يطعه فقد مرق من الدّين ورجع أعرابيّاً بعد هجرته. قلتُ: سيّدي كيف يعرف الرّجل حتى استكمل فكان أوّل نباتها دعوة إليه وشهادة عليه وهو المطاع بينهم فإن أطاعوه فطاعته بطاعة الرّسول مقرونة، وما من خمسة اجتمعوا إلاًّ

وفيهم رجلٌ مطاع. قلت: لأيّ جهةٍ؟ قال: لا الكلُّ من العشـرة فـي درجـة الكمـال ولا بـدَّ مـن فاضـلٍ يكـون فيهم فيعرفوا أصله ويصدّقوه ألا تعلم أنَّ أهل الكوفـة اجتمعـوا إلـى مولانـا الصّـادق منـه السّلام فقـالوا لـه: نحتـاج إلى من يعلّمنـا معالم ديننـا. فقـال لهم: اذهبوا فاختـاروا غيـره فمضـوا ثـمَّ عـادوا وبعـد عـامٍ آخـر قالوا: قد اخترنا فلم نصبْ غير أبـي الخطّـاب، قـال: اذهبوا فاختـاروا سنة أخرى فاختـاروه ثـلاث حججٍ فلـم يجـدوا غيـره فلمّـا كـان فـي سنته الرّابعـة أمـرهم بعد اختيارهم ثمّ قال لهم بعد مـا علِم: أنّـي أقوم بهذا المقام ورضيتموه لأنفسكم قـالوا: نعم. قـال: رأيتمـوه قد حلق وسط رأسه وشدَّ وسطه كشتيز واسود ديلـه فـاتّبعوه فإنَّـه لا يخـرجكم مـن هـذا ولا يـدخلكم فـي ضـلال فكـان يـامعلاّ بيـان مـولاي لهـم تثبيت الحجّـة علـيهم لمّـا أمـرهم فعصـوا أمـرَه وخـالفوا قولـه، وقـد بيّنهم في كتابه فقال: اهبطوا مصر فإنَّ لكم مـا سـألتم فضـربتْ علـيهم الذلّـة والمسكنة، وهـذا فـيهم وكيـف فيكم. قال المعلاّ: قلتُ: سيّدي أجلُّ مقامٍ لأمير النّحـل أيّ مقـام فقـال أهـل الكوفـة: أجـلّ مقـام وأشـرُّ الخلـق جـواراً نـزل الله فـيهم وأظهـر فـيهم ولـم يـزدادوا إلاّ بعـداً وخسـروا أنفسـهم فمـأواهم النّـار كلّمـا أرادوا أن يخرجـوا منهـا أُعيـدوا فيهـا وذوقـوا عذاب الخلـد بمـا كنتم تستكبرون. قال المعلاّ قلت: سيّدي أخبرنـي عـن جبرائيـل وميكائيـل وإسـرافيل ومالـك المـوت. قـال:

جبرائيل: سلسل. وميكائيل: المقداد. وإسرافيل: أبي ذرّ. وعزرائيل: هو مالك الأشتر ورضوان عمّار بن ياسر. قلتُ: سيّدي قد هديتني وعرفتني معالم ديني وثبّتَّ لي مكاناً خَفيَ عنّي وأرشدتني إلى سبيل الحقِّ. ورواه المفضّل بن عمر. قال سألتُ أبي الطيّبات عن الأبواب فقال: لكلِّ بابٍ باباً ناطقاً وباباً صامتاً. قلتُ: فما معنى النّاطق؟ قال صاحب الصّورة. قلتُ: فما الصّامت؟ قال: المنتظر بالإشارة إليه. قلتُ: متى يُشار إليه قال إذا غاب أبو الطيّبات. وقال المفضّل بن عمر: يامعلاَّ، ذهلَ الخلقُ في هذه. قلتُ: في ماذا قال في الاسم والمسمِّي. قلتُ: من أيّ جهةٍ التّسمية. فلو عرفوا القدرة لاهتدوا وسعدوا ولم يكفروا بالله ولكن القوم الحق فيه ولا سبيل اتّبعوا فلمّا جاءهم الحقُّ كذّبوه. يا بن عمر كان أبو بكر وقد نادى بالدين المحمّدي، وأنصفتَ على نفسك وتكَنّيت بأبي الطيّبات. يا معلاَّ، قلت: لا، قال: أنا أمير المؤمنين، وكلُّ طيّب أنا أبوه يامعلاّ. من لا يعرف الأبوّة لم يقِم النّبوّة.

معرفة الصّيام والإفطار ومعرفة المعروف ويأتي ذي القربى والصّلاة الخمس ومعرفة أشخاصها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

فمن عرف الخمس سقط عنه الخمس ومعرفة الحجّ، وهي معرفة الأصل فمن عرفَها فلا جناح عليه في جوده إلى أن يخرج من محنته فإذا خرج من المحنة كان موجوداً به. وفي معرفة الحجِّ وجهٌ آخر، إنَّ الحجَّ الحجاب فمن عرف الحجاب والباب والأيتام والنّقباء والنّجباء وأقرّض للمعنى بالربوبيّة فقد حجَّ وانتهت معرفته إلى الكمال.

باب مجازات العالم

أوّل مجازات العالم هو الكلام الطيّب بقوله تعالى: وقولوا للنّاس قولاً حسناً وقال ك لا رفث ولا فسوق ولا جدال بالحج وقد قال الله تعالى في المجازات: ومن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره. وقال في كتابه ما على المحسنين من سبيل أي ليس على الكامل يرد في الهياكل لأنّه قد علمَ حتى لحق فهو بالغ. باب آخر، إنَّ الله جلّ ذكره أمرَ الخلق بطاعته فطاعوه وأمرهم بطاعة إخوانهم ففرّوا وأمرهم بالمساواة والمواساة فأنكروا ذلك فخلق لهم حجرين مسخّرين ينوارثونه وامتحنهم الله بذلك وهي الدنانير والدّراهم فمن عزَّ عليه درهمه هان عليه أخاه ومن عزَّ عليه أخاه هان عليه

درهمه، ومن صعب عليه درهمه أبطن عليه مخرجه من المحنة. وسألته عن المجازات في هيكل الذكرانيّة والإناث. قال: نعم تردُّ المرأة في هيكل الرجل الذكرانيّة ويردُّ الرجل في هيكل الإناث حتّى تأخذ المرأة من الرجل كما كان الرجل يأخذ من المرأة وذلك من عدل الله عزَّ وجلَّ. فقلتُ: المؤمن والمؤمنة يردّون في هذه الهياكل. فقال: حاشا لله أن يقع اسم الاسم بقلب أحد إلاَّ وقد نجا من ذلك. واعلم يا أخي أنَّ الخلق في القصاص وقد نفذ الابتداء إلى أن يذهب كوره ودوره وتقرّر الاعصار، عندها يقع الاقتصاص فيأخذ كل من صاحبه. واعلم أنَّ ما من أحدٍ إلاّ وهو يجازيه. وإنَّ المجاز إلى أن يصير لهم منتهاه. فما يعلم وما ينزل. وسئل عن باب المجازاة في الحيوان. فقال: نعم ستر على الخلق من جهة البشريّة وقد رفع الله السّتر يا أخي عن المسوخيّة لأنّهم ملعونون منكوحون على رؤوس الملأ شبهَ فيلٍ وجملٍ وبغل ودابّة وجاموس وثور وحمار ونعجة وكبش وخنزير ودبّ وسنوّر وفار وكلّ واحد يأخذ الفحل بيده ويسوقه إلى أن ينكحه ويحضره إليه، ولا ينكر النّاس عليه شيئاً، وكذلك سائر البهائم تسافر وتناكح في الأسواق وبين السّكك وعلى رؤوس الأشهاد ولا ينكر أحد عليها شيئا. وقد روي في باب المجازات، أنَّ الخلق الذين تراهم كالخلق الذي هي مشبّه عليهم، أما ترى أنَّ القوم

يقولــون أنَّ الشّــياطين يظهــرون إلــى النّــاس فــي صورهم وهم والله من هذا الخلق. أما تعلم أنَّ الله لا يخفى عليه شيء وكلّ من قال: أنّ الله لم يحصي الأشياء بعد أن عرفها فقد نسبه إلى العجز وذلك أنَّ مولانا خلق الخلق فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع وكذلك حكمه في جميع الخلق. وأمَّا الشّياطين الذين تقول العامّة أنهم يتصوّرون في صور الخلق فهم المبلسة عليهم فإذا كان في اللّيل كشفَ الله عنهم الحجاب فيريهم أنَّهم شياطين لعظم خلقهم لمّا رأوا ومن سماجتهم وفعلهم القبيح فإذا أصبح أُعيدوا في ما كانوا فيه.

باب الكمال: إذا صفا المؤمن كثر علمه وقلّ شرّه وكثر خيره ونيل شأنه وعُليَ ذكره وخُفيَ على النّاس أمره، فكان من عالية النّاس لأنَّ النّاس الله اختارهم من بين خلقه لمّا صبروا على المحنة. من الله علّة لِخلقه فإذا أحبَّ الله عبداً من عباده امتحنه، فإذا وجده على المحنة صابراً جازاه الله بإحسانه وكان ممّن كشفَ عنه التّقيّة ورفعه إلى عليين وصار في جوار ربّ العالمين. قلتُ: فأخبرني، هل كان الله في علوٍّ أم في سفلٍ؟ قال: إنّما يتكلّم النّاس على معاني الكلام إذا عرفوا، ألا تعلم أنَّ الله مولاكم لا يخلو من علوٍّ ولا من سفلٍ لأنه متى كان خلا منه علوٌّ لم يخلُ منه سفل، ومتى ما خلا منه سفل لم

يخل منه علو وإنّما هذين الاسمين كما تُسمّى بهم وهو على حدّ معرفة التّوحيد. واعلم أنَّ الله ظهر للخلق كخلقه ودعاهم بنفسه وأثبت عليهم الحجّة في ذاته وهو غير محتاج إليهم ولا مضطر إلى غيرهم وهو العليُّ الأعلى الذي تعالى ولا منتهى له إلاّ هو وكذلك نالوا العلوّ والسفلى، ولا معنى للعلوّ والسفل إلاّ في الباطن. قال محمّد بن سنان: سألتُ مولاي الباقر منه السّلام، عن بيان هذه الحجب السّبعة الظلميّة ما هي؟ ومن أيّ شيء هي؟ ومن نزل في اللاّهوتيّة انتحل بالكلام أم انتحل في الواحد؟ قال: الحجب الظلميّة هي أشخاص البشريّة جعِلَت من ظلمة النّور لا من ظلمة الظّلام وظلمة الظلام النّور هي معصية المؤمنين الذين هم أولياؤه وظلمة الظلام هي معصية أولاد الأبالسة، والظلام هو دلام قريش لعنه الله. وإنَّ العين وحجابه الميم خلقه في البشريّة وحجب الظلمة وبها يحتجب إذا نقل أولياءه إلى النّورانيّة وحجبَ أعداءه، فهم الذين عن ربّهم محجوبون. قال الحكيم: سمعت العالم يقول: هذه الحجب هي حجبٌ بشريّة تحلُّ فيها الرّوح اللاّهوتيّة فتأمر وتنهى وتظهر الموت والقتل والمرض والعجز وكل ما عجز مخلوقٌ، وذلك واقع على حجابه النّورانيّ الذي هو النّفس. فيه الاسم. النّفس حالةٌ في البشريّة ألا ترى قوله في مقام الباقر منه السّلام لوليّه ولبابه: يا جابر لا تصلح الرّوح الأزلي

العلويّ إلاّ أن تكون غلافاً في جوف غلاف، غلاف علوي وغلاف سفلي وهو حجاب الظلمة وهو دون العلوي وهو النّفس ولو ظهرت الرّوح بغيرها بالنّورانيّة لأطفئ كلّ شيء غيره. قال: هذه الحجب الاثنا عشر وغيرها من الحجب قد نزل فيها الجليل وشاهد الحجب بنزول الذي فيها. وعن محمّد بن سنان عن داؤود بن كثير الرّقي قال: كنتُ مقيماً بمكّة فأخذ بيدي مولاي الباقر منه السّلام العشاء ودخل الطّواف فطاف بي تسعة أشواط وصلّى ركعتين بين كلّ شوط ثمّ سجد سجدة الشّكر فسجدت معه فطاول عليّ فرفعتُ رأسي وهو على حاله فسجدتُ مراراً وطفتُ وصلّيتُ وهو ساجد ثمّ قعدتُ مليّاً فبدت لي حاجةٌ فعلمتُ غلامه وأتيتُ منزلي فقضيتُ حاجتي وذهبتُ وهو ساجد على حاله، فطفتُ سبعاً وصلّيت ركعتين، وجلستُ أنتظر فلمّا بدا أوّل الفجر رفع رأسه ودعا بدعوات وابتهل ثمَّ قام وأخذ بيدي وانصرف إلى منزله. فقلتُ: سيّدي منَّ على عبدك، فقال: دعني فإنّي كالٌّ. فقلتُ سيّدي إنّك لا تكلُّ ولا تعي، قال: كيف، وقد أخذتُ علامتك. قلتُ: سيّدي ليزداد الذين آمنوا إيماناً، فمنَّ عليَّ في هذه اللّيلة. قال: يا داؤود اسمع وعِ إنَّ آدم حجابي واسمي واسم خلقي فهو الدّائم فيهم غير الظّاهر موجود وهو نوح أوحى بأمري إلى أوليائي بالإكرام ودعاهم إلى الإقرار بوحدانيّتي فسارع إلى

أوليائي بالإكرام وعرَّفْتُه المكرمون وهو إدريس غلاف ملكوتي فأقام أفلاكها بأمري ونوّر نجومها وأضاء شمسها وقمرها وعرف بأمري سعدَ الخلائق سعيدها ونحسها فالسّعد أوليائي وهو إبراهيم به بوأتُ خلقي فاخترتُ أوليائي فصفّيتهم من الشّبهات الأبالسة وهو الملقى في النّار والنّار خلقه من خلقي مشقّته من نوري وقدسي ونوّرتُ قلوب أوليائي بمعرفتي وهو حجابي داؤود ليَّنْتُ له الحديد وسبّحت له الملائكة بأمري وهو سليمان الذي أعطيتُه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده. وأنا يوسف صاحب الجبّ والبحر المتوسّع في علمي مَنْ شرِب منه كان حيّاً لا يموت وحجابي موسى المتوسّم واسم أوليائي بالمعرفة والرجوع إلى الصّفا، وأنا شمعون الصّفا وهو عيسى المسيح مَسَح أرضي وسمائي وخلْقي وهم في قبضته. بأمري بدوهم وإليّ معادهم. وأنا على علوة على خلقي، دبَّرتهم بأمري ولطفي ورحمتي، وحجابي محمّد المحمود. قام أوليائي بأمري من نوري وهو فاطر وفطر أوليائي إلى معرفتي، وحجابي الحسن له الأسماء الحسنى. وأنا الرفيع الأعلى رفعتُ أوليائي إلى المنزلة العليا وأنا علي الذي ظهرتُ لأوليائي وعبادي الحسن والحسين، اسمي الظّاهر المعبود وأنا الظّاهر بالوصيّة والإمامة، وحجابي الميم الظّاهر بالنبوّة والرسالة أنكروا عبادي حجابي

كذلك الله ووليّه لا متّصل به ولا منفصل عنه ولا معاين ولا مباين وقال الله في كتابه العزيز: أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض. وجميع المؤمنين بدوهم من أصلٍ واحد وإليه يعودون، والشدَّة عليهم في دار المحنة وهي الدنيا، ويرجعون إلى دار الصّفا فله يصدّقون وبه يهتدون وإلى الله يرجعون وعلى طاعته يبحثون ومعرفة الفرض عليهم إلى معرفة القائم، والأشخاص والأحد والواحد والأسماء المختلفة والأشخاص المنفردة والمعنى واحد وعروة الوثقى الله الذي لا انفصام لها والله سميعٌ عليم والطّاعة لأوليائه والتّسليم له بما يراد إليه من العلم الظّاهر والباطن المنوّر والنّور في قلوب أوليائه بأمرِ العليّ الكبير المنير. والثّالثُ القائم بحقّ أخيه بجميع ما يهوى إليه بالنّفس والمال فإذا عرف المنازل وقام بها على حقيقتها فقد تخلّص ونجا ثمَّ رجعنا إلى الحديث الأوّل. قال محمّد بن سنان: هيكل الميم مخلوقٌ من نور، وهو خارج داخل على روح القدس المحتجب بروح الإيمان. والظلمة محتجبةٌ بروح القدس الأوّل والغيب محتجب بالظلمة وكذلك الميم محتجب بروح الحياة وفيه روح النّبوّة وأعلى روح الإيمان محتجبٌ بسلسل الذي هو الباب ويظهر بجميع الأبواب كما أنّه نحل روح اللاّهوت في الميم الذي هو الحجاب في هيكله ثمَّ ينتقل ويظهر في الأئمّة ويظهر العين بمثل

صورة الميم من غير زوال كذلك روح شنبويه تحتجب بكلٍّ من الإمامة ظاهراً فإذا غاب هيكله ودخل في هيكل المسوخيّة تنتقل روح الشنبويّة وتصير في الذي ادّعى الإمامة ظاهراً، فإذا ذبح إبليس الأبالسة بين الركن والمقام اضمحلَّ ذلك. ورويَ عن ابن سنان، قال: سألتُ العالم منه السّلام: أنَّ الله خلق الخلق على طبقات وجعل أنواره ظاهرة وباطنة وجعل النّاس فيها على درجاتهم فمنهم من يحتمل الباطن وما بطن والباطن باطن معرفتهم فمن ذلك يحمل كلاًّ على قدر معرفتهم ودرجاتهم إنْ صفّاه الله وخلَّصه. ومن لم يحمل هذه كان دونه في المراتب. فهذا بيان ما تكلّم في عقوباتهم. فمن آمنَ بالعين الأزل القديم وقرَّ بالحجاب الميم وقفَ على تفسير ما فَسَّره في كتاب الأنوار والحجب. قال داؤود بن كثير الرّقّي: أتيت وسدير الصّيرفي إلى سيّدي ومولاي جعفر جلَّ وعلا ونحن نتوقّع خروجه ونحن في الحديث إذ خرج علينا مولانا موسى منه السّلام على حمار أقمر فغاب عنّا هنيهة ثمَّ أقبل. فقلتُ له: من أين أقبلتَ يا ابن بنت رسول الله؟ قال: وجّهني - يعني أبو جعفر- في حاجةٍ إلى عين الشّمس فقضيتها. ثمَّ استأذنّا على سيّدنا جعفر فأذِنَ لنا فقلنا: يا بن بنت رسول الله، أين وجّهتَ ابنك موسى؟ فقال: وجّهته في حاجةٍ إلى عين الشّمس فقضاها في هذه السّاعة. وقال: إي والذي

نفس محمّد بيده أنّه يأمر من مضى من آبائه وإنَّ له غيبةٌ كغيبة المسيح ثمَّ يظهر ويظهر الحقّ على يديه. وروي عن داؤود بن كثير الرّقيّ قال: دخلتُ وسماعة بن مهران على سيّدنا جعفر منه السّلام وبين يديه رجلٌ من خراسان وقد حمل إليه مالاً، فقال له: ياخرسانيّ تبخلون بأنفسكم وتجودون علينا بأموالكم كأنّنا محتاجين إليهما، إنّما يريد أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويدفع عنكم حرَّ الحديد وبرده ويكتبكم من أوليائه مع صفوة المختارين من خلقه. ياخرساني تريد أن أريك مالاً لا يعلم كنهه إلاَّ الله وخلقٌ لا يعلم عددهم إلاّ هو. قال: سيّدي أين هو ذلك المال وهؤلاء الخلق؟ قال: فجذب رجله وبسطها فإذا بجابلقا وجابرصا. فقال: تعرف هؤلاء النّاس؟ فقلتُ: يا سيّدي، ولكم خلقٌ يعرفونكن بغير ما نعرفكم به نحن؟ فقال: يادؤود، إنَّ وراء قبّتِكم هذه سبعين ألف قبّة مثل قبّتكم هذه. يادؤود اعلم أنَّ الله يشاهدها ولا يخلو منهم. ثمَّ يكشف لي وإذا القباب كلُّها بين يديه. قال: ترى يادؤود عجب من ذلك؟ فقلت: سيّدي لا أعجب إلاَّ من أمرك. قال: يادؤود، إنْ صفا رجلٌ من المؤمنين دخل في المحنة ووقع في بلاء النّقلات من هذه الدّار إلى دارٍ غيرها فيكون في روحٍ وريحانٍ وجنَّة نعيم. يادؤود، هذه دارٌ سفلانيّة وتلك دار الموحّدين العارفين. يادؤود هذه دار عقاب وتلك دار الثّواب. كم بين قومٍ

يرجعون إلى ثواب الله ويخشون عقابه. وقوم نسوا الثّواب ولم يخشوا العقاب كأنّهم إلى الأبد فيها لا يخرجون منها ليلقوا الله، يادؤود كم كرّةٍ لهم فيكرّون وكم رجعةٍ لهم فيردُّون وكم قلبةٍ لهم في الجحيم فيستغيثون فلا يُغاثون ويستجيرون فلا يُجارون. ويمرُّ على ابنه والابن على أبيه ويريه والسّتْرُ مسبلٌ عليه. فقلتُ: منْ أيّ جهةٍ يدخل في جلد ويخرج من جلد من كثرة ما يمرُّ عليه من السّنين والدّهور غير أنّه يمرُّ عليه وحنَّ كلُ واحد منهم على صاحبه وجاره ورحمَه وتعطّف عليه جهدَه ولا تعلم يادؤود أنَّ باب المجازات لا يتهيّأ لأحدٍ يحسنُ إلى أحد ويأسى إليه. قال: أن يفعل كما فعل بهم. قلتُ: سيّدي من أيّ جهةٍ؟ قال: من الابتداء من الوقت في الأفعال، وبعد الابتداء في الأوّل كل إنسان يفعل به من الإحسان والأمانة كما فعل به وزناً بوزن، لا يزداد فيه ولا ينقص منه. قال داؤود: قلتُ: سيّدي، المؤمنون لا يخرجون من المحنة حتّى يرون ما عليهم ثمَّ يخرجون إلى دارهم التي وصفتُ لك وهي الجنّة. كما قال الله: إنَّ للمتّقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأساً دهاقا. . على قوله: لا يسمعون فيها لغواً ولا كذّابا. قال داؤد: هم أفضل منّا ؟ قال: في أعلا درجةٍ في عليين وهم يرونكم في نعيمٍ وسرور فرحين بما آتاهم الله من فضله. يا داؤود: إنَّ الله استخلصكم واصطفاكم. ثمَّ قال:

اصطفاه الله مع خلقه أصحاب الدرجات العالية. وإنّما مثل هذه الجنّة والدرجات كأصحاب المراتب كلّ واحدٍ قد رتّب له مرتبةً ولا يجوز مرتبتَه. وإخوانهم، كما قال الله: إخواناً على سررٍ متقابلين. كلٌّ واحد أعلا درجةً من صاحبه على مقداره في إحسانه إلى أخيه وذلك قوله: هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان. يا داؤود، فقلت: يا سيّدي ما محلُّ أهل الجنّة؟ قال:اعبدوا الله واخدموه وأقرّوا ووحّدوا حتّى تكملوا وتصفوا واستحقّوا الجنّة عندها يا داؤود. . . فقلت: أخبرني، ما العمل؟ قال: أوّلاً قول الحقّ وثانيه كتمانه، فإنّه جلَّ ما استعمل. ثالثه: المواساة. ورابعه: التعظيم على الصّفا. وخامسه: الحبُّ في الله. وسادسه: ترك الحسد، فإنّ فيه النّجاة والصّفا وتمام الكمال النوراني. يا داؤود، لو عمل الرجل بعمل أهل الجنّة حتّى يكون بينه ونين أهل الجنّة عقد وثيق، ثمَّ كان في قلبه حسدٌ لأخيه لقي على درجته. قوله تعالى: ليحي من حيّ على بيّنة. وقال تعالى: وما كان لرسولٍ أن يأتي بآية إلاّ بإذن الله لكلِّ أجلٍ كتاب يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أمُّ الكتاب. قال داؤود: فرغرغتْ عينيّ في الدموع. قال: ما عليك يادؤود، إنَّ الله عاهد الخلق بذلك فتوانوا وتوكّلوا على القليل من هذا الأمر الكثير. وقال: ذلك الأصل فاغنى به عن الفرع. يا داؤود قل للممتحنين ما سمعته وقل لهم: إيّاكم التّقصير فيما

وجب عليكم به وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة واتّقوا الله لعلّكم تفلحون. وروي عن يونس بن ظبيان، ما كان محلّه. فقال: يا يونس، إنَّ الله الأزل تعالى له تدبير في خلقه يظهر شخصاً وينظر شخصاً في البابيّة لعلم الخلق تمكّنوا في القدر أنَّ الله مولاكم تعالى عمَّا يقول الظَّالمون علوّاً كبيراً. اعلم من النَّاس ما دبّرهم به فيما أنفد حكمته فيهم بإقامة الدلائل والمعجزات لهم. فقلتُ: لِمَن قام الدّلائل؟ فقال: أمَّا الدّلائل فقد أقام في الحجاب بتأييد الله لهم في الأبواب يغيّبُه الله عليهم. فلمَّا أن جاء بشيء عجز النّاس عنه علماً أنَّ هناك فضل كثيرٌ، فأهل الفضل تدبّروا فعرفوهم وأهل الجهل لم يكن لهم تدبير ولا فيهم شيء من العقل يتفضّلون به إلى الباب الدقيق الخفيّ عن النّاس ملكه وهو باب التّوحيد. قلتُ سيّدي: ما معنى الأبواب كلّها واحد؟ قال: نعم، كلُّها بمعنى واحد ولو أنّها مئة ألف باب كان سلسل، أو مئة ألف حجاب كان الميم، أو مئة ألف معنى كان أمير النّحل إليه التّسليم. فهذه معرفة التّوحيد لمن وحّد إله الآلهة لا يمتزجون، بل هم قيام بالأنوار إذا وقع عليهم اللَّبس خرجوا من ذلك الحدّ الأوّل. وإنّما وقع بهم ذلك بعدهم الأنوار وذلك أنَّ النّور قائمٌ بذلك الظلمة التي ذكر وهي جهة فإمّا فيهم، فإذا استغنوا عن التّجسيم صاروا نوراً واحداً. قال يونس بن ظبيان، قلتُ سيّدي: فإنَّ العجز في

الخلق، قال: سبحان الله، لا يجوز أن يكون إلاَّ فيهم، نعم وفي غيرهم من النورانيّة عجز. قلتُ: على أيّ جهةٍ؟ قال: عجزٌ عمّا جاء به المعنى فهناك تثبتُ المعنويّة وبطلت الدّعوة إلى عجز الباري فإنَّ العجز من القادر قدرة. فافهم يا أخي أرشدك الله لطاعته. وفي وجهٍ آخر، لم يعطِ علمه كلّه إلاّ وكان عنده كلّ العلم فوق العجز بالمؤمنين من هذه الجهة لتصريفهم عن قدرة المعنى والاسم عزَّ وجلّ وقد ذكر في كتابه الكريم: إنَّ الله هو الغنيُّ وأنتم الفقراء. وهم العالم الباري ولكنّ الله متمُّ نوره ولو كره المشركون. يا يونس، تفكَّر فيمن هو دونك فإنَّ الله قد أمرك بذلك وسمع لمن هو بطاعته وأمره بطاعة منْ هو فوقه وأعلا درجته كلّ عبيد الله. يا أخي، إنَّ الله اصطفاكم على سائر الخلق وسائر العالمين، فقلتُ: الحمد لله. قال الحسن بن محمود الورَّاد: سألتُ مولاي عن النّساء في الباطن؟ فقال: هم الأبواب لأنّهم محتاجون مضطرّون إلى باريهم ليقع الكمال، فلا شيء واقع في الأبواب لحاجتهم إلى المعنى وذلك قوله تعالى: إنَّ الله هو الغنيّ وأنتم الفقراء. واعلم يا أخي، أنَّ الله اصطفاكم للدّين وجعلكم أولياءه وأركان دينه، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ ليحكم بين الخلق ولكم أن تحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الفائزون. قال الحكيم: يومئذٍ يحكم الله بينهم فقد نسبَ إلى نفسه ثمَّ استخلصكم به لمّا عرف

منكم. وقد قال مولاكم: ما كان الله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كلّ شيءٍ قدير. وإنَّ ما أراد الله بذلك ليعلم بما فضل به الولي واستخصَّه. وقد جاء الخبر عن رشيد الهجري وهو جالس مختبئ ببردته مؤتزر بآخر فسلّم عليه فقال له أمير المؤمنين: يا رشيد ما تريد؟ قال رشيد: أريد معرفة الدّرجات. قال: يا رشيد الدرجات سبعة والمراقي سبعة مثلهم فسبعةٌ علويّة وسبعة في السفليّة. فقلتُ: يا مولاي، ما تأويل ذلك؟ فقال: السّبعة هم الأشخاص الذين معناهم معنى موردهم واحد على كلِّ حال. والسّبعة السّفليّة هم الأبواب أبواب جهنّم الذي قال: لكلِّ بابٍ جزءٌ مقسوم. فقال: نعم. فقلتُ: جهنّم، قال وقوله تعالى: هذه جهنّم التي كنتم بها توعدون. وهي قيام القائم، ما توعدون الكشف عنه. وفي خبرٍ آخر عن أبي خالد عبد الله بن غالب الكابلي منه السّلام، أنّه دخل على مولانا منه الرّحمة قال: السّلام عليكم، ثمّ قال: يا مولانا، أين تكون أرواح المؤمنين إذا خرجت من هياكلها؟ قال في عليّين. وذلك قوله عزَّ وجلّ: إنَّ الأبرار لفي عليّين. قال فتنفّس النّفس، قلتُ: سيّدي، لهم منزلة أعلا من هذه المنزلة؟ قال: نعم، ألم أنبّئكم عنها؟ فقلت: بلى، فقال: وما أدراك ما عليّين كتاب مرقوم يشهده المقرّبون. ثمَّ سترَ وقال: فلذلك فليتنافس المتنافسون . . . ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها

المقرّبـون. قلـتُ : سـيّدي، مـا معنـى العـين؟ ومـا المقرّبون؟ قال: سلسل وأولياؤه المقرّبون. يقول الله: يُسْقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عيناً تُسمّى فيها سلسبيلا. والكأس والشرب علم آل محمّد يُشرب من يد سلسل ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضّة. قال: نعم حكـى العزيـز وروي عنـه، أنّـه ظهـور البهمنيّـة كالمحمّديّة. ثمَّ قال: وإنْ منكم إلاَّ واردُها كان على ربّـك حتمـاً مقضـيّا ثـمَّ ننجـي الـذين اتّقـوا ونَـذرُ الظّالمين فيها جثيّا. قال: ما معنى ذلك؟ قال: يوم الكشف في الباطن وهو ظهور القائم، وما أحد إلاَّ وهو يريد ذلك اليوم فمن عرفه نجا ومن لا يعرفه ردّهُ في العذاب يوم الحسرة والنّدامة. قال: يا أبا عبد الله الكلبي فقلتُ: مولاي أخبرني أين نكونُ نحن؟ قال: أنتم وأمثالكم بين يدي الله عزَّ وجلّ معه حيث كان. قلتُ: مولاي، يجوز أن يخلو منه في زمانٍ منَ الأزمنة. قال: كان ولا شيء معه. قال: ولا خلق ثمّ يكـون ولا بشـر. فقلـتُ: سـيّدي وحـده. فقـال: إنَّ الوحدانيّة أنتسبت إلى ذاته ثمَّ ارتفعت المحنة عن الخلق ورجعتم إلى أحوالكم الأولى. قال ميثم التمَّار: دخلتُ على سيّدي العالم علينا سلامه وسألته عن أصول التّوحيد الذي نعرفه. قال: ياميثم، إنَّ التّوحيد الذي عرفتموه من دون الخلق هو أصل التّوحيد المحض لأنّكم وحَّدتم المعنى والخلق طلبوا الاسم دون حقيقة المعنى. والاسم عبارة على اللّسان وجود

المعنى محقّق محض التّوحيد. لو سأل رجلٌ الخلق، فقال لهم: عرفتموه، سيقولون: لا، فيقال لهم: رأيتموه؟ فيقولون: لا. فيقال لهم: كيف لا يُرى وقد وقعت المعاينة، والخلق من جهة الوجود، والتّكذيب لأنَّ الله هو الموجود بين خلقه عزَّ وجلَّ عن المثال والحدود والكليّة لأنّه نفا عن نفسه النّعوت فليس بمنعوت ولا موصوف ولا بمحدود بالكلّيّة لأنَّ الكليّة محدودة، وإنّما مثله كمثل رجلٍ يقف على بحرٍ فيقال له: رأيت البحر ولا يتهيّأ له أنْ يحدَّ البحر. وله مثلٌ آخر، لله الأشياء العليا أن يمثّل كالأشياء، وشبحٌ كالأشباح المتجسّمة وشخص كالأشخاص المتشخّصة بل هو رجلٌ جلّ عن ذلك. فقلتُ: سيّدي، ما رأينا من قدرة الباري؟ فقال: نعم، كلّما رأيت من قدرةٍ فمنه لأنَّ القادر له أن يقيم العجز وليس بعاجز، ويظهر الفقر وليس بفقير، ولكلّ عجزٍ عجز ما رأيت من دون ذلك، وهو من القادر قدرة والقادر يظهر العجز والعاجز لا يتهيّأ له أن يظهر الغنى. وكذلك وجدنا الموحّد الذي رأيناه من الخلق باطنٌ في التّجسيم تدّعيه العامّة نستغفر الله كان قدره بين الخلق ليثبت بذلك الحجّة عليهم، وإنّما ظاهر الله بين خلقه محنة امتحنهم بها ولم يزد في المحنة ما هو أجلّ. يا أخي، افهم فهَّمَك الله وسهَّل لك الإرشاد إلى طاعته وإلى معرفة العلوم والخيرات. واعلم أنَّ الله ظاهرٌ بين خلقه كخلقه

وعـرّف النّـاس وحدانيّتــه بنفســه وقـد بسّـطَ الله لكـم معرفتـه ومعرفـة التّوحيـد وعـرفكم نفسـه. والتأويـل والتّنزيل لئلاَّ يكون لأحدٍ علـى الله حجّـة وقد كشف التّفـاخر ورفـع الحسـد والتّسـليم وبـرّ الإخـوان لهـم والمواساة لهم وقول القـال والقيـل والأوراد والتّحبّب فـــي الله واقتبـــاس العلـــم والمســـارعة فـــي أبـــواب الخيـرات وهـو العلـيّ الكبيـر وفـي درجـات التّوحيـد فهو في أعلاهـا. إنَّ الله لا يطالـب أحد من النّـاس إلاّ مـنْ كـان مـن أهـل التّوحيـد فـإن أعطـاه اسـتحقاقه وأصحاب المراتب إنّما رتّبوا استحقاقاً لهم.

باب آخر، إنَّ الله عزّ وجلّ خلـق العـالم وخلـق لـهم شــبههم لســرعة إجــابتهم لقولــه تعــالى: السّــابقون السّابقون أولئك المقرّبون. وقد روي عن أبـي جعفـر منه السّلام أنّه قـال: مـا يكـون حبٌّ إلاَّ من عدلـه فـي البشــريّة ، وقـد أمّـن المـؤمنين وأعطـاهم حقّهـم لـم يــبخسِ المــؤمنين لقــول الله تعــالى: أقيمــوا الــوزن بالقسط ولا تبخسوا الميزان. وقد قـال الله تعـالى: فـلا أسألك أجراً إلاَّ المودّة في القربى. فذلك مثلُـه وشـبهُهُ مـواعظ للمـؤمنين ليعرفـوا أوائـل التّوحيـد واعلـم أنَّ هذا الأمر الذي نحـن فيـه ليس بصـغير وهو أمـرٌ قد صعب علـى الخلق مدخلُه والله وليُّكم. وقد قـال البـاقر منـه السّـلام: مـا مـن امـرئٍ كـان لـه معرفـةٌ كاملـةٌ إلاَّ وكـان لـه أن يرفـقَ بمـن هـو دونـه وقـد تعلمـون أنَّ العالم رفق بكم في وقـت التقيّـة منكم، وكـذلك أمـركم

أن ترفقوا بضعفائكم المؤمنين وقد قال زين العابدين إليه التّسليم: إنَّ الله أمركم أنْ تردُّوا الأمانة إلى أهلِها. فلا تبخسوا أخاكم المؤمن من العلم. وقد قال علينا سلامه: إلى سبيل المعرفة ذلك واحتجَّ بالرسالة والإمامة من الوصيّة وهو حجاب على المعنى الباطن. وكذا قال الله: باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب. فمن عرف ظاهر الإمامة ولم يطلب به باطن الربوبيّة فقد خرج من الله لقوله: هو الظّاهر والباطن. وقد علمتم أيّها المؤمنون، أنَّ الأشخاص الذين نراها في الهياكل لم تكن في الأشخاص في التّجسيم. فمن جاء بالحسنة فله عشرةُ أمثالها ومن جاء بالسّيئة فلا يجزى إلاّ مثلها. وقال سبحانه: إنَّ الحسنات يذهبن السّيئات. وقال عزَّ من قائل: والله مهّد لكم الأرض وجعلكم من أهلها وجعلها لكم فراشاً. وأمركم أولياء الله فيها ونهاكم وجعلكم أهل الخير فامتثلوا قوله وانتصروا به وعرّفوا ما عرفتم من توحيده وأطيعوا الله ولا تتكبّروا على إخوانكم وإيّاكم التّكبُّر فإنّه لباس الشّيطان واعلم أنَّ الله لم يفوته علم أحدٍ منكم، والله مولاكم عدل في الخلق وأحسنوا إنّما يطلب الله منكم الإحسان واعلموا أنَّ أنفسكم مرهونة في ثواب الله فمن فكَّ نفسه فاز ومن بقي فهو مرهون بعلمه وهو التّرداد. وذلك قوله تعالى: اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. وإنّما جعل الله الدّار دار ثواب

وعقاب وطالبكم بثوابه وحذّركم من عقابه، ووصفَ نفسه بالعدل حيث خلقه إليه فمن خرج من ذلك العهد الذي عهد إليه فهو من أصحاب الجنّة. واعلموا أنّ الله عزَّ وجلَّ أخفى هذه حتّى كاد أن لا يُعبد إلاَّ سرّاً، وقد تعلمون أنَّ الله نفى عن الخلق وأظهر المجازات بنفسه وبأوليائه ثمّ دعاكم إلى الصّبر على المحنة وكان كمن صبر على المحنة والبلاء وابتلائه. وقد روي عن العالم منه السّلام، أنّه قال: ما من مبتلٍ ببلاء فشكا بلاءه إلى عدوّه إلاَّ ابتلاه الله بما هو أشدّ منه. وقد روي عن محمّد بن يحي الأرمني، قال: سألتُ عن خلق الإنسان. فقال: على طبائع وأركان أربع، وجعل فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر عرقاً ومثلُها من الأعضاء والمفاصيل وجمعها ووصلها وأقامها لحميّة دمويّة جوهريّة. ثمَّ جرى فيها المخّ، فأمر المخ فجمد، ثمَّ جرى فيه دماً دقيقاً وفصل بين المخّ والمفاصل وألزمها قصبات ملتفّات ثمّ نبتَ اللحم نباتاً، ثمَّ جعل أشرفه وزينته بالجلد، ثمَّ قام فيه حدوداً أربع وآلات خمس، وجعل ظاهره وركّب الحسن والجمال والاختلاف في الأجسام والقوالب، وجعل الشّهوة في القلب والنّظر في العين والسّمع في الأذنين والشّمَّ في الأنف والذّوق في الفمّ والحركة في اليدين، ثمّ جعل قوتهم غذاءهم وجعل صورهم منهم صوراً شتّى، وجعل منها الزوجين الذّكر والأنثى، وألقى بينهم السّرور

والفرح ورفع عنهم الحزن والتّعب وسمّاهم بأسماء شتّى منهم المؤمنون ومنهم الأولياء ومنهم الصدّيقين ومنهم الأنبياء ومنهم المطهّرين ثمَّ خلقهم للمحنة والتّأديب والتّعليم إلى أن يوفوا في أديانهم، وعلوا في مراتبهم، وترتّبوا في منازلهم وخرج من شكل الإنسانيّة إلى الجوهريّة الرّوحانيّة، فبقت الأجساد مغيَّبَة في الثّرى فوضع الطيبة من روائح المؤمنين وصارت الأرواح إلى الهيولى العلويّة التي سندت بروح اليقين بصفاء معرفة ربّ العالمين تتغذّى بغذاء الصّفاء في روح البهاء في أقصى المنتهى وجوار العليّ الأعلى، فطوبى لمن قنا ما عرفه. ظلّ معنويّة في العباد خارجاً عن الضّلالة تاركاً للجهالة، محبٌّاً لنفسه عارفاً لربّه بازلاً محبّته معكم على عبادته للأحد القديم من روح اليقين فطوبى له وحسن مآب. إنَّ الله تبارك وتعالى اصطفاه وصفّاه وناجاه وعلاّه في الدرجات، وبلغ به الخيرات فهو أعلا المؤمنين وأقربهم إلى الله درجةً. لقد امتُحِنَ فصبر، وكان عند الله محبّاً. يا أيّها الخلق اعلموا أنّما جعلتكم للعمل والانتقال من دار المحنة إلى دار الأبد لأنَّ هذه القبّة هي قبّة المحنة، وإنَّ وراء قبّتكم هذه سبعين ألف قبّة مثل قبّتكم. فإذا نقل أحدكم من دار المحنة إلى دار الثّواب دارٍ سكن فيها الأبرار، ويغوص فيها الأخيار كلّهم إلى التّسبيح والتّهليل والتّمجيد. لباسهم النّورانيّة في

أسماء الرّوحانيّة ومنقلبهم إلى خير منقلب، ألا وقد انحصت المجازاة. فطوبى يا أيُّها النّاس اتّقوا ربّكم فإنَّه قريب الرّحمة والرأفة للذي يرجوه والظهور للذي يؤمِّلُه، والحجّة لمن يدعوه، والويل لِمَن إذا ظهر الحقّ كان في ريبٍ وكدر ولم يخالط معرفة الكروبيين، ولم يعرف منازل الصّافّين، ولم يرجع إلى معرفة المتّقين والدّأب بحمد ربّه ولم يرجع إليه، بل هو في شكٍّ من ربّه. فنقول اليوم وقد انتقل من دار إلى دار، والاسم معبود ولم يصدّق ولا انتهى، بل كذّب على الحقّ وتولّى وذهب إلى أهله يتمطّى أولى لك فأولى. كما قال: أيحسب الإنسان أن يُترَك سدى. قال العالم: لِما سدى في وجود الربّ والمعنى فقال: أتقرأ: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين إلى قوله: وما أُمروا إلاَّ ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حقّاً وأقيموا الصّلاة وآتوا الزكاة وذلك الدين القيّم. وقد علموا أنّه دعاهم إلى مشاهدة العيان ولم يدعوهم إلى غير الله. قال: الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النّور. والظلمات هي المسوخيّة. والنّور هو معرفة التّوحيد، أسمع هديه إن شاء الله، جعل الأشياء كلّها للمؤمنين وحلّل حلالها وحرّم حرامها الأغذية، وجعل العقاب معه الحرام للمؤمنين وجعلهم أثوابها. وقد روي عن الإصبغ بن نباته عن مولانا أمير المؤمنين منه السّلام ليدخلوا المسجد الحرام إن شاء الله آمنين

محلّقين رؤوسهم ومقصّرين. قيام القائم إليه التّسليم. وقد روي عن جابر لمَّا سأل عن التّين والزّيتون قال: فطرق رأسه إلى الأرض مليّاً ثمّ رفعها، وقال: بسم الله الرحمن الرّحيم أنبئك عن ذلك: أنّه خاطب الخلق بالتّين المأكول والزّيتون المعصور. بل ذلك الحسن والحسين. وطور سينين: فاطمة المقدّسة التي ما كان فيها كدر. وهذا البلد الأمين، عنوا به مكّة وهم يعلمون أنّه يُشربُ فيه الخمر ويلاط فيه ويُزنى، وتنقطع فيه السّبل. ليس هو ولكن الأمين: الإيمان حبُّ آل محمّد وعلمهم. وقد قال فيه: البلد الطيّب يخرج نباته طيّباً والذي خبث فلا يخرج إلاّ نكدا. فهو صهّاك ولد الشّيطان وهم عدّة الجبْتِ كسير وعوير والأزلام غبير. قال: سألتُ عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام فقال: هم رجسٌ من عمل الشّيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون. قال: الخمر كسير وعوير الأنصاب: بنو أميّة اجتنبوهم واجتنبوا النّفقة منهم. وفي وجهٍ آخر: كلُّ مسكرٍ حرام. قال: علومهم محرّمةٌ عليكم أن تأخذوا منهم شيئاً وأسماؤهم إن سمّوا بها عن قول الله: الشّيطان يعدكم الفقر. قال الله: ما الشّيطان في قدمٍ ولا في حدثٍ إلاَّ سكد لعنه الله. وسألته عن اللحوم المحرّمة فقال: ذكر كسير وعوير لعنهم الله فقلتُ: استحقّوه. قال: اقرّوا بمحمّد في يومٍ من الأيّام، فاستحقّوا الولاية بذلك اليوم. قال جابر: وسألتُ عن قول الله: ما

أكثرهم يؤمنون بالله، ألا وهم مشركون. قال: نعم، تيمٌ وآل عديّ وبنو أميّة والشّيصبان لم يؤمنوا إلاَّ قليلا. قلتُ سيّدي: فلو شاء الله ما خلق أحداً. فقال لي: اسكت يا جابر، فلولا أقوام مؤمنين في ظلِّ قومٍ كافرين لم يترك الله على وجه الأرض كافراً. فإذا خرجتِ الودائع هلك القوم مثل محمّد بن أبي بكر شهد أنّه لمّا خرج من صلب أبيه هلك، ولقد كان آفةً علينا وهو الشّيطان سكد لعنه الله. قال: وأتيتُ إلى مولانا الباقر منه السّلام فقلت: ما فعل الأوّل والثّاني لعنهما الله؟ فقال: ما كان من كفرٍ وشركٍ وإقامة وبلاءٍ وكذبٍ ونفاق ودعوة من جهة خيانة فهو من عندهم لأنَّ مزاجهم بالخلق حتّى إذا قام القائم المقرّ بين يديه ودعا إلى ما دعا إليه السيّد محمّد، ثمَّ ينطلق إلى المدينة فيهدم الحجر ويحفر فلا يجد السيّد محمّد بل يجد فيه الأوّل والثّاني فيخرجهما، ويأتي بهما إلى البقيع ويأتي بجذع النَّخل ويأمر بشقّه ويصلبهما عليه فيورق الجذع من تحتيهما، فتفتن النّاس في آخر أمرهما أشدّ ما فتنا في أوّلهم. ثمَّ ينادي القائم منه السّلام في أصحابه ويزجرهم زجرةً واحدة في الغصب ويكشف عن البهمنيّة، ويمحّص كلّ دين إلى دين المحمّديّة يعني به الدين العربي. وأمّا الشّريعة فلم تزل محمّديّة من قديم الزّمان إلى حدثه، ثمَّ يدعو النّاس كما قال الله تعالى: يوم يدع الدّاعي إلى شيءٍ نكرٍ. قال: نعم، يدعُ إلى

الأديـان الأربعـة ثـمَّ يظهـر الله تعـالى إكمـالاً للحـقّ بأشخاصـه وأشـباحه وحجبـه وأبوابـه ثـمّ يـدع النّـاس إلى معرفته ويعيدهم إلى أن يكشف عنهم المدر. ثـمَّ يقـول: هـذا الـذي كنـتم بـه توعـدون. قـال جـابر: ثـمّ رأيتُ مولانا على جملٍ أورق عليه بـرنس مـن شـعر ومدرعة من شعر وفـي وسطه كشتيز وزنَّـار عليـه عسلي وحمرة. فـإذا المجوس رأوا الكشتيز سجدوا لــه وعظّمـوه، وقـالوا: هـذا إلهنــا. وإذا رأت اليهـود العسـلي قـرّت لــه، وقـالوا هـذا موســى. وإذا رأتــه النّصارى بالزنّار في الهوى قالوا: هذا المسيح، وإذا رآه المسـلمون بـالبردة والقصـيب، قـالوا هـذا هـو القـائم. وينـادي: يـا أيّهـا النّـاس أجيبـوا داعـي الله إذا دعاكم. قال جابر: قلتُ سيّدي: وما الدّاعي؟ قال: هو الـدّاعي بنفسـه لنفسـه وهـو القـائم علـى كلّ نفس بمـا كسبت. قال جابر: فعندها يكشف الحقّ ويفتح أبـواب الباطن ومعرفة حقائق الإيمـان بـه علـى الله، ويستقرّ عندهم ظاهراً. وإنَّ المعنى هو الله لـيس كمثلـه شـيء وهــو السّـميع البصــير. قــال جــابر: وســألتُ عــن الأشخاص الخمس، فقال: هـي المعنـى واحد لا يقال لـه: فـي أحـد لِقسْمَةٍ إلاَّ مـن جهـة اللغـة، ومـن جهـة الحقيقـة، فمعنـاهم معنـىً واحـد ولـيس لله نـدٌّ ولا ضـدّ ولا صــاحبةً ولا ولــد، كــوَّن التّكــوين والتّــدبير ثــمَّ دعــاهم إلــى معرفتــه فيجيبـوا لــه ســامعين مطيعـين فيجعل الله لهم الـدرجات فـي التّقديم. وهنـاك يعـرف

الفاضل والمفضول، لأنَّ الدّرجات إنّما جعل أهلها على مقدار درجاتهم لتعلم يا جابر، أنَّ المراقي الذين يرقون فيها هي المراقي العلويّة التي مستقرّهم فيها وعليها، ولم يغيّروا ولم يبدّلوا، ولا تتغيّر قلوبهم ولا شكَّ ولا شركَ في الله ولا في أوليائه عندهم. عندها أخرجوا من دار المحنة إلى دار النّورانيّة واستحقّوا معرفة الله. يا جابر، أشخاص النّور أوّلهم اسم ذلك، والاسم على معنى، والمعنى عزَّ وجلّ يوجده. وكذلك قال فيه: المعرفة والبصير من أهل التّوحيد، أنَّ الله جلَّ ذكره خلق السّماوات السّبع والأرضين السّبع وما فيهنَّ وما تحتهنَّ وما فوقهنّ، ثمَّ دعاهم إلى معرفته. قلنا: تعرف ما عرفنا، ألا وقد علمنا، أنَّ المجازاة تلحق الكبير كما تلحق الصّغير. وذلك أنَّ للمؤمنين دار ثواب، وأهل العقاب ليسوا هم معاقبين بل هم ممتحنون قريبون إلى الفرح. والخلق المنكوس في العذاب، وفي حرّ الحديد وفي الترديد وذلك قوله تعالى: لا يخفَّف عنهم ولا هم يُنصرون. ممتحناً مِحَنَه ومجيب ممتحن معاقب وذلك فيه أشدُّ المحنة وفي غلٍّ وقيد وسوط وقتل وحرق. وذلك من أشدِّ المحن لأنَّ العقاب واقعٌ بالمخالفين، والمحنة إنَّ الله لا يقبل أهلها منها فجاهد يا أخي أن تعمل من أبواب الخير فتنجوا كلّما عملت حسنة فأنت كما قال الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها. وفي وقتٍ

وزمــانٍ وعصــرٍ وأوانٍ. إنَّ مقــام هــذه الأشــخاص تلبيس. فأمّا الله الحجاب الذّات كلّ وما غيب شخص قـام أيضـاً الميقـات والمعنـى أحـد أزل لا يتكيّـف ولا يتشـخَّص. قـال محمّـد بـن سـنان الزّاهـري: سـألت سيّدي محمّد علينا سلامه عن قولـه: وقد جاء أمرنـا وفـار التنّـور. وقـال: إذا قـام قائمنـا ونطـق بتوحيـد المعنـى ودعـا إليـه ثمّ يكشـف الغطـاء يومئذٍ وينطـق عن الصّفات صفات الذّات. فقال: إنَّ ما تقع الصّفات بـالنّفس التـي هـي حجـاب الـذّات وأمَّـا الـذّات لا يقـع عليهـا اسـم ولا صـفة. وأمَّـا صـفة القتـل فتقـع علـى روح القــدس وهـــي الــروح التـــي تقــع وتحــلُّ فـــي الأنبيـاء. وسـألتُه عن قولـه: أوفـوا المكيـال والميـزان بالقسـط ولا تبخسـوا النّــاس أشـياءهم ولا تعثـوا فــي الأرض مفسدين. يعنـي اتّقـوا الله فـي المـؤمنين خيرٌ لكم إن كنـتم مؤمنين بـه. يـا أخـي فـي الـدنيا والآخـرة مـن الآمنـين أمْـنٌ مـن المسـوخيّة إن كنـتم مـؤمنين بــالعين مريــدين بالفردانيّــة. وســألتُ عــن الشّــمس، فقال: هي حجاب الله الأكبر، وفيه يحتجب الاسم كلّ يـوم ثلاثمائـة حجـاب، وهـذه حجـبٌ كلّهـا مـن الأحـد والأحد لا نهاية لـه ولـم يـزل أحداً فـي الـذّات قبـل أن يخلق الخلق ويكوّن الكون بلا تكوين قال: فالحجـاب الواحد من الأحد السّبعة وثلاثين وهـي أيّـام الشّـهور والأبـــواب السّـــبع وهـــو ظـــاهر بالوصـــيّة وبطـــن بالربوبيّة في القبّة الهاشميّة العلويّة. قال المفضّل بـن

عمر: قال مولانا: لو عرفَ النَّاس مقدار التّوحيد والتّدقيق لغاصوا في البحار السّبع حتى يخرجوا. ثمَّ قال: أتدري، ما البحار السّبع؟ قال: لا، قال: هي علوم آل محمّد. تأويلها هي البحار السّبعة. ثمَّ أتدري من صاحب البحر السّابع؟ قلتُ: منْ هو؟ قال: سلمان. قلتُ: من هم غواصوا البحار؟ قال: هم داؤود ومعلاّ ورفاعة ويونس بن ظبيان وسماعة ورفاعة بن مهران ومحمّد بن سنان، وماهان الآيلي ومحمّد بن يحي الأرمني وحنان بن سدير وصفوان بن مهران هؤلاء غوّاصوا آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم. وعن جعفر بن محمّد وأصحابه الذين يعرفون أجلّ ما لهم فيه، قال: أتدري متى يلحق المؤمن الصّفاء؟ قلت: سيّدي متى؟ قال: إذا رأى الأبيض من غير بياض والأصفر من غير اصفرار والأحمر من غير احمرار، والأسود من غير اسوداد. عنها يكون المؤمن مؤمناً. قلتُ: من أيّ جهةٍ؟ قال: من جهة الكدر والشّكِّ في أولياء الله، فإذا ارتفع الشّكُّ ونزل الصّفا فصارت الأشياء كلّها بين يدي النّور، وذلك قول الله: هو الذي يخرجكم من الظلمات إلى النّور. يا مفضّل، هذه صفة العارفين. قال المفضّل: قلتُ سيّدي: أخبرني عن الرّوح التي تخرج من البدن؟ قال: أيّ روح؟ قلتُ: الرّوح المشابهة والمعاقبة. قال: نعم، إنّ الأرواح تسكن في البدن، والأرواح غير النّفس داخلة خارجة والرّوح

المتشابهة تصير إلى الملكوت وتستقرّ بها الرّوح النّورانيّة فيرى ليله نهاره ونهاره نهاره. قلتُ مولاي: من أيّ جهة؟ قال: من جهة الصّفا. ألا تعلم أنَّ النّور لا يمتزج بالظلمة ولا الظلمة بالنّور. أتدري ما معناهما؟ قلتُ مولاي: لا، قال: أجسامهم وأرواحهم في الحمد والمعرفة والقبول والنّهاية واحد وإنّما كان بينهما فرق قبل التّوحيد فلمّا وحّدوا صاروا واحداً محموداً. قلتُ: منَنْتَ عليّ يا مولاي وهديتني برحمتك إلى الصّراط المستقيم.

الحُجُب والأنوار

محمد بن سنان الزاهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتوحد في بريته القادر في مشيئته البالغ في إرادته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى مشاكي أنواره ومصابيح دينه ومن آل إليهم.
رواه الوليد بن عباس المقري قال: حدثني الحسن بن الطبري قال: حدثني محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عليه السلام قال: يا أخي إني سألت أبا الخطاب محمد بن أبي زينب الكاهلي عليه السلام عن الأصل والأصول فقال: يا أخي إني سألت سيدي ومولاي أبا عبد الله الصادق منه السلام عن ذلك فقال: يا ابن أبي زينب إذا قلت أصولاً جعلتهم شتى وما إلهكم إلا واحد. فقلت: يا سيدي عن الأصل هل اخترع الاسم ويُقال الحجاب اختراعاً؟ فقال نعم.
فقلت: سيدي أخبرني مما اخترعه؟ قال: اخترعه من نور ذاته ألا تعلم أن الذات لا يقع بها الوهم لا بزيادة ولا نقصان وما دونه يقع به الزيادة والنقصان.
فقلت: من أي جهة؟ قال: من جهة العبودية، إن مولاكم أقام الحجاب وقال في وجه آخر أثبت الحجاب من النور فجعله في الملكوت وعلم أنه منشيه ظهر العزيز جل ذكره عن الصفات والنعوت بذاته فلما رآه الحجاب عز جلاله سجد له فكان معرفة الحجاب له الإقرار له بالربوبية والإخلاص له بالوحدانية والخضوع له بالعبودية فخلق أربع أصول أولهم النار والنور والهواء والطين فمزجهم، قال له اخلق من هذه الأصول الأربعة ما تشاء فبدا الحجاب فخلق الإنسان ثم أمر الله أن يعرف ذلك، فقال إلهي كيف أعرفه، فقال يا عبدي هذا خلق الإنسان، قال إلهي فما مأكوله، فقال أما مأكوله بالنار، ونظره بالنور، ومشيه بالهواء، وبمُزاج الطين أصله، ثم أمره أن يخلق غذاء يتغذى به فخلق ما أراد – وفي وجه آخر – رُوي عن أبي الهيثم مالك بن التيهان أنه سُئل عن معرفة النداء الأول فقال نعم، إن الله

خلق الخلق كلهم سواء وكان أعلم بما خلق ثم دعاهم بعد خلقه إياهم إلى معرفته فأجابوا كلهم.
فقلت: سيدي كل الخلق أجابوا؟ قال: نعم أجابوا فلما تجلى لهم في الهياكل البشرية المحمودة فدعاهم إلى معرفته والإقرار بربوبيته قالت فرقة سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير وقالت باقي الفرق ما أنت الذي رأيناك ساطعاً وأنت جسماً بشرياً، فقال أبو الهيثم سألت عنه جملة من كبراء الناس مثل سلمان والمقداد وأبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وجابر بن عبد الله الأنصاري عن ظهور المعنى فقال جميعهم إن الصورة البشرية التي رأيناها كانت محنة لنا أراد الله أن يمتحن المؤمنين بذلك المقام الذي أقام فيه ودعانا إليه فأقررنا بلاهوتيته لما رأيناه بعظمة قدرته فعصمنا لِما علم من صبرنا على المحنة لِما فيهم ولِما فينا من العجز حتى بلغنا آخر الصفاء، قلت يا أبا الهيثم أكنتم أجساماً؟ قال: حاشا لله إن لله فينا إرادة يدبرنا بتدبيره ويظهرنا للخلق أشباحاً معه في الظهورات وإذا بطُن جعلنا أنواره، فقلت: سيدي أخبرني عن الخلق المنكوس؟ قال نعم إن الله لما أراد الابتداء في بسم الله الرحمن الرحيم
وقد سأل بعض الشيعة مولانا فقال له مولانا من أنت فقال أنا محمد الأول وأنا محمد الآخر وكل محمد فأنا هو أكفاكم جحدكم أما سمعتم قول مولاكم أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد ثم قال أنا علي العسكري وعلي وعلي وكل علي فأنا هو وقد رُوي عنه خبراً آخر في هذا المعنى وقد سأله بعض أصحابه فقال له مولانا من أنت فقال أنا محمد بن محمد حتى عد اثني عشر محمد ثم قال أنا علي بن علي حتى عد اثني عشر علياً ثم قال أنا من الحروف مبناها ومن الأسماء معناها وقال من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة ومن عرف مقام الذات عرف حقيقة اللاهوت ولله الحمد دائماً في إرادته ومشيئته قد بلى خلقه ودعاهم إلى ظاهر الأمر فمن أجاب هناك أجابه هنا فقلت أول من أجابه؟ قال الحجاب وهو محمد ثم الباب وهو سلسل ثم الأيتام وهم المقداد وأبو ذر وعبد الله وعثمان وقنبر بن كادان ثم النقباء ثم النجباء ثم المختصين ثم المخلصين ثم المؤمنين.
ثم قلت: سيدي، أخبرني عن الدرجات والمراتب؟ فقال: أول درجة ومرتبة مرتبة الحجاب وهو أقربهم إلى الله وسيلة ودرجة، ثم درجة الباب وهو سلسل لأنه سُلسل من درجة الحجاب وهو باب الحجاب ثم خلق اليتيم الأكبر

وهو المقداد وهو الذي قُدَّ من الباب ثم اليتيم الأصغر وهو أبو ذر وهو الذي ذراهم وبراهم ثم عبد الله بن رواحة مروّح قلوب العارفين ثم عثمان بن مظعون الذي أظعن الشكوك والشبهات ثم قنبر أقنى العارفين وبرهم بمعرفة مولاه، ثم خلق النقباء وهم اثنا عشر، وخلق النجباء وهم ثمانية وعشرون، ثم المختصين ثم المخلصين ثم الممتحنين.
قلت: سيدي، لأي وجه رتب المراتب والدرج؟ قال: ليكونوا أدلاء على التوحيد فأول من أجاب الحجاب ثم الباب ثم الأيتام ثم النقباء ثم النجباء ثم المختصين ثم المخلصين ثم الممتحنين.
قلت: سيدي، لم سُمي الحجاب حجاباً؟ قال: نعم، إن الله مولاكم لما تجلى من عظم شأنه ومن علو أمره ومكانه للخلق لما علم من ضعفهم فأظهر لهم الحجاب.
فقلت: سيدي، لم سُمي الباب باباً؟ قال: لأنه بوَّب الأبواب وسبب الأسباب من عند الحجاب.
فقلت: سيدي، لم سُميت الأيتام أيتاماً؟ قال: لأنهم ائتموا بما جاءهم من عند الباب.
فقلت: أخبرني ما معنى الحجاب في الباطن؟ قال: معناه هو العرش الذي عرَّش في قلبك علم الملكوت.
قلت: من حملة العرش؟ قال: الخمسة الأيتام وثلاثة أخوة أمير المؤمنين في الظاهر.
قلت: سيدي، لم سُميت الملائكة ملائكة؟ قال: نعم، لأنهم أتموا على علم الملكوت فملكوا فسُموا ملائكة.
قلت: فلم سُمي النبي نبياً؟ قال: بما أنبأ من علم الملكوت.
قلت:فلم سموا النقباء نقباء؟ قال: لما نقبوا من التوحيد في قلوب المؤمنين.
قلت: ما أسماء المؤمنين في الباطن؟ قال:نعم، هم البلاد لقول الله Y فنقبوا في البلاد هل من محيص
قلت: فلم سمي النجباء نجباء؟ قال: أنجبهم الله من بريته وجعلهم أركان دينه وخزّان علمه.
قلت:فلم ألقوا ضعاف المؤمنين إلى الكشف؟ فقال: اسمع وع إن الله أمر الحجاب بطاعته فأطاع ولم يعص، وأمر الباب بطاعة الحجاب فأطاع ولم يعص، وأمر الأيتام بطاعة الباب فأطاعوا ولم يعصوا، ثم أمر النقباء بطاعة الأيتام فأطاعوا ولم يعصوا، ثم أمر النجباء بطاعة النقباء فأطاعوا ولم

يعصوا، وأمر سائر الخلق بطاعة الملائكة فلم يطيعوا وقالوا لا تفاضل بيننا وكلنا عبيد الله فأسقطوا عن درجاتهم فنزلوا إلى دار المحنة وهم الممتحنون يُردّون في الطفولية إلى أن تدركهم رحمة الله فيخرجون من المحنة إلى الصفاء الذي قال الله فيهم: أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون

وقلت: سيدي أخبرني ما يفعل الله بالخلق المنكوس؟ قال: يردّهم على أعقابهم وذلك قوله: لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يُنصرون.

قلت: سيدي فكم مقامهم فيها؟ قال: من كشف إلى كشف.

قلت: فما معنى الكشف؟ قال: من ظهور إلى ظهور.

قلت: الظهور له أم للحجاب؟ قال: إن الله لا يدعو الخلق في البدا الأول إلا بنفسه إلى نفسه، كذا يدعو بنفسه إلى نفسه غير محتاج إلى أحد من خلقه فيُظهر العجز من نفسه.

قلت: أخبرني ما يفعل الله بهم؟ قال: يكشف الحجاب فلا حجاب ويدعو الخلق من المسوخية إلى البشرية ثم يتجلى لهم ويدعوهم إلى معرفته وطاعته فإن أجابوا أوصلهم إلى الولاية وإن تجنبوا ردهم إلى العذاب كذلك قوله: فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون –قال الأصبغ بن نباته سألت أبا الهيثم مالك الأشهلي عن عبد الله بن سبأ قال هو الذي كشف الحق وعرَّف الناس دين الله على جهته فقلت ما محله، قال محله من الله محل الشعاع من القرص لا موصول ولا مفصول وهو الغائب عن أبصار الناظرين، وقال أيضاً مفقود وهو الذي حباه الله بهذا الاسم فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني، وقال حباني من لدنه علماً.

قلت: سيدي تُخبرني إلى ما يدعوا الداعي؟ قال: إلى الأديان الأربعة.

فقلت: سيدي، أخبرني من أين يظهر الحق؟ قال: من بين الخلق.

قلت: من أين يظهر؟ قال: إن الحق بين الخلق ولكنكم لا تعلمون.

قلت: أخبرني عن مرجع المؤمنين في كم يودون ويردون إلى الدنيا؟ فقال: وما الدنيا

قلت: لا علم لي! فقال: هي الهياكل الطينية الزاهرة المنيرة.

قلت: كم غيبة المؤمن عن الجسد؟ قال:حمل بطن الإمرأة، وقال في وجه آخر بل هي كلمح البصر ثم تثنى وقال لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة.

فقلت: سيدي، فما معنى النار؟ قال: النار الباب والملائكة أولياؤه، وقال في وجه آخر النار القائم والملائكة أصحابه.
فقلت: سيدي أتخبرني عن قول الله نار مؤصدة تطلع على الأفئدة؟ قال: النار الحجاب تطلع على قلب الباب والأيتام وجميع الخلق.
قلت: تخبرني عن النار في الباطن؟ فقال: النار هي أمير المؤمنين وفي وجه آخر عصا موسى وفي وجه آخر أمير النحل وفي وجه آخر أبو شعيب.
فقلت: سيدي، من كان موسى؟ قال: هو السيد محمد.
قلت: سيدي، أخبرني عن النار التي ذكرها الله في كتابه محمودة أم مذمومة؟ قال: كل نار نور.
فقلت: نار جهنم؟ قال: هي المسوخية، وهي أيضاً حر الحديد، والنقلة من بيت إلى بيت من البعوضة إلى الفيل إلى أن تصير في الخنافس ثم قال إلى أن يلج الجمل في سم الخياط، ثم قال إن هي إلا زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة وهي الدودة التي لا تنام وهي تشتغل بالليل والنهار كالنار تذري لهيباً كلهيب السراج.
قلت: أخبرني عن المؤمن هل يُرد في المسوخية؟ قال: حاشا لله أن يُرد إلا في الطفولية.
قلت: لأي ذنب؟ قال: بما كسبت يداه وما ربك بظلام للعبيد.
قلت: فما معناه؟قال: سمعت أمير المؤمنين منه السلام وقد سُئل عن هذا الحرف فأجاب عنه بقوله أُمروا بالطاعة لإخوانكم ومرضاتهم فأبوا وكل ذلك عقوبة لهم لأنه قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فلم يفعلوا فأعادهم وردهم على أعقابهم فإذا خرجوا عن مظالمهم لإخوانهم المؤمنين ولم يبق عندهم حق فلا تثريب عليهم لقول الله تعالى لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. قال سألت العالم عن المؤمن هل يُرد من أول كونه في الصفاء قال لا قلت لأي شيء قال لا يخرج من المحنة حتى لا يبقى عليه ذنب فإذا أُسقطت ذنوبهم وكفِّرت عنهم سيئاتهم صفوا، قال وسألته عن الجنة والنار قال الجنة هم المؤمنون واجتماعهم على علم الملكوت وفي وجه آخر الجنة المؤمن أخو المؤمن ووجه آخر الجنة الصفاء والنار الناسوت وسألته عن يوم القيامة قال قيام القائم وقلت النار قال سيفه وسألته عن معرفة المعنى بذاته فترغرغت عيناه بالدموع ثم قال يا ضعفاء ما أنتم فيه مالكم سألتم عما لا تُطيقون وهذا أمر صعب مستصعب، سر مستسر مقنع بالدر لا يحمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا

حملة عرش ولا كرسي فقلت مولاي من يحمله فقال إن المعنى لا يُدركه أحد من خلقه بكليه، فقلت يُرى في الحقيقة ويظهر في الخليقة قال ألا تعلم أن ذات الله لا يحجبها شيء فقلت له كيف الوجه قال الله تبارك وتعالى مولانا ظاهر بذاته بين خلقه ولكن الخلق في شك منه مريب ولكن الله تبارك وتعالى جل عن الصفات والنعوت والهياكل الموصوفة، إن الله توحد بذاته بين خلقه، وفي وجه آخر ما رويناه عن إخواننا الثقات العارفين إن مثل القرص كذاته ومثل الشعاع كحجابه وفي وجه آخر مثل الهلال في الزيادة والنقصان الذي فيه كمثل أمر المؤمنين وقد روينا العلة التي كان أظهر الحبل والولادة والتربية والكِبر والصغر والعلل والأسقام والغنى والفقر والعجز والنصرة وكل قدرة يتلو في الجزء الثاني.

قلت: سيدي، ما الدليل على ذلك؟ قال: العجز من القادر قدرة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

قلت: سيدي، أخبرني عن الظهورات؟ قال: إنما نعتنا الحبل والولادة ولم يكن المعنى في الحقيقة كما وصفنا بهذا الأمر، ولكن لهذا إرادة وتفهيم أراد الله أن يفهمهم للخلق وأن يعرفهم، أما الهلال فلا يزيد ولا ينقص وإنما تراه على مقدارك والشك فيك لا فيه.

قلت: سيدي، أخبرني عن ظهور الشمس بالحمرة؟ قال: هي معنوية ظهوره بالسيف، وأما بياض الشمس فنفسه وأما الصفرة ما رأيته عند غيبة الشمس فهو ما أظهره من نفسه يوم عبد الرحمن بن ملجم والاحتراق فهو ما أظهره من القتل وأما كسوف الشمس فهو ما أظهره من الغيبة والشمس والقمر فمعناهما واحد.

قلت: أسألك عن قصة إبراهيم فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي؟ قال: معناه اليتيم الأكبر، فلما رأى الحجاب القمر وإليه علم الملكوت فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر ، قال نعم لما رأى الأول وهو الأزل قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين.

قلت: أخبرني عن بروج الشمس؟ قال: اثنا عشر برجاً وهم النقباء، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة وهم النجباء في الباطن، والرعد والبرق فهم الأيتام وهم المقداد وأبو ذر، فأما اليتيم الأكبر قدَّ من الباب وهو المقداد واليتيم الأصغر أبو ذر وأما الأرياح الأربعة هم عبد الله بن رواحة

الأنصــاري ومحمــد بــن أبــي بكــر وعمــار بــن ياســر وجــابر بــن عبــد الله الأنصاري.
قلت: سيدي، أخبرنـي عـن النجـوم مـا هـي؟ قـال: هـي أرواح المـؤمنين إذا صفت فهي معلقة في الملكوت في جوار الحي الذي لا يموت.
فقلت: أخبرني عن القائم فيما يظهر؟ قال: إنه يظهر في يوم واحد في ساعة واحدة في ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً وأما الأشخاص معنى واحد ثم يُظهر حجبه وأبوابه وأيتامه ونقباءه ونجباءه والمؤمنين معه ثم يكشف عن الخلق المسوخية فيكلم الناس بجميع اللغات ويخاطبهم بكل المخاطبات وكلٌّ يراه شخصاً ثم يقولون هذا ملكنا الذي نعبده وإذا جاءت الحقيقة جحدوه إلا الفرقة النورانية، وقال لي: اسمع وع إن هذه محنة امتحن الله بها خلقه وليست العلة به ولا فيه وإنما العلة فيكم.
فقلت: من أي جهة؟ قال: من أنه أظهر النكاح في الباطن وهو نكاح العلم والأنبياء في الباكن هو من يلقي التوحيد ووقع ووافق المؤمنين ورسخ في قلبه فلم يخرج عنه؟
قلت: أخبرني عن ضغطة القبر؟ قال: الرحم.
قلت: أخبرني عن الولادة؟ قال: كان صامتاً ثم نطق.
قلت: أخبرني عن قطع السرة؟ قال: قطعه عن أهل الظاهر.
قلت: سيدي، فما قطعه؟ قال: حجابه عنهم وصمته وكتمانه والتقية.
قلت: فتحريكه؟ قال: انتباهه من رقدة الغفلة.
قلت: سيدي، أخبرني عن حلق الرأس؟ قال: هو الكشف ووجه آخر من الباطن إلى الظاهر.
قلت: سيدي، تقصير الشعر؟ قال: التقية.
قلت: أخبرني عن وجود المواليد؟ فقال: ما اختصهم الله وهم الذين يعرفون الله حق معرفته ولم يشكوا فيه وهم صفوته من خلقه وأولياؤه من عباده أطلعهم على أمره وأتمنهم على العلم الفاخر من البحر الزاخر العذب الفرات إذ لم يُشركوا بشيء فامتحنهم إرادة منه ليعلم كيف صبرهم على المحنه فلما صبروا على المحنة وجزاهم جنته وأباحهم دار كرامته وجعلهم صفوته وأبراره فهم حجة الله أرضه وسمائه، افهم هُديت، فإن التوحيد استنبطناه من العلم وأخرجناه إليكم ثم تلا الآية: " وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين،

قال وسألته عن المؤمنين ما يفعل الله بهم قال من أي جهة قلت من أرواحهم قال أتدرون كم روح للمؤمن.
قلت: لا علم لنا؟ قال: خمس أرواح.
قلت: صفها لي لأعرفها؟ قال: قال روح المدرج، وروح الحركة وروح الشهوة وروح الحياة وروح الروحانية وهي الروح المثابة للعقل وترجع إلى جوهرها وترجع إلى الجسم المحمود وجوهرها فتولى منه على قدر علمه وفهمه ومعرفته وحال المزاج الطيبة من العنبر والمسك والكافور والعود إلى ما دونه بذلك من الروائح كل يجري على قدر علمه.
قال: وسألته عن ترديد الهياكل والنقلة من دار إلى دار ومن بيت خراب إلى بيت عامر ؟ قال: وما البيوت. قلت: لا علم لي، قال: هي بيوت المؤمنين.
قلت: فلم سمي البيت بيتاً ؟ قال: بيت الروح ومثله مثل بيت فيه سراج فما دام السراج فيه مشتعلاً كان البيت مشرقاً منيراً فإذا انطفأ السراج أظلم البيت وله مثل آخر كبيت فيه سكان فما دام فيه السمان يبقى عامراً وإذا رحلوا عنه عطب البيت.
قلت: أخبرني كم كرة يُكرُّ المؤمن قبل الصفاء؟ قال لي: ذاك شيء لا يعلمه إلا الله وحده، بل أخبرني السيد محمد أنه يُكشف عن المؤمنين في كل ظهور فيصفوا فيه خلق كثير من المؤمنين وهذا حرف لم يطلع عليه أحد إلا أن النقلة لو تعلمون صعبة لا يتهيأ إلى أحد معرفتها إلى الباب وقد سألنا الباب فأجابنا عما سألت بما سمعت، ولقد سألت اليتيم الأكبر فقال تعرف الكرات في الأدوار والأكوار والأعصار أربعة آلاف عصر والعصر خمسة آلاف سنة، قال وسألت عن الأحقاب فقال مولانا تبارك اسمه وجلَّ ذكره: إن الحق المنعوت قريب من العقل بعيد عن المشاهدة قريب من المؤمنين بعيد من الكافرين، قال وسألته عن ملك الموت بقول الله تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) ثم قال في فصل آخر يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم.
فقلت: وما ملك الموت؟ فقال: مالك الأشتر، فقال هل يحل الموت في مؤمن وهل يداخله صعوبة، قال مثله مثل رجل عطشان في يوم صيف وشرب شربة من ماء بارد يجد لها لذة وشهوة، وقال في وجه آخر الموت عند المؤمن كرجل لعق لعقة من عسل وأحلى من ذلك. قلت: سيدي، لقد هون الله هذا الأمر ؟ قال: أبشرك بشيء تعرفه. قلت: نعم يا سيدي. فقال: إن المؤمن لا يموت ولكن يغيب عن الخلق. وسألته عن المؤمن فقال ما نسب

الله إلى نفسه واحد إلا وهو محمود وقد رفع الله حرَّ الحديد والمسوخية عنه وكان عقوبته الترديد في الطفولية إلى أن يصفوا البدن البشري_ واعلم يا أخي أني سمعت مولانا عليه السلام يقول: " المؤمن من آمن بالله أو من الله لا موصول ولا مفصول وأقرب شيء إذا أوصله ولم يفصله من كرامته على الله لأن الله سماه باسمه وأيده بروحه وقال لنفسه واحتج به على خلقه وقال (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) وقال (كونوا شهداء على الناس) وقال أبو الهيثم مالك بن التيهان: سألت مولانا عليه السلام عن قول الله عز وجل: (فإذا انسلخت الأشهر الحرم) فقال: الأئمة، ووجه آخر أسماء الأشخاص كُلٌّ يُوفى باجتماعه له، ووجه آخر أسماء المعنى واحد أما تعلم أن الأشهر الحرم مضافة إلى السنة فإذا تمت الأشهر سمي باسم السنة فأفرد اسم السنة واحد بمعنى أقواله إذا انسلخت الأشهر الحرم تمت الأشخاص بمعنى ظهوره بها وحصحص القول وظهر الحق وانكشف الأمر وجاء يوم لا ريب فيه يوم لا يستحي الحق من الباطل يوم يدعو الله المؤمنين فيه فيجعل في يد كل واحد منهم سيفاً ويقول : خذ بحقك من عدوك وذلك قوله إذا انسلخت الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا قتل ولا سلب ولا قذف ولا ظلم بين يدي القائم واعلم أن الله أبدا لكم أمراً وعهد إليكم عهداً في حقن دماءكم وائتمنكم على سره وأمركم بحفظه إلى أن يصرخ صارخه ويدعوا داعيه إليه، وذلك قوله: (وأتموا الصيام إلى الليل) فذلك بيان منه، فمعنى الصيام صوم التقية والإفطار المجازات والتذكير بين الإخوان والفطر هو الخروج من التقية.

قلت: سيدي، فأخبرني لم سُمي السبت سبتاً؟ قال: لأن الله تعالى عاهد إلى بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفي بعهدكم وإياي فارهبون.

قلت: فما معنى إسرائيل؟ قال: فيه ثلاثة وجوه، الوجه الأول إسرائيل هو الحجاب وهو الميم وبنيه المؤمنين، والوجه الثاني: الباب، والوجه الثالث: أنه القديم الأزل الأكبر تعالى ذكره وهذا هو المحقق المعروف والبيان الشافي الحق الحقيق الأول وهو الحجاب لأنه أقرب في المشاهدة من خلقه وأما بنوه المؤمنون العارفون وذلك قوله كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة الآية.

قلت: سيدي، ما معنى الذي حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: الذي لا تقبله نفسه من المتشابه بالحق.

قلت: سيدي، فمن إسرائيل بالحقيقة؟ قال: في تلك القبة وجدنا أبو الأسباط وهو يعقوب وهو الميم حجاب يوسف ووجه آخر حجاب المعنى وهو يوسف منه السلام.
قلت: سيدي، ما تقول في زليخا والعزيز؟ قال: كان العزيز مقامه الحجاب وهو الذي قال الله فيه حكاية عن إخوة يوسف في الظاهر (يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدَّق علينا إن الله يجزي المتصدقين)، فلبَّس في الظاهر على هذا الخلق المنكوس.
قلت: سيدي، فمن زليخا؟ قال: مقامها أسماء بنت عميس الخثعمية أم محمد بن أبي بكر زوجة أمير المؤمنين في الظاهر.
قلت: ما معنى الحجاب؟ قال: الحجب، المحنة التي أظهرها للعالم لما أظهر العجز ثم أظهر القدرة بعد ذلك ليعلم الخلق أنه العلي الكبير.
قلت: فما مقام أولاد يعقوب؟ قال: مقام أولاد السيد محمد وإخوة أمير المؤمنين في الظاهر وفي وجه آخر يُقال أنهم النقباء.
قلت: فما تقول في الحسن والحسين علينا من ذكرهم السلام والاسم الواقع فيهما؟ قال: والله ما لله سرٌّ أسر منهما، لأنهما فرقتان فرقة لليهود وفرقة للنصارى.
قلت: سيدي، من أي وجه وقعت بهم هذه الكرامة الرفيعة والجلالة السامية؟ قال: إن المعنى أنزله في بطن من قريش وهو هاشم فحلفت بنو هاشم به لما نزل بهم في استحقاق منه لهم.
قلت: سيدي، أخبرني عن الاستحقاقات؟ قال: لا يصل أحد إلى شيء ولا يعلو درجة إلا باستحقاقه لأنه قد وقع الابتداء من الأصل فهو الاقتضاء.
قلت: سيدي، وزناً بوزن؟ قال: نعم حتى تأخذ المرأة من الرجل ما أخذه منها ويُردّان حتى يأخذ كل واحد حقه من صاحبه.
قلت: فيُرد المؤمن والمؤمنة؟ قال: حاشا لله أن يُرد المؤمن إلى القهقرى إن الله عز وجل جعلكم ناكحين ولم يجعلكم منكوحين.
قلت: فأخبرني عن قول الأصبغ بن نباتة وسأخبر عن أمير المؤمنين منه السلام بأنه قال " كل منكوح ملعون" ؟ قال: إن لكلام مولانا وجوه يحتاج من سمع منه حرفاً أن يثبت عليه حتى يسأل عنه من يجيبه ليفيق من الحيرة فيفهمه إلا أني سألته عن الناكح والمنكوح فقال: الناكح المذيع والمنكوح الذي يُلقي التوحيد إلى غير مستحقه فإنهما ملعونان.

قلت: فأخبرني عن الزاني والزانية؟ فقال: الزاني من هتك سر الله وسر آل محمد والزانية المذيعة من الإناث وقد ذكرهم الله في كتابه فقال: (الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحُرم ذلك على المؤمنين) يعني الإذاعة والحسد فإذا وقعوا من ذلك أُذيقوا حر الحديد.
فقلت: بين لي ذلك؟ قال: الأختان ومشرط الشارط أهون ولابد لكل شيء أن يُعيده فيه.
فقلت: ما يُقال في الخفايا؟ فقال: إذا علمت شيئاً فاعمله لله ولنفسك خالصاً وإياكم أن تقولوا في المؤمنين إلا خيراً واذكروا الباقيات فلا يمر بكم إلا ظلمة القبر والطفولية وهي أشد من كل شيء عصمنا الله وإياكم من ذلك.
قلت: سيدي، فكم المجازاة ؟ قال: الله أعلم بمقدار عمل الإنسان وعلمه.
فقلت: أرى واحداً يسقط وآخر يموت ببطن أمه وآخر يعيش ساعة وآخر يعيش خمساً وآخر يعيش عشرة وآخر يعيش مئة سنة؟ قال: نعم، أما من سقط ووقع فإنه عاش بغير هذا الهيكل مئة سنة والذي عاش يوماً واحداً عاش في غير هذا الهيكل سبعين سنة والذي عاش شهراً فإنه عاش في هيكل غيره ستين سنة وعلى هذا وقعت المجازاة على الثواب والعقاب من كثرة الحياة وسرعة الموت.
قلت: سيدي، أخبرني عن الخلق هل كان لهم عند الله درجة استوجبوا النجاة من هذه الهياكل؟ قال: أجل، درجات عند الله قدر سرعة إجابتهم في الدعوات .
قلت: سيدي، أخبرني لم سُمي الأحد أحداً ؟ قال: لوحدانية الواحد الفرد الصمد الأزل.
قلت: الاثنين؟ قال: الحجاب والمحتجب.
قلت: الثلاثاء؟ قال: شخص فاطر.
قلت: الأربعاء؟ قال: الحاء الأول.
قلت: الخميس؟ قال: الحاء الثاني.
قلت: الجمعة؟ قال: دعوة المعنى نفسه إلى نفسه لما ظهر بينهم وجمعهم إليه فسُميت الجمعة.
قلت: فلم سميت الخطبة خطبة؟ قال: لأن الجليل خاطبهم بذاته واحتج عليهم بأوليائه.

فقلت: قوله يوم الجمعة جهراً؟ قال: نعم، لا يجوز يجهر إلا المعنى، لأن الصلاة له، وهو غير مصل لأحد، لأنه ناطق والناطق لا يجوز له صلاة بل الصلاة لله.

قلت: فالأذان؟ قال: دعوة المعنى إلى وحدانيته.

قلت: فالإقامة؟ قال: دعوة الحجاب إليه.

فقلت: صلاة الظهر؟ قال: المعنى موجود بين خلقه غير معدوم عزَّ من لا يغيب.

قلت: العصر؟ قال: شخص الحجاب.

قلت: المغرب؟ قال: شخص الفاء، وهي الصلاة الوسطى.

قلت: العتمة؟ قال: الحاء الأول.

قلت: صلاة الليل؟ قال: محسن الخفي بين الأشخاص.

قلت: الفجر؟ قال: الحسين، منه تفجرت علوم الملكوت فسُمي الفجر.

قلت: أخبرني عن الثلاث صلوات التي يُجهر فيهن؟ قال: ظهور المعنى بالسيف جهراً فيهن، وكذلك الحجاب جَهرَته للمعنى والحجاب هو محمد منه السلام.

قلت: فالصلاتان التي لا يُجهر فيهن؟ قال: صمت الفاء والحاء الأكبر.

قلت: شخصٌ واحدٌ أم عدة؟ قال: في الحقيقة تريد أم غيرها.

قلت: الحقيقة. قال: لم يتصل به ما لم يكن فيه، ولم يمتزج به شيءٌ، ولا يشاركه أحد في ملكه، بل هو بذاته قائم بين خلقه بالأسماء المعروفة المتفرقة ومعناها كلها واحد، وإنما سُمي المعنى لعلةٍ وهو المعنى رمز.

قلت: أخبرني عن عيسى بن مريم؟ قال:هو الحجاب، وفي وجه آخر هو الأصل، فوجدنا السيد محمد أنه لم يظهر في بيت من بيوت الأنبياء، وإنما ظهر في بيوت الأوصياء.

قلت: فمن على عهد عيسى الوصي؟ قال: شمعون الصفا.

قلت: فزمزم[1] ؟ قال: آمنة أم السيد محمد منه السلام.

قلت: أخبرني عن المعنى وظهوراته؟ قال: حيث ما رأيت القدرة فهناك القادر لا متصل به ولا منفصل عنه فاعرف ذلك.

قلت: ما محض التوحيد؟ قال: فأراد المعنى بمعنويته وجعل الأربعة الأسماء لحجابه وهم أركان البيت أعني معنى البيت وهم الميم والفاء والحاءين.

---

[1] مريم

فقلت: تعالى أن يُقال لله شخص! قال: جلَّ وعزَّ عن ذلك، وإنما الأشخاص هي أشخاص الحجاب وأما الأزل هو قائم بذاته.
قلت: أخبرني عن السلسلة المادّة الممزوجة في طرق الإمامة؟ فقال فيها كما قال في الأركان.
قلت: يعني أركان البيت والعرش!؟ قال: هي أركان البيت وأما أركان الحجاب فقد ذكرناهم في أول الكتاب.
قلت: هم معاني وأئمة بذاتها؟ قال: سألت الصادق عليه السلام قال " يُعرف المعنى في وحدانيته لما دونه من حجب أقامها وجعلهم أركاناً لبيته وفوَّض إليهم أمره ونفخ فيهم من روحه، وجعلهم حجباً على بريته فهناك صفى المعنى بنفسه.
قلت: فما معنى منى؟ قال: ظهور الله بذاته فأقروا له ووحدوه فسُمي منى.
قلت: فعرفات؟ قال: وجدوه فعرفوه فسُمي عرفات.
قلت: فالموقف؟ قال: وقف هناك الناس ودعاهم إلى الذي أراد بعبده.
قلت: ولم سُميت المزدلفة؟ قال: لأن الباري نطق هناك فازدلف الناس إليه لما رأوا من عجائبه وحكمته وكلٌّ يريد سرعة الإجابة.
قلت: العيد؟ قال: هو باب من أبواب الكشف.
قلت: الخطبة؟ قال: دعوته إلى أصحابه فألزمنا إلى أنفسنا الإقرار بالعبودية.
قلت: النفر؟ قال: دعاء العباد إلى نفسه ومخاطبتهم إياهم؟
قلت: الخطبة بالموقف إلى عرفات؟ قال: الله ظهر بينهم بمنى وظهر شخص الحجاب بعرفات.
قلت: ما معنى النحر؟ قال: نعم، إن الله مولانا دعا الخلق في البدو الأول إلى نفسه فأجابوا ثم دعاهم إلى معرفة فأبوا ثم ردهم على أعقابهم وآلى بنفسه أن يردهم في الإنكار إلى موضع الدعوة والظهور فيذيقهم حر الحديد وهو النحر.
قلت: فرمي الجمار؟ قال: نعم، إن إبليس الأبالسة لعنه الله ظهر هناك للحجاب وأراد أن يغوي المؤمنين فأمر الله برجمه فرمي ذلك الجمار لأجل ذلك.
قلت: أخبرني عن المطر الذي يجيء بعد النحر؟ قال: إن الله يُطهر الأرض بعد دنسها.

قلت: قلت لم سُمّيت تهامة؟ قال: نعم، لما غاب عنهم الشخص طلبوه طلباً شديداً فسُميت تهامة لمّا هاموا في طلبه.
قلت: فلم سُمي الحرام حراماً؟ قال: حق ما ألزم الله به من حق الحجاب على الخلق.
قلت: ما المسجد الحرام؟ قال: حرمة المولى، والمسجد هو الذي لا يتغير من الصفاء أبداً.
قلت: فما معنى بيت الله الحرام؟ قال: ليس لله بيت، وإنما بيت الحجاب محمد ظهر فيه بالنطق.
قلت: فأخبرني عن العشاء؟ قال: شخص الحاءين.
قلت: والسكنتان[1]؟ قال: الميم.
قلت: ما الحلقة في الباب؟ قال: جعفر بن أبي طالب.
قلت: فما الباب؟ قال: شخص السين.
قلت: الرزة التي تقع فيها الحلقة؟ قال: محمد بن الحنيفة.
قلت: فما القفل؟ قال: شخص الحسين المقتول بكربلاء.
قلت: فنا الفراشة؟ قال: شخص الميم.
قلت:فما المفتاح؟ قال: شخص القائم.
قلت: فما الكسوة مرة بالحمرة ومرة بالبياض القبطي ومرة محلل ومرة محرم؟ قال: أما الحمرة ظهوره بالسيف وإهراق دم الأضداد، وأما البياض ظهوره بالبهمنية الأنزعية.
قلت: المحلل والمحرم؟ قال: المحرم الغيبة والمحلل يوم يكشف الله أمره ويكشف عن المؤمنين وهو يظهر بالتوحيد على رؤوس الأشهاد.
قلت: فأخبرني عن الميزاب؟ قال: هو سلمان.
قلت: الرخامة؟ قال: أم سلمة.
قلت: الحجر؟ قال: أبو طالب.
قلت: فالحجر الأسود؟ قال: المقداد.
قلت: والحائط الممدود على الحجر؟ قال: قال جعفر.
قلت: الدرجة التي يُدخل عليها إلى البيت؟ قال: الباب.
قلت: أخبرني عن مقام إبراهيم؟ قال: محمد بن أبي بكر.
قلت: الصفا والمروة؟ قال: اليتيمان.
قلت: قلت زمزم؟ قال: الاسم، ويُقال أم سلمة زمت العالم زماً.

---

[1] النكفتان

قلت: المشاعر؟ قال: النقباء.
قلت: أخبرني عن القناديل التي تزهو في المشاعر؟ قال: علم الملكوت.
قلت: فأخبرني فما الطواف في البيت؟ قال: إن الله تعالى ظهر هناك للناس فلم يزالوا يطلبونه إلى يوم القيامة ويطوفون حوله ويوحدونه.
قلت: فأخبرني عن الآذان بين يدي البيت؟ قال: دعوة الحجاب.
قلت: فالإمام الذي ينطق في الناس؟ قال: والله لو عرف الناس هذا الموضع ما كفر بالله واحد، والإمام أمير النحل عزت آلاؤه.
قلت: فأخبرني عن الحمام الذي يطير في الحرم؟ قال: المؤمنون الذين يخرجون عن حرم الله.
قلت: وما معنى حرم الله وميثاقه؟ قال: عهد الله وميثاقه.
قلت: فأخبرني عن الغزلان؟ قال: المفوضة في الحرم.
قلت: فرائحة البعر منهم؟ قال: ذكروا التوحيد ثم جحدوه فلذلك رائحة الإنكار منهم وفي بطونهم.
قلت: فما معنى الغلمان؟ قال: هم الأبواب.
قلت: البريد؟ قال: الأيتام.
قلت: المشرق؟ قال: النقباء.
قلت: الأميال؟ قال: المؤمنون يبلغون إلى الصفاء من واحد إلى واحد حتى يبلغوا الصفاء.
قلت: الأعراب الذين يقطعون الطريق على المؤمنين ويذيعون عليهم سرهم؟ قال: الأعراب هم المقزمنة والمفوضة يقطعون على المؤمنين ويذيعون عليهم سرهم.
قلت: أخبرني عن المساجد والجوامع؟ قال: هي مقامات من أطاع الخلق فيها البارئ لأن الله أراد منهم العبودية، ثم قال يا معلى إن الله لم يُكلف الخلق ما لا يطيقون، وإنما أمرهم بطاعة من دونه وامتحنهم به، ثم قال أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم، يا معلى أتحب أن أزيدك حرفاً قلت نعم قال اقرأ الحمد لله رب العالمينالعلي الأعلى الرحمن الحاء الأكبر الرحيم الحاء الثاني الأصغر، مالك يوم الدين محمد إياك نعبد وإياك نستعين الاسم، اهدنا الصراط المستقيم العين، صراط الذين أنعمت عليهم بمعرفتك غير المغضوب عليهم ولا الضالين الأمم الحاضرة، قال المعلى: قد أردت أن أسألك عنه غير مرة.

قلت: ما معنى الحجاب؟ قال: الميم والمحتجب العين والاسم الميم والمُسمِّي العين والدليل في هذا أن الصنعة هي صنعة الصانع فبالصنعة استدللنا على الصانع لما أظهر لنا الأفعال فعرفنا أن الصنعة غير الصانع.
قلت: سيدي، فرّجت عني.
قال للمعلى: كان الأصل فرعاً ففرعت الفروع من الأصل لإيجاد البابية منه دلالة على حد الإتصال ألا تعلم أنه لا قوام للفرع إلا بالأصل والفرع فيه البركة من الأصل، وقد وجدنا أن الفرع شرب من ماء الأصل ثم يُثمر وكان ذلك دليلاً على التوحيد، يا معلى الناس على وجهين اثنين قالوا إن السماء ونجومها وشمسها وقمرها وأفلاكها ونورها وما يُرى فيها فهم العالم الكبير، قال هذا كلام العميان من العامة الذين انقلبوا على أدبارهم فهم إلى النار صائرون، وأما ما جاء عن الأصل أن العالم الصغير هم بدو خلق العالم يا معلى إن الله تبارك وتعالى لم يترك لأحد عليه حجة وقد بين على لسان الحجاب الذي أقامه سفيراً بينه وبين خلقه.
قلت: سيدي، أخبرني عن البحر ما مقامه والماء العذب؟ قال: مقامه مقام العلم للعالم وهو العلم الصعب المستصعب.
قلت: ما معنى الحيتان ودواب البحر وسكانه؟ قال: مثل الحجاب فيه علم الملكوت والعوالم يصدون ويرعون من ينابيع الحكمة.
قلت: فما معنى الجبل الذي ينصب منه الماء ولا يعود إليه؟ قال: مثل العالم يخرج منه العلم ولا يعود إليه.
قلت: ما معنى باب حطة؟ قال: سلسل وهي حطة الحجاب الميم والسجود له، وفي وجه آخر إن حطة الأصل وهو العين ومعنى قوله ادخلوا الباب سُجداً وقولوا للناس حطة أي علي الأعلى رب العالمين.
قلت: سيدي، فما معنى قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا؟ قال: الحجاب واقع سلسل في هذا الموضع فلما تجلى له العين بالمعنوية خرَّ له الحجاب صعقا وقيل ساجداً.
قلت: أخبرني عن مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً؟ قال: من عرف العين من الميم والحاءين وأقر بلاهوتية العين وناسوتية الميم والحاءين أمن النكرير وغيره.
قلت: وقوله ولله على الناس حج البيت؟ قال: على الناس معرفة الحجاب من استطاع إليه سبيلا من المؤمنين إذا بلغوا إلى معرفة العين والميم والحاءين.

قلت: فقوله إن الصفا والمروة من شعائر الله؟ قال: الشعائر سلسل، والله الاسم فمن حج البيت أي من عرف أصل المعنى وعرف معرفة التوحيد فلا جناح عليه أن يطوف بهما، قال: نعم يطوف باليتيمين.
قلت: سيدي، أخبرني عن المناسك؟ قال: هي فروع الحج، من حج فعليه أن يعرف المناسك فهي أيضاً من أمر الله ومن آمن بالله فعليه أن يعرف الحق بشرائعه وفروعه وكل ما يجب من حلال وحرام.
قلت: سيدي، إن الله خاطب الخلق وطالبهم بذلك؟ قال: نعم يا معلى، إنما عليهم هذا الأمر لازم لا يدفعونه، وبهذا حقن دماءهم العهود والمواثيق التي أخذها عليهم بالأول، وكذا إذا قام القائم طالبهم بها فإن كانت عندهم جوزوا وإلا فردهم إليه في العذاب.
قلت: سيدي أخبرني عن الصراط والميزان؟ قال: الصراط الحاء، والميزان الفاء.
قلت: أخبرني عن جهنم هي محمودة أم مذمومة؟ قال: جهنم مذمومة لقول الله إن جهنم موعدهم أجمعين.
قلت: النار؟ قال: قال محمودة.
قلت: لأي علة؟ قال: النار القائم والنار سيفه.
فقلت: جهنم؟ قال: الفيل وهو أول بيت سكن فيه الخلق من الجبابرة ثم التجاتي وهو مسكن أهل خرسان، والثالث الخيل العتاق وهي مساكن الشيصبان وبني أمية، ثم يقعون في الدردور فمنهم الخيل العتاق والبرازين وهي مساكن العجم والبرازين مساكن أوساط الناس والخيل الشهر والدهم والشقر والبلق والكميت فهؤلاءدعوا الله ولداً، ذلك الأولاد فالدهم مساكن ولد الحاء الأكبر والشهب مساكن ولد الحاء الأصغر والبلق مساكن ولد محمد بن الحنفية والشقر مساكن ولد العباس بن علي وكل في الرفاهة ومحسن إليه لعلة الاسم الواقع عليهم والبغال مساكن أشرار الناس والحمير والمُحسن إليها مساكن المفوضة وأما المنسوب إليها فهم مساكن من إدعى الإمامة من الزيدية وغيرهم، وأما من خرج من عهد الله وميثاقه عن المسجد الحرام وهي الدار إلى يوم الكشف كلما عطل بيت نُقل إلى ما هو أرذل منه إلى أن تستقر الأرواح كلها في برهوت تنقل إلى الساهرة ثم يقع الكشف ثم يظهر الشخص فيدعوا إلى باريه.
قال المعلى: قلت سيدي أخبرني هل في الأرض من حجة؟ قال: نعم، ما من بلدة إلا فيها نجيب أنجبه الله من أهلها فهو حجة على من هو دونه لعلمه

وفهمه وتعطفه وقد أمر الله الباقين بطاعته فإن أطاعوه فطاعته موصولة بطاعة الله ومن لم يطعه فقد مرق من الدين ورجع إعرابياً بعد هجرته.
قلت: سيدي، كيف يُعرف الرجل إذا كان بهذه الصفة وهذه السبيل؟ قال: إذا أحب الله أن يُنبت شجرة في بلد غذّاها حتى تستكمل فكان أول نباتها حجة وآخر نباتها دعوة إليه وشهادة عليه وهو المطاع بينهم، فإن أطاعوه فطاعته بطاعة الرسول مقرونة، وما من خمسة اجتمعوا إلا وفيهم مُطاع.
قلت: لأي جهة؟ قال: الكل من العشرة في درجة الكمال، ولا بد من فاضل يكون فيهم فيعرفوا فضله ويصدّقوه، ألا تعلم أن أهل الكوفة اجتمعوا إلى مولانا الصادق منه الرحمة فقالوا له إنّا نحتاج إلى من يُعلمنا معالم ديننا فقال لهم اذهبوا فاختاروا لكم رجلاً ترضوه لأنفسكم، قال فاختاروا أبا الخطاب، فقال لهم مولانا امضوا فاختاروا غيره، فمضوا ثم عادوا بعد ذلك لعام آخر قالوا قد اخترنا فلم نصب غير أبي الخطاب، قال اذهبوا فاختاروا عاماً آخر ثلاث حجج فلم يجدوا غيره فلما كانوا في السنة الرابعة وأمرهم بعد اختيارهم ثم قال لهم بعدما علم أنهم أقوم بهذا المقام أرضيتموه لأنفسكم، قالوا نعم، فإن رأيتموه قد حلق وسط رأسه وشدّ في وسطه كشتيزاً وسود ذيله فاتبعوه فإنه لا يُخرجكم عن هدى ولا يُدخلكم في ضلال فكان يا معلى بيان لهم وتثبيت حجة عليهم فلما أمرهم عصوا أمره وخالفوا قوله وقد بينهم في كتابه فقال اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة فهذا آي فيهم فكيف فيكم.
فقال معلى قلت سيدي تجلى مقام لأمير النحل أي مقام؟ فقال: أهل الكوفة أجل مقام وشر الخلق جيرة، أنزل الله بهم جيرة وظهر فيهم ولم يزدادوا إلا بُعداً عنه فخسروا أنفسهم فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وذوّقوا عذاب الجلد بما كنتم تستكبرون وبما كنتم تكذبون.
قال المعلى قلت سيدي أخبرني عن جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل؟ قال: جبرائيل هو سلسل، وميكائيل المقداد، واسرافيل أبو ذر، وعزرائيل ملك الموت وهو مالك الأشتر، ورضوان عمار بن ياسر.
قلت: سيدي، قد هديتني وعرَّفتني معالم ديني وبيَّنت لي ما كان خفيّاً عني وأرشدتني إلى سبيل الحق.
ورواه المفضل بن عمر قال سألت أبا الخطاب عن الأبواب فقال: لكل باب بابان بابٌ ناطق وبابٌ صامت.
قلت: فما معنى الناطق؟ قال: صاحب الصورة.

قلت: والصامت؟ قال: المنتظر الإشارة إليه.
قلت: متى يُشار إليه؟ قال: إذا غاب أبو الطيبات، وظهر المفضل بن عمر، يا معلى ضلَّ الخلق في هذه.
قلت: فبماذا؟ قال: بالاسم والمسمى.
قلت: من أي جهة؟ قال: من جهة التسمية، فلوا عرفوا القدرة لاهتدوا وسُعدوا ولم يكفروا بالله، ولكن لقيام الحق فيه ولا سبيل ولا سبيل اتبعوا، فلما جاءهم الحق كذّبوه، يا ابن عمر كأني بك وقد ناديت بدين محمد ونصصت على نفسي وتكنيت بأبي الخطاب أبي الطيبات يا معلى.
قلت: لا.
قال: أنا أبو المؤمنين فكل مؤمن طيّب أنا أبوه، يا معلى من لا يعرف الأبوة لم يُقم النبوة.

باب معرفة الصيام والإفطار ومعرفة المعروف وإيتاء ذي القربى والصلوات الخمس ومعرفة أشخاصها

فمن عرف الخمس سقطت عنه الخمس، ومعرفة الحج وهي معرفة الأصل فمن عرفها فلا جناح عليه في وجوده إلى أن يخر ج من محنته وكان موجوداً به، وفي معرفة الحج وجه آخر، إن الحج الحجاب فمن عرف الحجاب والباب والأيتام والنقباء والنجباء وأقر للمعنى بالربوبية فقد حج وانتهى بالمعرفة إلى الكمال.
باب المجاز للعالم فهو الكلم الطيب قوله تعالى وقولوا للناس حسناً وقال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وقال فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره، وقال ما على المسكين من حرج ولا سبيل أي ليس على الكامل مرد في الهياكل لأنه قد علم حق الحق فهو بالغ.
باب آخر إن الله جلَّ ذكره أمر الخلق بالطاعة وأمرهم بالمساواة والمواساة فأنكروا ذلك فخلق لهم حجرين مسخرين ليواسوا بهما وامتحنهم بذلك وهي الدنانير والدراهم فمن عزّ عليه درهمه هان عليه أخوه ومن عز عليه أخوه هان عليه درهمه ويُردوا في الهياكل فقال حاش لله أن يقع اسم الاسم فيمن يعز عليه درهمه ومن صعُب عليه درهمه بطيء عليه مخرجه من المحنة.
وسألت عن المجازاة في الذكرانية والإناث، فقال: نعم، ترد المرأة في هيكل الذكرانية، ويردُّ الرجل في هيكل الأنثى حتى تأخذ المرأة حقها من الرجل كما أخذ من الإمرأة وذلك من عدل الله عزَّ شأنه، فقلت المؤمن والمؤمنة

يُردّان في الهياكل، فقال حاش لله أن يقع اسم الاسم في أحد إلا وقد نجا من ذلك واعلم يا أخي أنه يذهب كور ودور وتقرر الأعصار عندها يقع الإقتصاص فيأخذ كل واحد من صاحبه، واعلم ما من أحد إلا ويُجازيه الله أول مجازاة إلى أن يصير إلى منتهاه فإما يعلو وإما يُحط وسُئل عن المجازاة في الحيوانات، فقال نعم، الستر على الخلق من جهة البشرية وقد رفع الله الستر يا أخي عن المسوخية لأنهم ملعونون منكوحون على رؤوس الملأ مثل فيل وحجل وبغل وحمار وفرس وجاموس وبقر وغنم ومعز وخنزير ودب وقرد وسنور وكلب وفأر كل واحد يأخذ الفحل بيده ويسوقه إلى من ينكحه أو يُحضره إليه ولا يخفى عليه، وكذلك سائر البهائم تسافر وتُنكح في الأسواق وبين السكك على رؤوس الأشهاد ولا يُنكر عليهم أحد شيئاً.

وقد روي في باب المجازاة أن الخلق تراهم كالخلق الذي هو مشبه عليهم، أما القوم يقولون أن شياطيننا ينظرون للناس في صورهم وهم أبعد إلى الله من هذا الخلق أوما يعلم أن الله لا يخفى عليه شيء، وكل من قال إن الله لم يحص الأشياء بعد أن عرفها فقد نسبه إلى العجز، وذلك أن مولانا خلق الخلق فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع كذلك حكمه في جميع الخلق، وأما الشياطين الذين تقول العامة أنهم يتصورون في صور الخلق فهم الملبسة عليهم وقد كان في الليل كشف عنهم الحجاب فيريهم أنهم شياطين لعظم خلقهم ولما رأوا من سماجتهم وفعلهم القبيح فإذا أصبحوا عبدوا كما كانوا فيه.

باب الكمال

إذا صفا المؤمن كثُر علمه وقلَّ شره وكثُر خيره وكبُر شأنه وشاع ذكره وخفي على الناس أمره، فكان ممن أعالته الناس إلى أن اختارهم من بين خلقه لما صبروا على المحنة من علة الخلق فإذا أحب الله عبداً من عباده امتحنه فإذا وجده صابراً جازاه بالإحسان وكان ممن كُشفت عنه القمصان البشرية ورُفع إلى عليين وصار في جوار رب العالمين.

قلت: أخبرني هل كان الناس في علو أم في سفل؟ قال: إنما يتكلم الناس على معاني الكلام إذا عرفوا، ألا تعلم أن الله لا يخلو من علو ولا من سفل لأنه متى خلا منه السفلي لأن هذين الاسمين سُمي بهما في خلقه وهو على حد معرفة التوحيد، واعلم أن الله ظهر لخلقه كخلقه ودعاهم بنفسه لنفسه فثبّت

عليهم الحجة في ذاته وهو غير مُحتجب عنهم ولا مُحتاج إليهم ولا مضطر وهو العلي الأعلى الذي تعالى ولا منتهى له إلا هو وكذلك الخلق نالوا العلوي والسفلي ولا معنى للعلوي والسفلي في الباطن.
قال محمد بن سنان سألت مولاي الباقر منه السلام عن بيان هذه الحجب السبعة الظلمية؟ وما هي؟ ومن نزل بها في اللاهوت؟ أتحل في البعض أم في الكل أم في الواحد دون الواحد؟
قال: الحجب الظلمانية في الأشخاص البشرية جُعلت من ظلمة النور لا من ظلمة الظلام وظلمة الظلام هي معصية أولاد الأبالسة، والظلام دلام قريش وحزبه لعنه الله تعالى، وإن أمير المؤمنين حجابه الميم ما دام خالقه في البشرية وحجب الظلمة وبها يحتجب إذا نقل أولياءه إلى النورانية صاروا روحانيين ونقل أشخاص الجاحدين إلى المسوخية، ويتجلى لأوليائه بحجب النور، ولا يحجب أعداؤه فهم يومئذ عن ربهم المحجوبون.
قال الحكيم سمعت العالم الصادق يقول هذه الحجب البشرية تحل فيها الروح اللاهوتيه فتأمر وتنهي وتُظهر الموت والقتل والأمراض والعجز وكل عجز مخلوق وذلك واقع على الحجاب الذي هو النفس فهي الاسم والنفس البشرية, ألا ترى لقوله تعالى في مقام الباقر حين قال لوليه جابر لا تصلح الروح الأزلية العُلوية إلا أن تكون غلافاً علوياً في غلاف سفلي وهو الحجاب الظلمي دون العلوي وهو النفس، ولو ظهرت الروح لغيرها في النورانية لأطفأت كل شيء غيرها, فقال هذه الحجب الإثني عشر وغيرها من الحجب قد نزل فيها الخليل وشاهد الحجب بنزول الرب.
وعن محمد بن سنان، عن داؤد بن كثير الرقي قال: كنت مقيماً بمكة، فأخذ بيدي مولاي الباقر منه السلام العشي فدخل الطواف فطاف سبعة أشواط وصلى ركعتين بين كل شوط ثم سجد سجدة الشكر فسجدت معه، فطال علي، فرفعت رأسي وهو على حاله، فسجدت مراراً وطفت وصليت وهو ساجد، ثم قعدت ملياً فبدت لي حاجة فعلَّمت علامة وأتيت منزلي فقضيت حاجتي وذهبت وهو ساجد على حاله فطفت سبعاً وصليت ركعتين وجلست أنتظره فلما بدا أول الفجر رفع رأسه ودعا وابتهل ثم قام وأخذ بيدي وانصرف إلى منزله، قلت: سيدي، من على عبدك؟ فقال: دعني فأنا كال. فقلت: سيدي، أنت لا تكل ولا تعيا، فقال: كيف وقد أخذت علامتك، قلت: سيدي، ليزداد الذين آمنوا إيماناً وعلى ربهم يتوكلون فمن على عبدك في هذه الليلة، فقال: يا داؤد اسمع وع، آدم حجابي واسم خليفتي فهم الدائم فيهم

غير ظاهر موجود، وهو نوح أوحى بأمري إلى أوليائي ودعاهم إلى الإقرار بي وبوحدانتي فسارع إلي أوليائي بالإكرام وعرفت المكرمين، وهو ادريس فنوَّر تخومها وأضاء شمسها وقمرها وعرّف بأمري الخلائق سعدها ونحسها فالسعداء أوليائي فصفيتهم والنحس أعدائي وهم الأبالسة والفراعنة، وهو إبراهيم به بوأت خلقي واخترت أوليائي فصفيتهم من الشبهات والأبالسة وهو الملقي بالنار خلقاً من خلقي مُشتقه من نوري وقدسي ونورت قلوب أوليائي بمعرفتي، وهو حجابي داؤد ألنت له الحديد وسبحت الملائكة بأمري، وهو سليمان الذي أعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأنا يوسف صاحب الجب والبحر الموسع في علمي من شرب منه كان حياً لا يموت، وحجابي وسم المتوسمين من أوليائي بالمعرفة والرجوع إلى العصا وهو موسى بن عمران، وأنا شمعون الصفا وهو عيسى المسيح مسح أرضي وسمائي وخلقي وهم بقبضتي بأمري ومني بدوهم وإلي معادهم، وأنا علي علوت على خلقي ودبّرتهم بأمري ولطفي ورحمتي وحجابي محمد المحمود وأقام أوليائي بأمري من نوره، وهو فاطر فطرت به خلقي وأوليائي ومعرفتي، وحجابي الحسن له الأسماء الحسنى، وأنا الرفيع الأعلى رفعت أوليائي إلى المنزلة وأنا الذي ظهرت لأوليائي وعبادي والحسين اسمي الظاهر المعبود وأنا الظاهر بالوصية والإمامة وحجابي الميم الظاهرة بالنبوة والرسالة أنكر عبادي حجابي وكذلك الله وليه لا متصل به ولا منفصل عنه، قال الله وأولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فجميع المؤمنين واقع بداهم من أصل واحد وإليه يعودون والشدة واقعة عليهم في دار الدنيا وهي دار المحنة ويرجعون إلى دار الصفا وله يصفون وبه يهتدون وإليه يرجعون وعلى طاعة الفرض يحثون عليهم إلى معرفة القائم والأشخاص الأحد والموحد والاسم المنفرد والمعنى واحد عروة الله الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم والطاعة لوليه المتصل والتسليم له بما يريد إليه من العلوم الظاهرة والباطنة المنورة في قلوب أوليائه بأمر العلي الكبير المنير الثالث القائم بحق أخيه بجميع ما يهدي إليه بنفسه والمال فإذا عرف المنازل وقام بها على حقيقتها فقد تخلص ونجا – ثم رجعنا إلى الحديث الأول-

قال محمد بن سنان: هيكل الميم مخلوق من نور وهو خارج داخل على روح القدس المحتجب بروح الإيمان، والظلمة محتجبة بروح القدس الأول، والغيب محتجب بالظلمة، كذلك الميم محتجب بروح الحياة وفيه روح

النبوة، وأعلى روح الإيمان محتجب بسلسل الذي هو الباب ويظهر في الأبواب، كما أنه تحل روح اللاهوت في لميم الذي هو الحجاب في هيكل، ثم ينتقل ويظهر الأئمة ويظهر العين بمثل صورة الميم من غير زوال، كذلك روح شنبوية تحتجب بكل من ادعى الإمامة ظاهراً فإذا غاب هيكله ودخل في المسوخية وتنتقل روح شنبوية وتصير في الذي ادعى الإمامة فإذا ذُبح إبليس الأبالسة بين الركن والمقام اضمحل كذلك.
رُوي أنه قال الحكيم سألت العالم إن الله خلق الخلق على طبقات وجعل أموراً ظاهرة وجعل الناس فيها على درجاتهم فمنهم من يحتمل ذلك على قدر المعرفة إن صفاه وخلصه ومن لم يحمل هذه كان دونه ف المرتبة فهذا بيان ما تكلم ونبهت فيه عقولهم فمن آمن بالعين القديم وأقر بالحجاب الميم وقف على تفسير كتابنا هذا الذي سميناه كتاب الحجب والأنوار وبيناه.
قال داؤد بن كثير الرقي قال: أتيت أنا وسدير بن حنان الصيرفي إلى سيدنا جعفر بن محمد الصادق منه السلام نتوقع خروجه إذ خرج إلينا موسى منه السلام على حمار أقمر فغاب عنا هنيهة، ثم أقبل فقلت له من أين أقبلت يا ابن رسول الله؟ فقال: وجهني أبي إلى عين الشمس في حاجة فقضيتها فعجبنا منه، ثم استأذنا على سيدنا جعفر الصادق فأذن لنا فقلنا: يا ابن رسول الله إلى أين وجهت ابنك؟ فقال: وجهته إلى عين الشمس إلى حاجة فقضاها، فقلنا له: في مثل هذه السرعة! فقال: أي والذي نفس محمد بيده إنه ليأمر من مضى من آبائه إن له غيبة كغيبة المسيح ثم يظهر ويظهر الحق على يده.
ورُوي عن داؤد بن كثير الرقي قال: دخلت أنا وسماعة بن مهران على السيد العالم الصادق وبين يديه رجل من أهل خرسان وقد حمل إليه مالاً فقال له: يا خرساني، تبخلون علينا بأنفسكم وتجودون بأموالكم كأنا محتاجون إليها! إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ويرفع عنكم حر الحديد ويكفيكم ويكتبكم من أوليائه مع الصفوة المختارين من خلقه، يا خرساني أتريد أن أُريك مالاً، فقلت: وأين هو؟ فجذب رجله وبسطها فإذا هو بجابلقا وجابرصا فقال: تعرف هؤلاء الناس، فقلت: لا يا سيدي، ألكم خلق يعرفونكم بخلا ما نعرفكم به؟ فقال: يا داؤد، خلف قبتكم هذه سبعين قبة، ياداؤد، إعلم أن الله شاهدها لا يخلو منها ثم كشف لي عن الحجاب فإذا القباب كلها بين يديه كالدرهم الملقى على الديباجة ثم قال: يا داؤد، تريد عجباً أعجب من ذلك، فقلت: يا سيدي، لا عجب، قال: يا داؤد إن صفا رجل من المؤمنين من هذه الدار ودخل في

محنة أو وقع في بلاء نقلناه من هذه الدار لدار غيرها فيكون هناك في روح وريحان وجنة ونعيم، يا داؤد هذه دار الفاسقين وتلك دار الموحدين العارفين، يا داؤد هذه دار العقاب وتلك دار الثواب، كم من قوم يرجون ثواب الآخرة ويخشون الله وعقابه لا يخرجون منها إلى أن يلقوا الله ومنهم من يرجو ثواب الدنيا، كم كرّة قيلهم في الجحيم وهم يستغيثون ولا يُغاثون ويستجيرون ولا يُجارون، يمر الابن على أبيه والأب على ابنه فيعرفه ويرحمه والستر مسبل عليه فقلت: من أي جهة؟ قال: يمر ويدخل من جلد إلى جلد ويخرج من قالب إلى قالب من كثرة ما مرت عليه قرون وسنين فإذا أبصره حنّ كل واحد إلى صاحبه فيرجى به ويرحمه ويُجيره ويعطف عليه جهده، ألا تعلم يا داؤد إن باب المجازاة لا يتهيأ لأحد أن يُحسن أو يُسيء، قلت: سيدي، إنما يفعل كما فعل به، قال: لا. قلت: من أي جهة؟ قال من الابتداء في الأول وكل إنسان يفعل من الإحسان والإساءة كما فعل به وزناً بوزن لا يزيد عليه ولا ينقص منه. قال داؤد: قلت سيدي، المؤمنون يخرجون من المحنة إذا أدوا ما عليهم إلى دارهم التي وُصِفت لهم بقوله: إن للمتقين مفازاً حدائق وأعنابا وكواعب أترابا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا، ثم قال: يا داؤد هم أفضل منكم في أعلى درجة في عليين وهم يرونكم في الجنة فرحين بما آتاهم الله من فضله، يا داؤد، إن الله استخصكم واصطفاكم وأنتم صفوة الله من خلقه أصحاب الدرجات العاليات وإنما مثل أهل الجنة في الدرجات كأصحاب المراتب كل واحد قد رُتِّب له مرتبة إخواننا على سرر متقابلين كل واحد منهم أعلى مرتبة من صاحبه على مقدار إحسانه إلى أخيه فمن ذلك قوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان يا داؤد، فقلت سيدي، أخبرني عن أهل الجنة؟ فقال عبدوا وخدموا وأقروا ووحدوا حتى استكمل لهم الإيمان وصفوا حتى استحقوا الجنة، يا داؤد ما العمل! قال أوله قول الحق ثانيه كتمانه قال أجل ما يُستعمل وثالثه المواساة والرابع تعظيم الضعفاء والخامس الحب في الله والبغض في الله وترك الحسد فإن فيه النجاة والصفاء تمام كمال النورانية يا داؤد لو عمل الرجل بعمل أهل الجنة حتى يكون بينه وبين الجنة عقد ثم كان في قلبه حسد لأخيه لألقاه عن درجته ذلك قول الله: يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب. قال داؤد فترغرغت عيناه بالدموع فقال: ما عليك يا داؤد أن عهد للخلق بذلك فتوانوا واتكلوا على الأمر القليل من هذا الكثير، قال داؤد عرفنا الأصل فغنينا عن الفرع ولا يعلموا أن لا صاحب شريعة إلا شريعة الحجاب في شرائع ما

ذكرناه فبلغ يا داؤد الممتحنين ما سمعت وقل لهم إياكم والتقصير فيما وجب عليكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واتقوا الله لعلكم تُفلحون.
وعن يونس بن ظبيان قال: سألت المفضل بن عمر بعد غيبة أبي الطيبات ما كان محله فقال يونس: إن الله لازال له تدبير في خلقه يظهر شخصاً ويُظهر شخصه في البابية ليعلم الخلق تمكنه في تمكنه بالقدرة لأن الله مولاكم تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا أعلم من الناس بما دبرهم به فأنفذ حكمته فيهم بإقامة الدلائل فقد قام بالحجب بتأييد الله لهم وفي الأبواب بنعمته عليهم فلما أن جلا عليهم شيئاً من المعاجز علم الناس أن هناك فضلاً كبيراً فأهل الفضل تدبروا وعرفوا وأهل الجهل لم يكن لهم تدبير ولا فيهم شيء من العقل يتصلون به إلى ذلك الباب الدقيق الخفي عن الناس مسلكه وهو باب التوحيد، قلت: سيدي، معنى الأبواب كلها واحد؟ قال نعم، كلها واحد ولو أنها ألف أو مائة ألف باب كان سلسل، أو مئة ألف حجاب كان الميم، أو مائة ألف معنى كان أمير المؤمنين إليه التسليم فهذه معرفة التوحيد لمن وحد الله لأنهم لا يمتزجون بأحد ولا بان عنهم أحد بل هم مع الخلق من غير ممازجة، أما تعلم أن الخلق في الأنوار الثلاثة لا يُمزجون بل هم قيام الأنوار فإذا وقع عليهم الناس خرجوا عن ذلك الحد الأول وإنما واقع بهم ذلك بعدمهم للأنوار وذلك أن النور قائم بتلك الظلمة التي ذكروا وهي جهة الجسم فإن ما فيهم إذا استغنوا عن التجسيم صاروا أنواراً واحدة.
قال يونس بن ظبيان: قلت سيدي فإن العجز في الخلق؟ قال: يونس، سبحان الله يجوز أن يكون إلا فيهم، نعم وفي النورانية عجز، قلت: على أي وجه؟ قال عجز ما جاء به المعنى فهناك ثبت المعنوية وبطلت الدعوة إلا العجز من الباري فإن العجز من القادر قدرة فافهم يا أخي أرشدك الله إلى طاعته وفي وجه آخر إن الله لم يعط علمه لأحد من خلقه فإن عنده كل العلم فوقع العجز بأمير المؤمنين من هذه الجهة لتقصيرهم عن قدرة المعنى والله عز وجل قد ذكر في كتاب الأسوس وفي كتابه بقوله والله الغني وأنتم الفقراء فلو كانت القدرة بكمالها عند الخلق المحمود لما عُرف الباري لكن الله متم نوره ولو كره المشركون، يا يونس تفكر بمن دونك وفوقك وأطعه فإن الله أمر بالإطاعة وأمر بطاعة من هو أكبر منك درجة لله عبيد اصطفاهم على سائر الناس وجميع الخلق فقلت الحمد لله.
قال الحسن بن محبوب الوارد سألت مولاي عن النساء في الباطن فقال: هم الأبواب لأنهم محتاجون إلى باريهم لم يقع الكمال لهم، والذكرانية الحجب

واتبع بالله الكمال، فالأنوثة واقعة بالأبواب لحاجتهم إلى المعنى فمن ذلك قوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء الآية، واعلم يا أخي أن الله اصطفاكم للدين وجعلكم أولياءه وأركاناً لدينه ولا يكون لله عز وجل إلا ليحكم بين الخلق بالحق ولكم أن تحكموا بما حكم الله وبما أنزل فأولئك هم الفائزون.
قال الحكيم: الحكم يومئذ لله يحكم بينهم فقد نسب الحكم إلى نفسه ثم استخصكم بما لما علم وعرف منكم وقد قال الله مولاكم – في غيره – الله هو الولي الحميد وقوله هو الغني وأنتم الفقراء إلى الله وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير وإنما أراد بذلك ليعلم بما فضل به الولي واستخصه.
وقد روي عن رشيد الهجري عليه السلام أنه دخل على مولانا علي زين العابدين منه السلام وهو جالس مجتبى ببردة مرتدي بأخرى فسلم عليه فقال: تعرّفني ؟ فقال: يا رشيد، ما تريد، فقلت أريد أن أعرف المراقي والدركات؟ فقال: يا رشيد، إن الدركات سبعة والمرتقي مثلهم فسبعة علوية وسبعة سفلية، فقلت يا مولاي ما تأويل تلك السبعة؟ قال: هم الأشخاص الذين معناهم واحد على التقدير والسبعة السفلية هي أبواب جهنم الذين قال الله فيهم لكل باب منهم جزء مقسوم فافهم فقال نعم فقلت جهنم يا مولاي؟ فقال قوله تعالى هذه جهنم التي كنتم تُوعدون وهي قيام القائم وما توعدون الكشف.
وعنه خبر آخر أن أبا خالد عليه السلام دخل على مولانا العالم منه السلام فقال له: السلام عليك، فقال وعليك السلام يا أبا خالد، فقلت يا مولاي أين تكون أرواح المؤمنين إذا خرجت من هياكلها؟ فقال لي: تكون في عليين وذلك قوله عز وجل إن الأبرار لفي نعيم وإن الأبرار لفي عليين فتنفست وقلت: سيدي، لهم منزلة أعلى من هذه المنزلة؟ فقال: نعم، ألم أنبئك عنها، فقلت: بلى، فقال: وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ثم استثنى بقوله وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون فقال: العين سلسل، والأولياء المؤمنون المقربون لقوله تعالى يسقون من رحيق مختوم وقوله يسقون كأساً كان مزاجها زنجبيلا عنياً فيها تسمى سلسبيلا والكأس والشرب علم آل محمد يشربونه من يد سلسل يُطاف عليهم بآنية من فضة.
قال حكى العزيز أنها ظهوره بالبهمنية كالمحمدية ثم قال: وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها

جثيا ثم قال: معنى يوم القيامة في الباطن ظهوره بالقائم وما أحد إلا ويريد ذلك اليوم فمن عرفه نجا ومن لا يعرفه يردّه إلى العذاب يوم الحسرة والندامة، قال أبو خالد الكابلي: قلت نكون نحن في ذلك اليوم؟ قال: أنتم تكونون بين يدي الله عز وجل حيث كان، فقلت: مولاي، يجوز أن يخلو منه زمان من الأزمنة؟ قال: كان ولا خلق ثم يكون ولا بشر، قال: الواحد والوحدانية تُنسب إلى ذاته فأنتم ما تقولون وكذلك أشباهكم إذا ارتفعت المحنة عن الخلق رجعتم إلى أحوالكم الأولى.

قال ميثم التمار دخلت على سيدي العالم الصادق منه السلام أريد أن أسأله عن أصول التوحيد الذي عرفنا، فقال: أصول التوحيد التي عرفتموها من دون الخلق فهو التوحيد المحض لأنكم أردتم المعنى والخلق المذموم طلبوا الاسم دون حقيقة المعنى والاسم عبارة عن لسان وجوده والمعنى محققة محض التوحيد، ولو سأل رجل الخلق فقال لهم عبيد من أنتم أو عبيد أم أحرار؟ لقالوا: عبيد الله، فيُقال: رأيتموه؟ فيقولون: لا، فيُقال لهم: كيف يُعرف من لا يُرى، وإنما وقعت للعيان بالخلق من جهة الوجود والكلية لأن الله هو الموجود بين خلقه عز وجل عن الصفات والأمثال والحدود، والكلية لأنه تعالى خفي عن النعوت فليس بمنعوت ولا موصوف ولا محدود وإنما مثله كرجل وقف على ساحل بحر، وله مثل آخر ولله المثل الأعلى أن يمثل كالأشياء والأشباح والأشخاص بل هو أجل من ذلك، قلت سيدي، ما رأيناه قدرة من الباري؟ قال: كل ما رأيت منه قدرة القادر لأن القادر له أن يُقيم العجز وينسبه إلى فعله لأن القادر يُظهر العجز وليس بعاجز، ويُظهر القدرة وهو القادر، ويُظهر الفقر وليس بفقير، وكل عجز رأيته من دون ذلك فهو من القادر قدرة لأن القادر يُظهر العجز والعاجز لا يتهيأ له أن يُظهر القدرة والغني يُظهر الفقر والفقير لا يتهيأ له أن يُظهر الغنى وكذلك وجدنا الموجود الذي رأيناه بين الخلق باطن في التجسيم تدعيه العامة أستغفر الله كان قدر بين الخلق ليثبت بذلك الحجة عليهم وإنما ظهر لخلقه محنة امتحنهم بها لا يُريد بالمحنة ما هو أجل وذلك يا أخي استفهم فهمك الله وسهل لك الرشاد وإلى طاعته ومعرفته ومعرفة العلوم والخيرات وذلك أن الله ظهر بين خلقه كخلقه وعرف لنا وعرفنا وحدانيته بنفسه وقد بسط الله لك معرفة التوحيد وقوله ويحذركم الله نفسه، وأنزل التنزيل لئلا يكون على الله حجة وقد كشف التفاخر ورفع الحسد والتسليم له وبر الإخوان والمواساة لهم

وقلة القال والتحبب في الله واقتباس العلم والمسارعة في الخيرات وهو العلي الكبير.

باب درجات التوحيد

فمن رقي درجات التوحيد فهو في أعلاها لأن الله لم يُطالب أحداً من الناس إلا أن يكون من أهل التوحيد فإن أعطاه استحقاقه وأصحاب المراتب إنما رُتبوا باستحقاق لهم.
باب آخر: إن الله عز وجل خلق المراتب وخلق لها أهلاً ورتبهم بسرعة إجابتهم لقوله تعالى السابقون السابقون أولئك المقربون، وقد روي عن مولانا أبي جعفر منه السلام أنه قال: ما يكون أحب إلى الله عز وجل من عدل في البشرية للبشر وأمن فيه للمؤمنين وأعطاهم حقهم ولم يُبخسهم شيئاً لقوله تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تبخسوا الميزان، وقال تعالى: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى فذلك وأشباهه كله مواعظ للمؤمنين ليعرفوا أصول التوحيد، واعلم إن هذا الأمر الذي نحن فيه ليس بصغير وهو أمر صعب على الخلق مدخله والله وليكم، وقال مولانا الباقر منه السلام ما من امرئ له معرفة كاملة إلا كان له رفق بمن هو دونه، وقد تعلمون أن العالم قد رفق بكم في وقت استقامته لكم وكذلك أمركم أن تُرفقوا في ضعفاء المؤمنين، وقال زين العابدين إليه التسليم إن الله أمركم أن تؤدوا الأمانات والأمانة هي أن لا تُبخس أخال المؤمن شيئاً من العلم وقد بينه الله في غير مكان، وقد قال عليه السلام لما سئل عن معرفة الحقيقة واحتج بالرسالة والإمامة من الوصية وكان المعنيين اثنين لا معنى واحد في الوصية وهما حجابان على المعنى الباطن لقوله تعالى باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فمن عرف ظاهر الإمامة ولم يطلب باطن الربوبية فقد خرج عن الله لأن الله يقول هو الظاهر والباطن وقد علمتم أيها

المؤمنون أن التي رأيناها في الهياكل لم تكن أشخاصاً في حد التجسيم وإنما هي أشخاص النور وله اسم ذلك فالاسم غاب والمعنى يُجد كما قالت فيه أهل المعرفة والبصيرة من أهل التوحيد أن الله جل ذكره خلق السموات السبع وما فيهن وما تحتهن وما فوقهن ثم دعا إلى معرفته، فقلنا لنا أن نعرف ما عرفنا وليس لنا أن نعرف مالا نعرف لقوله تعالى: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وقد علمنا أن المجازاة تلحق بالكبير كما تلحق بالصغير وذلك أن المؤمنين في دار الثواب والعقاب ليسوا هم معافين بل هم ممتحنون قريبون إلى الفرج والعالم المنكوس في العقاب وحر الحديد وفي الترديد لقوله تعالى: فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم يُنظرون، وممتحن بمحنة صابر محتسب وممتحن معاقب وكل ذلك في أشد العذاب والمحن لأن العقاب واقع بالمخالفين والمحنة أسأل الله أن يقيل أهلها منها، فاجهد يا أخي أنك تعمل وكلما عملت حسنة فأنت كما قال الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقال: إن الحسنات يذهبن السيئات والله مهد لكم الأرض وجعلكم من أهلها وجعلها لكم فراشاً وأمركم فيها ونهاكم وجعلكم أهل الخيرات فامتثلوا قوله واستنصروه واعرفوا ما عرفتكم من توحيده وأطيعوا أولياء الله ولا تتكبروا على إخوانكم وإياكم من التكبر فإنه من لباس الشيطان، واعلموا أن الله لا يُضيع عمل أحد وهو عادل في الخلق فاحسنوا فإنما يُطلب منكم الإحسان فاعملوا فإن أنفسكم مرهونة بثواب الله فمن فك نفسه فاز ومن بقي مرهوناً فهو في التردد لذلك قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ..الآية وإنما جعل الدار دار ثواب وعقاب وطالبكم بثوابه وحذركم من عذابه وقد وصف نفسه بالعدل وحث خلقه إليه فمن ذلك العهد إلى عهد الله فهو من أصحاب الجبت، واعلموا أن الله عز وجل أخفى هذا الأمر حتى كاد أن يُعبد سراً وقد تعلمون أن الله نفى عن الخلق وأظهر المجازاة لنفسه بأوليائه ثم دعاكم إلى الصبر على المحنة فمن صبر على المحنة كأنه صبر على بلاء ابتلي به، وقد رُوي عن العالم منه السلام أنه قال: ما من امرئ ابتلي ببلاء فشكا بلاءه إلى عدوي إلا ابتلي بما هو أشد منه، وقد رُوي عن يحيى بن محمد الأرمني قال: سألت عن خلق الإنسان فقال: نعم، خلق الإنسان على أربع طبائع وأربع أركان وجعل فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر عرقاً ومثله الأعضاء والمفاصل وجمعها وأوصلها وأقامها لحمية دموية جوهرية روحانية ثم أجرى فيها مخاً فأمر المخ يعني الدماغ فجمد ثم أجرى فيه دماً وفصل بين المخ والمفاصل بين قضبان

ملفقات ثم أنبت اللحم نباتاً ثم شرفه وزينه بالجلد ثم أقام فيه حدوداً أربعة وآلات خمساً وحصل فيه إظهاره وركب فيه الحسن والجمال والاختلاف في الأجسام والقوالب وجعل الشهوة في القلب والنظر في العينين والسمع في الأذنين والشم في الأنف والذوق في الفم والحركة في اليدين ثم جعل قواهم غذاهم وجعلهم صوراً شتى وجعل من الزوجين الذكر والأنثى وألقى بينهم الفرح والسرور ورفع عنهم الحزن والتعب وسماهم بأسماء شتى فمنهم المؤمنون والأولياء والأنبياء والصديقون والمطهرون ثم خلقهم للمحنة والتأديب والتعليم إلى أن يرفق في أديانهم وعلواً في مراتبهم وترتبوا في منازلهم وخرجوا من الإنسانية إلى جوهر الروحانية وبقيت الأجساد مُغيبة بالثرى فصنع منها الروائح الطيبة فصارت الأجرام آلة للهيولى العلوية التي استنارت بنور اليقين لصفاء معرفة رب العالمين تتغذى بعد الصفاء في روح البهاء في جوار العلي الأعلى فطوبى لمن فني وما عرفه، ظل متعوباً في العبادة خارجاً عن الضلالة تاركاً للجهالة محتسباً نفسه عارفاً بربه باذلاً مهجته معتكفاً على عبادة الأحد القديم من روح اليقين فطوبى له وحسن مآب، إن الله تبارك وتعالى اصطفاه وناجاه وأعلى له الدرجات وبلّغه الخيرات فهو أعلى المؤمنين مرتبة وأقربهم إلى الله درجة لقد امتحن وصبر وكان عند الله محتسباً، يا أيها الناس اعملوا إنما جعلتكم للعمل والإنتقال من دار المحنة إلى دار الخلد والأبدان، هذه القبة هي قبة المحنة، فإن وراء قبتكم هذه سبعين قبة مثل قبتكم هذه سبعين مرة، فإذا نقل إلى دار الثواب ألا إن دار الثواب دار مسكن الأنوار ويعرض فيها الأخيار، كلهم التسبيح والتقديس والتهليل والتمجيد ولباسهم النورانية في منقلبهم إلى حين خير منقلب وقد لخصت بهم المجازاة فطوبى لهم، يا أيها الناس اتقوا ربكم فإن الآزفة الذي يرجوه الظهور الذي يؤمله والحجة لمن يدعوه فالويل لمن إذا ظهر الحق كان في ريب وكدر ولم يخالط الكروبيين ولم بعرف منازل الصافيين ولم يرجع إلى معرفة المتقين وكذب بحمد ربه ولم يرجع إلى معرفته بل هو في شك من ربه فيقول قد انتقل من دار إلى دار والاسم مبعوده والجسم غايته والشك زينه واللوم كلامه والتكذيب اعتماده ولم يصدق ولا انتهى بل كذب على الحق وتولى وذهب إلى أهله ليتمطى أولى لك فأولى وهو كما قال تعالى: أيحسب الإنسان أن يترك سدى، قال العالم لما سُئل عن وجود الرب فقال: ألم تقرأ قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين إلى قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دن القيّمة وقد علموا أن دعاهم إلى مشاهدة العيان ثم يدعوا إلى غيره، الله ولي الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور والظلمات هي الشك والنور هو معرفة التوحيد اسمع هداية الله إن الله جعل الإيمان كله للمؤمنين وحلل حلالها وحرم حرامها لأعدائه وجعل العقاب معه وجعل ثوابها فعلها وقد رُوي عن الأصبغ بن نباته عن مولانا أمير المؤمنين منه السلام عن قول الله ليدخلوا المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين يعني قيام القائم إليه التسليم، وقد روي عن جابر لما سئل عن قوله والتين والزيتون فأطرق إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السائل قال أنبئك أن الله خاطب الناس بالتين المأكول والزيتون المعصور بل ذلك اسم الحسن والحسين وطور سنين هي فاطر المقدسة التي ما كان فيها كدر وهذا البلد الأمين عنى به مكة ويعلمون أنه غير أمين بل يُشرب فيه الخمر ويُلاط فيه ويُزنى ويُقطع السبيل وليس هو أمين ولكن الإيمان والأمن حب آل محمد وعلمهم وقال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبُث لا يُخرج إلا نكداً فهو صهاك ولد الشيصبان وهم عبدة الجبت الطاغوت عويمر والأزلام عسير، قال وسألته عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام قال: الأنصاب زغلول والأزلام بنوا أمية اجتنبوهم اجتناب التقية ووجه آخر كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وقال كل علومهم محرمة عليكم أن تأخذوا منها شيئاً وأسماؤهم أن تسموا بها وسألت عن قول الله وما الشيطان في قديم الدهر هو عوير لعنه الله، وسألته عن اللحوم المحرمة فقال: اذكر كسير وعوير فقلت بما استحقوها قال أقروا بمحمد يوم واحد من الأيام فاستحقوا الولاية بذلك اليوم، قال وسألت مولاي جعفر منه السلام عن قوله وما يؤمن أكثرهم إلا قليلاً فقلت سيدي، لو أحب الله ما خلق كافراً فقال: اسكت يا جابر فلولا أقوام مؤمنون في أصلاب قوم كافرين لم يترك أحد على وجه الأرض من الكفار فإذا خرجت الودائع هلك القوم مثل محمد بن أبي بكر شهد أنه لما خرج من صلبه هلك ولقد كان آفة عليه وهو الشيطان الذي قال وعدهم الشيطان وما يعدهم الشيطان إلا غروراً في أعمالهم وهو سكد لعنه الله وقال زين لهم الشيطان أعمالهم عمل قومهم يتمثلون، قال أتيت إلى مولاي الباقر منه السلام فقلت ما فعل بالأول والثاني.... فقال: مزجهما في الخلق المنكوس فما كان من كفر وشرك وكذب ونفاق ودعوى من جهة خيانة فهو من عندهم إلى أن مزجهم بالخلق حتى إذا قام القائم صار إلى قبريهما - ودعا

إلى ما دعا السيد محمد – يجد فيهما الأول والثاني فيخرجهما إلى البقيع ثم يأتي بجذع من النخل ويأمر بشقه فيصلبهما عليه فيورق الجذع من تحتهما فتفتتن بهما الناس في آخر أمرهما أشد افتتان ثم ينادي القائم منه السلام بأصحابه ويزجرهم زجرةُ واحدة بالغضب ويكشف عن البهمنية ويضمحل في المحمدية يعني الدين العربي وأما الشرائع فلم تزل محمدية من قديم الدهر وحدثه ثم يدعوا الناس كما قال الله تعالى: يوم يدعو الداعي إلى أمر نكر ثم يظهر الله فيهم كمال الخلق وأشباحه وحجبه وأبوابه ثم يدعوا الناس إلى معرفته بعد أن يكشف هذه المدة ثم يقول: إن كنتم توعدون لواقع، قال جابر ثم رأيت مولاي على جمل أورق وعليه برنس من شعر ومدرعة من شعر وفي وسطه كشتيز وزنار عليه عسلي حمدي فإذا رأته المجوس سجدت لعظمته وقالت هذا هو إلهنا وإذا رأته اليهود بالعسلي قرت وقالت هذا هو موسى وإذا رأته النصارى بالزنار اللاهوتي قالت هذا هو المسيح وإذا رآه المسلمون بالبردة والقضيب قالوا هذا محمد ينادي أيها الناس أجيبوا الداعي إذا دعاكم، قال جابر فقلت مولاي ما الداعي فقال هو الداعي بنفسه لنفسه وهو رسول نفسه إلى نفسه وهو القائم على كل نفس بما كسبت قال جابر فعندها يكشف الحق وتُفتح أبواب الباطن وعُرف الحق وعرفت حقائق الإيمان واستدلت على الله واستقر عندهم ظاهراً أن المعنى هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال جابر وسألته عن الأشخاص الخمسة فقال يا جابر هي بمعنى واحد لا يُقال لها في حد القسمة إلا من جهة اللغة وأما من جهة الحقيقة فمعناهم واحد وليس لله ند ولا ضد ولا صاحبة ولا ولد بل يكون الأشياء بالتكوين والتدبير ثم دعاهم إلى معرفته فأجابوه مطيعين سامعين فجعل لهم درجات في التقديم فهناك يُعرف الفاضل والمفضول ألم تعلم أن الدرجات جعل الله أهلها على مقدار إجابتهم وقد تعلم يا جابر أن المراقي التي ترقى فيها المؤمنون هي المراقي التي استقروا فيها وعليها ولم يتغيروا ولم يتبدلوا ولا تغيرت قلوبهم ولا شكوا في الله ولا في أوليائه فأولئك الذين أُخرجوا من دار المحنة إلى دار النورانية واستحقوا معرفة الله بالوحدانية، يا جابر افهم أن باب الله سلسل وكذا قال باطن الميم الحجاب، يا جابر الألف معاينة للام والباء راجعة إليها فالألف المعنى جل وعلا واللام محمد والحجاب والشخصين الحسن والحسين فهم عليه وهما معنى واحد وهما الميم فاطر جوهرة الميم

وكذا الياء ثلاثة أحرف يرجع بعضها إلى بعض ألم تعلم يا جابر أن المعنى وهو الذي سمّى هذه الأسماء والأحرف منه وإليه.

قال محمد بن سنان: سألت السيد العالم علينا سلامه عن الظهور وأهل التوحيد فقال: الربوبية للمعنى، والاسم لمحمد، والتوحيد والمعنى لعلي وسلسل بابه ظهر بوحدانية الذات فمن آمن به كان مؤمناً، ومن شبهه كالخلق كان مشركاً ومن جحده كان كافراً فهذا هو التوحيد، وجعل الدلالة عليه نبيه وأبوابه رسله ونفسه إلى معرفة الذات وهي قبل كل متجل والقبلة إليه ودعا العباد بنفسه إلى معرفته ليستدلوا بحجابه إلى نفسه إلى معرفة الذات ويؤمنوا ويقروا بوحدانيته أنه لا غيره في كل وقت وزمان وعصر وأوان وإنما أقام هذه الأشخاص تلبيساً، فأما الميم حجاب الذات كلما غاب شخص قام شخص لميقات والمعنى أحد أزل لا يتكيف ولا يتشخص.

قال محمد بن سنان: سألت العالم فإذا جاء أمرنا وفار التنور؟ قال: إذا قام قائمنا نطق بتوحيد المعنى ودعا إليه ثم يكشف الغطاء فيومئذ لا يغيبه عنه شيء، وسألته عن الصفات صفات الذات فهل يقع عليها اسم وصفة، وما صفة تنتقل فإنه يقع على روح القدس وهي الروح التي تقع وتحل في الأنبياء، وسألته عن قوله تعالى وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين يعني اتقوا الله في حق المؤمن خير لكم إن كنتم مؤمنين في الدنيا والآخرة من المسوخية إن كنتم بالعين مقرين، وسألته عن الشمس فقال: هي حجاب الله الأكبر فيه يحتجب كل يوم وهي ثلاثمائة وستون حجاباً وهذه الحجب أصلها كلها من الأحد لا نهاية له لم يزل أحداً في الذات كان قبل أن يخلق الخلق وكون الكون بلا تكوين، قال الحجاب منه السبعة والحجب الثلاثون وهي أيام الشهر من اثني عشر برجاً وأيام السنة هي أيام الشهر والأيام السبعة من الألف وهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ظهر بالوصية وبطن بالربوبية وأعلن بالهاشمية العلوية.

قال المفضل بن عمر قال مولانا لو عرف الناس مقدار التوحيد ودقائقه إذاً لغاصوا في البحار السبع حتى يُخرجوا العلوم، ثم قال : أتدري ما معنى البحار، قلت: لا، قال هي علوم آل محمد وماؤها البحر السابع وتدري من صاحب البحر السابع، قلت: لا، قال: سلمان، قلت من غواص البحر؟ قال: يا مفضل هم داؤود ومعلى ورفاعة ويونس وسماعة ورفاعة بن مهران ومحمد بن سنان وماها الإبلي ومحمد بن يحيى الأرمني وحنان وسدير وصفوان بن مهران هؤلاء غواصون علوم آل محمد.

وعن جعفر بن محمدالصادق وأصحابه الأئمة الطاهرين عليهم السلام الذين يعرفون جزاء ماهم فيه قال: أتدري متى يلحق المؤمن بالصفاء، قلت: سيدي، متى؟ قال: إذا رأى الأبيض من غير بياض، والأصفر والأحمر والأسود فعندها يكون مؤمناً، قلت: من أي جهة؟ قال: من جهة الكدر والشك في أولياء، فإذا ارتفع الشك نزل الصفاء فصارت الأشياء كلها بين يدي النور وذلك قوله تعالى: هو الذي يُخرجكم من الظلمات إلى النور، يا مفضل، هذه صفة المؤمنين، قال قلت: سيدي أخبرني عن الروح تخرج من البدن؟ قال: أي روح، قلت الروح المثابة المعاقبة؟ قال: نعم إن الأرواح غير النفس والنفس داخلة خارجة والروح المثابة تصير إلى الملكوت فتقر بها الأرواح النورانية فيرى ليله نهاراً ونهاره نهاراً، قلت: مولاي، من أي جهة؟ قال: من جهة الصفاء، قال: ألا تعلم أن النور لا يمتزج بالظلمة والظلمة لا تمتزج به، قلت: لا؟ قال: هما جسمان مختلطان غير متضادين، والمؤمنون أجسامهم وأرواحهم في الحمد والمعرفة والقبول والنهاية واحد وإنما كان الفرق بينهما قبل التوحيد فلما وحدوا صاروا جوهراً واحداً محموداً، قلت قد مننت علي وهديتني إلى صراط مستقيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة المفضّلية

للمفضل بن عمر الجُعفي عن المولى الصادق منه الرحمة

قال حدثني الشيخ أبو نصر محمد بن محمد قال حدثني أبو الحسين محمد بن علي عن والده أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدس الله روحيهما قال حدثني جعفر بن مالك الفزاري عن عبد الله بن يونس الموصلي عن محمد بن صدقه العنبري عن محمد بن سنان الزاهري عن صفوان بن يحيى عن المفضل بن عمر الجُعفي قال:

قلت لمولاي الصادق الوعد منه الرحمة وقد خلوت به ووجدت الفرصة منه وقد كنت أتمناها وآنست به لسؤاله فقلت أسألك يا مولاي عن ما جرى في خاطري من ظهور المعنى لخلقه بصورة مرئية ، وهل الذات تتجزأ أو تتصور بحركة أو سكون ؟ وكيف ظهور الغيبة للخلق وكيف يطيق الخلق النظر إلى الخالق ؟

فقال: يا مفضل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ) يا مفضل إن علمنا صعب مستصعب وسرنا وَعرُ بَعيدٌ على اللسان أن يترجم منه إلا تلويحاً وإنما تعرف شيعتنا بحسب درايتهم بنا ومعرفتهم فينا وسحقاً لمن

يَروي ما لا يدري ويقصد ما لا يبصر وَيصبح في عقلٍ ولا يصبح في لب وذلك إن القرآن نزل على معنى إياك أعني واسمعي يا جاره.

يا مفضل سيأتي على الناس زمان يأمر فيهِ الخامِلُ ذِكرهُ والناقص عند الناس قَدره الذي يحسده المُقُرون ويلعنه المخالفون وهو منا قريب ولدينا مجيب وسأكشف لك يا مفضل فاستمع لما يوحى وانظر بعين عقلك وأنصت بنور لبك واسمع وعِ فلقد سلكت أمر عظيم وخطبٍ جسيم وحق يقين وسألقي عليك منه قولاً ثقيلاً وأمراً جليلاً وهو الذي ضلّ به وفي معرفته الخلق الكبير والجم الغفير إلا من رَحِمَ ربك إنه هوَ الغفور الرحيم.وهو ما نبأ بهِ الباقر لجابر بن يزيد الجُعفي وقد سأله عما سألت ، وهي المحنة العظمى والسر المستتر والعِلمُ الصعب المستصعب الوعر الأوعر الذي خفي عن سائر العوالم إلا عن الصفوة والمختصين والبلغاء المستحفظين الذين خلصوا فاختصوا وشهدوا بحقّ ما علموا وصدقوا بما عاينوا كما ذكره في التنزيل من قول السيد الجليل (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ) وهم يعلمون في الأمر.

يا مفضل: سر مولاك لطيف غامض. اعلم أن الذات تجلُّ عن

الأسماء والصفات غيبٌ ممتنع ولا يمتنع عنهُ باطن ولا يستتر عنه خفي الضمائر لطيف لا شيء أعظم منه ، موصوفاً بأفعاله مشهوداً بآياته معروفاً بظهوراته كان قبل القبل ومن قبل أن يجيب مجيب إذ لا أحداً غيره وقبل المكان إذ لا مكان إلا مكانه وهو إلى ما لا نهاية له لا يحول عن حال ولا عمّا كان من كيانه ما زال ولم يفتقر إلى شيء فيتغير بهِ ولا انتسب إلى غيره فيعرف به بل هو هو حيث هو وحيث كان ولم يكن إلا هو.

واعلم يا مفضل إن الظهور تمام البطون والنطق تمام الصمت ، والقوة تمام الفعل ومتى لم تكن الحكمة تامة في بطونها، كاملة في ظهورها ، كانت الحكمة ناقصة من الحكيم وإن كان قادراً.

فقلت زدني يا مولاي واشرح لي صدري حتى يحيى به مَنْ قربْ مني ونظر إلى حياتي.

فقال: أعرفك بحقيقة المعرفة ، الذي يقرب منك من مشى بنوري ، ثم قال يا مفضل: اعلم أن الظهور الأزل بين خلقه عجيب لا يعلم بذلك إلا عالمٍ خبير ، وان ذلك لصعب ، واعلم أن الذات لا يقال لها نوراً لأنها منيرةٌ كل نور وأن مولاك الأزل من غير فكر به ولا وَهمْ لإظهار المشيئة ، وخلق المشيئة للشيء وهو الميم والسين فأشرق من نور ذاته نوراً شعشعانياً لا تثبت لَهُ الأنوار

وأظهر النور ضياء لم يبن منه وأظهر الضياء ظلاً فأقام صورة الوجود في الظل والضياء وجعل باطنه الضياء والنور.

والذات قائمة بذاتها وذلك قوله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً) يعني ما كان فيه من الذات.

فالصورة الأنزعية هي ذات الضياء والظل وهي التي لم تتغير في قديم الدهور ولا فيما يحدث من الأزمان والظهور.{وظاهره الصورة الأنزعية وباطنه المعنوية اللاهوتية} وتلك الصورة هيولا الهيولات وفاعلة المفعولات وأُسُّ الحركات مُعلة كلِّ عِلة ولا يعلّها شيء ولا يعلم ما هي إلا هي ويجب أن تعلم يا مفضل أن الصورة الأنزعية التي قالت {ظاهري إمامة ووصية وباطني غيب لا يدرك} ليست كلّية الباري ولا الباري سِواها وهي هو إثباتاً وإيجاداً وعياناً ويقيناً ولا هو هي جَمعاً ولا كُلاً ولا أحصاراً ولا أحاطه.

ثم قال يا مفضل: فقلت يا مولاي زدني شرحاً فقد علمت من فضلك ونعمتك ما أقصر به عن بعض صِفةٍ من صفاتك يا مولاي فقال لي يا مفضل: اسأل عما أَحببَت. فقلت يا مولاي: تلك الصورة التي شوهدت على المنابر تدعو من ذاتها إلى ذاتها المعنوية وتصرح باللاهوتية ، قلت لي إنها ليست كلية الباري ولا

الباري غيرها فكيف لي بعلمِ هذا الموضع ؟

فقال: يا مفضل تلك صفات النور وقمص الظهور ومعدن الإشارة وأَلسُنُ العبارة حجبكم بها عنه ودلّكم بها إليه لا هي هو ولا هو غيرها محتجب بالنور ظاهر بالتجلي كُلٌ يراه بحسب معرفته ويتأمله بقدر طاقته فمنهم من يراه قريباً ومنهم من يراه بعيداً.

يا مفضل: إن الصورة قدرة قدير ونور منير وظهور مَولاك رحمة لمن آمن بهِ وأقرّ ، وعذاب على من جحد وأنكرّ ، وليس وراءه غاية ولا له نهاية.

قلت يا مولاي فالواحد الذي هو محمد. فقال الواحد هو محمد إذا سُميّ ومحمد إن وصف ، قلت يا مولاي فَعَليّ ، قال مَهْ (أسكتْ) يا مفضل المعنى فوق اسمه ألم تسمع إلى قوله {ظاهري إمامه ووصيّة وباطني غيب لا يدرك}.

فقلت يا مولاي ما باطن محمد ؟

فقال لي نور الذات وهو أول الكون وبدو الخلق مُكوِّن لكل مخلوق متصل بالنور منفصل بمشاهدة الظهور إن بَعُدَ فقريب وإن أناب فمجيب إذ هو الواحد الذي أبداه الأحد أنه نوره الذي يدخل الأعداد والواحد أصل الأعداد وعودها له ومنه بدوها وجميع الأعداد فإليه عودتها وهو المكوّن لها.

فقلت يا مولاي فقول السيد الميم {أنا مدينة العلم وعلي بابها}.
فقال: يا مفضل إنما أُعني به سلسل الذي تسلسل من نور نوره فمعنى قوله {وعلي بابها} لأنه أعلى المراتب ، وباب لهم ومنه يدخلون إلى المدينة وعلم هدايته فعلى يده يخرج إليهم وهو المترجم لهم بما يَّمده بهِ سيده من علم الملكوت وجلالة اللاهوت ، فقلت يا مولاي: فقول السيد الميم {أنا وعلي كهاتين لا أقول يميناً ولا شمالاً "وأقرن بين إصبعيه"} فقال:
يا مفضل ليس يقدر أحد من أهل العلم أن يُفصِلْ بين الاسم والمعنى غير إن المعنى فوقه لأن الاسم مخترع من نور الذات فليس بينه وبين النور فرق ولا فاصلة فلأجل ذلك قال أنا وعلي كهاتين إشارة منه إلى العارفين إن ليس ثَمةَ فصل ولو كان بينه وبين مُبديهِ فصلاً أو واسطة لكان شخصاً غيره ، وهذا هو الكفر الصراح. أما سمعت إلى قوله تعالى (وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ) وقوله تعالى (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ).
وإنما نهى أن يجعل بينه وبين باريه واسطة ألا أنه بدو الأسماء فلأجل ذلك قال أنا وعلي كهاتين إشارة منه إلى العارفين {فمن عرف الإشارة استغنى عن العبارة}{ومن عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة} ألم تسمع إشارات الاسم إلى مولاه تصريحاً غير

تلويحاً حيث يقول:{أين كاشف همّي أين مُفرج كُربي أين قاضي دَيني أين مُنجِز وَعدي} ثم يكشف عن اسمه الظاهر بين خلقه فيقول {أينَ عَليّاً} فهذه إشارة منه إلى مولاه.وكانت إشارته إلى بابه قوله {أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليقصد الباب} وقوله {سلمان منا أهل البيت} وقد علمت سائر الأمم أن محمد من هاشم وسلمان من فارس وهذا خلاف بين النسب وإنما عنى بهِ النسب الباطني أنه كان من نور نوره ونوره أعلى الأنوار فلأجل ذلك قال أنا مدينة العلم وعلي بابها وقال مولانا أمير النحل:

العَلامَة إن لمعرفتنا دلالة فمن أصاب الإشارات وعرف الدلالات اعتدل مزاجه وصَحَّ منهاجه وأبصر في الظُلُمْ ونجا من التهم وظفر بالنور وحلاوة السرور وعرف الظهور ونال ثوابها فأولئك هم المقربون في جنات النعيم.

يا مفضل: حاضر أنت أم غائب ؟ فقلت: بل حاضر يا مولانا.فقال: اعلم أن المعنى يجل عن الأسماء والصفات ولا يتراءى في الهياكل المُحدَثات لئلاّ تثبت عليه صفة محدودة أو كيفية منعوته وإنما الأسماء والصفات والنعوت والإشارات واقعة بالواحد القديم الاسم العظيم.

يا مفضل: إن جابر بن عبد الله الأنصاري كان يروي ويُحَدِّث عن مولاه بأحاديث فَمَّرة يكشف ومَرَّةٍ يلوّح ومَرّة جالس بين جماعة من المهاجرين والأنصار إذ قالوا له يا جابر إن رأيت أن تحدثنا شيئاً مِمّا عاينته من قدرة مولاك يوم الأحزاب فأفعل قال لهم: حُباً وكرامة اعلموا إني رأيت عَمرُ بن عبد ود العامري وعكرمة بن أبي جهل وغالب بن مالك وأربعة عشر رجلاً لو أن ما في الأرض جميعاً بارزوهم لما أقاموا بهم وقد عبروا الخندق على عظم ما كان من سعتهِ حتى لحقوا بعسكر رسول الله (صلعم) فأشفق المسلمون من ذلك وظنوا الظنون ولقد كان عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص في طرف العسكر يرشقان بالنبل فما لبثوا حتى وَلّوا منهزمين والهي العقل من عَمرُ وأصحابه .. وانظمّ المسلمين بعضهم إلى بعض حتى نادى رسول الله: أين كاشف هَمّي أين منجز وعدي أين قاضي دَيني أين علي بن أبي طالب فعلمت إنه دعا ربه وطلب إلى من يجيبه عند كربته ليثبتَ عند الخلق دلالته وحجته ويوري الخلق حاجته إلى ربه فأجابه مولاي " لبيك..لبيك.. يا رسول الله جاءك الغوث " ثم جَرّدَ سيفه ذو الفقار وبرز نحو عَمرُ وأصحابه فلم أتمالك دون أن أتبعه ومعي حذيفه اليماني المخزومي بأثري لنرى ما يكون فكأنني أراه

وقد قتل عمرو بن عبد ود العامري وطرد البقية الذين كانوا معه وهو واقف يمسح جبينَهُ بطرف بردته حتى سمعنا ضجيج المسلمين وقد عبر على الخندق فعاينوه المؤمنين وكنت أنا وحذيفه إن تأملناه بين أيدينا رأيناه وشاهدناه فإذا نظرنا إلى إشارة المسلمين إليه في عسكر المشركين رأيناه يضرب ويقتل ويطرد ثم أنا نعيد أبصارنا فنراه قائماً يلوح بسيفه يميناً وشمالاً فيقطع أيادياً وأرجُلاً وهم سبع عشرة فرقة حتى وَلّوا وانهزم القوم وكل حزب منهم يَراه في أثرِهِ ويتأمله في عقبهِ بصورتهِ التي لم تزل ولم تزول ولم تتغير ولم تحول فقلت لحذيفه هل رأيت من قدرة مولاك في خلقه كما رأيت ونظرت كما نظرت. فقال: يا أخي أخفي ما رأيت. فالأمر عظيم والخطب جَسيم.

ثم عاد أمير المؤمنين إلى رسول الله والمسلمين على جهتين فأكثرهم يجمع على أنه لم يزل على شفير الخندق يهز بسيفه بعد أن قتل عمرو وطرد أصحابه والباقون يقولون رأيناه وقد عبر إليهم وحصل في أوساطهم وقتل عمرو وغيره وذا القفقاف وجماعة الكفار ، وأنا وحذيفه كنّا بإزائه فقرأ (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ) فقالت الجماعة الحاضرين: صدقت يا جابر هكذا يفعل الله بأعدائه فجعل

الصادق منه الرحمة يقول: يا مفضل هذا من إشارات العارفين ومناجاة الطالبين ودلالات علي رب العالمين.

قال المفضل: فقلت مولاي أبداً بالبينات ؟

قال: يا مفضل لا يسع الكشف. فقلت: يا مولاي قد بان للعارفين إشارتك وغَرُبَ عليهم إدراك نهايتك.

فقال: يا مفضل العلي الأحد إذا كان ظاهراً لخلقه بدا حجب منها يحجب ذاته بنوره ويحجب نوره بضياءه ويحجب ضياءه بظله وهن أنوار لا أجسام ولا أيثار والصورة الأنزعية هي ذات الضياء والظل ، وهي التي تتغير في قديم الدهور ولا فيما يحدث من الدهور والأزمان فظاهره الصورة الأنزعية وباطنه المعنوية ، تلك الصورة هيولا الهيولات ومؤزّلة الأزليات ومُظهِرَة المعجزات والقُدر الباهرات ظاهرها منعقد في باطنها كما قال {ظاهري إمامة ووصاية وباطني غيبٌ لا يُدرك} وقوله (وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ) وذلك بأنهم يقرون بأنه إمام وإن علمه رباني فإذا قيل لهم أنه معنى المعاني والرب الصمداني تولوا وكفروا. وقوله يؤمنون به وهم به كافرون وذلك أنهم يؤمنون بغيب ، لا يُرى ومن عبد ما لا يُرى يوشك أنه لا يكون شيئاً فلما دَلَّهُم على ذاته وصرح لهم بمعنويته كفروا بهِ وجعلوه مربوباً وقد

نص عليه اسمه في سورة الحشر إذ يقول (وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) ولم يأتهم في ذلك الوقت غير مَولاك العين.

يا مفضل: فمن عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة ، وقرار المعرفة هي حقيقة المعنى جلت قدرته ، أما سَمِعتَ الإشارة في قوله تعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وأنا مفسرٌ لك هذه الآية. يا مفضل:

وهي في وجود مولاك وظهوره ، اعلم أن المشكاة هي الصورة المرئية الأنزعية والمصباح هو ما بطن من الضياءِ والظل الذي ذكرته ، والزجاجة التي كأنها كوكب دري هي النور الذي بدا من الذات والشجرة التي توقد منها هي الذات التي لا تُحَدْ ولا توصف ولا تعد ، وكل زيتونة هي الحق ولا هيَّ في المشرق فيخلوا منها المغرب ولا هيَّ في الجميع عامة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أعني الصورة التي ظنوا أنها بشر وهيَّ نور الضياء

والظل ومن وراءها نور الذات ولسان الإشارات فتلك لِسان الحق لا لِسان لحم ولا لِسان عظم (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ).

يـا مفضـل وقفـت علـى سِرِّ الله الخفـي وظـاهره الجَلـي وباطنـه المنيـع وذاتـه الرفيـع يـا مفضـل اعلـم أن الصـفة غير الموصـوف والنعت غير المنعوت والمكـان غير المكوّن والنـور غير المنير والقدرة غير القدير لأنـه منـه أبداها وكذلك الاسم غير المعنى لأن المعنى مُتأحِد بنورهِ أو مؤانساً إلـى خلقهِ كخلقهِ فـإذا بطن ففي ذاتـه وغيبتـه الـتي ليـس شـيئاً كهـو إلا هـو فتعـالى الله العلـي العظيم. وقد سألتنـي يـا مفضـل عن المشيئة فـأعلم إن الله شـاء أن يبـدي مشيئته ولـم يـزل بهـا عالمـاً فكانـت المشيئة إرادة مـن غـير همـه ولا حـدوث ولا فكـر ولا انتقـال حركـة إلــى سـكون ولا سكون إلى حركـة وكذلك إنـه لـم يظهـر المشيئة الـتي هـي اسمُه لحاجةٍ منه إليـه ولكن بطبـع الحكيم بدت الحكمـة إظهـار مـا فـي الكتـاب إلـى العيـان ولـو لـم يظهـر مـن غـامض علمـه إلـى وجـود معاينتـه لكان الملك ناقصاً والحكمة غير تامـة {لأن تمـام القـوة الفعل وتمام العلم المعلوم وتمام الكون التكوين} فـافتح يـا مفضـل مقلتـي قلبك لأمر ربك واعلم أن النـور لم يكن بـاطن الـذات فظهـر منـه ولا ظاهر منه فبطن فيـه ، بل النـور من الـذات بـلا تنقيص

ولا غايته في غيبته بل استتار مشرق منه بلا انفصال كالشعاع من القرص أو كالفيء من الشبح.

يا مفضل فالصورة التي يظهر بها الاسم من ضياء نوره أفضل ضياءه الذي تشخص به للخلق لينظروه وَدَلّهُم على باريهم ليعرفوه فهي صفة النفس والنفس هي صفة الذات فلأجل ذلك قوله (وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ) وإنما حذرهم أن يجعلوه محدثاً أو مصنوعاً كالمحدثات والمصنوعات لأن نور الذات قديم غير محدث ولا مصنوع ولو كان ذلك النور محدثاً لكانت الذات محدثة وهذا هو الكفر.

اعلم يا مفضل: أن ليس بين الأحد والواحد إلا كما بين الحركة والسكون وبين الكاف والنون لأنه متصل في نور الذات والأحد الذي لا يُحد لأنه غاية من قصده ونهاية من طلبه ، والباب من دون الاسم ومن دون الباب سائر المراتب.

أتدري يا مفضل لِمَ يُسمّى الاسم أحمدَ ؟ قلت لا يا مولاي. قال: من حمد الخلائق وإتباعها له.

يا مفضل: أما سمعت قوله تعالى (هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ) فأما الصراط الذي ذكرته عامة من لا يعرفه إنه مثل حَدَّ السَيف وأدق من الشَعرة فدقته علمه ، واستقامته الإقرار بتلك الصورة ،

فمن أقرّ بتلك الصورة وعَلِمَ بأنها ظاهر اللاهوت فقد استقام على الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه وعرف السِرّ الخفي والنور المضيّء ، يا مفضل وكل أسماء الاسم واقعة بالباب لأن الوحدانية وشخصه من الحروف اليَاء وذلك إنه لما خلقه الله الواحد وظهر له المولى عزّ وجل ودعاه فأجابه ثم أقامه ، والثمانية وعشرين حرفاً حروف المعجم وظهر لهم عز وجل ودعاهم فأجابوه وَسَجَدوا لمولاهم وعظّموه فتأخر الألف عن السجود فناداه مولاه ما منعك عن السجود أيها الألف ؟ لِمَ لا تسجد كما سجدت سائر الحروف ؟

فقال: يا مولاي أنت الآمر وَأنا المأمور فانتظرت أمرك وكان أخرها. فقال له المعنى: كنت أخرها وقد جعلتك أولها وجعلت الياء أخرها وعطفتها عليك تكلأها وتمدّها فجعل مولاك يا مفضل مادة الحروف من الياءِ الذي هو شخص الباب سلسل وذلك لما تجلى مولاك للحروف وناداها فأول من أجاب الياء لَبيك يا مَن انتهت صفاته إليه وغاية كل ما وقعت الغايات عليه ، رأيت نفسي صغيرة ومنزلتي حقيرة فلك الحَمد بالذي هو الواحد حسب جُهد من سَبق ، وغاية ضمير من لَحق فناداه مولاه وعزتي

وجَلالـي لجعَلـك بابـاً لوحـدانيتي عَلـيَّ ولأجعلـن لـك مرتبـة فـي الآخرين كما أن لك مرتبة في الأولين ثم عطفه من الأول إلى الآخر كما يعطف الياء الذي هو شخص الباب والألف هو الذي أولها وأصله به فناداه:

فإذا أراد الداعي أن يدعى يدعي مثل قوله يا الله يا رحمن يا رحيم بالباب يبتدي وبالاسم يُثني وللمعنى يدَّعي ويناجي فالياء مكتنفة والألف أولها وهما مشتملات عليها فالباب بكل شيء عليم بِما يمدَّه سَيدهُ من علمِ الملكوت وجلالة الجبروت.

قال يا مفضل: فقلت يا مولاي قد أتضح لي حَقُ ما قلته إيضاحاً ويقيناً فعرفني بقيّة الحروف التي خلقها الله الواحد وبابه الوحدانية ، قال يا مفضل أنصت ما به أيدك الله وتوكل عليه إنه كان للأوابين غفورا.

إن الثمانية وعشرين حرفاً حروف المعجم منها الياء الذي يأثر بهِ الطالب ومنه يبدي إليهِ ومنها الخمسة الأيتام لبابهِ ومنها الأحد عشر كوكب الذي رآها يوسف ومنها الأثنى عشر نقيباً فهؤلاء يا مفضل هم بركات الله في أرضهِ وبهم يُؤيد مَن اصطفاه في بريتهِ وبهؤلاءِ يا مفضل أَيدَّ الله الأولين وأَيدَّ الآخرين وهم من بابهِ يستمدون ومن نوره يقتبسون لا يسبقونه بالقول وهم

بـأمرهِ يعملـون (يَعْلَمُ مَـا بَيْنَ أَيْدِيـهِمْ وَمَـا خَلْفَهُـمْ وَلَا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَـى وَهُـم مِّنْ خَشْيَتِـهِ مُشْـفِقُونَ) ومـن هـؤلاء يـا مفضـل يكـون مَـدَد المنبـأين والنقبـاء والنجبـاء والمختصـين والمخلصـين والممتحنين ومن هؤلاءِ يا مفضل يكون مَدد المقربين والكروبيين والروحانيين والمقدسين والسائحين والمستمعين واللاحقين. ومن هؤلاءِ يا مفضل يكون مَدد الطالبين.

فالحمد للهِ على ما خولك من معرفتهِ ومنحك من هدايتهِ والحمد لله حَمدَ الشاكرين وصَلى الله وسلم على سيدنا مُحمد وعلى لآلهِ الطيبين الطاهرين وحَسبي الله ونعمَ الوكيل ونعم المولى ونعم النصير وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفاتحة لأرواح جميع المؤمنين في مشارقها ومغاربها أجمعين

تمت الرسالة وصدق الله العظيم

اللهم إني أسألك يا أحدَ بحق المطالع البابية وبحق ذاتك العليّة
واسمك الواحد وبابك الوحدانية
أن تدفع عنا وعن إخواني المؤمنين كُلّ هَمٍ وَغمٍ وَأذى وَبَليّة
يا متجَلي بالصورةِ الجليّة
إلهي تخلف وتبارك لأصحاب هذا العمل وهذا الخير
وعاملهم على حُسن النيّة

يـا مَـولاي يـا علـي يـا عظيـم يـا أنـزع يـا بطيـن والحمـد لله رب العالمين

الفاتحة

التوحيد

للمفضل بن عمر الجعفي

روى محمد بن سنان قال: حدثني المفضل بن عمر قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالسا في الروضة بين القبر والمنبر وأنا مفكر فيما خص الله تعالى به سيدنا محمداً من الشرف والفضائل وما منحه وأعطاه وشرفه وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته فإني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقر به المجلس إذ رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلم ابن أبي العوجاء فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله ونال الحظوة في كل أحواله فقال له صاحبه إنه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها الأحلام وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسر فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجا فقرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت إليها دعوته وعلتها كلمته وظهرت فيها حجته برا وبحرا سهلا وجبلا في كل يوم وليلة خمس مرات مرددا في الأذان والإقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره ولئلا يخمل أمره فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر محمد فقد تحير فيه عقلي وضل في أمره فكري وحدثنا في ذكر الأصل الذي نمشي له ثم ذكر

ابتداء الأشياء وزعم أن ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع ولا مدبر بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال.

قال المفضل: فلم أملك نفسي غضبا وغيظا وحنقا فقلت: يا عدو الله أ لحدت في دين الله وأنكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم وصورك في أتم صورة ونقلك في أحوالك حتى بلغ إلى حيث انتهيت فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة وبراهينه لك لائحة فقال يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك فإن ثبتت لك حجة تبعناك وإن لم تكن منهم فلا كلام لك وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا ولا بمثل دليلك تجادل فينا ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا وإنه الحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق يسمع كلامنا ويصغى إلينا ويتعرف حجتنا حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننا إنا قطعناه دحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه ردا فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزونا مفكرا فيما بلي به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها فدخلت على

مولاي υ فرآني منكسرا فقال ما لك فأخبرته بما سمعت من الدهرييّن وبما رددت عليهما فقال يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الأنعام والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ويسكن إلى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكر علي غدا

المجلس الأول

قال المفضل فانصرفت من عنده فرحا مسرورا وطالت على تلك الليلة انتظارا لما وعدني به فلما أصبحت غدوت فاستؤذن لي فدخلت وقمت بين يديه فأمرني بالجلوس فجلست ثم نهض إلى حجرة كان يخلو فيها ونهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه فجلس وجلست بين يديه فقال يا مفضل كأني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظارا لما وعدتك فقلت أجل يا مولاي فقال يا مفضل إن الله تعالى كان ولا شيء قبله وهو باق ولا نهاية له فله الحمد على ما ألهمنا والشكر على ما منحنا فقد خصنا من العلوم بأعلاها ومن المعالي بأسناها واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه فقلت يا مولاي أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه وكنت أعددت معي ما أكتب فيه فقال لي افعل يا مفضل

إن الشكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جل قدسه وبرأ من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود حتى أنكروا خلق الأشياء وادعوا أن تكونها بالإهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى الله عما يصفون وقاتلهم الله أنى يؤفكون فهم في ضلالهم وغيهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء وأحسنه وفرشت بأحسن الفرش وأفخره وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يحتاج إليها ولا يستغنى عنها ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا ويطوفون بيوتها إدبارا وإقبالا محجوبة أبصارهم عنها لا يبصرون بنية الدار وما أعد فيها وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه وأعد للحاجة إليه وهو جاهل للمعنى فيه ولما أعد ولماذا جعل كذلك فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة فإنهم لما عزبت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى فلا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه

والأرب فيه فيسرع إلى ذمه ووصفه بالإحالة والخطأ كالذي أقدمت عليه المنانية الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة وأشباههم من أهل الضلال المعللين أنفسهم بالمحال فيحق على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التقدير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك ويرغب إليه في الثبات عليه والزيادة منه فإنه جل اسمه يقول: **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ)**

يا مفضل أول العبر والدلالة على الباري جل قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه فإنك إذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط والنجوم مضيئة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء فيها لشأنه معد والإنسان كالملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب النبات مهيأة لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة وأن الخالق له واحد وهو الذي ألفه ونظمه بعضا إلى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا إله غيره تعالى عما يقول الجاحدون وجل وعظم عما ينتحله الملحدون.

نبدأ يا مفضل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فإنه يجرى إليه من دم الحيض ما يغذوه الماء والنبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوى أديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثدي أمه كالإداوتين المعلقتين لحاجته فلا يزال يتغذى باللبن ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء لين الأعضاء حتى إذا يحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام فيلين عليه ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك وكان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر وعز الرجل الذي يخرج به من جد الصبا وشبه النساء وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الإنسان

فـي هـذه الأحـوال المختلفـة هـل تـرى مثلـه يمكـن أن يكـون بالإهمال أ فرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو فـي الـرحم أ لـم يكـن سيذوي ويجـف كمـا يجـف النبـات إذا فقد المـاء ولـو لـم يزعجـه المخـاض عنـد استحكامه أ لـم يكـن سيبقى فـي الـرحم كالموءود في الأرض ولو لم يوافقه اللبن مع ولادتـه أ لـم يكـن سيموت جوعا أو يغتذي بغذاء لا يلائمـه ولا يصـلح عليـه بدنـه ولو لم تطلع له الأسنان في وقتها أ لم يكن سيمتنع عليـه مضـغ الطعـام وإسـاغته أو يقيمـه علـى الرضـاع فـلا يشـتد بدنـه ولا يصـلح لعمـل ثـم كـان يشـغل أمـه بنفسـه عـن تربيـة غيـره مـن الأولاد

و لو لم يخرج الشعر في وجهه فـي وقتـه أ لـم يكـن سيبقى فـي هيئـة الصـبيان والنسـاء فـلا تـرى لـه جلالـة ولا وقـارا قـال المفضل فقلت له يا مولاي فقد رأيت من يبقى علـى حالتـه ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ الكبر فقال υ (ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد) فمـن هـذا الـذي يرصـده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلا الذي أنشأه خلقا بعد أن لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان فـإن كـان الإهمـال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيـان بـالخطأ والمحـال لأنهمـا ضـد الإهمـال وهذا فظيـع مـن القـول وجهـل مـن قائلـه لأن الإهمـال لا يـأتي بالصـواب والتضـاد لا يأتي بالنظام تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا

و لو كان المولود يولد فهما عاقلا لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع إلى تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي سبي صغيرا غير عاقل ثم لو ولد عاقلا كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى في المهد لأنه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غبيا غافلا عما فيه أهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد حال حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطرار إلى المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية وفي هذا أيضا وجوه أخر فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم

لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل أباه وأمه ولا يمتنع من نكاح أمه وأخته وذوات المحارم منه إذا كان لا يعرفهن وأقل ما في ذلك من القباحة بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه أ فلا ترى كيف أقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطإ دقيقه وجليله

اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثا جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رءوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم أ فليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثيرا ما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته فأما ما يسيل من أفواه الأطفال

من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حد البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك من التمادي في معصيته فسبحانه ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه تعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا

انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعا على ما يشاكل ذلك عليه فجعل للذكر آلة ناشرة تمتد حتى تصل النطفة إلى الرحم إذا كان محتاجا إلى أن يقذف ماءه في غيره وخلق للأنثى وعاء قعرا ليشتمل على الماءين جميعا ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم أ ليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون

فكر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع وتدبير كل منها للأرب فاليدان للعلاج والرجلان للسعي والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول والأوعية لحملها والفرج لإقامة النسل وكذلك جميع

الأعضاء إذا ما تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة

قال المفضل فقلت يا مولاي إن قوما يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة فقال υ سلهم عن هذه الطبيعة أ هي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق فإن هذه صنعته وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم فإن الذي سموه طبيعة هو سنته في خلقه الجارية على ما أجراها عليه

فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه إلى الكبد في عروق دقاق واشجة بينهما قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكاها وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما وينفذه إلى البدن كله في مجاري مهيئة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء ليطرد في الأرض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مفايض قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى إلى المثانة فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه

الأعضاء منه مواضعها وأعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله ومستحقه

قال المفضل فقلت صف نشوء الأبدان ونموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال قال ع أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفيا جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللحم والشحم والعصب والمخ والعروق والغضاريف فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مد في عمره أو يستوفى مدته قبل ذلك هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة

انظر يا مفضل ما خص به الإنسان في خلقه تشرفا وتفضلا على البهائم فإنه خلق ينتصب قائما ويستوي جالسا ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوبا على وجهه كذوات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئا من الأعمال

انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الأشياء ولم تجعل

في الأعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعترضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الأشياء

فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم تكن فيها منفعة وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها أرب وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافئا فلو كان بصر ولم تكن الألوان لما كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم تكن أصوات لم يكن للسمع موضع

فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا تتم الحواس إلا بها كمثل الضياء والهواء فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفي على من صح نظره وأعمل فكره إن مثل هذا الذي وصفت من

تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضا وتهيئة أشياء أخر بها تتم الحواس لا يكون إلا بعمل وتقدير من لطيف خبير فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في أموره فإنه لا يعرف موضع قدميه ولا يبصر ما بين يديه فلا يفرق بين الألوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى حفرة إن هجم عليها ولا عدوا إن أهوى إليه بسيف ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة حتى أنه لو لا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى وكذلك من عدم السمع يختل في أمور كثيرة فإنه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الأصوات واللحون المشجية والمطربة وتعظم المئونة على الناس في محاورته حتى يتبرموا به ولا يسمع شيئا من أخبار الناس وأحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد أو كالميت وهو حي فأما من عدم العقل فإنه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيرا مما تهتدي إليه البهائم أ فلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال التي بها صلاح الإنسان والتي لو فقد منها شيئا لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئا منها فلم كان كذلك إلا أنه خلق بعلم وتقدير قال المفضل فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يا مولاي قال ﬤذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما يؤدب الملوك

الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويتصوب من تدبيرهم ثم إن للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت إن شكروا وأنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب

الأعضاء المخلوقة أفرادا وأزواجا وكيفية ذلك

فكر يا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفرادا وأزواجا وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير فالرأس مما خلق فردا ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون له توحيدالمفضل ص : 62أكثر من واحد أ لا ترى أنه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلا عليه من غير حاجة إليه لأن الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد ثم كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلا لا أرب فيه ولا حاجة إليه وإن تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان أحدهما فضلا لا يحتاج إليه وإن تكلم بأحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأي ذلك يأخذ وأشباه هذا من الأخلاط واليدان مما خلق أزواجا ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء أ لا ترى أن النجار والبناء لو شلت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج

صناعته وإن تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت يداه تتعاونان على العمل

الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان وعمل كل منها

أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم أ لا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السين ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء وأشبه توحيدالمفضل ص : 63شيء بذلك المزمار الأعظم فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزامير والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفا ونغما كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحانا غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإن المزمار في الحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت

ما في الأعضاء من المآرب الأخرى

قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو حبس شيئا يسيرا لهلك الإنسان وباللسان

تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مرها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام والشراب والأسنان لمضغ الطعام حتى يلين وتسهل إساغته وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك فإنك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف الشراب حتى توحيدالمفضل ص : 64يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر لا يثج ثجا فيغص به الشارب أو ينكي في الجوف ثم همى بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الإنسان إذا شاء ويطبقها إذا شاء وفيما وصفنا من هذا بيان أن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرف وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى وذلك كالفأس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال

الدماغ وأغشيته والجمجمة وفائدتها

ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه هد الصدمة والصكة التي ربما وقعت في الرأس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صارت بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدة الحر والبرد فمن حصن الدماغ هذا التحصين إلا الذي خلقه وجعله

ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطير مرتبته

توحيدالمفضل ص : 65 الجفن وأشفاره

تأمل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والأشفار كالأشراج وأولجها في هذا الغار وأظلها بالحجاب وما عليه من الشعر

الفؤاد ومدرعته

يا مفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي غشاؤه وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلا يصل إليه ما ينكيه

الحلق والمريء

من جعل في الحلق منفذين أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم توحيدالمفضل ص : 66 المتصل بالرئة والآخر منفذا للغذاء وهو المريء المتصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها وجعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل الرئة وعملها أشراج منافذ البول والغائط

من جعل الرئة مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تختل لكيلا تتحير الحرارة في الفؤاد فتؤدي إلى التلف من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجا تضبطهما لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر

المعدة عصبانية والكبد
من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ولتهضم توحيدالمفضل ص : 67و تعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلا الله القادر أ ترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك كلا بل هو تدبير مدبر حكيم قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إياها لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير
المخ والدم والأظفار والأذن ولحم الأليتين والفخذين
فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصنا في أنابيب العظام هل ذلك إلا ليحفظه ويصونه لم صار الدم السائل محصورا في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلا لتضبطه فلا يفيض لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلا وقاية لها ومعونة على العمل لم صار داخل الأذن ملتويا كهيأه اللولب إلا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع وليكسر حمة الريح فلا ينكي في السمع لم حمل الإنسان على فخذيه وأليتيه هذا اللحم إلا ليقيه من الأرض فلا يتألم من الجلوس عليها كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها
الإنسان ذكر وأنثى وتناسله وآلات العمل وحاجته وحيلته وإلزامه بالحجة

من جعل الإنسان ذكرا وأنثى إلا من خلقه متناسلا ومن خلقه توحيدالمفضل ص : 68متناسلا إلا من خلقه مؤملا ومن أعطاه آلات العمل إلا من خلقه عاملا ومن خلقه عاملا إلا من جعله محتاجا ومن جعله محتاجا إلا من ضربه بالحاجة ومن ضربه بالحاجة إلا من توكل بتقويمه ومن خصه بالفهم إلا من أوجب الجزاء ومن وهب له الحيلة إلا من ملكه الحول ومن ملكه الحول إلا من ألزمه الحجة من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من لم يبلغ مدى شكره فكر وتدبر ما وصفته هل تجد الإهمال يأتي على مثل هذا النظام والترتيب تبارك الله تعالى عما يصفون

الفؤاد وثقبه المتصلة بالرئة

أصف لك الآن يا مفضل الفؤاد اعلم أن فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التي في الرئة تروح عن الفؤاد حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح إلى الفؤاد ولهلك الإنسان أ فيستجيز ذو فكرة وروية أن يزعم أن مثل هذا يكون بالإهمال ولا يجد شاهدا من نفسه يزعه عن هذا القول لو رأيت فردا من مصراعين فيه توحيدالمفضل ص : 69كلوب أ كنت تتوهم أنه جعل كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة أنه مصنوع يلقى فردا آخر فيبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنه فرد من زوج مهيأ من فرد أنثى فيلتقيان لما فيه من دوام

النسل وبقائه فتبا وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى أنكروا التدبير والعمد فيها فرج الرجل والحكمة فيه

لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعضا أبدا كيف كان الرجل يتقلب في الفراش أو يمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعا فقدر الله جل اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مؤنة بل جعل فيه قوة الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك لما قدر أن يكون فيه من دوام النسل وبقائه

توحيدالمفضل ص : 70منفذ الغائط ووصفه

اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى أ ليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه فلم يجعله بارزا من خلفه ولا ناشزا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الأليتان بما عليهما من اللحم فتواريانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألفى ذلك المنفذ

منه منصبا مهيأ لانحدار الثفل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه
الطواحن من أسنان الإنسان
فكر يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت للإنسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم ينقص واحد من الصفتين إذ كان محتاجا إليهما جميعا
توحيدالمفضل ص : 71الشعر والأظفار وفائدة قصهما
تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار فإنهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج إلى تخفيفه أولا فأولا جعلا عديما الحس لئلا يؤلم الإنسان الأخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم الأظفار مما يوجد له ألم وقع من ذلك بين مكروهين إما أن يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه وإما أن يخففه بوجع وألم يتألم منه قال المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه فقال ع إن لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعما لا يعرفها فيحمده عليها اعلم أن آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج الأظفار من أناملها ولذلك أمر الإنسان بالنورة وحلق الرأس وقص الأظفار في كل أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات فتخرج الآلام والأدواء بخروجهما وإذا طالا تحيرا وقل خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن توحيدالمفضل ص : 72فأحدثت عللا وأوجاعا ومنع

مع ذلك الشعر من المواضع التي تضر بالإنسان وتحدث عليه الفساد والضر لو نبت الشعر في العين أ لم يكن سيعمى البصر ولو نبت في الفم أ لم يكن سينغص على الإنسان طعامه وشرابه ولو نبت في باطن الكف أ لم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الأعمال ولو نبت في فرج المرأة وعلى ذكر الرجل أ لم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر كيف تنكب الشعر عن هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا في الإنسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فإنك ترى أجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه فتأمل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطإ والمضرة وتأتي بالصواب والمنفعة

شعر الركب والإبطين

إن المنانية وأشباههم حين أجهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين ولم يعلموا أن ذلك من رطوبة تنصب إلى هذه المواضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه أ فلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها توحيدالمفضل ص : 73ثم إن هذه تعد مما يحمل الإنسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة فإن اهتمامه بتنظيف بدنه وأخذ ما يعلوه من الشعر مما يكسر به شرته ويكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والبطالة

الريق وما فيه من المنفعة

تأمل الريق وما فيه من المنفعة فإنه جعل يجري جريانا دائما إلى الفم ليبل الحلق واللهوات فلا يجف فإن هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الأسنان ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاما إذا لم يكن في الفم بلة تنفذه تشهد بذلك المشاهدة واعلم أن الرطوبة مطية الغذاء وقد تجري من هذه البله إلى مواضع أخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان ولو يبست المرة لهلك الإنسان

محاذير كون بطن الإنسان كهيئة القباء

ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التمييز توحيدالمفضل ص : 74و قصور العلم لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه أ لم يكن أصلح من أن يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا يعرف ما فيه إلا بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وجس العرق وما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة أن هذا لو كان هكذا كان أول ما فيه أن كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغتر بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتو والأشر ثم كانت الرطوبات التي في البطن تترشح وتتحلب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بدلته وزينته بل كان يفسد عليه

عيشه ثم إن المعدة والكبد والفؤاد إنما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر إلى رؤيته واليد إلى علاجه لوصل برد الهواء إلى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الأحشاء فكان في ذلك هلاك الإنسان أ فلا ترى أن كلما تذهب إليه الأوهام سوى ما جاءت توحيدالمفضل ص : 75به الخلقة خطأ وخطل

أفعال الإنسان في الطعم والنوم والجماع وشرح ذلك

فكر يا مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبر فيها فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به فالجوع يقتضي الطعم الذي فيه راحة البدن وقوامه والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه ولم يجد من طباعه شيئا يضطره إلى ذلك كان خليقا أن يتوانى عنه أحيانا بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالفكر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان إنما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير

بعيد أن يفتر عنه حتى يقل النسل أو ينقطع فإن من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به توحيدالمفضل ص : 76فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه محركا من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه واعلم أن في الإنسان قوى أربعا قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة وقوة ماسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها ففكر في تقدير هذه القوى الأربع التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والأرب فيها وما في ذلك من التدبير والحكمة فلو لا الجاذبة كيف كان يتحرك الإنسان لطلب الغذاء الذي به قوام البدن ولو لا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ولو لا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله ولو لا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أولا فأولا أ فلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسأمثل لك في ذلك مثالا إن البدن بمنزلة دار الملك له فيها حشم وصبية توحيدالمفضل ص : 77و قوام موكلون بالدار فواحد لقضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم وآخر لقبض ما يرد وخزنة إلى أن يعالج ويهيأ وآخر لعلاج

ذلك وتهيئته وتفريقه وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين والدار هي البدن والحشم هم الأعضاء والقوام هم هذه القوى الأربع ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الذي وصفت فضلا وتزدادا وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء ولا قولنا فيه كقولهم لأنهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب وتصحيح الأبدان وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها

قوى النفس وموقعها من الإنسان

تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس وموقعها من الإنسان توحيدالمفضل ص : 78أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك أ فرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه إذا لم يحفظ ما له وما عليه وما أخذه وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به وما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه عمره ولا يعتقد دينا ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع

أن يعتبر شيئا على ما مضى بل كان حقيقا أن ينسلخ من الإنسانية

النعمة على الإنسان في الحفظ والنسيان

فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان فإنه لو لا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجاء غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد أ فلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له في كل منهما ضربا من المصلحة وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع توحيدالمفضل ص : 79على ما فيه الصلاح والمنفعة

اختصاص الإنسان بالحياء دون بقية الحيوانات

انظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره العظيم غناؤه أعني الحياء فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعداة ولم تقض الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء حتى إن كثيرا من الأمور المفترضة أيضا إنما يفعل للحياء فإن من الناس من لو لا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد

أمانة ولم يعف عن فاحشة أ فلا ترى كيف وفى الإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره

اختصاص الإنسان بالمنطق والكتابة

تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا المنطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره توحيدالمفضل ص : 80و به يفهم عن غيره ما في نفسه ولو لا ذلك كان بمنزله البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئا وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ودرست العلوم وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روى لهم مما لا يسعهم جهله ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة وكذلك لكتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأمم إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادعى

ذلك أن الإنسان وإن كان لـه فـي الأمرين جميعا فعل أو حيلـة فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه فإنه لو لم يكن له لسان مهيأ للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلم أبدا ولو لم تكن لـه كف مهيئـة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبدا واعتبر ذلك من البهائم التـي لا كلام لها ولا كتابة فأصل ذلك فطرة البـاري جل وعز ومـا تفضـل بـه علـى خلقـه فمـن شـكر أثيـب توحيدالمفضـل ص : 81و من كفر فإن الله غني عن العالمين

إعطاء الإنسان ما يصلح دينه ودنياه ومنعه مما سوى ذلك

فكر يا مفضل فيما أعطي الإنسان علمه وما منـع فإنـه أعطـي جميـع علـم مـا فيـه صـلاح دينـه ودنيـاه فممـا فيـه صـلاح دينـه معرفـة الخـالق تبـارك وتعـالى بالـدلائل والشـواهد القائمـة فـي الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل علـى النـاس كافـة وبـر الوالدين وأداء الأمانة ومواساة أهل الخلـة وأشـباه ذلـك ممـا قـد توجد معرفته والإقرار والاعتراف به فـي الطبـع والفطـرة مـن كـل أمـة موافقـة أو مخالفـة وكـذلك أعطـي علـم مـا فيـه صـلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج الأرضين واقتنـاء الأغنـام والأنعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الأسقام والمعادن التـي يسـتخرج منهـا أنـواع الجـواهر وركـوب السفن والغوص في البحر وضروب الحيـل فـي صـيد الـوحش والطيـر والحيتـان والتصـرف فـي الصـناعات ووجـوه

المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر تعداده مما فيه صلاح أمره في هذه الدار فأعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك مما ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان أيضا كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض وما في لجج البحار وأقطار العالم وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشباه هذا مما حجب عن الناس علمه توحيدالمفضل ص : 82و قد ادعت طائفة من الناس هذه الأمور فأبطل دعواهم ما يبين من خطئهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادعوا عليه فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الأمرين فيها صلاحه

ما ستر عن الإنسان علمه من مدة حياته

تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدة حياته فإنه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر على أن الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس وإن كان طويل العمر ثم عرف ذلك

وثق بالبقاء وانهمك في اللذات والمعاصي وعمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله أ لا ترى لو أن عبدا لك عمل على أنه يسخطك سنة ويرضيك يوما أو شهرا لم تقبل ذلك منه ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كل الأمور وفي كل الأوقات على تصرف الحالات فإن قلت أ وليس قد يقيم الإنسان على المعصية حينا ثم يتوب فتقبل توبته قلنا إن ذلك شيء يكون من الإنسان لغلبة توحيدالمفضل ص : 83الشهوات له وتركه مخالفتها من غير أن يقدرها في نفسه ويبني عليه أمره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة فأما من قدر أمره على أن يعصي ما بدا له ثم يتوب آخر ذلك فإنما يحاول خديعة من لا يخادع بأن يتسلف التلذذ في العاجل ويعد ويمني نفسه التوبة في الأجل ولأنه لا يفي بما يعد من ذلك فإن النزوع من الترفه والتلذذ ومعاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف البدن أمر صعب ولا يؤمن على الإنسان مع مدافعته بالتوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل وقد نفذ المال فيبقى الدين قائما عليه فكان خير الأشياء للإنسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي ويؤثر العمل الصالح فإن قلت وها هو الآن قد ستر

عنه مقدار حياته وصار يترقب الموت في كل ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم قلنا إن وجه توحيدالمفضل ص : 84التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوى ولا ينصرف عن المساوئ فإنما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه لا من خطإ في التدبير كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فإن كان المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم تكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ولئن كان الإنسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فإنه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى الكبائر الفظيعة فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم إن ترقب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ويجودون بالأموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أولئك حظهم منها الأحلام وامتزاج صادقها بكاذبها وسر ذلك

فكر يا مفضل في الأحلام كيف دبر الأمر فيها فمزج صادقها توحيدالمفضل ص : 85بكاذبها فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة

بل كانت فضلا لا معنى له فصارت تصدق أحيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها أو مضرة يتحذر منها وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد

الأشياء المخلوقة لمآرب الإنسان وإيضاح ذلك

فكر يا مفضل في هذه الأشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن وغيرها والحجارة للأرحاء وغيرها والنحاس للأواني والذهب والفضة للمعاملة والذخيرة والحبوب للغذاء والثمار للتفكه واللحم للمأكل والطيب للتلذذ والأدوية للتصحح والدواب للحمولة والحطب للتوقد والرماد للكلس والرمل للأرض وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه أ رأيت لو أن داخلا دخل دارا فنظر إلى خزائن مملوءة من كل ما يحتاج إليه الناس ورأى كلما فيها مجموعا معدا لأسباب معروفة أ كان يتوهم أن مثل هذا يكون بالإهمال ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا من صنع الطبيعة في العالم وما أعد فيه من هذه الأشياء توحيدالمفضل ص : 86اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان وما فيها من التدبير فإنه خلق له الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزة وخلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت له العقاقير لأدويته فكلف لقطها وخلطها وصنعها وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا

المثال فانظر كيف كفى الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح لأنه لو كفى هذا كله حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل لما حملته الأرض أشرا وبطرا ولبلغ به ذلك إلى أن يتعاطى أمورا فيها تلف نفسه ولو كفى الناس كلما يحتاجون إليه لما تهنئوا بالعيش ولا وجدوا له لذة أ لا ترى لو أن امرأ نزل بقوم فأقام حينا بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء فكيف لو كان طول عمره مكفيا لا يحتاج إلى شيء فكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان أن جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه إن ناله

توحيدالمفضل ص : 87الخبز والماء رأس معاش الإنسان وحياته

واعلم يا مفضل أن رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر الأمر فيهما فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز لأنه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا لا يشترى لتسقط عن الإنسان المئونة في طلبه وتكلفه وجعل

الخبز متعذرا لا ينال إلا بالحيلة والحركة ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفه عما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث أ لا ترى أن الصبي يدفع إلى المؤدب وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث الذين ربما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل لخرج من الأشر والعبث والبطر إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية وما يخرجه ذلك إليه

اختلاف صور الناس وتشابه الوحوش والطير وغيرها من الحكمة في ذلك

اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر كما تتشابه الوحوش والطير وغير ذلك فإنك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا يفرق توحيدالمفضل ص : 88بين واحد منها وبين الأخرى وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة والعلة في ذلك أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم لما يجرى بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته أ لا ترى أن التشابه في الطير والوحش لا يضرها شيئا وليس كذلك الإنسان فإنه ربما تشابه التوأم تشابها شديدا فتعظم المئونة على الناس في معاملتهما حتى يعطى أحدهما بالآخر ويؤخذ أحدهما بذنب

الآخر وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلا عن تشابه الصور فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب إلا من وسعت رحمته كل شيء لو رأيت تمثال الإنسان مصورا على حائط وقال لك قائل إن هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أ كنت تقبل ذلك بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر في الإنسان الحي الناطق

توحيدالمفضل ص : 89نمو أبدان الحيوان وتوقفها وسبب ذلك

لم صارت أبدان الحيوان وهي تغتذي أبدا لا تنمي بل تنتهي إلى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها لو لا التدبير في ذلك فإن تدبير الحكيم فيها أن تكون أبدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير وصارت تنمي حتى تصل إلى غايتها ثم تقف ثم لا تزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ولو تنمي نموا دائما لعظمت أبدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف

ما يعتري أجسام الإنس من ثقل الحركة والمشي لو لم يصبها ألم

لم صارت أجسام الإنس خاصة تثقل عن الحركة والمشي وتجفو عن الصناعات اللطيفة إلا لتعظيم المؤنة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك لو كان

الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس... توحيدالمفضل ص : 90أ ما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربه في العافية وبسط يده بالصدقة ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار ويذل العصاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات وبم كان العبيد يذلون لأربابهم ويذعنون لطاعتهم أ فليس هذا توبيخ ابن أبي العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير والمانوية الذين أنكروا الوجع والألم

انقراض الحيوان لو لم يلد ذكورا وإناثا

ولو لم يولد من الحيوان إلا ذكر فقط أو أنثى فقط أ لم يكن النسل منقطعا وباد مع أجناس الحيوان فصار بعض الأولاد يأتي ذكورا وبعضها يأتي إناثا ليدوم التناسل ولا ينقطع

ظهور شعر العانة عند البلوغ ونبات اللحية للرجل دون المرأة وما في ذلك من التدبير

لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا تنبت لهما العانة ثم تنبت اللحية للرجل وتتخلف عن المرأة لو لا التدبير في ذلك فإنه لما جعل الله تبارك توحيدالمفضل ص : 91و تعالى الرجل قيما ورقيبا على المرأة وجعل المرأة عرسا وخولا للرجل أعطى الرجل اللحية لما له من العز والجلالة والهيبة ومنعها المرأة لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة

والمضاجعة أ فلا ترى الخلقة كيف تأتي بالصواب في الأشياء وتتخلل مواضع الخطإ فتعطي وتمنع على قدر الأرب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل قال المفضل ثم حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكر إلى غدا إن شاء الله تعالى فانصرفت من عنده مسرورا بما عرفته مبتهجا بما أوتيته حامدا لله تعالى عز وجل على ما أنعم به علي شاكرا لأنعمه على ما منحني بما عرفنيه مولاي وتفضل به علي فبت في ليلتي مسرورا بما منحنيه محبور بما علمنيه

توحيدالمفضل ص : 92المجلس الثاني

قال المفضل فلما كان اليوم الثاني بكرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست فقال الحمد لله مدبر الأدوار ومعيد الأكوار طبقا عن طبق وعالما بعد عالم ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى عدلا منه تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله جل قدسه فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ في نظائر لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولذلك توحيدالمفضل ص : 93قال سيدنا محمد ص إنما هي أعمالكم ترد إليكم ثم أطرق الإمام هنيئة وقال يا مفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون

بصراء عمى لا يبصرون نطقاء بكم لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون وحسبوا أنهم مهتدون حادوا عن مدرجة الأكياس ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس كأنهم من مفاجأة الموت آمنون وعن المجازات مزحزحون يا ويلهم توحيدالمفضل ص : 94ما أشقاهم وأطول عناءهم وأشد بلاءهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله قال المفضل فبكيت لما سمعت منه فقال لا تبك تخلصت إذ قبلت ونجوت إذ عرفت

أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها وإيضاح ذلك

ثم قال أبتدئ لك بذكر الحيوان ليتضح لك من أمره ما وضح لك من غيره فكر في أبنية أبدان الحيوان وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لا تنثني ولا تتصرف في الأعمال ولا هي على غاية اللين والرخاوة فكانت لا تتحامل ولا تستقل بأنفسها فجعلت من لحم رخو ينثني تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق تشده وتضم بعضه إلى بعض وغلفت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله وأشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان وتلف بالخرق وتشد بالخيوط وتطلي فوق ذلك بالصمغ فتكون العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم والخيوط بمنزلة العصب والعروق والطلاء بمنزلة الجلد فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرك حدث بالإهمال من غير صانع جاز أن يكون ذلك في

هذه التماثيل الميتة فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحري أن لا يجوز في الحيوان

توحيدالمفضل ص : 95أجساد الأنعام وما أعطيت وما منعت وسبب ذلك

وفكر يا مفضل بعد هذا في أجساد الأنعام فإنها حين خلقت على أبدان الإنس من اللحم والعظم والعصب أعطيت أيضا السمع والبصر ليبلغ الإنسان حاجته فإنها لو كانت عميا صما لما انتفع بها الإنسان ولا تصرفت في شيء من مآربه ثم منعت الذهن والعقل لتذل للإنسان فلا تمتنع عليه إذا كدها الكد الشديد وحملها الحمل الثقيل فإن قال قائل إنه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس يذلون ويذعنون بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن فيقال في جواب ذلك إن هذا الصنف من الناس قليل فأما أكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل والطحن وما أشبه ذلك ولا يغرون بما يحتاج إليه منه ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال لأنه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدة أناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقه من التعب الفادح في أبدانهم والضيق والكد في معاشهم

توحيدالمفضل ص : 96خلق الأصناف الثلاثة من الحيوان

فكر يا مفضل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح كل واحد منها فالإنس لما قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة والخياطة وغير ذلك خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء وأوكدها هذه الصناعات

آكلات اللحم من الحيوان والتدبير في خلقها

وآكلات اللحم لما قدر أن تكون معايشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخالب تصلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات وآكلات النبات لما قدر أن يكونوا لا ذوات صنعه ولا ذات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاولت طلب المرعى ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر توحيدالمفضل ص : 97 كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيئها للركوب والحمولة تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد وبراثن شداد وأشداق وأفواه واسعة فإنه لما قدر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقه تشاكل ذلك وأعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيئة لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا تحتاج إليه لأنها لا تصيد ولا تأكل اللحم ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أعني

السلاح الذي تصيد به وتتعيش أ فلا ترى كيف أعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه

ذوات الأربع واستقلال أولادها

انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أماتها مستقلة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس فمن أجل أنه ليس عند أماتها ما عند أمهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالأكف والأصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها وكذلك توحيدالمفضل ص : 98ترى كثيرا من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج وتلقط حين تنقاب عنها البيضة فأما ما كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها فصارت تمج الطعام في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلا أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير

توحيدالمفضل ص : 99قوائم الحيوان وكيفية حركتها

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجا لتتهيأ للمشي ولو كانت أفرادا لم تصلح لذلك لأن الماشي ينقل قوائمه يعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة وذو

الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الأرض كما يثبت السرير وما أشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره وينقل الأخريين أيضا من خلاف فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشى

انقياد الحيوانات المسخرة للإنسان وسببه

أ ما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما والبعير لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمواتاة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في توحيدالمفضل ص : 100ناحية لم يلحقها وكذلك جميع الأصناف المسخرة للإنسان كانت كذلك إلا بأنها عدمت العقل والروية فإنها لو كانت تعقل وتتروى في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الأمور

افتقاد السباع للعقل والروية وفائدة ذلك

وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل ورويه فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تجتاحهم فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمور والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس أ فلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من إقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها إلا بالليل فهي مع صولتها كالخائف من الإنس بل مقموعة ممنوعة منهم ولو كان ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم

عطف الكلب على الإنسان ومحاماته عنه

ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة توحيدالمفضل ص : 101عنه وحافظ له ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذب الذعار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله ويألفه غاية الألف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع الكلب على هذه الألفة والمحبة إلا ليكون حارسا للإنسان له عين بأنياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التي يحميها ويخفرها

وجه الدابة وفمها وذنبها وشرح ذلك

يا مفضل تأمل وجه الدابة كيف هو فإنك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطا أو

تتردى في حفرة وترى الفم مشقوقا شقا في أسفل الخطم ولو شق كمكان الفم من الإنسان في مقدم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئا من الأرض أ لا ترى أن الإنسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمه له على توحيدالمفضل ص : 102سائر الأكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقا من أسفله لتقبض على العلف ثم تقضمه وأعينت بالجحفلة لتتناول بها ما قرب وما بعد اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فإنه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعا يواريهما ويسترهما ومن منافعها فيه أن ما بين الدبر ومراقي البطن منها وضر يجتمع عليها الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبة تذب بها عن تلك المواضع ومنها أن الدابة تستريح إلى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة فإنه لما كان قيامها على الأربع بأسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها في تحريك الذنب راحة وفيه منافع أخرى يقصر عنها الوهم فيعرف موقعها في وقت الحاجة إليها فمن ذلك أن الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ثم جعل ظهرها مسطحا مبطوحا على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان أسفل البطن كما كان الفرج من المرأة توحيدالمفضل ص : 103لم

يتمكن الفحل منها أ لا ترى أنه لا يستطيع أن يأتيها كفاحا كما يأتي الرجل المرأة
الفيل ومشفره
تأمل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فإنه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما إلى جوفه ولو لا ذلك لما استطاع أن يتناول شيئا من الأرض لأنه ليست له رقبة يمدها كسائر الأنعام فلما عدم العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسد له فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي عدم ما يقوم مقامه إلا الرءوف بخلقه وكيف يكون هذا بالإهمال كما قالت الظلمة فإن قال قائل فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام قيل إن رأس الفيل وأذنيه أمر عظيم وثقل ثقيل فلو كان ذلك على عنق عظيم لهدها وأوهنها فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا يناله منه ما وصفناه وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدم العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته
توحيدالمفضل ص : 104حياء الأنثى من الفيلة
انظر الآن كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة في أسفل بطنها فإذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ثم جعلت فيه هذه الخلة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه

الزرافة وخلقتها وكونها ليست من لقاح أصناف شتى
فكر في خلق الزرافة واختلاف أعضائها وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان فرأسها رأس فرس وعنقها عنق جمل وأظلافها أظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل أن نتاجها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك أن أصنافا من حيوان البر إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتى وهذا جهل من قائله وقله معرفة بالبارئ جل قدسه وليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وإنما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمار فيخرج بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع فيخرج من بينهما السمع على أنه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس توحيدالمفضل ص : 105و عضو من الجمل وأظلاف من البقرة بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فإنك ترى رأسه وأذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطا بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على أنه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها

شيء وليعلم أنه خالق أصناف الحيوان كلها يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيها شاء ويفرق ما شاء منها في أيها شاء ويزيد في الخلقة ما شاء وينقص منها ما شاء دلالة على قدرته على الأشياء وأنه لا يعجزه شيء أراده جل وتعالى فأما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإن منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة ذاهبة طولا في الهواء فهي تحتاج إلى طول العنق لتتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتقوت من ثمارها

القرد وخلقته والفرق بينه وبين الإنسان

تأمل خلقة القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضا بأحشاء الإنسان وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يومئ إليه ويحكي توحيدالمفضل ص : 106كثيرا مما يرى الإنسان يفعله حتى إنه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنه من طينة البهائم وسنخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وأنه لو لا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على أن في جسم القرد فضولا أخرى تفرق بينه وبين الإنسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان

وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان في الحقيقة هو النقص في العقل والذهن والنطق

إكساء أجسام الحيوانات وخلقة أقدامها بعكس الإنسان وأسباب ذلك

انظر يا مفضل إلى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامها هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف لتقيها من البرد وكثرة الآفات ألبست الأظلاف والحافر والأخفاف لتقيها من الحفاء إذ كانت لا أيدي لها ولا أكف ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها واستبدال بها فأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج ويغزل توحيدالمفضل ص : 107و يتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك أنه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه إليه الكفاية ومنها أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء ومنها أن يتخذ لنفسه من الكسوة ضروبا لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروبا من الخفاف والنعال يقي بها قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معايشهم ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء

موارا‌ة البهائم عند إحساسها بالموت

فكر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم وإلا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قال قائل أنها أكثر من الناس لصدق فاعتبر في ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الظباء توحيدالمفضل ص : 108و المها والحمير الوحش والوعول والأيائل وغير ذلك من الوحوش وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطاة والإوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعا وكلها لا يرى منها إذا ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع فإذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولو لا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء فانظر إلى هذا بالذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأول الذي مثل لهم كيف جعل طبعا وأذكارا في البهائم وغيرها ليسلم توحيدالمفضل ص : 109الناس من معرة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد

الفطن التي جعلت في البهائم الأيل والثعلب والدلفين

فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفا من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه جل وعز أحد من خلقه لا بعقل وروية فإن الأيل يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا من أن يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظمأ الغالب الشديد خوفا من المضرة في الشرب وذلك مما لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها فمن أعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة إلا من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما تقوى عليه السباع من مساورة الصيد أعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه والدلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن توحيدالمفضل ص : 110يأخذ السمك فيقتله ويسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة لبعض المصلحة

التنين والسحاب

قال المفضل فقلت أخبرني يا مولاي عن التنين والسحاب فقال ع إن السحاب كالموكل به يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفا من السحاب ولا يخرج إلا في القيظ مرة إذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قلت فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه إذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرته

توحيدالمفضل ص : 111في الذرة والنمل وأسد الذباب والعنكبوت وطبائع كل منهما

قال المفضل فقلت قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة والنملة والطير فقال ع يا مفضل تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة إلا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره انظر إلى النمل واحتشاده في جمع القوت وأعداده فإنك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحب إلى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله توحيدالمفضل ص : 112أ ما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون إلى الحب فيقطعونه قطعا لكيلا ينبت فيفسد عليهم فإن أصابه ندي أخرجوه فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ النمل

الزبية إلا في نشز من الأرض كيلا يفيض السيل فيغرقها وكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة من الله جل وعز انظر إلى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة أسد الذباب وما أعطي من الحيلة والرفق في معاشه فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريبا منه تركه مليا حتى كأنه موات لا حراك به فإذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب دبيبا دقيقا حتى يكون منه بحيث تناله وثبته ثم يثب عليه فيأخذه فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضا عليه حتى يحس بأنه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيى بذلك منه فأما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب أحال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه توحيدالمفضل ص : 113فذلك يحكي صيد الكلاب والفهود وهذا يحكي صيد الإشراك والحبائل فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلا بالحيلة واستعمال الآلات فيها فلا تزدرى بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد

جسم الطائر وخلقته

تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فإنه حين قدر أن يكون طائرا في الجو خفف جسمه وأدمج خلقه واقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين ومن الأصابع الخمس على أربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعلت السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها توحيدالمفضل ص : 114للطيران وكسا كله الريش ليتداخله الهواء فيقله ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص من خلقة الإنسان وخلق له منقار صلب جاسي يتناول به طعمه فلا ينسحج من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم الأسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغني به عن المضغ واعتبر ذلك بأن عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحا ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر ثم جعل مما يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فإنه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلا للأمر الذي قدر أن يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعا وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرخ

من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسح حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه أن يلقط الطعم والحب يستخرجه بعد توحيدالمفضل ص : 115أن يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه ولأي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يأمل في فراخه ما يؤمل الإنسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا من فعله يشهد أنه معطوف على فراخه لعله لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره

الدجاجة وتهيجها لحضن البيض والتفريخ

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطأ بل تنبعث وتنتفخ وتقوى وتمتنع من الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها إلا لإقامة النسل ومن أخذها بإقامة النسل ولا روية لها ولا تفكير لو لا أنها مجبولة على ذلك

خلق البيضة والتدبير في ذلك

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من ألمح الأصفر الخاثر والماء توحيدالمفضل ص : 116الأبيض الرقيق فبعضه ينشو منه الفرخ وبعضه ليغتذى به إلى أن تنقاب عنه البيضة وما في ذلك من التدبير فإنه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحفظة التي لا مساغ لشيء إليها جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها كمن يحبس في

حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه

حوصلة الطائر

فكر يا مفضل في حوصلة الطائر وما قدر له فإن مسلك الطعم إلى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلا قليلا قليلا فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الأولى إلى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه فإنما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت له الحوصلة كالمخلاة المعلقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعم بسرعة ثم تنفذه إلى القانصة على مهل وفي الحوصلة أيضا خلة أخرى فإن من الطائر ما يحتاج إلى أن يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب أسهل عليه

توحيدالمفضل ص : 117اختلاف ألوان الطير وعلة ذلك

قال المفضل فقلت إن قوما من المعطلة يزعمون أن اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبل امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها المرج والإهمال قال يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف ولو كان بالإهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفا

ريش الطائر ووصفه

تأمل ريش الطير كيف هو فإنك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق قد ألف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة ثم ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلا ولا ينشق لتداخله الريح فيقل الطائر إذا طار وترى في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي توحيدالمفضل ص : 118في وسط الريشة وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران

الطائر الطويل الساقين والتدبير في ذلك

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه فإنه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء فإذا رأى شيئا مما يتقوت به خطا خطوات رقيقا حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيفرق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فإنك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الأرض ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئا من الأرض توحيدالمفضل ص : 119و ربما أعين مع العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه

سهولة وإمكانا أ فلا ترى أنك لا تفتش شيئا من الخلقة إلا وجدته على غاية الصواب والحكمة

العصافير وطلبها للأكل

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لا تفقده ولا تجده مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف فرقه فلم يجعل مما لا يقدر عليه إذ جعل بالخلق حاجة إليه ولم يجعل مبذولا ينال بالهوينا إذ كان لا صلاح في ذلك فإنه لو كان يوجد مجموعا معدا كانت البهائم تنقلب عليه ولا تنقلع عنه حتى تبشم فتهلك وكان الناس أيضا يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر والبطر حتى يكثر الفساد وتظهر الفواحش

معاش البوم والهام والخفاش

أ علمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش توحيدالمفضل ص : 120قلت لا يا مولاي قال إن معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب وذلك أن هذه الضروب مبثوثه في الجو لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجا بالليل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير فمن أين يأتي ذلك كله إلا من القرب فإن قال قائل إنه يأتي من الصحاري والبراري قيل له كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد

وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه مع أن هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب فيدل ذلك على أنها منتشرة في كل موضع من الجو فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى أن يظن ظان أنها فضل لا معنى له

خلقة الخفاش

خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع هو إلى ذوات الأربع أقرب وذلك أنه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر توحيدالمفضل ص : 121و هو يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشي إذا مشى على أربع وكل هذا خلاف صفة الطير ثم هو أيضا مما يخرج بالليل ويتقوت بما يسرى في الجو من الفراش وما أشبهه وقد قال قائلون إنه لا طعم للخفاش وإن غذاءه من النسيم وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين أحدهما خروج الثفل والبول منه فإن هذا لا يكون من غير طعم والأخرى أنه ذو أسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للأسنان فيه معنى وليس في الخلقة شيء لا معنى له وأما المآرب فيه فمعروفة حتى أن زبله يدخل في بعض الأعمال

ومن أعظم الأرب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل ثناؤه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة حيلة الطائر أبو نمرة بالحسكة ومنفعتها

فأما الطائر الصغير الذي يقال له ابن نمرة فقد عشش في بعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حية عظيمة قد أقبلت نحو عشه فاغرة فاها تبغيه لتبتلعه فبينما هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها إذ وجد حسكة فحملها فألقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوي وتتقلب توحيدالمفضل ص : 122حتى ماتت أ فرأيت لو لم أخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الأشياء يكون فيها منافع لا تعرف إلا بحادث يحدث أو خبر يسمع به

النحل عسله وبيوته

انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة فإنك إذا تأملت العمل رأيته عجيبا لطيفا وإذا رأيت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففي هذا أوضح الدلالة على أن الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس

توحيدالمفضل ص : 123الجراد وبلاؤه

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه فإنك إذا تأملت خلقه رأيته كأضعف الأشياء وإن دلفت عساكره نحو بلد من بلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه أ لا ترى أن ملكا من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك أ فليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه

كثرة الجراد

انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا مما يصنع بالأيدي متى كان تجتمع منه هذه الكثرة وفي كم سنة كان يرتفع فأستدل بذلك على القدرة التي لا يؤدها شيء ولا يكثر عليها

وصف السمك

تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدر أن يكون عليه فإنه خلق غير ذي قوائم لأنه لا يحتاج إلى المشي إذ كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رية لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجة توحيدالمفضل ص : 124و جعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة وكسا جسمه قشورا متانا متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات فأعين

بفضل حس في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه فيتبعه وإلا فكيف يعلم به وبموضعه واعلم أن من فيه إلى صماخه منافذ فهو يعب الماء بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح إلى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم

كثرة نسل السمك وعلة ذلك

فكر الآن في كثرة نسله وما خص به من ذلك فإنك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان فإن أكثرها يأكل السمك حتى أن السباع أيضا في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضا كي ترصد السمك فإذا مر بها خطفته فلما كانت السباع تأكل السمك توحيدالمفضل ص : 125و الطير يأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة

سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والأصداف والأصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث مثل القرمز فإنه لما عرف الناس صبغه بأن كلبة تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئا من الصنف الذي يسمى

الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه صبغا وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال وزمانا بعد زمان توحيدالمفضل ص : 126قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي ع إلى الصلاة وقال بكر إلى غدا إن شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعفت سروري بما عرفنيه مبتهجا بما منحنيه حامدا لله على ما آتانيه فبت ليلتي مسرورا مبتهجا

المجلس الثالث

فلما كان اليوم الثالث بكرت إلى مولاي فاستؤذن لي فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست فقال ع الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا اصطفانا بعلمه توحيدالمفضل ص : 127و أيدنا بحلمه من شذ عنا فالنار مأواه ومن تفيأ بظل دوحتنا فالجنة مثواه قد شرحت لك يا مفضل خلق الإنسان وما دبر به وتنقله في أحواله وما فيه من الاعتبار وشرحت لك أمر الحيوان وأنا أبتدئ الآن بذكر السماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر والبرد والرياح والجواهر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والنخل والشجر وما في ذلك من الأدلة والعبر

لون السماء وما فيه من صواب التدبير

فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة وتقوية للبصر حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع في إجانة خضراء مملوءة ماء فانظر كيف جعل الله جل وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المتقلبة عليه فلا ينكي فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغا توحيدالمفضل ص : 128منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون قاتلهم الله أنى يؤفكون

طلوع الشمس وغروبها والمنافع في ذلك

فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي النهار والليل فلو لا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه والأرب في طلوعها ظاهر مستغنى بظهوره عن الإطناب في ذكره والزيادة في شرحه بل تأمل المنفعة في غروبها فلو لا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والراحة لسكون أبدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى

الأعضـاء ثـم كـان الحـرص يسـتحملهم مـن مداومـة العمـل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم فإن كثيرا من النـاس لو لا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء و لا قـرار حرصـا علـى الكسـب والجمـع والادخـار ثـم كانـت الأرض تستحمى بـدوام الشـمس بضـيائها ويحمـى كـل مـا عليهـا مـن حيـوان ونبـات فقـدرها توحيدالمفضـل ص : 129الله بحكمتـه وتـدبيره تطلـع وقتـا وتغـرب وقتـا بمنزلـة سـراج يرفـع لأهـل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيـب عنـهم مثل ذلك ليهدءوا ويقروا فصار النور والظلمة مع تضادهما منقـادين متظـاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه

التدبير والمصلحة في الفصول الأربعة من السنة

ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من التدبير والمصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار ويتكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة فـي الشتاء فيطلـع النبـات وتنـور الأشجار ويهيج الحيوان للسفاد وفـي الصـيف يحتـدم الهـواء فتنضـج الثمـار وتتحلـل فضـول الأبـدان ويجـف وجـه الأرض فتهيـأ للبنــاء والأعمـال وفــي الخريف يصفو الهواء وترتفع الأمراض وتصح الأبدان ويمتد

الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام
توحيدالمفضل ص : 130معرفة الأزمنة والفصول الأربعة عن طريق حركة الشمس
فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصح به الأزمنة الأربعة من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف تستوفيها على التمام وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي إلى غاياتهم ثم تعود فيستأنف النشو والنمو أ لا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات الموقتة للديون والإجارات والمعاملات وغير ذلك من أمورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون فإنها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا توحيدالمفضل ص : 131تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما

استتر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة منها والأرب التي قدرت له ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء أ فلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الأمور الجليلة التي لم يكن عندهم فيها حيلة فصارت تجري على مجاريها لا تفتل ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه

الاستدلال بالقمر في معرفة الشهور

استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشو الثمار وتصرمها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها وصار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف

ضوء القمر وما فيه من المنافع

فكر في إنارته في ظلمة الليل والأرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنه ربما توحيدالمفضل ص : 132احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في بعض الأعمال في النهار ولشدة الحر وإفراطه فيعمل في

ضوء القمر أعمالا شتى كحرث الأرض وضرب اللبن وقطع الخشب وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم إذا احتاجوا إلى ذلك وأنسا للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار ويمتنعوا من الهدوء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله تعالى خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون

النجوم واختلاف مسيرها والسبب في أن بعضها راتبة والأخرى منتقلة

فكر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال توحيدالمفضل ص : 133و النملة في ذلك تتحرك حركتين مختلفين إحداهما بنفسها فتتوجه أمامها والأخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون

كلها راتبة أو تكون كلها منتقلة فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما يزعم المعطلة فإن قال قائل ولم صار بعض النجوم راتبا وبعضها منتقلا قلنا إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كل برج من البروج كما يستدل بها على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت توحيدالمفضل ص : 134كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لأنه إنما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها أو لو كان تنقلها بحال واحد لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ القائل يقول إن كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها

فوائد بعض النجوم

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل فإنها لو كانت توحيدالمفضل ص : 135بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون

بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت واحتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حينا وتحتجب حينا إلا لضرب من المصلحة وكذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وكذلك إنها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا وصار الأمران جميعا على اختلافهما موجهين نحو الأرب والمصلحة وفيهما مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة توحيدالمفضل ص : 136و مغربة من العبر فإنها تسير أسرع السير وأحثه أ رأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه أ لم تكن تستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث أحيانا من البروق إذا توالت واضطرمت في الجو وكذلك أيضا لو أن أناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور

حولهم دورانا حثيثا لحارت أبصارهم حتى يخروا لوجوههم فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار وتنكأ فيها وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل فيها جزء يسيرا من الضوء ليسد مسد الأضواء إذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل فإن لم يكن شيء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة إليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا

الشمس والقمر والنجوم والبروج تدل على الخالق

فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار توحيدالمفضل ص : 137و هذه الأزمان الأربعة المتوالية من التنبيه على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى على ذي لب أن هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم فإن قال قائل إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب يراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فيرى كل شيء من آلاته مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما

فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه أ فينكر أن يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلا صانع ومقدر ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه
مقادير الليل والنهار
فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما إذا امتد إلى توحيدالمفضل ص : 138خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أ فرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة أ لم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان ونبات أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك ينهكها أجمع ويؤديها إلى التلف وأما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق كذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعية

عن النبات حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس

الحر والبرد وفوائدهما

اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف في الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة توحيدالمفضل ص : 139من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيهما صلاحها فإنه لو لا الحر والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت فكر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل فإنك ترى أحدهما ينقص شيئا بعد شيء والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة لأضر ذلك بالأبدان وأسقمها كما أن أحدكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة لضره ذلك وأسقم بدنه فلم يجعل الله عز وجل هذا الترسل في الحر والبرد إلا للسلامة من ضرر المفاجأة ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجأة لو لا التدبير في ذلك فإن زعم زاعم أن هذا الترسل في دخول الحر والبرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فإن اعتل في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسألة ترقي

معه إلى حيث رقى من هذا القول حتى استقر على العمد والتدبير لو لا الحر لما كانت الثمار توحيدالمفضل ص : 140الجاسية المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة ولو لا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع الريع الكثير الذي يتسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر أ فلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضها وفي ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه

الريح وما فيها

وأنبهك يا مفضل على الريح وما فيها أ لست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس ويمرض الأصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الأبدان والآفة في الغلات ففي هذا بيان أن هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق

توحيدالمفضل ص : 141الهواء والأصوات

وأنبئك عن الهواء بخلة أخرى فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء والهواء يؤديه إلى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان يكربهم ويفدحهم

وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس لأن ما يلفظ من الكلام أكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأبدان والممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه وفيه تطرد هذه الأصوات فيؤدي البعد البعيد وهو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع إلى موضع توحيدالمفضل ص : 142أ لا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الأجسام وتزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعم نفعه حتى يستكشف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن وترخى الأطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجفف الأشياء الندية وبالجملة إنها تحيي كل ما في الأرض فلو لا الريح لذوي النبات ولمات الحيوان وحمت الأشياء وفسدت

هيئة الأرض

فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض

وامتـدادها فلـو لا ذلـك كيـف كانـت تتسـع لمسـاكن النـاس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيم غناؤها ولعل من توحيدالمفضل ص : 143ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومراعيها ثم فيها بعد تنفس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم فكم بيداء وكم فدفد حالت قصورا وجنانا بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ولو لا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا أحزنه أمر يضطره إلى الانتقال عنه ثم فكر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطنا مستقرا للأشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوئهم والإتقان لأعمالهم فإنها لو كانت رجراجة منكفئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والنجارة والصناعة وما أشبه ذلك بل كانوا لا يتهنون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة توحيدالمفضل ص : 144مكثها حتى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها فإن قال قائل فلم صارت هذه الأرض تزلزل قيل له إن الزلزلة وما أشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعوا وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في

أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحا للعامة والخاصة ثم إن الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وإنما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة أ فرأيت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلا حتى تكون حجرا صلدا أ كانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء أ فلا ترى كيف نقصت من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة لتتهيأ للاعتماد

فوائد الماء والسبب في كثرته

ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عز وجل كذلك إلا لتنحدر المياه توحيدالمفضل ص : 145على وجه الأرض فتسقيها وترويها ثم تفيض آخر ذلك إلى البحر فكما يرفع أحد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولو لا ذلك لبقي الماء متحيرا على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لو لا كثرته وتدفقه في العيون والأودية والأنهار لضاق عما يحتاج

إليه الناس لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحوش والطير والسباع وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع أخر أنت بها عارف وعن عظيم موقعها غافل فإنه سوى الأمر الجليل المعروف من عظيم غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات يمزج الأشربة فتلذ وتطيب لشاربها وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها وبه يبل التراب فيصلح للأعمال وبه توحيدالمفضل ص : 146يكف عادية النار إذا اضطرمت وأشرف الناس على المكروه وبه يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من أوصابه إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت ما الأرب فيه فعلم أنه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر وأصناف شتى تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب للناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق ومن العراق إلى الصين فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلا على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وأيدي أهلها لأن أجر حملها يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها وكان يجتمع في

ذلك أمران أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها والآخر انقطاع معاش من يحملها ويتعيش بفضلها

فوائد الهواء والسبب في كثرته

وهكذا الهواء لو لا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان توحيدالمفضل ص : 147و البخار الذي يتحير فيه ويعجز عما يحول إلى السحاب وأولا أولا فقد تقدم من صفته ما فيه كفاية

منافع النار وجعلها كالمخزونة في الأجسام

والنار أيضا كذلك فإنها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولما لم يكن بد من ظهورها في الأحايين لغنائها في كثير من المصالح جعلت كالمخزونة في الأجسام فتلتمس عند الحاجة إليها وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبو فلا هي تمسك بالمادة والحطب فتعظم المئونة في ذلك ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كل ما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها ثم فيها خلة أخرى وهي أنها مما خص بها الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فإنه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فأما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما قدر الله عز وجل أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفا وأصابع مهيئة لقدح النار واستعمالها ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها أعينت بالصبر على

الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان عند فقدها وأنبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم موقعها وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون به حوائجهم ما شاءوا في ليلهم ولو لا هذه الخلة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور فمن كان توحيدالمفضل ص : 148يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل وكيف كان حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج إلى أن يعالج ضمادا أو سفوفا أو شيئا يستشفي به فأما منافعها في نضج الأطعمة ودفاء الأبدان وتجفيف أشياء وتحليل أشياء وأشباه ذلك فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى

الصحو والمطر وتعاقبهما على العالم وفوائد ذلك

فكر يا مفضل في الصحو والمطر كيف يتعاقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده أ لا ترى أن الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت أبدان الحيوان وحصر الهواء فأحدث ضروبا من الأمراض وفسدت الطرق والمسالك وأن الصحو إذا دام جفت الأرض واحترق النبات وغيض ماء العيون والأودية فأضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروبا أخرى من الأمراض فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الآخر فصلحت الأشياء واستقامت

فإن قال قائل ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل له ليمض ذلك الإنسان ويؤلمه بعض الألم فيرعوي عن المعاصي فكما أن الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المرة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد توحيدالمفضل ص : 149منه كذلك إذا طغى واشتد احتاج إلى ما يمضه ويؤلمه ليرعوي ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظه ورشده ولو أن ملكا من الملوك قسم في أهل مملكته قناطيرا من ذهب وفضة أ لم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت فأين هذا من مطره رواء يعم به البلاد ويزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلها أ فلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيتذمر ويسخط إيثارا للخسيس قدره على العظيم نفعه جميلا محمودا لعاقبته وقلة معرفته لعظيم الغناء والمنفعة فيها

مصالح نزول المطر على الأرض وأثر التدبير فيه

تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك فإنه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان إنما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها ويقل ما يزرع في الأرض أ لا ترى أن الذي يزرع سيحا أقل من ذلك فالأمطار هي التي تطبق الأرض وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل توحيدالمفضل

ص : 150الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مئونة سياق الماء من موضع إلى موضع وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذو العز والقوة ويحرمه الضعفاء ثم إنه حين قدر أن ينحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر الأرض فيرويها ولو كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزروع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب المزروع ويحيي الأرض والزرع القائم وفي نزوله أيضا مصالح أخرى فإنه يلين الأبدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان إلى أشباه هذا من المنافع فإن قال قائل أ وليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه تحطم الغلات وبخوره يحدثها في الهواء فيولد كثيرا من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه أرجح مما عسى أن يرزأ في ماله

انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلا لا حاجة إليها والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن يحتاج

إليه ويذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع العادية ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الأعداء وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء ويوجد فيها معادن لضرب من الجواهر وفيها خلال أخر لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه

أنواع المعادن واستفادة الإنسان منها

فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبسين والزرنيخ توحيدالمفضل ص : 152و المرتك والتوتياء والزئبق والنحاس والرصاص والفضة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ثم قصرت حيلة الناس توحيدالمفضل ص : 153عما حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الفضة والذهب ويسقطا عند الناس فلا تكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشراء

والبيع والمعاملات ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا يدخرهما أحد للأعقاب وقد أعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضة وأشباه ذلك مما لا مضرة فيه فانظر كيف أعطوا إرادتهم في ما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتا بماء غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة تفكر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد قدرته وسعة خزائنه ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لأنه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشيء الظريف مما يحدثه الناس من الأواني والأمتعة فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل آخذ الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخست قيمته ونفاسة الأشياء من عزتها

توحيدالمفضل ص : 154النبات وما فيه من ضروب المآرب

فكر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء والأتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شيء من أنواع النجارة وغيرها واللحاء والورق والأصول

والعروق والصموغ لضروب من المنافع أ رأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وإن كان الغذاء موجودا فإن المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه

الريع في النبات وسببه

فكر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر وأقل وكان يجوز للحبة أن تأتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع إلا ليكون في الغلة متسع لما يرد في توحيدالمفضل ص : 155الأرض من البذر وما يتقوت الزراع إلى إدراك زرعها المستقبل أ لا ترى أن الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير فإنك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمرا عظيما فلم كان كذلك إلا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم وما يرد فيغرس في الأرض ولو كان الأصل منه يبقى منفردا

لا يفرخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس ثم كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف

بعض النباتات وكيف تصان

تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلاء وما أشبه ذلك فإنها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشتد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه توحيدالمفضل ص : 156و أما البر وما أشبهه فإنه يخرج مدرجا في قشور صلاب على رءوسها أمثال الأسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع فإن قال قائل أ وليس قد ينال الطير من البر والحبوب قيل له بلى على هذا قدر الأمر فيها لأن الطير خلق من خلق الله تعالى وقد جعل الله تبارك وتعالى له في ما تخرج الأرض حظا ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث بها ويفسد الفساد الفاحش فإن الطير لو صادف الحب بارزا ليس عليه شيء يحول دونه لأكب عليه حتى ينسفه أصلا فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت ويخرج الزارع من زرعه صفرا فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطائر منه شيئا يسيرا يتقوت به ويبقى أكثره للإنسان فإنه أولى به إذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به وكان الذي يحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه الطير

الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات

تأمل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات فإنها لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤديه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الأرض كالأم المربية لها وصارت أصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض توحيدالمفضل ص : 157لتنزع منها الغذاء كما ترضع أصناف الحيوان أمهاتها أ لم تر إلى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الأرض ممتدة إلى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولو لا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف فانظر إلى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم متقدمة في خلق الشجر لئن خلق الشجر قبل صنعه الفساطيط والخيم أ لا ترى عمدها وعيدانها من الشجر فالصناعة مأخوذة من الخلقة

خلق الورق ووصفه

تأمل يا مفضل خلق الورق فإنك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا معجما لو

كـان ممـا يصـنع بالأيـدي كصـنعة البشـر لمـا فـرغ مـن ورق شجره واحدة في عام كامل ولاحتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلها بلا حركة ولا كلام إلا بالإرادة النافذة في كل شيء والأمر المطاع واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق توحيدالمفضل ص : 158 الدقاق فإنها جعلت تتخلل الورقة بأسرها لتسقيها وتوصل الماء إليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كل جزء منه الغلاظ منها معنى آخر فإنها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها لـئلا تنهتـك وتتمـزق فتـرى الورقـة شـبيهة بورقـة معمولـة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة

العجم والنوى والعلة في خلقه

فكر في هذا العجم والنوى والعلة فيه فإنه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع أخر فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ولو لا ذلك لتشدخت وتفسخت وأسرع إليها الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد

تبين لك موضع الأرب في العجم والنوى فكر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة فيه ولما ذا يخرج في هذه الهيئة وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السدر توحيدالمفضل ص : 159و الدلب وما أشبه ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة إلا ليستمتع بها الإنسان

موت الشجر وتجدد حياته وما في ذلك من ضروب التدبير

فكر في ضروب من التدبير في الشجر فإنك تراه يموت في كل سنة موته فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم يحيى وينتشر فيأتيك بهذه الفواكه نوعا بعد نوع كما تقدم إليك أنواع الأطبخة التي تعالج بالأيدي واحدا بعد واحد فترى الأغصان في الشجر تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولكها عن يد وترى الرياحين تتلقاك في أفنانها كأنها تجئك بأنفسها فلمن هذا التقدير إلا لمقدر حكيم وما العلة فيه إلا تفكيه الإنسان بهذه الثمار والأنوار والعجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها

خلق الرمانة وأثر العمد فيه

واعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير فإنك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في نواحيها وحب مرصوف صفا كنحو ما ينضد بالأيدي وترى الحب مقسوما أقساما وكل قسم توحيدالمفضل ص : 160منها

ملفوفا بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج وألطفه وقشره يضم ذلك كله فمن التدبير في هذه الصنعة أنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحب وحده وذلك أن الحب لا يمد بعضه بعضا فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء أ لا ترى أن أصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرع في الكلام ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار

حمل اليقطين وما فيه من التدبير والحكمة

فكر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة فإنه حين قدر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الأرض ولو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقصف قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها فانظر كيف توحيدالمفضل ص : 161صار يمتد على وجه الأرض ليلقي عليها ثماره فتحملها عنه فترى الأصل من القرع والبطيخ مفترشا للأرض وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة وقد اكتنفتها جراؤها لترضع منها

موافاة أصناف النبات في الوقت المشاكل لها
وانظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها من حمارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانشراح وتشوق إليها ولو كانت توافي الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعرارا منها مع ما يكون فيها من المضرة للأبدان أ لا ترى أنه ربما أدرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع من أكل ما يضره ويسقم معدته

توحيدالمفضل ص : 162في النخل وخلقة الجذع والخشب وفوائد ذلك
فكر يا مفضل في النخل فإنه لما صار فيه إناث تحتاج إلى التلقيح جعلت فيه ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الإناث لتحمل وهو لا يحمل تأمل خلقة الجذع كيف هو فإنك تراه كالمنسوج نسجا من خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج بالأيدي وذلك ليشتد ويصلب ولا يتقصف من حمل القنوات الثقيلة وهز الرياح العواصف إذا صار نخلة وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعا وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنك ترى بعضه مداخلا بعضه بعضا طولا وعرضا كتداخل أجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فإنه

لو كان مستحصفا كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب أنه توحيدالمفضل ص : 163يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الأمر فيه فلو لا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة وأنى كان ينال الناس هذا الرفق وخفة المئونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد وكانت تعظم المئونة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقودا أصلا أو عسر وجوده

العقاقير واختصاص كل منها

فكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها من العمل في بعض الأدواء فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف المرة السوداء مثل الأفتيمون وهذا توحيدالمفضل ص : 164ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الأورام وأشباه هذا من أفعالها فمن جعل هذه القوى فيها إلا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس لها إلا من جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال القائلون وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحة إن أصابته ببعض

العقاقير فيبرأ وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم وأشباه هذا كثير ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا أنس ولا أنيس فتظن أنه فضل لا حاجة إليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف للطير وعوده وأفنانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد أشياء تعالج بها الأبدان وأخرى تدبغ بها الجلود وأخرى تصبغ الأمتعة وأشباه هذا من المصالح أ لست تعلم أن من أخس النبات وأحقره هذا البردي وما أشبهها ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسوقة والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس ويعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني ويجعل حشوا بين الظروف في الأسفاط لكيلا تعيب وتتكسر وأشباه هذا من المنافع فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة توحيدالمفضل ص : 165و ما لا قيمة له وأخس من هذا وأحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى أن كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه واعلم أنه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق العلم

فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطن طالبوا الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكر إلى غدا إن شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما آتانيه حامدا لله على ما منحنيه فبت ليلتي مسرورا

توحيدالمفضل ص : 166المجلس الرابع

قال المفضل فلما كان اليوم الرابع بكرت إلى مولاي فاستؤذن لي فأمرني بالجلوس فجلست فقال ع منا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الأقدم والنور الأعظم العلي العلام ذي الجلال والإكرام ومنشئ الأنام ومفني العوالم والدهور وصاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات الناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضين والغابرين أبد الآبدين ودهر الداهرين وهم أهله ومستحقوه

الموت والفناء وانتقاد الجهال وجواب ذلك

قد شرحت لك يا مفضل من الأدلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتخذها أناس من الجهال ذريعة إلى جحود الخلق والخالق والعمد والتدبير وما أنكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب وما توحيدالمفضل ص : 167أنكروه من الموت والفناء وما قاله أصحاب الطبائع ومن زعم أن كون الأشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد عليهم قاتلهم الله أنى يؤفكون

الآفات ونظر الجهال إليها والجواب على ذلك

اتخذ أناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ذريعة إلى جحود الخالق والتدبير والخلق فيقال في جواب ذلك أنه إن لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا وأفظع فمن ذلك أن تسقط السماء على الأرض وتهوي الأرض فتذهب سفلا وتتخلف الشمس عن الطلوع أصلا وتجف الأنهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفه وتركد الريح حتى تخم الأشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما أشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث في الأحايين ثم لا تلبث أن ترفع أ فلا ترى أن العالم يصان ويحفظ من تلك

الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ويلذع أحيانا بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف توحيدالمفضل ص : 168عنهم عند القنوط منهم فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة وقد أنكرت المنانية من المكاره والمصائب التي تصيب الناس فكلاهما يقول إن كان للعالم خالق رءوف رحيم فلم تحدث فيه هذه الأمور المكروهة والقائل بهذا القول يذهب إلى أنه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافيا من كل كدر ولو كان هكذا كان الإنسان يخرج من الأشر والعتو إلى ما لا يصلح في دين ولا دنيا كالذي ترى كثيرا من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن يخرجون إليه حتى أن أحدهم ينسى أنه بشر وأنه مربوب أو أن ضررا يمسه أو أن مكروها ينزل به أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفا أو يواسي فقيرا أو يرثي لمبتلى أو يتحنن على ضعيف أو يتعطف على مكروب فإذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وأبصر كثيرا مما كان جهله وغفل عنه ورجع إلى كثير مما كان يجب عليه والمنكرون لهذه الأمور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون الأدوية المرة البشعة ويتسخطون من المنع من الأطعمة الضارة ويتكرهون الأدب والعمل ويحبون أن يتفرغوا للهو والبطالة وينالوا كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم إليه البطالة من سوء النشو والعادة وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة

الضارة من الأدواء والأسقام وما لهم في الأدب من الصلاح وفي الأدوية من المنفعة وإن شاب ذلك بعض الكراهة توحيدالمفضل ص : 169فإن قالوا فلم لم يكن الإنسان معصوما من المساوئ حتى لا يحتاج إلى أن تلذعه هذه المكاره قيل إذا كان يكون غير محمود على حسنه يأتيها ولا مستحقا للثواب عليها فإن قالوا وما كان يضره أن لا يكون محمودا على الحسنات مستحقا للثواب بعد أن يصير إلى غاية النعيم واللذات قيل لهم اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعما ويكفى كلما يحتاج إليه بلا سعي ولا استحقاق فانظروا هل تقبل نفسه ذلك بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعي والحركة أشد اغتباطا وسرورا منه بالكثير مما يناله بغير الاستحقاق وكذلك نعيم الآخرة أيضا يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الإنسان في هذا الباب مضاعفة فإن أعد له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له السبيل إلى أن ينال ذلك بسعي واستحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فإن قالوا أ وليس قد يكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير وإن كان لا يستحقه فما الحجة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة قيل لهم إن هذا باب لو صح للناس لخرجوا إلى غاية الكلب والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان يكف نفسه عن فاحشة أو يتحمل المشقة في باب من

أبـواب البـر لوثـق بأنـه توحيدالمفضـل ص : 170صـائر إلـى النعيم لا محالـة أو من كـان يـأمن علـى نفسـه وأهلـه ومالـه من الناس لـو لـم يخـاف الحسـاب والعقـاب فكـان ضـرر هـذا البـاب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة فيكون فـي ذلـك تعطيـل العـدل والحكمـة معـا وموضـع للطعـن علـى التـدبير بخـلاف الصواب ووضع الأمور في غير مواضعها

لما ذا تصيب الآفات جميع الناس وما الحجة في ذلك

وقـد يتعلـق هـؤلاء بالآفـات التـي تصـيب النـاس فـتعم البـر والفاجر أو يبتلى بها البر ويسلم الفاجر منها فقالوا كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجـة فيـه فيقـال لهم إن هذه الآفـات وإن كانت تنال الصالح والطالح جميعا فإن الله عز وجل جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما أما الصالحون فـإن الـذي يصـيبهم من هذا يزدهم نعم ربهم عندهم في سالف أيامهم فيحدوهم ذلك علـى الشـكر والصـبر وأمـا الطـالحون فـإن مثـل هـذا إذا نـالهم كسر شرتهم وردعهم عن المعاصـي والفواحش وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا فـي ذلـك أمـا الأبـرار فـإنهم يغتبطون بما هم عليه من البر والصـلاح ويـزدادون فيـه رغبـة وبصيرة وأما الفجار فإنهم يعرفون رأفـة ربهـم وتطولـه علـيهم بالسلامة من غير استحقاق فيحضـهم ذلك علـى الرأفـة بالنـاس والصـفح عمن أساء إليهم ولعل قائلا يقول إن هذه الآفـات التـي تصيب النـاس في أموالهم فما قولك فيمـا يبتلـون بـه فـي أبـدانهم

فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف فيقال له إن الله جعل في هذا أيضا صلاحا للصنفين جميعا أما الأبرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة توحيدالمفضل ص : 171من تكاليفها والنجاة من مكارهها وأما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة القول إن الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الأمور كلها إلى الخير والمنفعة فكما أنه إذا قطعت الريح شجره أو قطعت نخلة أخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصيرها جميعا إلى الخير والمنفعة فإن قال ولم تحدث على الناس قيل له لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فإن هذين الأمرين جميعا يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية كما غلا الناس في أول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم

الموت والفناء وانتقاد الجهال وجواب ذلك

ومما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء فإنهم يذهبون إلى أنه ينبغي أن يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا

مبرءين من هذه الآفات فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته فينظر ما محصوله أ فرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون ولا يموت أحد منهم أ لم تكن الأرض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعايش فإنهم والموت يفنيهم أولا فأولا يتنافسون في المساكن توحيدالمفضل ص : 172و المزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك فيهم الدماء فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب فلو وثقوا بأنهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله ولا سلا عن شيء مما يحدث عليه ثم كانوا يملون الحياة وكل شيء من أمور الدنيا كما قد يمل الحياة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا فإن قالوا إنه كان ينبغي أنه يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا إليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتو والأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا والدين وإن قالوا إنه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعايش قيل لهم إذا كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعالى ومواهبه في الدارين جميعا إذا لم يدخل العالم إلا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون فإن قالوا إنه كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم يقال

لهم رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعايش عنهم ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الأولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على أن كلما تذهب إليه الأوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفه من الرأي والقول

توحيدالمفضل ص : 173 الطعن على التدبير من جهة أخرى والجواب عليه

ولعل طاعنا يطعن على التدبير من جهة أخرى فيقول كيف يكون هاهنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عزيز فالقوي يظلم ويغصب والضعيف يظلم ويسالم الخسف والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه ومن ركب فاحشة أو انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير لجرت الأمور على القياس القائم فكان الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف والمنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذلك إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الإحسان الذي فضل به الإنسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتسابا للثواب وثقة بما وعد الله عنه ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس بالعصا والعلف ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن أحد

يعمل على يقين بثواب أو عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسية إلى حد البهائم ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل إلا على الحاضر من نعيم الدنيا وكان يحدث من هذا أيضا أن يكون الصالح إنما يعمل للرزق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يكف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته حتى تكون أفعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يشوبه شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها مع أن هذه الأمور التي ذكرها الطاعن من توحيدالمفضل ص : 174الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف قياسه بل قد تجري على ذلك أحيانا والأمر المفهوم فقد ترى كثيرا من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون والأبرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح وترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبختنصر بالتيه وبلبيس بالقتل وإن أمهل بعض الأشرار بالعقوبة وأخر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فإن مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تأخيرهم ما أخروه وتعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الرأي والتدبير وإذا

كانــت توحيدالمفضــل ص : 175الشــواهد تشــهد وقياســهم يوجب أن للأشياء خالقا حكيما قادرا فما يمنعه أن يدبر خلقه فإنه لا يصلح في قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلا بإحدى ثلاث خلال إما عجز وإما جهل وإما شرارة وكل هذا محال في صنعته عز وجل وتعالى ذكره وذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة والجاهل لا يهتدى لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لا يتطاول لخلقها وإنشائها وإذا كان هذا هكذا وجب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لا محالة وإن كان لا يدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فإن كثيرا من تدبير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف أسبابه لأنها لا تعرف دخيلة أمر الملوك وأسرارهم فإذا عرف سببه وجد قائما على الصواب والشاهد المحنة ولو شككت في بعض الأدوية والأطعمة فيتبين لك من جهتين أو ثلاث أنه حار أو بارد أ لم تكن ستقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة وأكثر منها ما لا يحصى كثرة ولو كان نصف العالم وما فيه مشكلا صوابه لما كان من حزم الرأي وسمت الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال لأنه كان في النصف الآخر وما يظهر فيه من الصواب وإتقان ما يردع الوهم عن التسرع إلى هذه القضية

فكيف وكلما فيه إذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء إلا وجد ما عليه الخلقة أصح وأصوب منه
توحيدالمفضل ص : 176اسم هذا العالم بلسان اليونانية
واعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم قوسموس وتفسيره الزينة وكذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة أ فكانوا يسمونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير والنظام فلم يرضوا أن يسموه تقديرا ونظاما حتى سموه زينة ليخبروا أنه مع ما هو عليه من الصواب والإتقان على غاية الحسن والبهاء
عمي ماني عن دلائل الحكمة وادعاؤه علم الأسرار
أعجب يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطإ وهم يرون الطبيب يخطئ ويقضون على العالم بالإهمال ولا يرون شيئا منه مهملا بل أعجب من أخلاق من ادعى الحكمة حتى جهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالذم للخالق جل وعلا بل العجب من المخذول ماني حين ادعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطإ ونسب خالقه إلى الجهل تبارك الحكيم الكريم
انتقاد المعطلة فيما راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل
وأعجب منهم جميعا المعطلة الذين راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل فلما أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحود

والتكذيب فقالوا ولم لا يدرك بالعقل قيل لأنه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو توحيدالمفضل ص : 177فوق مرتبته فإنك لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت أن راميا رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل لأن العقل هو الذي يميزه فيعلم أن الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه أ فلا ترى كيف وقف البصر على حده فلم يتجاوزه فكذلك يقف العقل على حده من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل أقر أن فيه نفسا ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواس

معرفة العقل للخالق معرفة إقرار لا معرفة إحاطة

وعلى حسب هذا أيضا نقول إن العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته فإن قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به قيل لهم إنما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه وهو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ولم يكلفوا الإحاطة بصفته كما أن الملك لا يكلف رعيته أن يعلموا أ طويل هو أم قصير وأبيض هو أم أسمر وإنما يكلفهم الإذعان لسلطانه والانتهاء إلى أمره أ لا ترى أن رجلا لو أتى باب الملك فقال أعرض علي نفسك حتى أتقصى معرفتك وإلا لم أسمع لك كان قد أحل نفسه بالعقوبة فكذا القائل إنه لا يقر بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرضا لسخطه فإن قالوا أ

وليس قد نصفه فنقول هو العزيز الحكيم الجواد الكريم قيل لهم كل هذه صفات إقرار وليست صفات إحاطة فإنا نعلم أنه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه وكذلك توحيدالمفضل ص : 178قدير وجواد وسائر صفاته كما قد نرى السماء فلا ندري ما جوهرها ونرى البحر ولا ندري أين منتهاه بل فوق هذا المثال بما لا نهاية له ولأن الأمثال كلها تقصر عنه ولكنها تقود العقل إلى معرفته فإن قالوا ولم يختلف فيه قيل لهم لقصر الأوهام عن مدى عظمته وتعديها أقدارها في طلب معرفته وأنها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك وما دونه

الشمس واختلاف الفلاسفة في وضعها وشكلها ومقدارها

فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ولذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال بعضهم هو فلك أجوف مملوء نارا له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع وقال آخرون هو سحابة وقال آخرون هو جسم زجاجي يقل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد ماء البحر وقال آخرون هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة عريضة وقال آخرون هي كالكرة المدحرجة وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء وقال آخرون

بل هي أقل من ذلك وقال آخرون بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة وقال أصحاب الهندسة هي أضعاف الأرض مائة وسبعين مرة ففي اختلاف توحيدالمفضل ص : 179هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها فإذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ويدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس واستتر عن الوهم فإن قالوا ولم استتر قيل لهم لم يستتر بحيلة يخلص إليها كمن يحتجب من الناس بالأبواب والستور وإنما معنى قولنا استتر أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن إدراكها بالنظر فإن قالوا ولم لطف تعالى عن ذلك علوا كبيرا كان ذلك خطأ من القول لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء إلا أن يكون مباينا لكل شيء متعاليا عن كل شيء سبحانه وتعالى

الحق الذي تطلب معرفته من الأشياء أربعة أوجه وتفصيل ذلك

فإن قالوا كيف يعقل أن يكون مباينا لكل شيء متعاليا عن كل شيء قيل لهم الحق الذي تطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه فأولها أن ينظر أ موجود هو أم ليس بموجود والثاني أن يعرف ما هو في ذاته وجوهرة والثالث أن يعرف كيف هو وما صفته والرابع أن يعلم لما ذا هو ولأي علة فليس من هذه

الوجوه شيء يمكن للمخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط فإذا قلنا وكيف وما هو فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به وأما لما ذا هو فساقط في صفة الخالق لأنه جل ثناؤه علة كل شيء وليس شيء بعلة له ثم ليس توحيدالمفضل ص : 180علم الإنسان بأنه موجود يوجب له أن يعلم ما هو وكيف هو كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ما هي وكيف هي وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة فإن قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفا حتى كأنه غير معلوم قيل لهم هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه والإحاطة به وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدل عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد وهو من جهة كالغامض لا يدركه أحد وكذلك العقل أيضا ظاهر بشواهده ومستور بذاته

أصحاب الطبائع ومناقشة أقوالهم

فأما أصحاب الطبائع فقالوا إن الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى ولا تتجاوز عما فيه تمام الشيء في طبيعته وزعموا أن الحكمة تشهد بذلك فقيل لهم فمن أعطي الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقروا بما أنكروا لأن هذه في صفات الخالق وإن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه

الخلق يهتف بأن الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء وزعموا أن كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى العرف والعادة كإنسان يولد ناقصا أو زائدا إصبعا أو يكون المولود مشوها مبدل الخلق توحيدالمفضل ص : 181فجعلوا هذا دليلا على أن كون الأشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف ما اتفق أن يكون وقد كان أرسطاطاليس رد عليهم فقال إن الذي يكون بالعرض والاتفاق إنما هو شيء يأتي في الفرط مرة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها وليس بمنزلة الأمور الطبيعية الجارية على شكل واحد جريا دائما متتابعا وأنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالإنسان يولد وله يدان ورجلان وخمس أصابع كما عليه الجمهور من الناس فأما ما يولد على خلاف ذلك فإنه لعلة تكون في الرحم أو في المادة التي ينشأ منها الجنين كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان توحيدالمفضل ص : 182للأسباب التي وصفنا فيأتي الولد زائدا أو ناقصا أو مشوها ويسلم أكثرها فيأتي سويا لا علة فيه فكما أن الذي يحدث في بعض أعمال الأعراض لعلة فيه لا يوجب عليها جميعا الإهمال

وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض والاتفاق فقول من قال في الأشياء إن كونها بالعرض والاتفاق من قبيل أن شيئا منها يأتي على خلاف الطبيعة بعرض يعرض له خطأ وخطل فإن قالوا ولم صار مثل هذا يحدث في الأشياء قيل لهم ليعلم أنه ليس كون الأشياء باضطرار من الطبيعة ولا يمكن أن يكون سواه كما قال القائلون بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم إذ جعل للطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف وتزول أحيانا عن ذلك لأعراض تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة إلى إبداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها وإتمام عملها تبارك الله أحسن الخالقين يا مفضل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك وكن لربك من الشاكرين ولآلائه من الحامدين ولأوليائه من المطيعين فقد شرحت لك من الأدلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلا من كثير وجزء من كل فتدبره وفكر فيه واعتبر به فقلت بمعونتك يا مولاي أقر على ذلك وأبلغه إن شاء الله فوضع يده على صدري فقال احفظ بمشيئة الله ولا تنس إن شاء الله فخررت مغشيا علي فلما أفقت قال كيف ترى نفسك يا مفضل فقلت قد استغنيت بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبته وصار ذلك بين يدي كأنما أقرأه من كفي فلمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقه فقال يا

مفضل فرغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطمأنينتك فسألقي إليك من علم ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه وأصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والإنس إلى الأرض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزء من أجزاء انصرف إذا شئت مصاحبا مكلوء فأنت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ولا تسألن عما وعدتك حتى أحدث لك منه ذكرا قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف أحد بمثله

كِتَابُ الصِّرَاطِ
تأليْفُ
المفضَّلِ بنِ عَمْرٍ
عَمَّرَ اللهُ بهِ قُلُوبَ المؤمنينَ

بسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

رواهُ الشيخُ أبو الحَسَنِ محمدٌ بنُ الهذريِّ عَنِ الشيخِ الثقةِ أبي الحسينِ محمدٍ بنِ عليٍّ الجليِّ عْنْ سيدنا أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ حمدانَ الخصيبي . شرَّفَ اللهُ مقامهُ ..

قالَ: حدثني محمدٌ بنُ منصور البغداديُّ، قالَ: حدثني أبو الحسينِ عليُّ بنُ سليمانَ قالَ: حدثني أحمدُ بنُ إسحاقَ البزَّازُ عْنْ سُراقةَ قالَ: حدثني الحسينُ بنُ محمدٍ القمي عَنْ ماهانَ

الإبليِّ عْنْ يُونسَ بنِ ظبيانَ عَنِ المفضلِ بنِ عَمْرٍ إليهِ التسليمُ قالَ: سألتُ مولاي الصادقَ منهُ الرحمةُ وقد حضرَ عندهُ جماعةٌ مِنْ أهلِ التوحيدِ والإقرارِ يسألونهُ عَنْ معرفةِ الصِّرَاطِ وشرْحِ باطِنهِ وبيانِ نعتهِ، فقالَ مولاي:

يا مُفضلُ عَمِيَ الخلقُ عَنْ معرِفةِ الباري، فكيفَ لاْ يَعمونَ عَنِ الأوصافِ والنُّعوتِ، وذلكَ أنَّ الإنسانَ يجبُ أنْ يكونَ بالمعنى أشدَّ بصيرةً وأشدَّ تفرُّساً وأوجدَ اختباراً منه بظنِّ نفسهِ، وذلكَ أنَّ اللهَ تعالى ظهرَ لخلقهِ بالنورانيةِ وأظهرهُمْ بها، وأوجَدهمْ نفسَهُ ودلَّهمْ على ذاتهِ، فناجاهُمْ خِطاباً واضِحاً، ونُطقاً بيِّناً عياناً وإيجاداً ووجُوداً، وعرَّفهم أنهُ الخالِقُ لهمْ، فقالَ وقولهُ الحقُّ: ألستُ بربكمْ قالوا بَلى (الأعراف 172).

وكانَ ذلكَ اختباراً اختبرهمْ بهِ هَلْ يَعرِفونهُ، وإنَّما قالَ لهمْ: ألستُ بربكمْ كما صحَّ لكمْ ذلكَ، فقالوا: بَلى، أجابوهُ بسبقِ معرِفتهمْ وإقرَارهمْ لهُ قبلَ ذلكَ السؤالِ، لأنَّ اللهَ تعالى لم يكنْ ليسألَ مَنْ لمْ يعرِفوهُ ويُعاينوهُ ويَقُرُّوا بهِ فيقولُ: ألستُ بربكمْ، وإنَّما كانَ هذا السؤالُ عَنْ معرفةٍ

متقدمةٍ، ولولاْ ذلكَ لكانوا مِنَ العَمى والشّكِّ فيهِ والتأخُّرِ عَنِ الإجابةِ لهُ والإقرارِ بهِ وهمْ ذروٌّ في النورِ (وتُروى: وهمْ ذرٌّ في

النُّورِ) أشدُّ تِيهاً وحِيرةً منهمْ عَنْ ظهورِهِ في البشريةِ لَمَّا أظهرَ لهمُ الأفعالَ وأوجدهمْ أنهُ كهُم وأنهُ مولاهمْ ، ودعاهمْ إلى الإقرارِ بهِ كما أقرُّوا بهِ في ذلكَ الوقتِ ، وقدْ أظهرَ اللاهوتيةَ العُظمى والنورانيةَ الباهِرَةَ ، فلَمَّا اشتكلَ عليهمُ الحالانِ صدَّ عنهُ العالَمُ المنكوسُ ، ونَسبُوا أفعالهُ إلى السِّحرِ والكهانةِ لأنهمْ عرَفُوهما وعرَفُوا باطِنِهما ونَعْتِهِمَا، وأيَّةُ حُجَّةٍ تلزَمُ العالَمَ في معرِفةِ السِّحرِ والكَهانَةِ ، ومِنْ أينَ تأصَّلا ، وعلامَ تفرَّعا ، وإلامَ تأوَّلاْ .

واعلمْ يا مُفضلُ أنهُ ما قامَ للهِ مقامٌ مِنْ ظهورِ آدمَ إلى السيدِ محمدٍ إلاَّ وخاطبهُ هذا العالَمُ بأنهُ ساحِرٌ وكاهِنٌ ، وكانَ مِنْ ذلكَ قولُ الملائكةِ لهُ بزعمِهمْ ، والملائكةُ لم تقُلْ ذلكَ لأنَّ هذا تبديلٌ في الكتابِ ، فقولُهم : أتجعلُ فيها مَنْ يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدماءَ (البقرة 30) .

فالفسادُ أرادَ بهِ السِّحرَ والكهانةَ ، وكذلكَ كانَ مِنْ قابيلَ معَ هابيلَ حينما قرَّبا القرابينَ ، فتُقُبِّلَ مِنْ هابيلَ ولمْ يُتَقبَّلَ مِنْ قابيلَ ، فقالَ قابيلُ لهابيلَ : إنكَ ساحِرٌ سحرتَ النارَ حتى أحرَقتْ قُربانَكَ وسحرَتُها حتى لا تمُرَّ بقُربَاني ، فحسدَهُ ونسبهُ إلى السِّحرِ فقتلهُ ، وهكذا كانَ لشيثَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمدٍ ، وكلُّ ما بينهم مِنَ الظهوراتِ التي ظهرتْ بالنبوةِ

والرِّسالةِ ما رَمُوهم فيها بغيرِ السِّحرِ والكهانةِ ، وقد أخبرَ اللهُ بذلكَ عنهمْ وبَيَّنَهُ في الكتابِ بقولهِ : إنَّ هذا لساحِرٌ عليمٌ (الأعراف 109) .

وقولهِ : إنَّ هذانِ لساحرَانِ يُرِيدانِ أنْ يُخرِجاكمْ مِنْ أرضِكُمْ بسحرِهما (طه 63) .

وقولهِ : وقالَ ساحِرٌ أوْ مجنونٌ (الذاريات 39) .

وقولهِ : فلمَّا جاءهمْ موسى بآياتنا قالوا ما هذا إلاَّ سِحرٌ مُفترىً (القصص 36) .

وقولهِ : وقالَ الذينَ كفروا إنْ هذا إلاَّ إفكٌ افتراهُ وأعانهُ عليهِ قومٌ آخَرونَ (الفرقانْ 4) .

وقولهِ : فلمَّا جاءهمُ الحقُّ مِنْ عندِنا قالوا لولاْ أوتيَ مثلَ ما أوتيَ موسى ألمْ يكفروا بما أوتيَ موسى مِنْ قبلُ قالوا سِحرانِ تظاهرا وقالوا إنَّا بكُلٍّ كافِرونَ (القصص 48) .

فهذا يا مُفضلُ مِنْ صحَّةِ عزمِهم وثباتِهم على الجُحودِ والكُفرِ بكُلِّ ما أظهرهُ لهم في البشريةِ مِنَ الظُّهوراتِ والمقاماتِ ، لأنهمْ قد أصرُّوا على جُحودهم وكُفرِهمْ بها ، فلا يَرجِعونَ عَنِ اعتقادِهمْ وكُفرِهم وجُحودِهمْ ، وآياتٌ في الكتابِ كثيرةٌ في السِّحرِ يطولُ شرحُها عليكم لاْ تعلمونَ ما هي وما وصفَها ، لأنَّ ما في أيديكمْ

مِنَ الكتابِ هو جزءٌ مِنْ ستينَ جُزءً ، وأنَّ الستينَ جُزءً جُزءٌ مِنْ سِتمائةِ جُزءٍ ، وأنَّ الستمائةِ جُزءٍ هي جُزءٌ مِنْ ستةِ آلافِ جُزءٍ ، وأنَّ الستةَ آلافِ جُزءٍ هي جُزءٌ مِنْ ستينَ ألفِ جُزءٍ ، وانَّ الستينَ ألفَ جُزءٍ هي جُزءٌ مِنْ سِتمائةِ ألفِ جزءٍ ، وأنَّ الستمائةَ ألفِ جُزءٍ هي جُزءٌ مِنْ أجزاءٍ لاْ تُحصى ولا نِهايةَ لها ولا لِعددِها ، ولا لها آخِرٌ كما قال تباركَ إسمهُ : قُلْ لوْ كانَ البحرُ مِداداً لكلماتِ ربي لنفِذَ البحرُ قبلَ أنْ تنفَذَ كلماتُ ربيَ ولو جِئنا بمثلِهِ مدداً (الكهف 109) .

فإذا كان هذا وصفهُ فما يكونُ آخِرهُ وأينَ تكونُ نهايتهُ ، وهلْ يُدرَكُ كُنهُهُ ، وذلكَ أنَّ الكلامَ بَدوَهُ المتكلِّمُ ، فإنْ وجدتَ للمبتدئِ ابتداءً وجدتَ للكلامِ أوّلاً ، وإنْ وجدتَ للمُبتدئِ انتهاءً وجدتَ للكلامِ آخِراً ، فاعقَلْ هذا يا مُفضلُ وليَعقِلهُ مَنْ سَمِعهُ مِنْ أهلِ التوحيدِ والمعرفةِ باللهِ تعالى فإنهُ ليسَ فيهِ : لِمَ ولاْ كيفَ ولاْ ماْ ، وإنَّ مِنْ قولِ : لِمَ وكيفَ ومَا هَلِكَ الضالونَ وتَاهَ الشَّاكُّونَ ، واعلمْ يا مُفضلُ أنهُ ما قامَ للهِ مقامٌ في البشريةِ بينَ هذا الخلقِ في سائرِ الدُّهورِ والأكوار والأدوارِ والأزمنةِ والأعصارِ إلاَّ وقدْ وصفوا أفعالَهُ بالسِّحرِ والكهانةِ ، وجحَدوهُ بها إلى ظُهورِ السَّيدِ محمَّدٍ (ص) فإنهُ بَهرهُم بالأَفعالِ الباهِرَاتِ ، والآياتِ البيِّناتِ ،

والـدَّلائلِ الواضِـحاتِ ، وأوجـدهُمْ إيَّاهـا سـماويةً وأرضـيةً ، فأحيـا الموتـى وأمـاتَ الأحيـاءَ كمـا وصـفَ نفسَـهُ بقولـهِ جَلَّ ذِكـرهُ : هو يُحيِيَ ويميتُ (يونس 56) .

وأراهم في السماواتِ آياتٍ وفـي الأرضِ آيـاتٍ يُبـهِرهم بـها ، وذلـكَ بعدَ رَميِهِمْ إيَّاهُ بالسِّحرِ ، ثمَّ أنـهُ أوجدَها في أشخاصٍ أقامَها مَقامَ الإمامةِ بعدَمَا أنْ عدَلَ بها عَنِ النُّبوةِ ، وكـانوا يَنسِبونَ الأنبيـاءَ فـي مقامـاتهم إلـى السِّحرِ إذا أظهـروا الـدعوةَ والشـريعةَ ، وكـانوا يقولونَ : إنَّ هؤلاءِ يدعوننا إلى القولِ بهِم والتصديقِ بسحرِهِمْ ، فلما أظهرَ ذلكَ فـي مقامـاتِ الإمامـةِ بغيرِ شريعةٍ ولاْ دعوةٍ رمُوا بالكُفرِ كلَّ مَنْ قبِلَ ذلكَ وسلَّمَ بهِ ، وقالوا فيهم : إنـهم يقولـونَ إنَّ الإمـامَ الـذي أتـى بهذهِ الـدَّلائلِ الواضـحاتِ والمعجزاتِ البـاهراتِ ، ربٌّ فـزادتْ رتبـةُ الإمـامِ علـى رُتبـةِ النـبيِّ الـذي رمـوهُ بالسِّـحرِ والكهانـةِ ، ورمُوا مَنْ أجابهُ بأنـهُ قد قبِلَ سِحرَهُ ، وآمَنَ وصدَّقَ بـهِ ، ورمُـوا الإمـامَ بأنـهُ ادَّعـى الرُّبوبيـةَ ، وأنَّ مَـنْ أجابـهُ فقـد عَبـدهُ وكفرَ باللهِ .

فانظُرْ يا مُفضلُ إلى هاتينِ المنزِلَتينِ في العالَمِ ، وذلـكَ أنَّ مـولاكَ لـمْ يُظهِـرْ فيهـم ذلـكَ ولـمْ يُقِـمْ مقامـاتِ الإمامـةِ إلاَّ بعدَ الأعـذارِ والإنذارِ بالرُّسُلِ في مقاماتِ النُّبوةِ ، وإثبـاتِ الحُجـةِ عليهم ، فلمَّـا

قَرُبَ كشفُ الغِطاءِ ، وظهورهُ لهم بالْمُخاطبةِ الأُولى والْمُشاهدةِ القائمةِ ، أظهَرَ لهُمْ مقامَ الإمامةِ بعدَ النبوةِ ، وهكذا جرتْ قُدرتهُ في الأَكوار والأدوار والأَحقابِ والأَعصارِ على سُنَّةٍ واحِدةٍ ، لاْ يَزيدُ زمانٌ على زمانٍ ، ولاْ أوانٌ على أوانٍ ، وهذهِ هي الحِكمةُ القائمةُ الحقيقيةُ التي لاْ نهايةَ لها ولاْ بُلوغَ لِغايتها ، وأنَّ وجُودَ الموجودَ مِنْ حيثُ عدمُ الموجودِ ، وأنَّ العَدَمَ مِنْ حيثُ وجودُ العدمِ ، وذلكَ لَمَّا بطنَ في ظهُورِهِ ظهرَ في بطونهِ ، واحتجبَ في كشفِ ذاتِهِ ، فكانتِ القُدرةُ منهُ جاريةً خفيةً وباديةً ، وعندَ إعادتهِ لها كانَ الخلقُ المنكوسُ على منهاجٍ واحِدٍ ، سواءٌ عليهم جُحودهُ في ظُهورهِ معهمْ ، وبطونهُ عنهم ، فلاْ يَعرِفونَ شريعةً ولا هُدىً ولا حقّاً ، فاختبرهمْ بذلكَ مُدَّةَ إرادتهِ فيهم ، ثمَّ شرَّعَ الشرائعَ ، وأخبرَ أنَّ لِكُلِّ شريعةٍ مِنهاجاً ومَقصداً ، وجَزاءً وعَطاءً ، ثمَّ أبانَ لهمْ فضلَ الشرائعِ ، وأوضحَ لهمْ تلكَ المناهِجِ ، ودلَّهُمْ على تلكَ المقاصِدِ ، وشرَحَ الجَزاءَ ، وأوضحَ العَطاءَ ، وجعلَها تجرِي في العالَمِ على حالَيْنِ لا غيرُ وهُما الأَمرُ والنهيُ وبهما تجري كلُّ طاعةٍ ومَعصيةٍ ، وإيمانٍ وكُفرٍ ، وعَدلٍ وجَورٍ ، وحَقٍّ وبَاطِلٍ ، وأمْنٍ وخَوفٍ ، وهَمٍّ وفرَجٍ ، وعُسرٍ ويُسرٍ ، وبؤْسٍ ورَخاءٍ ، وبُعدٍ وقُربٍ ، وسِلمٍ وحَرْبٍ ، وصِدقٍ وكَذِبٍ ، وحَمْدٍ وذمٍّ ، وشُكرٍ وجُحدٍ

، وغِفرَانٍ وانتِقامٍ ، ونَعيمٍ وعَذابٍ ، وسَعادةٍ وشَقاءٍ ، وحَياةٍ ومَوتٍ ، وخَيرٍ وشَرٍّ ، وكلُّ شيءٍ يقعُ مواقِعَ ما نَعتُّهُ ووصفتُهُ لكَ فهُو يَجري ويكونُ بقبُولِ هذينِ الوصْفَينِ ، وهُما الأمرُ والنهيُ ، فما كانَ مِنْ أمْرٍ أمَرَ اللهُ بهِ فاستَسنَّهُ العالَمُ وصارُوا يأْتَمِرُونَ بهِ كانَ لهُمْ عليهِ العطاءُ ، وكانتْ لهُمُ المنازِلُ المحمُودةُ في هذهِ النُّعُوتِ ، وماْ كانَ مِنْ نَهيٍ نَهى اللهُ عنهُ فأَتَوهُ عِنَاداً ولمْ يقبلُوهُ كانَ لهُمُ الجَزاءُ ، وقد جعلَ اللهُ لهَا حُدوداً وشُروطاً ، ونَهى هؤلاءِ الذينَ هُمْ بهذينِ الحالَينِ ، أيْ لاْ يتخذْ بعضُهُم بعضاً أولياءَ ، فقالَ عزَّ وجلَّ : لا يتَّخذِ المؤمنونَ الكافِرينَ أولياءَ مِنْ دُونِ اللهِ (آل عمران 28) .

وقالَ تعالى : والمؤمِنونَ والمؤمِناتِ بعضُهُم أولياءُ بعضٍ (التوبة 71) .

فأهلُ الإقرَارِ هُمُ الذينَ عَمِلُوا بالأمرِ وتجنَّبُوا النَّهْيَ ، وأهلُ الإنكارِ هُمُ الذينَ تمسَّكوا بالنَّهيِّ وخالَفوا الأمَرَ ، قالَ اللهُ تعالى : قُلْ ءَ اللهُ أذِنَ لكمْ أمْ على اللهِ تفترَونَ (يونس 59) .

وقالَ تعالى : إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى (النحل 90) .

وقالَ تعالى : إنَّ اللهَ يأمُرُكمْ أنْ تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها

(النساء 58) .

وقال تعالى : إنما أمِرْتُ أنْ أعبُدَ ربَّ هذهِ البلدةِ الذي حرَّمها ولهُ كلُّ شيءٍ وأمِرْتُ أنْ أكونَ مِنَ المسلِمِينَ (النمل 91) .

وقالَ تَعالى : وأمُرْ أهلَكَ بالصَّلاةِ واصطَبِرْ عليها (طه 132) .

وقالَ تَعالى : وكذلكَ أوْحينا إليكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا (الشورى 52) .

وقالَ تَعالى : حتى إذا جاءَ أمرُنا وفارَ التنّوُرُ (هود 40) .

وقالَ تَعالى : أتَى أمْرُ اللهِ فلاْ تَسْتَعْجِلُوهُ (النحل1) .

فهذا يا مُفضلُ دليلٌ على أنَّ كلَّ أمْرٍ مِنَ اللهِ في خِطابهِ على مَاْ قدَّمتُهُ لكَ في الشَّرحِ ، والنُّطقُ والكلامُ لاْ آخِرَ لهُ ولا نهايةَ ، وبذلكَ عُرِفتِ الطاعةُ والمعصيةُ لأنَّ أمرَهُ حقٌّ مقصودٌ .

وأمَّا مَا كانَ مِنْ نَهيٍ نَهى اللهُ عنهُ كقولِهِ تعالى : ونادَاهما ربُّهما ألَمْ أنهَكُما عَنْ تِلكُما الشجرةِ (الأعراف 22) .

وقولِهِ تَعالى : ويَنْهى عَنِ الفَحشاءِ والْمُنكَرِ والبَغيِ (النحل 90) .

وقولِهِ تَعالى : ومَا أتَاكُمُ الرسولُ فخُذوهُ ومَا نَهاكُمْ عنهُ فانتَهوا (الحشر 7) .

ومَا يَقعُ مواقِعَ النَّهيِ كقولـهِ تَعالى : يَا أهلَ الكِتابِ لاْ تغلُوا في دينِكمْ ولاْ تقولوا على اللهِ إلاَّ الحقَّ (النساء171) .

وقولـهِ تَعالى : أنْ لاْ تعبُدوا الشيطانَ إنـهُ لكُمْ عدوٌّ مُبينٌ (يس 60) .

وقولهِ تَعالى : لاْ تتخِذوا إلَهينِ اثنينِ إنما هو إلـهٌ واحِدٌ (النحل 51) .

وقولهِ تَعالى : ألاَّ تعبُدوا إلاَّ اللهَ (فصلت 14) .

وقولهِ تعالى : ولاْ تعْثوا في الأرضِ مُفسِدينَ (البقرة 60) .

وقولهِ تَعالى : ولاْ تتَّبعُوا خُطُواتِ الشيطانِ (البقرة 168) .

وقولهِ تَعالى : ونَهى النفسَ عَنِ الهوى (النازعات 40) .

وقولهِ تعالى : لاْ يغُرَّنكَ تقلُّبُ الذينَ كفروا في البلادِ (آل عمران 196) .

وقولهِ تعالى : ولاْ تقولوا على اللهِ إلاَّ الحقَّ (النساء171) .

وقولـهِ تعـالى : ولاْ تقرَبُـوا الزِّنـا إنـهُ كـان فاحشـةً وسَـاءَ سَـبيلاً (الإسراءِ 32) .

وقولهِ تَعالى : ولاْ تقربُوا مَالَ اليتيمِ إلاَّ بالتي هيَ أحسَنُ (الأنعام 152) .

وقولهِ تَعالى : ولاْ تقرَبُوا مالَ اليتيمِ (الإسراء 34) .

وكلُّ مَا فـي كتـابِ اللهِ مِنْ مِثلِ هذا فهو نهـيٌ ، والأمـرُ والنَّهـيُ يجمعانِ الطاعةَ والمعصيةَ ، فتركُ الأمْرِ واتِّباعُ النَّهيِ هو الكُفرُ ، واجتِنابُ النَّهيِ واتباعُ الأمْرِ هو الإيمانُ .

وأمَّـا النُّعـوتُ الـتي نَعَتَّهـا لـكَ والأوصـافُ الـتي وصـفتُها بهذيـنِ الحَالينِ وهُما الأمْرُ والنَّهيُ فلها مَصادرُ ومواردُ منـها الميزانُ فـي قولِهِ تَعالى : ونضَعُ الموازينُ القِسطَ لِيومِ القيامـةِ فلاْ تُظلَمُ نفسٌ شيئاً (الأنبياء 47) .

وقولـهِ تَعالى : فأمَّا مَنْ ثقُلتْ مَوازينُـهُ فهُوَ فـي عِيشـةٍ راضيـةٍ ، وأمَّا مَنْ خفَّتْ مَوازينهُ فأُمُّه هاويةٌ (القارعة 6) .

وقولِه تَعالى : فمَنْ يَعملْ مِثقالَ ذرَّةٍ خَيراً يرَهُ ، ومَنْ يَعملْ مِثقالَ ذرَّةٍ شَرَّاً يرَهُ (الزلزلة 7) .

وقولِه تَعالى : وإنْ كانَ مثقالَ حبَّةٍ مِنْ خَرْدلٍ أتينـا بهـا وكَفى بنـا حَاسبينَ (الأنبياء 47) .

وفي الموازينِ آياتٌ كثيرةٌ يطولُ شرحُها ، ثمَّ أنـهُ تَعالى جَعلَ لهـا حَفَّاظاً يحفظُونهـا كقولِـهِ تَعالى : إذْ يتلَقَّى الْمُتلقِّيـانِ عَنِ اليمينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعيدٌ ، مَا يلفِظُ مِنْ قولٍ إلاَّ لديـهِ رقيبٌ عَتيدٌ (ق 17) .

وقولِه تَعالى : وجاءَتْ سكرَةُ الموتِ بالحقِّ ذلكَ مَا كُنتَ منه تَحيدُ

(ق 19) .

وقولـهِ تَعـالى : وجـاءَتْ كُـلُّ نفـسٍ معَهـا سـائقٌ وشـهيدٌ (ق 21) .

وهذانِ هُما المتلقِّيانِ ، وشَرْحُ الحَفَّاظِ طويلٌ ، ثمَّ وصَفَ الكِتابَ بقولهِ تَعالى : وكُلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائِرهُ في عُنقهِ ونُخْرِجُ لهُ يَومُ القِيامةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنشوراً ، اقْرأ كِتابَكَ كَفى بنَفسِكَ اليومَ عليكَ حَسيباً (الإسراء 13) .

وقولـهِ تَعـالى : فيَقـولُ يَـا ليتـني لـمْ أوْتَ كتابيَـهْ ، ولـمْ أدْرِ مَـا حِسابِيَهْ ، يَا لَيْتها كَانتِ القاضيةَ (الحاقة 25) .

وقولهِ تَعالى : هَذا كِتابُنا يَنطِقُ علَيْكمْ بالحقِّ (الجاثية29) .

وقولهِ تَعالى : وكُلَّ شيءٍ أحصَيناهُ في إمامٍ مُبينٍ (يس12) .

وهُو بلفظِ : كِتابٍ مُبينٍ ، وقولهِ تَعالى مُخْبِّراً عنهمْ أنهُم اعترَفوا بالكِتابِ : ويقولُونَ يَا ويْلتَنا مالِ هذا الكتابِ لاْ يُغَادِرُ صَغيرةً ولاَ كَبيرةً إلاَّ أحْصاها ووجَدوا مَا عَمِلوا حَاضِراً ولاْ يَظلِمُ ربُّكَ أحَداً (الكهف49) .

فهذا يَا مُفضلُ إخبارٌ عمَّا كانُوا فعلُوهُ وقالُوهُ مِراراً ، واستِشهادٌ علَى تعَدُّدِ هذا قولُهُ تَعالى : لِكُلِّ أجَلٍ كِتابٌ (الرعد 38) .

فالأَجَلُ هو الكَوْرُ والدَّورُ ، ويُقالُ أجَلُ الشيءِ مُدَّتُهُ ، وكُلُّ أجَلٍ :

أيْ كُلُّ كَورٍ ودَوْرٍ لهُ كِتابٌ ، ونُعوتُ وأوصافُ مَا كانَ قبلَهُ ومَا يَكونُ بَعدهُ ، وهكَذا بدَوامِ الْمُلكِ والكَوْنِ لاْ نَفادَ لـهُ و لاْ انقِطَاعَ ، ولاْ يَغُرَّنَّكَ مَنْ هَلَكَ فإنهُ يَعودُ ، ولاْ مَنْ يَعودُ فإنهُ يَهلِكُ ، ومَا مَنْ هلَكَ إلاَّ كمَنْ يَكُونُ ، ولاْ مَنْ يكُونُ إلاَّ كَمَنْ هَلَكَ ، لاْ فَرْقَ بينهُما ولاْ تَبايُنٌ إلاَّ مَا دارتْ بهِما الدهورُ وعَادتْ بهِما الكرَّاتُ .

ثمَّ يا مُفضلُ جَعلَ اللهُ الغايةَ مِنْ تَناهي ذلكَ أنْ بيَّنَ الكيلَ والميزانَ والقِسْطَ فقال : وأوْفُوا الكيلَ والْمِيزَانَ بالقِسْطِ (الأنعام 152) .

وقالَ : وأقِيمُوا الوزْنَ بالقِسطِ ولا تُخْسِرُوا الميزانَ (الرحمن 9) .

وقالَ في التوراتِ وفي الإنجيلِ : بالدَّينِ الذي تَدِينُ بهِ تُدانُ ، وبالكَيلِ الذي تَكِيلُ بهِ تُكَالُ ، ثمَّ بَيَّنَ ذلكَ في الكِتابِ وجَعلهُ اعتباراً .

ثمَّ قالَ بعدَ ذلكَ صِراطٌ مَمدودٌ ، ووصَفَ الصِراطَ وذَكرَهُ في القُرآنِ كَثيراً ، وذَكرَ أنَّ لهُ عِقَاباً سَبعاً ، وأنه أحَدُّ مِنَ السيفِ وأدَقُّ مِنَ الشَّعرةِ ، وأنَّ فيهِ صُعُوداً وهُبُوطاً ، ونَعَتَهُ بنُعُوتٍ أذهلَتِ العُقولَ ، وأوْجَلتِ القُلوبَ ، وحَيَّرتِ الأَلبابَ ، وهَذا يا مُفضلُ بدءُ مسأَلَتِكَ ، وإنما قَدَّمتُ لكَ مَا سَلفَ مِنَ الخِطابِ لِيَتَّضِحَ لكَ الحقُّ ، ويَنشرِحَ

لكَ معنى الصِّدقَ ، ولِتَعلَمَ بذلكَ أنَّ المسؤولَ أعلمَ مِنَ السَّائلِ ، والْمُفَهِّمَ أعلمُ مِنَ المستفهِمِ ، والْمُسْمِعَ أبلغُ مِنَ المستمِعَ ، فكُنْ لِجوابكَ واعِياً ، وعليهِ مُواظِباً وحُثَّ عليهِ ، واقصُدْ إليهِ ، فإني أشرَحُ لكَ مِنْ باطنِ مَسألَتِكَ مَا يُثبِتُ لكَ التوحيدَ ويُصحِّحُهُ ، ويُبطِلُ عنكَ الشَّكَّ ويَدحَضَهُ ، ويَستَبينُ لكَ بهِ هُداكَ ، وتَعرِفُ عندَ ذلكَ ربَّكَ ، وكُلَّ مَالَكَ ومَا عليكَ ، فمَا لِلأَجِيرِ إلاَّ أجْرَهُ ، ولاْ علَى الْمُقتَرِفِ غيرَ وزْرِهِ .

واعلَمْ يا مُفضلُ أنَّ اللهَ جَعلَ الأبوابَ مفاتيحَ الخيرِ ، وجعَلكَ أحَدها إذْ خصَّكَ بالسُّؤالِ عَنِ الحِكمةِ باستِطاعتِكَ على تَناهي العَظَمةِ ، وقد قالَ السيدُ الأكبرُ محمدٌ (ص) : إنَّ اللهَ خَلقَ خَلقاً جَعلهُمْ مَفاتيحَ الخَيرِ ومَغاليقَ الشرِّ ، فالخَيرُ هو البَاطنُ ، والشرُّ هو الظَّاهرُ

وأنتَ يا مُفضلُ أحدُ هؤلاءِ الخَلقِ فعليكَ بيانَ ما ألقِيهِ إليكَ وأكشفُهُ لكَ ، لِتكشِفَهُ وتُلقِيهُ إلى أهلِ عِقابِ الصِّراطِ الذينَ لاْ يَرتقي المرتَقي إليهم إلاَّ بمقدَارِ عِلمِهِ واجتِهادهِ وعَمَلِهِ ، فإنْ كانَ لهُ عِلمٌ وعَمَلٌ يَستحِقُّ بهِما عقبَةً جازَهُما وإنْ زادَ عِلمَهُ وعمَلهُ بمقدار ما يَسْتحقُّ بهِ عَقبةً ثانيةً لَحِقَ بها ، وإنْ رقَّاهُ عِلمُهُ وعملُهُ إلى الثالثةِ رَقَا إليها ، وإنِ استوجَبَ أنْ يَرفعهُ مَولاهُ إلى

العقَبَةِ الرابعةِ وهي عَقَبةُ النَّجيبِ سَمَا إليها ، ويكونُ عندَ ارتِقائهِ قد جَازَ ثلاثَ عَقبَاتٍ ، وإنْ زادَ إلى الخامِسةِ ارتَقى إليها ، وإنْ زادَ إلى السادسةِ ارتقى إليها ، وهكذا إلى تَنَاهي السبعِ عِقَابٍ .

وأنا أشرحُ لكَ معنى مَا بدأتُكَ بهِ فثِقْ بمَولاكَ وسَلِّمْ لأَمرِهِ ، وإذا شرحتُهُ لك فاحفَظْهُ واحتَفِظْ بهِ وكُنْ لِلْمُسْتَمِعِ ناصِحاً كنُصْحِ مولاكَ لكَ ، ومُشفِقاً كإشفَاقِ مولاكَ عليكَ فإنكَ سببُ هذهِ العِقابِ ومقصدها وإليكَ تناهي بلُوغِها ، فبلِّغْ إلى العالَمِ مسألتَكَ سَبيلَ الصِّراطِ وتجَاوُزَ العِقابِ ، فعندكَ رُتَبُ العِقابِ وازدلافُها ، ومَا دامَ الخَلقُ يعجزونَ عنِ البلوغِ إلى نهايةِ العِقابِ السبعِ فإنهم في تَعَبٍ ونَصبٍ وشَقاءٍ وطَلَبٍ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ أوَّلُ عَقبةٍ يَسلِكها العارفُ هي عَقبةُ الممتحِنِ فإذا سَمِعَ الطالبُ المرِيدُ مِنَ الممتحِنِ عِلماً باطناً فحَمَلهُ وأقرَّ بهِ وسلَّمَ إليهِ وواظبَ عليهِ وطَلَبَ الزيادةَ منه فقدِ استوجبَ أنْ يُبلِّغهُ مولاهُ العَقبةَ الثانيةَ وهي عَقبةُ المخلصِ ، وإذا بلغَ إلى سَماعِ عِلمِ المخلِصِ فقدْ جازَ إلى العقَبةِ الثانيةِ ، فهو عندها واقفٌ فإنْ كبُرَ عليهِ مَا ألقَاهُ إليهِ الممتحنُ ومَا سَمِعهُ منهُ ولمْ يحملهُ وشكَّ فيهِ أوقِفَ دونَ تلكَ العقبةِ ، ولاْ يَزالُ موقوفاً عندها وعليها حتى يَزولَ عنهُ الشَّكُّ والضَّعفُ العارضُ لهُ فيمرُّ بهِ مَا يمرُّ مِنَ الشدَّةِ

علـى مَـا يَصفهُ أهلُ الظـاهرِ مِـنْ هَـولِ العِقـابِ والسـقوطِ عنـهـا والثُّبوتِ عليها .

وإنَّ السـقوطَ عنهـا هـو الشـكُّ بمـا يـرِدُ عليـه مِـنْ عِلـمِ العِقـابِ وصَاحِبِ العَقبـةِ والرجـوعِ عنـهُ ، وإنَّ الثبـوتَ عليهـا هـو الوقـوفُ والقبُولُ مِـنْ صَاحبِ العَقبـةِ ، فـإنْ شكَّ فيمـا يُقـالُ لـهُ مِـنَ العِلـمِ سَقطَ ، وإذا عادَ إليهِ وألوى عليهِ وقبِلهُ وتمسَّكَ بهِ ، وأجهدَ نفسَهُ في مُعانَاتهِ وطلبَ الزيادةَ مِنْ عِلمِ صاحبِ العَقبـةِ تَثبَّتَ بـهِ ، ولاْ شـيءَ أشدُّ مِـنْ هذا العِلـمِ وحمْلِـهِ والجَزاءِ علـى إنكـارهِ ومُعاناتـهِ والشَّكِّ فيهِ والتَّقصيرِ بمعرِفتهِ .

فـإذا حمَلَ عِلمُ المخلِصِ وقَبِلـهُ ولـمْ يَشُكَّ فيـه فقدْ أسعَدهُ مـولاهُ وبلَّغهُ مُنـاهُ إلـى أنْ يَسمعَ مِنَ المختصِّ العِلمَ ، فيكونُ قد جـازَ عَقبَتينِ مِنْ مَسلَكِ الصِّراطِ وعلا إلـى الثالِثـةِ ، وهو فـي كُلِّ عَقبـةٍ مِنْ هذهِ العِقـابِ السَّبعِ إذا عـلا إليهـا ورَدَ عليـهِ عِلمٌ أعلـى وأنفَـعُ وأرفَعُ مِمَّا سَمِعهُ مِنْ عِلمِ صاحبِ العَقبةِ التي دُونـها ، وكُلَّما حَملَ مِنَ هـذا العِلمِ استوجَبَ أنْ يَسمَعَ مَـا هـو أعلـى وأنفـعُ وأرفـعُ مِـنْ ذلكَ ، وكُلَّما قصَّرَ عَنْ عِلمِ صَاحبِ العَقبةِ كـانَ جزاؤهُ علـى عجْزهِ في الدرجةِ العَاليةِ العظيمةِ أعظمُ مِنْ جَزائـهِ فـي العَقبـةِ الـتي كـانَ عليها ورَقا مِنـها .

وإذا حَملَ عِلمَ المختصِّ ومِما يُلقيهِ إليهِ ويُظهِرُهُ عليهِ استوجَبَ أنْ يَرْفَعهُ مولاهُ إلى العَقبةِ الرابعةِ وهي عَقبةُ النجيبِ ، فيكونُ عندَ ذلكَ قد جازَ ثلاثَ عِقابٍ مِنْ مَسلَكِ الصِّراطِ ووَصلَ إلى الرَّابعةِ مِنها ، فإذا سمِعَ عِلمَ النجيبِ وحمَلَهُ وصبرَ عليهِ ولمْ يَجْحدهُ ولمْ يشُكَّ فيهِ استوجَبَ أنْ يجُوزَ تلكَ العَقبةَ ويعلُوا إلى مَا فوقَها مِنَ العِقابِ ويَصيرُ مِنْ أهلِ الصفاءِ والتخلُّصِ ويعلُو إلى سَمَاعِ عِلمِ النقيبِ ودلائلهِ وبراهينهِ ويكونُ عندَ ذلكَ قدْ جازَ أربعَ عِقابٍ مِنْ مَسلكِ الصِّراطِ وعَلاْ إلى الخامسةِ منها وصَارَ في منزلةِ مَنْ يحِلُّ الملكوتَ ، وإذا حمَلَ عِلمَ النقيبِ ولمْ يشُكَّ بجَميعِ مَا يُورِدُهُ لهُ ويُظهِرهُ عليهِ ، وإنْ كانَ مُسلِّماً عالِمَاً بأنهُ لاْ يدعوهُ إلى الباطلِ ولاْ يُوردهُ الضلالةَ ، استوجَبَ أنْ يعلُو مِنْ درجتهِ إلى سَمَاعِ عِلمِ اليتيمِ ويكونُ قد جَازَ خمسَ عقابٍ مِنْ مَسلِكِ الصراطِ وعَلاْ إلى السادسةِ منهُ وصارَ بمنزلةِ الشاهِدِينِ الطائفينَ ، فإذا سمِعَ عِلمَ اليتيمِ وقبِلهُ وسارعَ إليهِ ، عَلِمَ أنَّ الذي سَمِعهُ مِنْ قبلُ صغيرٌ في جَنبِ عِلمِ اليتيمِ ، وعَلِمَ أيضاً أنَّ مولاهُ يُزيدُهُ خُبرةً ومعرِفةً وثِقةً ويَقيناً بما يَظهَرُ لهُ فيها مِنَ اليتيمِ مِنِ اختبارَاتٍ عظيمةً وكثيرةٍ يَختبرُهُ بها ويَبلوهُ ، فإذا ثبَتَ ذلكَ عندَهُ ولمْ يَزُلْ ولمْ يشُكَّ استوجبَ أنْ يَبلُغَ بفضلِ مولاهُ عليهِ ، وإحسانهِ إليهِ

عِلْـمَ اللهِ مَـنَ البـابِ صُـراحاً وكَشـفاً وعَيانـاً ، فيكـونُ لـهُ بعـدَ المشاهدةِ مُعاينةٌ بالنظرِ ، وتُجمَعُ لهُ الأحوالُ التي سلَفتْ لـهُ في جَميعِ العِقابِ ، فيكونُ إنْ شاءَ غائباً وإنْ شاءَ حاضِراً وشاهداً وثابتاً ، وغائباً ومُعايِناً ومُستَمِعاً لاْ يغرُبُ عليه شيءٌ مِنْ طَلبتهِ وإرادتهِ وبُغيتهِ ، ويكونُ عندَ ذلكَ سَبباً مِنْ أسبَابِ اللهِ وحُجةً لأوليائهِ ، ونَقمةً على أعدائِهِ ، وسِراجاً يُستضاءُ بهِ ، ومَكاناً يُشارُ إليهِ ومَقصِداً ومَطلباً ، ويكونُ قد جَازَ مِنْ مَسلِكِ الصراطِ ستَّ عِقابٍ ، ويبلغَ إلى العَقبةِ السابعةِ ، وعليهِ عندَ بلوغِها الإجتهادُ والطلبُ والمواظبةُ وجمَعُ العزيمةِ ، والزيادةُ في التَّعبُّدِ ، فإذا تكاملتْ له السبعُ عِقابٍ يكونُ وراءها ظُهورُ مولاهُ وعِيانهُ إيَّاهُ ، وسَمَاعهُ وخطابَهُ ، وبلوغهُ إرادتهُ وهي العَقبةُ التي وصَفها اللهُ وذكرَها في كتابهِ بقولهِ : فلاْ اقتحمَ العقبةَ ومَا أدراكَ ما العقبةُ ، فكُّ رقبةٍ (البلد 11) .

لأنهُ إذا صارَ إلى تِلكَ العَقبةِ السابعةِ وحَلَّ فيها خَرجَ عَنْ التعبُّدِ وصَارَ حُرَّاً مُحرَّراً ، عُلِّمَ فعَلِمَ فغَنيَ عنِ التعليمِ ، وبصَرَ فأبصَرَ فغنِي عَنِ التبصير ، وأسمَعَ فاستمَعَ فغَنِيَ عَنِ الإسْمَاعِ ، ووَجدَ ما طَلَبَ فغَنيَ عَنِ البَحثِ ، واللهُ أعْلمُ .

بابُ العِقابِ ومنازِلُها :

اعلمْ يا مُفضلُ إني مُبيِّنٌ لكَ مِنْ باطِنهِ باطناً ثانياً وشرحاً واضِحاً في معرِفةِ العِقابِ ومَنازِلِها ، يا مُفضلُ إنَّ عقبةَ الممتحنِ التي يَصيرُ إليها الطالبُ ويَسمَعُ منها هي ظُهورُ الممتحِنِ لذلكَ الطالبِ وسَماعهِ منهُ ، ولاْ يَظهرُ لكلِّ طالبٍ ، بلْ إنما يَظْهَرُ للطالبِ الْمُحِقِّ الصادِقِ الصافي المستوجِبِ لظهورهِ ، فإذا ظَهرَ لهُ الممتحنُ وسَمِعَ منهُ وحَملَ عنهُ وأقبلَ عليهِ ، فلاْ يَظهرُ لهُ غيُرهُ مِنْ أهلِ المراتِبِ والدَّرجِ العُلويةِ أهلِ العِقابِ حتى يَستوجِبَ بظهورهِ لهُ وقبولهِ منهُ ، ظُهورَ صَاحِبِ العَقبةِ الثانيةِ لهُ ، وعندَ ظُهورِ الممتحنِ لهذا الطالبِ يكونُ محلَّهُ في السماءِ الأولى لاْ يتجاوزُها إلى الثانيةِ ، فإذا وصلَ إلى العَقبةِ الثانيةِ وهي عَقبةُ الْمُخلِصِ فلاْ يَظهرُ لهُ سِواهُ ، ولاْ يُشاهدُ غيرَهُ وغيرَ الممتحنِ فيرْقَى إلى السماءِ الثانيةِ ويكونُ لهُ فيها مَحلٌّ يَحُلُّهُ كمَا كانَ في الأولى ، فلاْ يَتجاوزُ هاتينِ السمائينِ إلى الثالثةِ حتى يَستوفي بقبولهِ مِنَ المخلِصِ فيستحقُّ العُلوَّ إلى العقبةِ الثالثةِ ، فعندَ ذلكَ

يظهرُ له الْمُختصُّ ويرقى بظهورِهِ لـه وسَماعهُ منهُ وإقبالِهِ عليهِ ، فيَصيرُ لهُ مَحَلٌّ في السماءِ الثالِثةِ كمَحلِّهِ في السمائينِ الأوّلِيتينِ ، ومنزِلةٌ كمنزِلتهِ فيهما فيَحُلُّها .

وكذلكَ عندَ إكمالِ قبولِـهِ منَ الْمُختصِّ يَظهرُ لـهُ النجيبُ فيُعاينـهُ ويُشاهِدهُ ويَعلمُ منهُ مَا يُطلعهُ عليـهِ ويُلقيـهِ إليـهِ وعندَ ذلكَ يكونُ قدْ شَاهدَ ممتحنـاً ومُخلصاً ومُختصَّاً ونجيباً ويكونُ محلُّـهُ فـي السماءِ الرابعةِ مثلَ محلِّـهِ فيما قبلَها مِنَ السماواتِ يَرقى إليها ويَهبطُ منها ويَحُلُّ في أيُّها شاءَ ولـهُ الأرضُ ، لأنهُ قدْ ملَكَ كُلَّ مَا أرادَ أنْ يأتيَـهُ منهـا ، ولاْ يَرقـى إلـى المحلِّ العـالي العُلـويِّ حتـى تَزولَ عنهُ المراتِبُ الأرضيةُ البشريةُ ، فإذا تكاملَ فيهِ كلُّ ذلكَ رَقا إلـى المحلِّ العالي العُلويِّ وصارَ مِنْ عالَمِـهِ ، وهـي رتبـةُ العالَمِ النورانيِّ ، فإذا استوجبَ بقبولِـهِ وإجابتـهِ للنجيبِ ظَهرَ لـه النقيبُ ويكونُ فـي ذلـكَ الظُهورِ مُشاهِداً لِمَنْ ظَهـرَ لـهُ ، ولاْ يَجدُ أحـداً ممنْ يظهرُ لهُ حتى يَستوجِبَ بقبولِـهِ وصفائهِ ظُهورَ الآخرِ مِمَّنْ لمْ يظهرْ لـهُ ، وإذا استوجبَ ظُهورُهُ لـهُ علتْ منزِلتـهُ وظَهرَ وصـارَ لـهُ مـعَ ظُهورِهِ مَحلٌّ فـي السماءِ الخامسـةِ الـتي هـي أعلـى مِمـا دونـها ، وكذلكَ بقبولِهِ مِنَ النقيبِ وطاعتِهِ لهُ وتسليمِهِ إليهِ يَظهرُ لهُ اليتيمُ ويكونُ بذلِكَ قدْ جازَ الخَمسَ عِقابٍ مِنْ مَسلكِ الصراطِ

وصـارَ إلـى السـماءِ السادسـةِ فيَحُلَّهـا ويَصـيرُ لـهُ ارتفـاعٌ يَعرِفُ جميعَ ما تحتِ السمواتِ الستِّ مِنْ أهلِ المراتِبِ والدَّرجِ ، ويَصيرُ لـهُ فيهـا إسـمٌ مِثـلَ أسـمائِهِمْ ومحـلٌّ كمحلِّهِـمْ ونعـتٌ كنُعوتِهم ، ويَصـيرُ لـهُ فـي الأرضِ ذلـكَ الإسـمُ البشـريُّ عنـدَ العـالَمِ يُنزِلونـهُ منـازلَ النفـعِ والضُّرِّ ، والسَّعدِ والنحسِ ، فإذا ثبتَ علـى معرِفـةِ عِلمِ اليتيم وأقرَّ بـهِ ولـمْ يُنكِرهُ أوْ يشُكَّ فيـه ، ولـمْ يكبُرْ عليـهِ مَا يُورَدُ إليـهِ ، وعَلِمَ أنَّ الـذي سَمِعهُ قبلَ ذلكَ صغيرٌ بالنسبةِ إلى عِلْمِ اليتيمِ استوجبَ بقبولـهِ مِنَ اليتيمِ وطاعتـهِ لـهُ وتسليمهِ إليـهِ ورِضـاهُ بـهِ أنْ يُعلِّيَـهُ مـولاهُ فيظهَرُ لـهُ البـابُ ويُزْلِفـهُ إلـى العقبـةِ السـابعةِ فيَحُـلُّ فيهـا ويَظهـرُ لـهُ البـابُ ويَسـمَعُ منـهُ عِلْمَ مـولاهُ وتَوحيدَهُ صُراحاً وكَشفاً ويَرقـى إلـى السماءِ السابعةِ فيَحُلُّ فيها ، وعنـدَ ذلـكَ يكـونُ قـدِ انتهـى إلـى المنزِلـةِ العاليـةِ ، وحـلَّ المحلَّ الأعلـى مِـنَ السـمواتِ كلِّهـا ، وملَـكَ فـي سـائرِ السـمواتِ رُتُبـاً ، وجميـعُ مَـا يُريـدُهُ مِنَ السمواتِ والأرضينِ السبعِ فـي العـالَمَيْنِ لاْ يَغرُبُ عليـهِ عِلمُ شـيءٍ ولاْ يَفوتـهُ شـيءٌ مِنْ طلبـهِ وإرادتـهِ ويَصيرُ مُحكَّماً مُخيَّراً في نفسِهِ ، لأنـهُ قد أخلَصَ فخلُصَ وصَفَا ، فليسَ عليهِ خَوفٌ إذا بلَغَ إلى هذهِ المنزِلةِ العاليةِ في السماءِ السابعةِ ، وإنمـا الخـوفُ عليـهِ مِنَ الزَّلـلِ مَا دامَ فـي دَرجِ التعبُّدِ والطلـبِ فـي

العَقباتِ السِّتِّ ، فإذا صارَ إلى العَقبةِ السابعةِ وحلَّ فيها محلَّهُ الأعلى الذي ذكرتهُ لكَ وأخلصَ وخلُصَ وصفا وعادَ إلى جوهرِهِ يَظهرُ لهُ الإسمُ وهو الحِجابُ فيُعاينهُ ويُشاهِدهُ ، ويَشهدُ أفعالَهُ ويُطلعُهُ على عِلمِ تكوينهِ وبَدوهِ ، ويُعرِّفهُ بتقلُّبهِ مِنْ حالٍ إلى حالٍ ، ومَا عاناهُ مِنِ امتحانِ مولاهُ في تَقصيرِهِ عمَّا افترضهُ عليهِ وأمرَهُ بهِ ، فعندَ ذلكَ يتخلَّصُ مِنْ جميعِ مَا كانَ عليهِ ، ويكونُ لهُ إنْ شاءَ يَغيبُ أوْ يَحضُرُ ، أوْ يحُلُّ شرقاً أوْ غرباً ، أوْ سماءً أوْ أرضاً ، ويعلمُ حيثُ يحُلُّ مولاهُ وحِجابُهُ وبابُهُ ، فإذا أرادَ حضورَهُ حضرَ ، أوْ أحبَّ مقامَهُ في مكانٍ مِنَ الأمكنةِ أقامَ ، وإنْ آنسَ إلى البشريةِ فيؤنِسُهُم بنفسِهِ ، ويَعرِفُهم ويَشهدُ لهمْ ويَعرِفوهُ حتى يكونَ لهُ أنْ يجلُسَ بينَ أقوامٍ ويُحادِثُهم ويُكلِّمُهم بلِسانٍ مِنَ الألسُنِ الجاريةِ بينهمْ ويَنصرِفُ عنهم فلاْ يَرونهُ ولاْ يعلمونَ بهِ كيفَ مَضى ، ويَشهَدونَ على أنفُسِهمْ أنهُ كانَ يُكلِّمهم ، وهذا يَا مُفضلُ هو القولُ الذي يقولُهُ العالَمُ إذا جرى لهمْ خطابٌ معَ بشرٍ مثلِهمْ وأفحمَهم وظَهرَ عليهمْ بالحُجةِ وأتى بما لاْ تحتملهُ قلوبُهم ومَا لمْ يسمعُوا بمثلِهِ قطّ ، وذلكَ المتكلِّمُ عندهم دونَ تلكَ المنزِلةِ مِنْ حيثُ الذكاءُ والفهمُ والدرايةُ ، لاْ يَعهدونَ لهُ في الخطابِ قولاً صواباً ، ولا حُجَّةً وافيةً ، فإذا أتى ذلكَ الذي هو عاجزٌ عندَهم

وبدَرَ في مقالتِهِ لديهم وقالَ بذلكَ القولِ الذي لاْ تحتملهُ قُلوبُهم يقولونَ لهُ تعجُّباً : مِنْ أينَ لكَ هذا القولُ ، ما هذا مِنْ كلامِكَ ولاْ جئتَ بمثلهِ قطّ فمِنْ أينَ لكَ هذا ومَنْ علَّمكَ إياهُ ، ويقولونَ أيضاً إذا جرى لهمْ مثلُ ما شرحتُ لكَ قولاً ثانياً مِنْ تعجُّبهم ، أمَّا الكلامُ فهو ذا نَسمَعُ ، أمَّا الإنسانُ فلاْ نَرى ، وهم صادِقونَ بذلكَ لأنَّ الإنسانَ هو المتكلِّمُ على ذلكَ اللسانِ الناطقِ ولاْ يرونهُ ، ثم يقولونَ يا مُفضلُ كلاماً آخرَ إذا جرى لهم مِثلُ مَا شرحتُ لكَ وذلكَ أنهم يَحلِفونَ ويقُولونَ واللهِ إننا لَنحلِفُ أنَّ هذا الكلامَ الذي تكلَّمتَ بهِ ليسَ منكَ ولاْ هو مِنْ كلامِكَ ، بلْ هو مِنْ كلامِ غيرِكَ وهم صادِقونَ بذلكَ ،

فهذِه يا مُفضلُ منزِلةُ مَنْ جازَ عِقابَ الصراطِ وهو غيرُ مَا ذكروهُ في ظاهرِهِمْ أنهُ إذا جازَ العبدُ الصراطَ دخلَ الجنةَ ، والجنةُ هي المعرِفةُ الحقيقيةُ وهي غايةُ المعرِفةِ ، والمنتهي في الشيءِ إلى غايتهِ يَصيرُ ، ثمَّ أنهُ يَا مُفضلُ لَيَتَفضلُ على مَنْ كانَ دونهُ مِمَّا قد أنعمَ اللهُ عليهِ بمعرِفتهِ ، وأقرَّ بِحقيقتِهِ حتى يكونَ في صَفائهِ يُحِبُّ لكُلِّ طالبٍ أنْ يَصِلَ إلى مَا أوصلهُ مولاهُ إليهِ وبذلكَ يَكمُلُ لهُ قولُ مولاهُ : لاْ يَكمُلُ إيمانُ المرءِ حتى يَرضى لأخيهِ مَا يَرْضاهُ لنفسِهِ . وقيلَ . : لاْ يكونُ المؤمِنُ مؤمناً حقَّاً حتى يَرضى لأخيهِ

ما يرْضاهُ لنفسِهِ
وقد عنى بذلك أهلَ هذهِ المنزِلـةِ الـذينَ قد عبروا عقابَ الصراطِ وبَلَغوا إلـى مـا شـرحتهُ لـكَ مِـنْ تفضُّـلِ اللهِ عليهـمْ ، ومنـهُمْ مَـنْ يكونُ في أولِ درجةٍ مِنَ الإيمانِ والدينِ فـي البشريةِ ويكونُ بهـذا الوصـفِ ، يَرضـونَ لإخـوانِهم ومَـنْ هـو دونَهـم فـي المنزِلـةِ مَـا يَرضـونَ لأَنفُسِـهمْ مـنْ حـالِ الـدِّينِ والـدُّنيا ، ويَكرَهـونَ لهـم مـا يكرَهونَ لأنفُسِهم ، وكُلَّما رقوا إلـى منزِلـةٍ وأنعمَ اللهُ عليهِم بنعمـةٍ أحبُّوا أنْ يكـونَ مَنْ هـو دونهـمْ معهـمْ فيهـا ، فـإذا رأيـتَ الْمُسلِّمَ الداخِلَ في هذا الأمرِ ، المقرِّ بالمعرِفةِ بهذه الصفةِ ، وعلـى هذهِ المواظبةِ فاشهدْ لـهُ بسُرعةِ الصفاءِ والتخلُّصِ مِنَ البشريـةِ ، وإذا كانَ لاْ يُحِبُّ لأخيهِ مَا يُحِبُّ لنفسِهِ ولاْ يَرى لـهُ مَا يَراهُ لنفسِهِ ، ولاْ يَختارُ لهُ مَا يختارُهُ لنفسِهِ ، ولاْ يكرَهُ لـهُ ما يكرَههُ لنفسِهِ مِنْ حالِ الـدِّينِ والـدُّنيا فاشـهدْ عليـهِ ببُعدِ الصـفاءِ والتخلُّـصِ ، وإنَّ مَـنْ يُساوي أخاهُ المؤمِنَ لِنفسِهِ فـي جَميـعِ أحوالِـهِ لاْ يُرَدُّ فـي البشرِيـةِ إلاَّ قميصٌ واحِدٌ ، وكم بينَ مَنْ يُرَدُّ مرَّةً واحِدةً وبينَ مَنْ يُـرَدُّ مائـةَ مرَّةٍ ، هذا يَا مُفضَّلُ ولمْ يَزِدْ صاحِبُ المائـةِ كرَّةٍ علـى كرَّاتـهِ ، ولـمْ ينقصْ صاحِبُ الكرَّةِ الواحدةِ ويُرفَعُ إلى الصَّفاءِ .
قـالَ المفضـلُ : فقلـتُ مـولاي إنَّ المسـلِّمَ الْمُقِـرَّ الـداخِلَ فـي هـذا

الأمرِ يَصفُو فـي كرَّةٍ واحدةٍ ويخرُجُ عَنِ البشريةِ ويَصيرُ نُورانيَّاً ويَرقى في هذهِ المنازلِ بِغيرِ هذهِ العِقابِ ، فقالَ : نعمْ يا مفضلُ إنَّ مولاكَ لَيُوجِبُ للعبدِ المؤمنِ الْمُقِرِّ هذا في قالِبٍ واحِدٍ ، وذلكَ إذا خرجَ منهُ وليسَ عليهِ مُطالبةٌ لأحدٍ مِنَ المؤمنينَ في حقٍّ يَستوجِبهُ منهُ عليهِ ، ولاْ قصَّرَ عَنْ أمرِ مولاهُ بلْ قامَ به حقَّ القيامِ فإنهُ يَستوجِبُ أنْ لاْ يُكَرَّ في قميصٍ آخَرَ غيرَ مرَّةٍ واحدةٍ ، فقُلْ لهمْ يَا مُفضلُ يُجْهِدونَ أنفُسَهمْ ليكونوا كَما ذكرتُ لكَ ويَسألوني التوفيقَ .

قالَ المفضلُ : يَا مولايَ مَا كنتُ أعلَمُ أنَّ أحداً يَبلُغُ رضاكَ بهذِهِ الحالةِ وهذهِ السُّرعةِ ، فقال : يَا مُفضلُ أمَا علِمتَ أنَّ السيدَ الأكبرَ قالَ مُسْمِعاً مَنْ حَضرَ : إنَّ الكُفرَ أخْفَى مِنْ دبيبِ النملِ ، والإيمانُ أخفَى وأخفَى ، فتفكَّرْ يَا مُفضلً بهذا ، متى تَجِدُ مَنْ يَكونُ سَالِماً مِنْ كُلِّ ذلكَ ، فطوبى لِمَنْ وُفِّقَ حتى يكونَ فيهِ مِنْ دلائلِ الإيمانِ بعضُ مَا وصَفتُ لكَ .

قالَ المفضلُ : فقلتُ سيدي أعوذُ بكَ مِنَ الزَّيغِ والزَّلِلِ فلاْ طاقةَ لي بحملِ مَا حمَّلتني ، فقالَ : يَا مُفضلُ وإذا خَلُصَ العبدُ العارِفُ العابِدُ منْ عِقابِ الصراطِ ووصَلَ إلى تِلكَ الجنةِ فعليهِ هناكَ حقوقٌ واجبةٌ ، وأمورٌ لازمةٌ لاْ يَسعُهُ التخلُّفُ عنها .

قال المفضلُ : فقلتُ مولاي وأيُّ شيءٍ هي ، فقالَ : إذا بلغَ تلكَ المنزِلةَ وعرَفَ مَا صارَ إليه ومَا تفضَّلَ اللهُ بهِ عليهِ فلْيَسألْ مولاهُ أنْ يُعرِّفه جميعَ مَنْ في شرقِ الأرضِ وغربِها ، وسمائِها وأرضِها ممَّنْ أقرَّ للمعنى بالأحديةِ ولحِجابهِ بالأسميةِ ولوليِّهِ بالبابيةِ فيُعرِّفَهُ ذلكَ ، فإذا عرَفَ فعليهِ أنْ يزُورَ أهلَ النورانيةِ بالْمُشاهدةِ ، وأهلَ البشريةِ بالْمُجَانسةِ ، ويسأَلَ مولاهُ لكلِّ واحدٍ منهمْ على قدَرِ منزِلتِهِ في المعرِفةِ بالتوفيقِ والقبُولِ .

قال المفضلُ : فهِمتُ عنكَ أنهُ نورانيٌّ يَزورُ أهلَ النورانيةِ بجوهرِهِ الذي هو مِنْ جوهرِهِمْ ، فكيفَ تكونُ زيارتهُ لأهلِ البشريةِ ، فقالَ : يَا مُفضلُ يكونُ لذلكَ البشريِّ أخٌ أوْ صديقٌ مُحِبٌّ يُحِبُّ قُربَهُ منهُ ويأْنَسُ إليهِ ، فيأتِي الشخصُ النورانيُّ إليهِ بصورةِ ذلكَ الأخِ أوِ الصديقِ فيجْلُسُ معهُ ويُحادثهُ ويُؤانِسُهُ ورُبما أكلَ معهُ وشرِبَ ، ثمَّ يَنصرِفُ عنه إلى غيرِهِ حتى لاْ يدعَ يوماً دونَ أنْ يأتي فيهِ إلى بعضِ مَنْ عرَّفهُ بهِ مولاهُ وأطلعهُ عليهِ ، فإذا زارَ أحدَهم وخرجَ مِنْ عندهِ يقولُ ذلكَ الرجلُ البشريُّ : مَا رأيتُ أسرَّ مِنْ يومي هذا ، لقد سُرِرتُ بهذا الصديقِ سُروراً لمْ أسَرَّ بمثلِهِ معه قطَّ ، فيقولُ لهُ قائلٌ : باللهِ عدْ عَنْ هذا ولاْ تذكُرهُ لئلاْ يَصيبوهُ بالعينِ ، فيُمْسِكُ عَنْ ذلكَ ويتناساهُ ، وهكذا فلاْ يَزالُ ذلك

الشـخصُ النورانـيُّ يـزورُ جميـعَ مَـنْ عرَّفَـهُ بـهِ مـولاهُ ، قـالَ المفضلُ : فقلتُ مولاي أوَ يُطعَمُ الطعامَ ويَشربُ الشرابَ ، قالَ : نعمْ إنْ هو أحبَّ ذلكَ وأرادهُ ، ويُرَى أنهُ يأكلُ ويَشربُ وهو لاْ يأكُلُ ولاْ يَشربُ ، ثمَّ قالَ مولانا منهُ السلامُ : يا مُفضلُ ودقَّةُ الصراطِ هلْ علِمتَ ما هي ، فقلتُ : لاْ يا مولاي إلاَّ بفضلِكَ .

فقال : إنَّ دِقتَهُ عظيمةٌ ، وصُعوبتَهُ أعظَمُ ، وكُلَّما عظُمَ صَعُبَ ودُقَّتْ معرِفتهُ ، وذلك لوْ أنهُ وُصِفَ لكَ شخصٌ بشريٌّ ، وقيلَ لكَ إنهُ مَلَكٌ نورانيٌّ هلْ تَدُقُّ عليكَ معرِفةُ ذلكَ الشخصِ وتعظمُ عندكَ ، وتصعُبُ عليكَ ، قلتُ : هو كذلكَ يَا مولاي ، قالَ : فإذا قيلَ لكَ شخصٌ بشريٌّ ربٌّ خالِقٌ رازقٌ أيُّهما يكونُ أدقُّ وأعظمُ وأصعبُ معرِفةً على حامِلهِ هذا أمِ الأولُ ، فقلتُ : بلْ هذا يا مولاي أدقُّ وأعظمُ وأصعبُ ، فقالَ : وإنْ قِيلَ ربٌّ خالِقٌ مُحيِ مُميتٌ لهُ القُدرةُ والمشيئةُ والتكوينُ وهو شخصٌ بشريٌّ عاجِزٌ مقهورٌ مُضطهدٌ مَقتولٌ محمولٌ أينَ تكونُ هذهِ المنزِلةُ مِنَ المنزِلتينِ ، فقلتُ : يا مولاي هذهِ تكونُ أدقُّ وأعظمُ وأصعبُ على حامِلها ، فقالَ : ومِنْ دقَّتهِ إظهارُهُ فيهمُ الأزواجَ والأولادَ وهو يَنفي ذلك عَنْ نفسِهِ في كتابِهِ بقولِهِ : مَا اتخذَ اللهُ مِنْ ولَدٍ (المؤمنون 91) .

وبقولِهِ : ما اتخذَ صاحبةً ولاْ ولداً (الجن 3) .

وبقولِهِ : وقالتِ اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحِبَّاؤهُ (المائدة 18) .

وبقولِهِ : وقالتِ اليهودُ عُزَيرٌ بنُ اللهِ وقالتِ النصارى المسيحُ ابنُ اللهِ (التوبة 30) .

وفي سورةِ الإخلاصِ : قلْ هوَ اللهُ أحدٌ ، إلى آخرِها ، وقد أوجَدَ الوالِدَ والأُخوةَ والأزواجَ والأولادَ ، وأورى أنَّ لهُ والِداً وأخوةً وأزواجاً وشُركاءَ في الملكِ فأيُّ الوُجوهِ أدقُّ ، هذا الإظهارُ والإختبارُ أمِ الذي تقدَّمَ ، فكلُّ ذلكَ ليَتضحَ لأهلِ التوحيدِ أنهُ اختبارٌ لِيُحِقَّ بهِ الحقُّ ويُبطِلَ بهِ الباطلُ ، ويُميِّزُ مَا بينَ الخبيثِ والطيبِ لتلزَمَ الحجةُ مِنْ جميعِ وجُوهِ الحقِّ بالأَعذارِ والإنذارِ ، فقلتُ : ما أدقَّ هذا الصراطِ وأعظمَهُ وأصعبَهُ .

فقالَ : يَا مُفضلُ قِيلَ إنه أحدٌّ مِنَ السيفِ وأدقُّ مِنَ الشَّعرةِ ، فقلتُ : يَا مولاي هكذا يقُولونَ إنهُ أحدٌّ مِنَ السيفِ وأدقُّ مِنَ الشَّعرةِ ، فقالَ : أمَّا شَرحُ دِقتهِ فقد عرفتَهُ ، فأخبرني أنتَ بحدَّتهِ إذْ قد عرَفتَ دِقَّتَهُ ، فقلتُ : يَا مولاي مِنْ أينَ لعبدِكَ سبيلٌ إلى الكلامِ عَنْ هذا الوصفِ وأنتَ غايةُ كُلِّ غايةٍ ، ومَعدِنُ كُلِّ فضيلةٍ وإحسانٍ ، فقالَ مولاي منهُ السلامُ : يَا مُفضلُ حِدَّتُهُ إطلاقُ اللفظِ بهِ ، فإنهُ ما دامَ مكنُوناً مَخفيَّاً عَنِ التصريحِ فليسَ على مُخفيهِ

خوفٌ مِنْ مالِكِهِ ، لأنهُ عندَ مالِكِهِ ذو دِقةٍ وكُتمانٍ وصِيانةٍ وحِفظٍ وحذَرٍ ، والخوفُ عليهِ مِنْ أنْ يَقعَ إلى غيرِ مُستحقِّهِ فيأخذهُ شِبهَ الزِّنا والخِداعِ ، ويُرِي أنهُ مُشفقٌ عليهِ ، وإنِ اضُطرَّ وطُولِبَ بإقامةِ الواجبِ فيهِ هتفَ بهِ إلى العالَمِ وشنَّعَ على أهلِهِ وأضافَ إليهمْ مَا ليسَ فيهمْ ، وسَعى بهِمْ إلى طُغاةِ الوقتِ فيكونُ بحالِ التلفِ ، ويكونُ ذلك الْمُلقي اللفظَ إلى مَنْ تَصيرُ هذهِ حالتُهُ قد بذَّرَ وأعطى وكَشفَ ما أمِرَ بسترِهِ وصيانتِهِ ، فاستوجبَ بذلكَ مِنْ مولاهُ أليمَ العذابِ ، وشديدَ العِقابِ مِنَ الذُّلِّ والفَقرِ والجَهلِ والنَّصَبِ وينحَطُّ عَنْ درجتهِ التي قدْ كانَ قرُبَ فيها إلى التخلُّصِ ، فالحِدَّةُ هي إطلاقُ ذلك اللفظِ إلى الْمُلقَى إليهِ المعرفةَ فإنهُ إذا أطلقَهُ بلسانهِ فلاْ يُمكِنُهُ ردُّهُ إلى معدِنه الذي خرَجَ منهُ ، واعلمْ يا مُفضلُ أنَّ مِنْ وصْفِ الرجلِ إذا كانَ دريّاً عارفاً مِحْجَاجاً جَدِلاً يقُولُونَ لفلانٍ لسانٌ أحدُّ مِنَ السيفِ ، ويخرُجُ منْ لسانِ فلانٍ كلامٌ أشدُّ مِنَ الصخرِ والصواعِقِ ، وإذا تناهى العالَمُ في وصْفِ السيوفِ ونُعوتِها وشِدَّةِ حِدَّتها يقولونَ : سيفٌ صاعقةٌ ، وذلك لحدَّةِ فعلِهِ ، قالَ تَعالى : ويُرسِلُ الصواعِقَ فيُصيبُ بها مَنْ يشاءُ (الرعد 13) .

ويُقالُ أيضاً : كلامٌ أشدُّ مِنَ الصخرِ ، وكلُّ ما نُعِتَ بالشدَّةِ فهو

مِنْ أنواعِ الحديدِ ، قالَ تَعالى : وأنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافِعُ للناسِ (الحديد 25) .

ويُقالُ للمُقاتِلِ إذا أخرجَ السيفَ مِنْ غمدهِ لِيَضرِبَ بهِ : ربما أوضَحَتِ الضربةُ ورُبَّما أثَّرتْ أثراً خفيفاً وربَّما نَبا السيفُ ولَمْ يعملْ شيئاً ، وكذلكَ إذا ألقى الرجلُ المؤمنُ إلى رجُلٍ كلمةَ الإخلاصِ يكونُ قدْ قتَلهُ بالمعرِفةِ لها لقولهِ تعالى : فتوبُوا إلى بارئكُمْ فاقتُلوا أنفُسَكُمْ (البقرة 53) .

لأنَّ قتلَ المؤمنِ العارِفِ نفسَهُ بالمعرِفةِ لبَاريهِ هو الحياةُ الأبديةِ .

قالَ السيدُ الأكبرُ محمدٌ (ص) : الموتُ راحةٌ ، ورُبَّ ميِّتٍ استراحَ ، والموتُ إسمٌ مِنْ أسماءِ الربِّ لقولهِ تَعالى : ولقدْ كنتمْ تمنَّونَ الموتَ مِنْ قِبَلِ أنْ تلقَوهُ فقد رأيتمُوهُ وأنتمْ تنظُرونَ (آل عمران 143) .

فكانت يَا مُفضلُ هذهِ إشارةٌ إلى مولاكَ أميرِ المؤمنينَ جَلَّ جَلالهُ ، لأنهُ كانَ منظُوراً مُعايَناً مُشاهداً بهذهِ الصِّفةِ ، أمَّا موتُ الفناءِ فالميِّتُ الفاني بعدَ أنْ تخرُجُ روحهُ منه فلاْ يَرى شيئاً ولاْ يَعقِلُ شيئاً بلْ يَبقى جيفةً مُلقاةً واللهُ أجلُّ مِنْ أنْ يُخاطِبَ جيفةً لاْ تعقِلُ ولاْ تَنطِقُ ولاْ تَشُمُّ ولاْ تَسمَعُ ولاْ تُبصِرُ ولاْ تَحُسُّ .

وأمَّا الذي يُوضِحُ بضربِ السيفِ فرُبَّما أطلِقَ إلى رجُلٍ كَلمَةَ الإخلاصِ فتنقَدِحُ لهُ عَنْ معانٍ يَحتاجُ إليها ويَتَّضِحُ لهُ فيها صِحَّةَ مَا ألقاهُ إليهِ ،

وأمَّا الذي يكونُ عندَهُ ضَرْبُ السيفِ يؤثِّرُ تأثيراً خفيفاً فإنه إذا أُلْقِيَ إلى رجُلٍ معرفةَ الحقِّ لم تزْكُ في قلبهِ إلاَّ شيئاً يَسيراً ، فإنْ أزْهِقَ مِنْ حَالٍ خرجَ عَنِ الكلمةِ لأنها غيرُ مُتَمِكِّنةٍ فيهِ .

وأمَّا الذي يَنبُو لديهِ السَّيفُ فإنهُ إذا أطْلِقَ اللفظُ إلى رجُلٍ لاْ يكونُ لهُ فيه غرَضٌ ، ولاْ يتحقَّقهُ ولاْ يَعبأُ به ، فيَمُرُّ النُّطقُ على أذُنهِ صَفحاً كَما يمُرُّ السَّيفُ مِنَ الضاربِ صَفحاً ، فلاْ حِدَّةَ أشدُّ مِمَّا شرحتهُ لكَ فكمْ مِنْ طالبِ حُجَّةٍ قعدَ عندَ إيضاحِ المنهجِ وقصَّرَ عمَّا قصدَ إليهِ ورَغِبَ عَنْ مسألَتِهِ ، ورجِعَ عَنْ رُشْدِهِ ، وكمْ مِنْ عاقِلٍ فطِنٍ عرَفَ رُشدَهُ بما أُلْقِيَ إليهِ واستنبطَ سرائرَ دينهِ ، وقصدَ نحوهُ ، وصَغى إليهِ ، وعدَلَ عَنْ جميعِ هِمَمِهِ ، وجدَّ في طلبهِ ، وجعلَهُ مُعوَّلاً يُعوَّلُ عليهِ ، ويقصُدُ نحوهُ ، وذلكَ بحيثُ مَا شرحتُ لكَ مِنِ استحقاقهِ .

وإنما مَثَلُ العالَمِ في ذلكَ كمَثلِ بِذارٍ بذَرَتهُ يدٌ واحِدةٌ في وقتٍ واحِدٍ ، وغُذيَ بغذاءٍ واحدٍ ، وتناهى بهِ زمانٌ واحدٌ ، فلمَّا كانَ وقتُ

ينْعِهِ سبَقَ بعضٌ بعضاً فعذُبَ وطابَ ، وتخلَّفَ البعضُ الآخرُ فخبُثَ وكدرَ ، وهكذا العالَمُ يا مُفضلُ كونٌ واحدٌ ، لوقتٍ واحِدٍ ، بقُدرةٍ واحدةٍ .

فلمَّا ظَهرَ لهمُ الْمُكَوِّنُ ودعَاهُمْ إلى ذاتِهِ أجابَ بعضٌ ، وتخلَّفَ بعضٌ ، وتثاقلَ بعضٌ ، فمَنْ أجابَ عذُبَ وطابَ ، ومَنْ تخلَّفَ أنتَنَ وخبُثَ ، فكانُوا هُمُ المنكِرينَ الجَاحِدينَ ، وكانَ ذلكَ النُّطقُ أولَ حدَّةِ الصراطِ ، ثمَّ كانَ ذلكَ النطقُ الأولُ الذي يَجري على أيِّ لسانٍ كانَ في العالَمِ وهو حِدَّةُ الصراطِ لأنهُ إلى تلكَ الدعوةِ يُشيرُ وعنها يُلوِّحُ ، فاعرِفْ هذا يَا مُفضلُ ، ولاْ حدَّةَ أشدُّ وأعلى وأعظَمُ مِنْ مقامِ دعوتِكَ إلى مولاكَ ، وإظهارِكَ فيهِمْ هذا الخِطابَ ، وأنْ يَنقُلوهُ عنكَ في كُلِّ مقامٍ عندَ ظُهورِ شخصِكَ فيهِمْ وبَثِّكَ هذا العِلمَ لهُمْ عندَ وجودِكَ بينهُمْ لِتدعُوَهمْ إليهِ وتُمْسِكَهمْ بهِ إلى أنْ يأْذنَ مولاكَ لكَ بالظُّهورِ لهُم عندَ ظُهورِهِ لهمْ ، وإنهُ إذا كانَ بدْءُ دعوتِكَ يُظهِرُ القادِرُ القديمُ قدرتهُ (ن : . . بظُهُورِ الغايةِ) .

قالَ المفضلُ : فقلتُ مولاي لقدْ أنعمتَ علَيَّ وعلى أوليائكَ المؤمنينَ بمعرِفةِ الصراطِ وشَرْحِهِ ، فإذا كانَ أوانُ غيبةِ بابكَ بإرادتِكَ فما يكونُ لهذا العالَمِ أهلِ المعرِفةِ والإجتهادِ مِنَ الصراطِ فيهِمْ .

فقالَ علينـا سلامهُ : يَا مُفضلُ يكونُ صِراطُهمْ مـا سَمِعتَهُ منـي وتُخْرِجـهُ إليهِمْ فيَتلقَّونـهُ مِنكَ وعَنكَ ، ويَستودِعُونهُ فـي صُحُفِهم وصُدورِهِمْ فهذا صِراطُهمْ ، ويكونُ لذلكَ خَزَنةٌ قد جعلهمُ اللهُ سَبباً لنجاةِ بعضِهمْ بعضاً ، حتى يُظهِرَ لهُمُ الدعوةَ في الرَّجعةِ البيضاءِ والكـرَّةِ الزهـراءِ ، واعلَـمْ يَـا مُفضـلُ أنَّ كُـلَّ علـمٍ بـاطِنٍ مِـنْ عِلْـمِ الحقيقـةِ يَظهَـرُ لهـمْ بعـدَ تلـكَ الغيبـةِ هـو صِـراطُ الطالِـبِ يَسلِكُهُ ويطلِبُ قصدَهُ ، وقد أبَانَ عَنْ ذلك بقولِـهِ تعالى : وقالوا أساطيرُ الأوَّلينَ اكتتبها فهيَ تُملى عليهِ بُكرَةً وأصيلاً (الفرقان 5) .

أي أنها أساطيرُ المقاماتِ والمراتِبِ وما جرى فيها مِنَ الدلائلِ فـي كلِّ وقتِ ظُهورِ مقامِ اكتُتِبَتْ واحتُفِظَ فيها ، فلمَّا كـانَ مقامُ الغيبـةِ قامَ ذلكَ مَقامَ المشاهدةِ ، لأنَّ الأخبارَ تُوجِبُ العِيـانَ ، فصـارَ ذلـكَ لأهلِ الحقيقـةِ صِراطاً ومَنهجاً ومَقصداً ومَسلَكاً ومَطلبـاً يُسلِّمونَ إليهِ ، ويُقيمونَ عندهُ إلى وقتِ ظُهورِ مولاكَ فيكونُ ذلـكَ بموضِـعِ مُشاهدةِ الْمُمْلِـي لِمَا كُتِبَ عنـهُ وأُلْقِيَ إليهمْ ، فصارَ ذلـكَ مَنهجـاً ومَقصداً لغيرِهم لقولهِ تعالى : إهدِنا الصراطَ الْمُستقيمَ ، وهـو مَـا حفِظوهُ ونَقلوهُ وأُلْقِيَ إلى الطالبينَ الْمُقرِّينَ العارفينَ لقَصْدِ الـهدايـةِ بـهِ ، فأُولئـكَ همُ الـذينَ يقولُـونَ : إهـدِنا الصراطَ الْمُستقيمَ ، أي الذي أُلْقِيَ إلينا عَنْ أهلِ المراتِبِ والمقاماتِ ، ألاْ تَرى إلى مَا تَتْلُوهُ

بقولِهم بعدَ ذلكَ : صِراطَ الذينَ أنعمتَ عليهِمْ ، والذينَ أنعَمَ عليهِمُ اللهُ يا مُفضلُ هُمْ أنتَ ومَنْ أشهدَهمْ مولاكَ ما أشهدتُكَ ، وهمُ الذينَ أنعمَ اللهُ عليهمْ ، ومِثلُ قولهِ تعالى : وهُدوا إلى الطيبِ مِنَ القولِ وهُدوا إلى صِراطِ الحميدِ (الحج 24) .

فالطيبُ مِنَ القولِ هو التوحيدُ وشرحُ الباطِنِ صُراحاً وكَشفاً ، وصِراطُ العزيزِ الحميدِ هو غايةُ الحَمدِ وهو السيدُ محمدٌ منهُ السلامُ ، والغايةُ صِراطُهُ وهو صِراطُ مَنْ دونَهُ الذي هو البابُ ، والبابُ صِراطُ العالَمِ جميعاً في كُلِّ زمانٍ وأوانٍ ودهرٍ وحِينٍ ، ومعرِفةُ ذلكَ أنَّ البابَ صِراطٌ لِكُلِّ طالبٍ مُريدٍ ، وكلِّ هُدىً في نُطقِ الكتابِ كقولهِ : إهدنا ، فهو إشارةٌ إلى الصراطِ ، وكذلكَ كُلُّ سبيلٍ فهو الصراطُ كقولهِ تَعالى : قُلْ هذهِ سبيلي أدعُوا إلى اللهِ على بصيرةٍ أنا ومَنِ اتَّبعني (يوسف 108) .

وقولهِ : قالَ عَسى ربي أنْ يهدِيَني سواءَ السبيلِ (القصص 22) .

أمَّا قولُهُ : وما كانَ لي عليكمْ مِنْ سُلطانٍ إلاْ أنْ دعوتُكمْ فاستجبتمْ لي (إبراهيم 22) .

فهذا خِطابُ إبليس لِمَنْ أجابَ دعوتهُ بلاْ دليلٍ ولاْ حُجَّةٍ ، فأحالَ الْمُجيبونَ لهُ في الكشفِ عليهِ أنهُ هو كانَ الداعي لهُمْ إلى تلكَ

الضلالةِ بقولِهمْ : وقالوا ربَّنا إنَّا أطَعنا سادتنا وكُبراءنا فأضلونا السَّبيلا (الأحزاب 67) .

فقالَ حينما أحالوا عليهِ بذلكَ : ومَا كانَ لي عليكم مِنْ سُلطانٍ إلاَّ أنْ دعوتُكمْ فاْستَجبتُمْ لي فلاْ تلوموني ولُوموا أنفُسَكمْ (إبراهيم 22) .

إذْ أجبتمْ مَنْ دَعاكُمْ إلى ما دَعوتكمْ إليهِ مِنَ الجُحودِ والإنكارِ والكُفرِ ومُخالفةِ الحقِّ بلاْ دليلٍ ولاْ سبيلٍ وذلكَ لو أني دعوتُكم إلى معرِفةِ الحقِّ لقُلتُمْ إنَّا لاْ نُجيبُ إلى ذلكَ إلاَّ بدليلٍ وسبيلٍ وصِراطٍ وبُرهانٍ وإقامةِ حُجَّةٍ وإيضاحِ منهَجٍ بظهورِ مُعجِزٍ ، ووجودِ مُعاينٍ مُشاهدٍ ، وقد دعاهم مَنْ هو مِثْلُهُ ليعبُدوهُ ويتَّخِذوهُ ربَّاً فقالَ لهم : أنا ربُّكمُ الأعلى (النازعات 24) .

فأجابُوهُ إلى ذلكَ بلا دليلِ ولاْ سبيلٍ بَلْ دعاهمْ فأجابوهُ ، وقد دعاهُم في المقامِ الإبراهيمي حينَ قالَ إبراهيمُ وهو المقامُ : ربي الذي يُحي ويُميتُ ، فقال النمرودُ : أنا أحْيِ وأمِيْتُ (البقرة 258) .

فأجابُوهُ إلى تِلكَ الدعوةِ بلاْ دليلٍ ولاْ سبيلٍ ، ولهُ مِثْلُ ذلكَ دعَواتٌ كثيرةٌ منها قولهُ : وقالَ فِرعونُ يَا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لعلِّي أبْلُغُ الأسبابَ ، أسبابَ السمواتِ فأطَّلِعَ إلى إلهِ موسى وإني لأَظُنُّهُ

كاذباً (غافر 36) .

فأجابوهُ إلى ذلك بلاْ دليلٍ ولاْ سبيلٍ وعبدوا الأصنامَ ظاهِراً وباطِناً وألزمهُمُ الحُجةَ بقولِهِ : إني دعوتُكم فاستجبتمْ لي ، فجميعُ هذهِ الدعواتِ كانت كلُّها بلاْ دليلٍ ولاْ سبيلٍ ، فهذا يَا مُفضلُ بَيانُ واحتِجاجُ إبليسَ على الخلقِ الْمنكوسِ يومَ الكشفِ وقدِ احتجَّ عليهِمْ بهذا الأمرِ مِرَاراً كثيرةً وعَقِلوا خطابهُ لأنه كشفَ لهم أولاً عَنْ نفسِهِ .

ثمَّ ظَهرَ فيهِمُ المولى بالنورانيةِ وخَاطبهم بنُطقهِ وأبانَ لهمْ سُبلَهُ ودلائلهُ ، ثمَّ كشفَ لهم بعدَ ذلكَ عَنْ إبليسَ فعاينوهُ وأشارُوا إليهِ بأنهُ هو الذي أضلَّهمْ بدليلِ قولِهِمْ عنهُ عندَ مُعاينتِهِم له : ربَّنا إنَّا أطعنا سادتنا وكُبراءنا فأضلُّونا السبيلاْ ، وقولِ إبليسَ لهُمْ : مَا كانَ لي عليكم مِنْ سُلطانٍ ، أي مِنْ سبيلٍ ، والجميعُ مُعترِفونَ أنَّ الهدايةَ لاْ تكونُ إلاَّ بسبيلٍ ، أمَّا الضلالةُ فلو طلبوا عليها سبيلاً لَبَطلتْ ولمْ يصُحَّ لها منهَجٌ وقد دعاهم بعدَ هذا الخصامِ والخطابِ إلى مَا دعاهُمْ إليهِ كرَّاتٍ كثيرةً وكانوا إلى إجابتهِ والقبولِ منهُ أسرَعَ مِنْ جريِ النفْسِ في الجنينِ .

فقلتُ : مولاي دعوةُ إبليسَ مُستقِرَّةٌ في النفسِ المذمومةِ ، أي عندَ أهلِ الضلالِ والجُحودِ ، فقالَ : نعمْ هي مُستقِرَّة في النفسِ

المذمومةِ التي قالَ اللهُ فيها : إنَّ النفسَ لأمارةٌ بالسُّوءِ (يوسف 53) .
وقالَ : فطوَّعتْ لهُ نفسهُ قَتْلَ أخيهِ فقتَلهُ (المائدة 30)
وقال : بَلْ سوَّلتْ لكُمْ أنفسُكُمْ أمراً فصبرٌ جميلٌ (يوسف 18 . 83) .
وكلُّ ما شابهَ ذلكَ مِنَ الخطابِ فهو على النفسِ المذمومةِ .
أمَّا نفسُ المؤمِنِ فلها زاجِرٌ وواعِظٌ يأْمُرها ويَنهاها ، وهو الذي يُعارِضُ النفسَ ويكشِفُ لها قُبحَ معاني الأشياءِ القبيحةِ ، وحُسنَ معاني الأشياءِ الصادقةِ الصحيحةِ ، ويُبيِّنُ لها مآلَ العاقِبةِ في ذلكَ فيُعارضُها ، وذلكَ الْمُعارِضُ مِنْ جوهرِ السبيلِ فهو حالٌّ في النفسِ مساوٍ لها ، فإذا استقرَّتْ دعوةُ الضدِّ في النفسِ المؤمنةِ زجَرها وعَارضها ذلكَ الجوهرُ وألقى إليها فهمَهُ ، وكشفَ لها قُبحهُ ، فإنِ ارتدَعتِ النفسُ وقبِلَتْ بعُدَتْ عنها دعوةُ الضدِّ ، فلاْ يجعلُ لها في تلكَ النفسِ مستقَرّاً ، وإنْ خالفَتِ النفسُ ذلكَ الجوهرَ وعارضتهُ وعانَدتهُ ولم تَصغَ إليهِ فيما أوضحهُ لها وغلبَتْ دعوةُ الضدِّ يَزولُ ذلكَ الجوهرُ عَنِ المعدِنِ وتصيرُ تِلكَ النفسُ مُستقراً للدعوةِ الضدِّيةِ وأيُّ شيءٍ تُوردُهُ الدعوةُ الضدِّيةُ لها تقبلهُ وتُجيبُ إليهِ مِنْ سائرِ وجُوهِ الباطلِ

خلافاً للجوهرِ الذي هو السبيلُ .
واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ لكلِّ جارحةٍ مُعبِّراً ، وأنَّ للجوارحِ المعبِّراتِ مُعبِّراً واحِداً لولاهُ ما عُرِفَ فعْلُ تلكَ الجوارحِ المعبِّراتِ ، فأولُها العينانِ ، فهُنَّ جارحتانِ تعبيرُهما النظرُ ، والأُذنانِ فهُنَّ جارحَتانِ تعبيرُهما السمعُ ، والأنفُ جارحةٌ واحدةٌ تعبيرُها الشمُّ ، والفمَّ جارحةٌ واحدةٌ تعبيرُها الذوقُ ، واليدانِ فهُنَّ جارحتان تعبيرُهما البطشُ واللمسُ ، والرِّجلانِ فهُنَّ جارحتانِ تعبيرُهما السَّعيُ ، ودليلُ هذا كلِّهِ مِنَ الجوارحِ وصراطُهُ وسبيلُهُ العقلُ ، فهو الجوهرُ المدبِّرُ جميعَ الجوارِحِ وبهِ ومنهُ تقعُ معرفةُ هذا الصراطِ والصفاتِ ، ولهُ دليلٌ وواسطةٌ يُعبِّرُ ويُترجِمُ عَنِ الجميعِ هو اللِّسانُ الذي يَشرَحُ ويُبيِّنُ ويَنعَتُ ويَصِفُ ويُترجمُ عَنِ العقلِ كُلَّ ما يُلقيهِ إليهِ ، فإذا عرَفَ الخَلقُ حقيقةَ ذلكَ وصِحَّتهُ وصِدقَهُ فالعقلُ هو الذي يُعرِّفهم ذلك فهو بمعنى الباطِنِ ، واللِّسانُ بمعنى الظاهِرِ الذي يُبدي كُلَّ شيءٍ ويُظهِرُهُ عَنْ ذلكَ الجوهرِ ويُعرِّفُ مَعانيهِ ، فإذا أمَرَ الجوهرُ اللسانَ بشيءٍ وألقاهُ إليهِ وأمرَهُ بإظهارهِ أظهرَهُ وبيَّنهُ ، وإذا نطقَ اللسانُ بما وعاهُ عَنِ العقلِ قالَ إنْ كانَ حقَّاً وإنْ كانَ باطلاً جميعَ مَا عرَّفهُ العقلُ وأمرهُ أنْ يُبديَهُ ، ولولاْ مادَّةُ العقلِ إلى اللسانِ مَا عرَفَ اللسانُ أنْ يأتي بشيءٍ ، فعندَ نُطقِ اللسانِ

يتبيَّنُ تصريفُ الأشياءِ ، وكذلكَ مَا كانَ مِنْ شمٍّ أَوْ طعمٍ أَوْ سمعٍ أَوْ عزمٍ أَوْ إرادةٍ ، فذلكَ الشمُّ والطعمُ والسمعُ والعزمُ والإرادةُ هي للعقلِ ، واللسانُ مُعبِّرٌ ومُترْجِمٌ عَنْ ذلكَ الجوهرِ ومقامِهِ ، ومَثَلُه مِثْلُ رسولٍ أرسلهُ مُرْسِلُهُ بأمْرٍ وأمَرَهُ تبليغهُ فبلَّغَ مَا أمِرَ بهِ فهو يُؤدي عَنْ حقيقةِ العقلِ ، فاللسانُ رسولٌ والعقلُ مُرْسِلٌ ، يأمُرُ الجوارحَ ويَنهاها ، فمَنْ خالفهُ مِنَ الجوارِحِ فهو كمِثالِ مَنْ خالفَ دعوةَ الحقِّ ، فاللِّسانُ بمعنى الشخصِ الظاهرِ ، والعقلُ بمعنى الشخصِ الباطنِ الخفيِّ ، فأهلُ التوحيدِ والإقرارِ أجابوا دعوةَ الحقِّ ، وأهلُ الجُحودِ والإنكارِ جَحدوا ذلكَ لِمُخالفتِهم وكُفرِهم ، ولمْ يعقِلوا أنَّ مولاهم جعلَ ذلكَ فيهم دليلاً وحُجَّةً وسبيلاً وصِراطاً مُستقيماً .

أمَّا أهلُ الإنكارِ فإنهم إذا حلُّوا في العالَمِ المنكوسِ بالمسوخيةِ مُنِعوا النُّطقَ وبَقيتْ فيهمْ جميعُ آلاتِ الجوارِحِ بحالِها مِنَ الشمِّ والطَّعمِ والسمعِ والبصرِ والسَّعيِ والبطشِ وذلكَ لأنهمْ يَفهمونَ مَا يأتيهم ، ويَقْصُدونَ مَا يُطعَمونهُ ، ويَعونَ مَا يَسمعونهُ ، ويُحقِّقونَ مَا يُعاينونهُ ، ويَفعلونَ مَا يُهمُّونَ به ويَعزمونَ عليهِ ، وكلُّ ذلكَ بالباطنِ القائمِ لهم الْمُكَوَّنِ بجوهرِهمْ (أعني قلوبهم) لأنهم غيرُ معدومينَ منهُ ، وإنما يقعُ بهمُ العدمُ عندما يعدَمونَ

نُطفَهُم في البشريةِ ، وتقَعُ بهم النقلةُ بالأمراضِ والعِللِ والقتلِ وغيرِهِ ومَا يجري عليهمْ وكلٌّ ذلكَ بقدَرٍ مقدورٍ وأجلٍ معلومٍ ، وهو جارٍ بهذه الصفاتِ والنعوتِ على البشريةِ والمسوخيةِ مِنَ الموتِ والقتلِ والغرَقِ والحرقِ وأكلِ السُّبُعِ والهوامِّ ، ومِنَ الموتِ فجأةً بشرقةٍ أوْ غصَّةٍ أوْ وكزةٍ أوْ لطمةٍ أوْ رفسةٍ أوْ دفعةٍ أوْ ضربةٍ أوْ صيحةٍ ، وربَّما ماتَ بعلَّتهِ في يومٍ واحدٍ أوِ إثنينِ أوْ ثلاثةٍ أوْ أربعةٍ حتى إلى سنةٍ أوْ سنتينِ أوْ إلى ثلاثةٍ أوْ أقلَّ أوْ أكثرَ مِنْ ذلكَ ، وربَّما دامتِ بهِ العِلَّةُ مِنْ وقتِ ظهورِهِ إلى أوانِ نقلتِهِ على حالٍ واحدةٍ ، وهذا جارٍ على العالَمِ في البشريةِ والمسوخيةِ أيضاً إذا رجعَ إليها المنكِرونَ الجاحِدونَ ، وهذا مِنْ أدلِّ دليلٍ وأبهرِ بُرْهانٍ على إقامةِ عدلِ اللهِ في خلقهِ كافةً .

قال المفضلُ : فقلتُ مولاي إنْ رأيتَ أنْ تَمُنَّ على عبدِكَ بمعرفةِ ذلكَ وبيانهِ ، فقال : أمَا ترى السِّراجَ يُضيءُ ويَخمُدُ ، وبينما هو على أشدِّ ما يكونُ مِنَ الضياءِ يخمُدُ ويُطفأُ لوقتهِ حتى كأنهُ لمْ يكنْ فيهِ أثرٌ للنارِ ، فقلتُ : بَلى يَا مولاي ، فقال : أوَ ليسَ منها يكونُ على ما وصفتُهُ لكَ مِنَ الضياءِ فيُداخلهُ ضَعفٌ فلاْ يزالُ ذلكَ الضياءُ يضعُفُ ويخمُدُ ويُضِيءُ ويَخمُدُ ثمَّ يزيدُ ضُعفُهُ وخمُودُهُ ويطولُ بهِ ذلكَ حتى يكونَ في نهايةِ الضُّعفِ والخُمودِ

فـلاْ تُميِّزُ بـهِ عينُـكَ الشـيءَ الأسودَ مِنَ الشـيءِ الأبيضِ ، وإنـه ليخمُدُ بعدَ ذلـكَ وإنـهُ غيرُ معدومٍ حتـى يضـعُفُ نـهايـةَ الضَّـعفِ والخُمودِ ، ثمَّ يكونُ لـهُ بعدَ ذلكَ لَمْحةٌ مِنْ ضياءٍ ، فقلتُ : بَلـى يَا مولاي ، فقالَ : أوَ ليسَ منها مُا تُشيرُ إليـهِ بخمسِكَ عنـدَ إرادتِكَ إطفائهِ فيُطفأُ ، فقلتُ : بَلـى يَا مولاي ، قالَ : أوَ ليسَ منهـا مَـا تـهُمُّ بإطفائـهِ فيمتنِـعُ عَنْ ذلـكَ ، وتلُـجُّ عليـهِ فـلاْ يُطفأُ ، وتُشيرُ إليهِ فلاْ يخمُدُ حتى يُداخِلُكَ منـهُ ضَجرٌ وتَعبٌ ، فقلتُ : بَلـى يَا مـولاي ، فقـال : وكـذلكَ يَـا مُفضـلُ إذا اسـتحقَّ البشـرُ النقلـةَ ، فمنهـمْ مَنْ يكـونُ لـهُ عنـدَ مـولاكَ منزِلـةٌ ومنـهمْ مَنْ لاْ يكونُ لـهُ منزِلةٌ ، ومِنْ ثمَّ نقلتُهمْ وموتُهمْ تجِدُ وترى مِنَ المنقولِ مِثلَ مَـا تَجِدُ وتَرى مِنَ النـارِ التـي وصفتُها لكَ فـي السِّراجِ ، فمنهُمْ مَنْ تطولُ بـهِ النقلةُ ومنهُمْ مَنْ يهلِكُ لوقتـهِ ، أمَـا رأيتَ كيفَ يَغشـى على بعضِ البشرِ فيَبقى يوماً أوْ يومينِ أوْ أكثرَ أوْ أقلَّ ، ومنـهم مَنْ يَخمُدُ لوقتـهِ ، فمنازِلهُمْ على قدَرِ مَا وصفتهُ لكَ ، وإنَّمـا ذلـكَ على قدَرِ استحقاقِهمْ فـي المنـازِلِ يجري عليهِمْ ذلـكَ الحـالُ بقـدَرٍ مَقدورٍ عَدلاً مِنَ الباريِ وإنصافاً وصِراطاً مُستقيماً .

واعلمْ يَا مُفضلُ إنـهُ لموجودٌ فـي سائرِ المكوَّنـاتِ ، ولـولاْ ذلـكَ مَـا كـانَ كـونٌ ولاْ مكـانٌ ، وأنَّ مـولاكَ لاْ يُعْدِمُ شيئاً مِنْ إرادتـهِ مِمَّنْ

خلقهُ مِنَ الطائعِ والمخالِفِ ، وإنهُ لَيَعقُبُهُ فيهِمْ ولهُمْ يكونُ واحداً ، وإنَّما يَزيدُ في أهلِ المعرِفةِ بالإِقرارِ والقُبولِ ، ويَنقُصَ في أهلِ الجُحودِ بالإنكارِ والجهلِ لخِلافهمْ وكُفرِهمْ ، فكُلُّ مَنْ قَبِلَ وأقرَّ صَفا وارتَقى وارتفعَ وزَادَ في وجُودهِ بمعرِفتِهِ ، وكُلُّ مَنْ أنكرَ وجَحدَ نقُصَ في وجُودهِ بجهلِهِ وكُفرِهِ ، فمِنْ ثمَّ وجبَ أنْ يَحُلَّ كُلَّ شَخصٍ فِيما استحقَّهُ بوقتِ النقلةِ وبعدَها على قدَرِ زيادتهِ ونُقصانِهِ في الحالةِ التي هو فيها مِنَ الإِيمانِ والكُفرِ ، واللهُ الْمُلْهِمُ والموفقُ للصَّوابِ .

بابُ نقلةِ
المؤالِفِ والمخَالِفِ ومَا يُعاينانِ مِنْ أشخاصِ الحقيقةِ عندَ نقلتهِمْ :

اعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ كُلَّ منقولٍ يُنقلُ مِنَ الفئتينِ يُعاينُ أشخاصَ الحقيقةِ عندَ نقلتهِ ، فمَنْ كانَ مقبولَ الحالِ زائداً في معرِفتهِ تجِدُهُ ضاحِكاً مُستبشِراً مَسروراً ، وإنْ كانَ مِنَ المنكِرينَ ورُتَبِ الشياطينِ تجِدُهُ متغيِّرَ اللَّونِ غَضُوباً حَزيناً بَاكياً يَكثُرُ تنفُّسُهُ وشَهيقُهُ ويأسَفُ على مَا يخْرُجُ منهُ .

وإنْ كانَ مِمَّنْ يُنقَلُ إلى المكروهاتِ في المسوخياتِ فإنهُ يَحْذَرُ ورودَ ذلكَ ، فتَراهُ يجذِبُ نفسَهُ ، وكفُّهُ يَبسُطها ويَهَمُّ أنْ يقومَ على قدميهِ ، ويَهيمُ بعَينيهِ ونَظرِهِ وكذلكَ تجدُهُ في المسوخيةِ على مَا وصفتهُ لكَ فترَاهُ فيهما بحالٍ سواءٍ ، فقلتُ : مولاي عظُمتْ منَّتُكَ على عبدِكَ فإني لأرى ممَّا وصفتَ لي الشيخَ الكبيرَ يُعاني عندَ النَّقلَةِ عظيماً فأقولُ إنَّ ذلك ممَّا ذكَرْتَهُ لي مِنْ

مُخالَفَتِهِ وإنكارهِ وجُحُودِهِ ، وإنـي لأَرى الطفلَ الصغيرَ يُعاني مِثلَ مَا يُعاني الشيخُ الكبيرُ وأعظَمُ .

فقالَ مولاي : يَا مُفضلُ وكأنكَ تقولُ إنهُ لاْ يُنقَلُ إلى المسوخيةِ إلاَّ رجلٌ كَهلٌ أوْ شيخٌ لأنهُ مُعترِفٌ بذنبهِ ، وإنهُ يَستوجِبُ ذلكَ لجُحودِهِ وكُفرِهِ وإنكارهِ وعِنادِهِ ، وأنهُ دُعيَ وذُكِّرَ وأُلْقيَ إليهِ فأَبى وعَاندَ ولمْ يصغَ إلى التوحيدِ ولمْ يزدجِرْ عَنِ الجُحودِ والإنكارِ والكُفرِ الذي هو عليهِ فاستحقَّ بذلكَ الخِزيَ والعُقوبةَ ، وإنَّ الطفلَ لمْ يَفعلْ شيئاً مِنْ ذلكَ ولمْ يُوعَظْ ، ولمْ يأتِهِ زاجِرٌ ، ولمْ يكنْ عندهُ جُحودٌ وإنكَارٌ وحقٌّ وباطِلٌ ، ومعرِفةٌ تُوجِبُ عليهِ مَا أوجبَ على المنكِرِ الجاحِدِ لإنكارهِ وجُحدِهِ ، أفيكونانِ في حالٍ سَواءٍ ، فقلتُ : مولاي أنتَ اعلَمُ بما في نفسي مِنْ إسرَاري وإعلاني ، فقالَ : يَا مُفضلُ إنَّ الجنينَ والطِّفلَ الناشِيءَ والرجُلَ والكهْلَ والشيخَ لمْ ينتقِلْ أحدُهمْ إلى مَا نُقِلَ إليهِ مِمَّا وصفتُهُ لكَ إلاَّ عندَ تكامُلِ البلاغِ إليهِمْ ، والإنذارِ لهُمْ ، وإنَّما الدعوةُ واحِدةٌ مَا زَادَ أحدهمْ على الآخَرِ وزْنَ ذرَّةٍ ، ولاْ تقَدَّمهُ طَرفةَ عينٍ ، ولذلكَ يَا مُفضلُ يَستحقُّ مَنْ يُنقَلُ وهو شيخٌ في كرَّةٍ أخرى أنْ يُنقَلَ وهو جَنينٌ ، ويَستحقُّ الجنينُ أنْ يُنقلَ وهو شيخٌ ثمَّ غلامٌ ناشيءٌ ثمَّ كهلٌ ثمَّ في ذَكرٍ ثمَّ في أنثى ثمَّ في أبيضٍ ثمَّ في أسودٍ ، وكذلكَ يَجري

عليهِمْ في المسوخيةِ سواءً بسواءٍ وحالاً بحالٍ ، لاْ زِيادةَ فيهِ ولاْ نُقصانْ منهُ حتى يُوفِّيَ في المسوخيةِ جميعَ ما استوفاهُ في البشريةِ شخصاً بشخصٍ ، وحالاً بحالٍ ، وأجلاً بأجلٍ ، ومدَّةً بمدَّةٍ ، ثمَّ إني أزيدُكَ على ذلكَ يَا مُفضلُ عِلماً باطِناً وشَرحاً غامِضاً عدلاً مِنْ مولاكَ ، وإنصافاً للعالمينَ ، فاعْلِمْ بهِ العالَمَ وعرِّفهُمْ إيَّاهُ .

اعلمْ يَا مُفضلُ أنهُ مَا مِنْ بَشرٍ يَنتقلُ إلى المسوخيةِ بمَرضٍ أوْ يَموتُ موتةً وهو بشريٌّ إلاَّ ويَموتُ في المسوخيةِ مثلَها ، ولاْ يَمرُضُ مَرْضةً في البشريَّةِ إلاَّ ويَمْرَضُ في المسُوخيَّةِ مثلَها ، ولاْ يَعرُضُ لهُ عارضٌ في البشريَّة إلاَّ ويَعرُضُ لهُ في المسوخيةِ مِثلهُ ، ولاْ يمرُّ عليهِ حالٌ إلاَّ ويمرُّ عليهِ في المسوخيةِ مثلهُ ، ولاْ يكونُ بحالٍ مِنَ الأحوالِ إلاَّ ويمُرُّ بحالٍ منَ الأحوالِ مِثلهُ ، ويكونُ بهِ مِنَ العِزِّ والرِّفعةِ والكَرامةِ والشِّدةِ والرَّخاءِ والرَّفاهيةِ والتَّعبِ والنَّصَبِ حتى يوفِّيَ في المسوخيةِ جميعَ مَا جَرى لهُ في البشريةِ ، فيكُونُ لهُ في تِلكَ الطبقاتِ في الحالينِ مُعتَبرٌ ، وذلكَ أنهُ يُعادُ عليهِمْ في المسوخيةِ جَميعُ ذلكَ فيَعُوهُ ويَعْرِفوهُ كمَا كانوا وهُمْ في البشريةِ ، فهذا هو الصراطُ المستقيمُ الذي مَا فيهِ عِوَجٌ ولاْ فيهِ خَلْفٌ ولاْ عنهُ عُدولٌ .

قال المفضلُ : فقلتُ النِّعمةُ مِنكَ يَا مولاي جَليلةٌ ، والمنَّةٌ عَظيمةٌ ، يُقصِّرُ عنها شُكرُ الشاكرينَ ، وإحصاءُ الْمُحْصينَ ، فقالَ ، يَا مُفضلُ إنَّ المسوخياتِ أجناسٌ وقبائلُ وشُعوبٌ لهم أسماءٌ وصفاتٌ ونعوتٌ يُنعتونَ بها ويُدْعَونَ بها كما كانوا في البشريَّةِ لهم أجناسٌ وأحسابٌ وأنسابٌ وأسماءٌ وصفاتٌ ونعوتٌ مِثلُ عقلٍ وحُسنٍ وحزمٍ وشِدَّةٍ وفهمٍ وما أشبهَ ذلكَ ، ومثلُ أسودٍ وأبيضٍ وأعجميٍّ وعربيٍّ وروميٍّ ونبطيٍّ ومِنْ جميعِ الأجناسِ ، وكذلكَ في اللغاتِ مثلُ فصيحٍ وصامِتٍ ومُطرِبٍ وصامِتٍ وأخرسٍ وذي مقدِرَةٍ وخطرٍ ، وما أشبَهَ ذلكَ حتى لوْ أشاءَ يَا مُفضلُ لقلتُ لكَ إنهُ يكونُ في أوصافِهِ وشَعرِهِ ولونِهِ وأظافِرِهِ وجميعِ مَا احتوى عليهِ هيكلهُ مِنْ نفسٍ وبطنٍ وفُرجٍ وجَارحةٍ وحُرِّيةٍ وعُبوديةٍ تجري عليهِ مثلاً بمثلٍ .

فقلتُ : يَا مولاي هلْ هذا يَجري على الشخصِ الواحدِ وهو في البشريةِ ، ثمَّ يَجري عليهِ وهو في المسوخيةِ مِثلُ تلكَ الصِّفاتِ ، وكُلُّ شَخصٍ مِنها يكونُ مملوكاً ومالِكاً ، وحُرَّاً وعبداً ، وعَزيزاً وذليلاً ، قال : نعمْ يَا مُفضلُ يجري عليهِ ذلك في المسوخيةِ .

فقلتُ : يَا مولاي أتَمُنَّ على عبدِكَ بمعرِفةِ ذلكَ ، فقالَ : يَا مُفضلُ يَجري عليهِ ذلكَ مِنَ الفيلِ إلى دُودةِ الخلِّ وإلى مَا هو أدقُّ منها ،

وذلكَ أنهُ يَكونُ في أولِ نَقلتهِ فِيلاً فَيَكونُ حُرَّاً إذا كانَ قبلَ نقلتهِ مِنَ البشريةِ حُرَّاً ، وإنْ كانَ مملُوكاً ونُقِلَ إلى الفيلِ صارَ مملُوكاً ، وهكذا يَا مُفضلُ إذا مُسِخَ في جِنسِ غيرِهِ مِنَ الدَّوابِ كالبغَالِ والحَميرِ والبَقرِ والغنمِ والماعزِ والوحشِ والكِلابِ والطيورِ وحيوانَاتِ البرِّ والبحرِ ، وجميعِ مادَبَّ ودرَجَ مِنَ الأفاعي والحيَّاتِ مَا كانَ في البشريةِ حُرَّاً فهو في المسوخيةِ حُرٌّ في البرِّ والبحرِ تسرحُ بأنفُسِها آمِنةً في البراري والقِفارِ وتأوي إلى مَسَاكِنها في الغِياضِ والآكامِ والمحافِرِ والمغائِرِ وما تتَّخِذهُ الضِّباعُ والثعالبُ والأرانبُ مِنَ المحافرِ في البقاعِ التي كانت عامِرةً وخَرِبتْ وذلكَ لإلفتِها العَمارَ ، وإنكَ يَا مُفضلُ لَتمُرُّ بالعِراصِ الخَرِبةِ القديمةِ فتجِدُ فيها كثيراً مِمَّا ذكرتهُ لكَ مِنْ هذهِ الأوصافِ والأصنافِ قدْ آوى إليها واتخذها لهُ موطِناً ، وربَّما كانَ ذلكَ الموضِعُ الذي آوى إليهِ وآنسَ بهِ هو موضِعهُ الذي كانَ لهُ في البشريةِ ، وإنكَ لَتجِدُ في جَميعِ هذهِ الممسوخاتِ التي بينَكُمْ مالِكاً ومملُوكاً بالأشباهِ والأوصافِ والنُّعوتِ في البرِّ والبحرِ والسهلِ والجبلِ ، ومِنْ ذلكَ إنكَ تجِدُ في الجِبالِ بَقراً وكِباشاً ومَاعزَ مُحرَّرةً لاْ يَملِكُها أحدٌ تعقُبُ وتَتناسَلُ وتُقتَلُ وهي على حَالِها كمَا كانتْ في البشريةِ ، وكذلكَ تجِدُها بينكم مملُوكةً تعقُبُ وتتناسلُ وتهلِكُ كما كانَ يجري

عليها وهي في البشريَّةِ ، وكذلكَ الحميرُ تجِدُها في وحشِ البريَّةِ وبَينكُمْ أيضاً على حالٍ واحِدةٍ يَجري عليْها مَا ذكرتهُ لكَ ، فإنْ كانتْ مُحرَّرةً كانتْ كذلكَ في معادِنِها ، وإنْ مُلِكتْ في البشريةِ مُلِكتْ كذلكَ ، وأنها تقعُ في أحوَالٍ شَتَّى فالحِيلةُ عَليْها وصيدُها في البرِّ والبحرِ هو بأَزاءِ أسرِها وسَببِها في البشريةِ ، وكذلكَ الطيرُ يَجري عليهَا مجرى واحِدٍ ، فمنْها مَا يَكونُ حُرَّاً ثمَّ يُمْلَكُ ويقعُ عليهِ إسمُ العُبوديةِ ، وكذلكَ الجوارحُ وغيرُها مِنْ جَميعِ أجناسِ الحيواناتِ كالحِيتانِ والأفاعي والحيَّاتِ وغيرهَا ، فصيدُها بآزاءِ أسرِها في البشريةِ ، وأنَّ منها مَا يُذلَّلُ ويأنَسُ بالبشريةِ ويكونُ تحتَ طاعةِ مالِكهِ في أمرِهِ ونَهيهِ حسبَما كان عليهِ مِنْ طاعةِ مالِكهِ وهو بشريٌّ في رِقِّ العُبوديةِ ، ومِنْ ذلكَ الجوارِحُ والضواري التي تَضرِي وتُعلَّمُ فتقتُلُ جميعَ مَا دُفِعتْ إليهِ بحَسَبِ الطاعةِ لِمالِكها كما كانتْ تَطيعهُ وهي مُستعبدةٌ لهُ في البشريةِ ، وهكذا جميعُ أجناسِ الوحوشِ وسائِرِ أجناسِ الممسوخاتِ ، وأنَّ مِنها مَا يكونُ آبقاً غيرَ مطيعٍ لمالِكهِ الذي يملكُ رقَّهُ ، وذلكَ حَسبَمَا كانَ معَ مالِكهِ وهو مُستعبَدٌ لهُ في البشريةِ ، حُذوَ النَّعلِ بالنَّعلِ والقُذةِ بالقُذةِ ، لأنَّ لهُ مِنَ الجَزاءِ في المسوخيةِ مِثلَ مَا كانَ لهُ في البشريةِ على جُحودهِ وإنكَارهِ ومُخالفتهِ ، بلْ يَزدادُ

عليهِ العذابُ ، ويُضاعفُ لـهُ العِقابُ ، لأنـهُ فـي المسوخيةِ أعتَـى وأشدُّ كُفراً وجُحوداً وإنكَاراً ، وذلكَ أنـهُ كلَّما أذِيقَ عذاباً وخـرَجَ منـهُ رُدَّ إلـى مَـا هـو أشـدُّ مِـنَ الأَولِ كمَـا قـالَ تَعـالى : كلَّمـا نضَـجتْ جُلودهم بدَّلناهمْ جُلوداً غيرَها لِيَذوقوا العذَابَ (النساء 56) .

في المسوخيةِ باختِلافِ الكرَّاتِ .

نعمْ يَا مُفضلُ وإنَّ لـهَا مِـنْ غـامِضِ البـاطِنِ تعارُفاً وتزاوُجاً وتآلُفاً حـتى أنـهُ لاْ يعدِلُ أحدٌ عَـنْ زوجـهِ ، ولاْ يـأْنسُ بشـيءٍ مِـنْ غيـرِ جنسـهِ ، فيـأْتي الـذكرُ أنثـاهُ ، والأُنـثى ذكرَها ولـوْ كـانَ بيـنَ ألُـوفٍ مِنْ أجناسِ الوحوشِ والطيرِ والـهوامِ مِنَ المسوخيةِ ، مِمَّا يَضيقُ عَنْ إحصائـهِ العدُّ ، فلاْ يأوى أحدٌ منـها إلاَّ إلـى وكرِهِ وزوجِـهِ ، ولاْ يَعـدِلُ عَـنْ شـيءٍ إلـى شـيءٍ ، ولاْ يَشـتبِهُ عليـهِ شـيءٌ ، وذلـكَ بحَسبِ مَا كانَ مِنْ أفعالِهمْ بكونِـهمْ فـي البشـريةِ وتَرتيبِ أحوالِـهمْ التي خَرجُوا منـها ، وأنَّ مِنـها مَا يكونُ بمنزِلةِ مَنْ سَعى إلـى طلـبِ غيرِ زوجهِ وآلَفهُ مِنَ الذكورِ والإناثِ فيكونُ ذلـكَ بحَسبِ مَا كـانَ مِنْ أفعَالـهمْ وهمْ فـي البشريةِ ، إذْ كـانوا يمُـدُّونَ أعيُنُـهم وهِمَّتـهم إليـهِ ، فيكـونُ ذلـكَ منـهم مثـلاً بمثـلٍ لاْ زيـادةٌ ولا نُقصـانٌ ، وذلـكَ كلُّـهُ مِـنْ حِكمـةِ الصـانعِ وعدلِـهِ فيـهِم خـيراً بخـيرٍ وشـرَّاً بشـرٍّ ، ينقلبونَ ويُغَيَّرونَ بإرادتـهِ ، لاْ يُسئَلُ عمَّا يَفعلُ وهُم يُسألونَ ، ولاْ

يُعارِضُ فـي أمرِهِ كمَا قالَ جلَّ وعلاْ : وإنْ كـانَ مِثقالَ حبَّـةٍ مِنْ خَردلٍ أتَينا بها وكَفى بنا حَاسبينَ (الأنبياء 47) .

فقلتُ : مولاي إني لأَرى فيهِم وهُمْ في المسوخيةِ أحْوالاً شتَّى ، أرَى فيهِم مَنْ يَمشي على أربعٍ ومنهُم مَنْ يَمشي على رجلَينِ ، ومنهُمْ مَنْ يَسعَى على بطنِهِ ، ومنهُم مَنْ يحبُوا على يديهِ ورجلَيْهِ إلى كثيرٍ منهَا مِمَّا أعجُزُ عَنْ وصفِ ألوانِها ونُعوتِها .

فقالَ مولاي منهُ السَّلامُ : يَا مُفضلُ لاْ يَغرُبُ عليكَ عِلمُ ذلكَ لأنَّ لِمولاكَ في عالَمِهِ حُكماً وتَدبيراً بِوجُودِهِ للخلقِ مِنْ حَيثُ يَنكرونهُ ويجْحَدونهُ ، وباحتِجابهِمْ عنه مِنْ حيثُ يَعرِفونهُ ، فيُضِلُّ الخلقَ المنكوسَ عَنْ معرِفتهِ ، ويهدي المقرَّ الطائعَ إليهِ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ مِنَ البشرِ مَنْ يَسعى على أربعٍ مَا دامَ في البشريةِ ، وذلكَ أنَّ الطِّفلَ في أوَّلِ دبِّهِ يَسعى ويَحبوا مُدَّةَ رضَاعهِ ، ويكونُ مَشيهُ على أربعٍ بمقدارِ ما حَبا في طولِ عمرِهِ في البشريةِ في كُلِّ هيكلٍ يُنقَلُ إليهِ ، وأنَّ مِنَ البشرِ مَنْ يَستحقُّ أنْ يَمشي على أربعٍ في البشريةِ والمسوخيةِ ، أما تَرى مَنْ يَمشي في البشريةِ على يَديهِ ورجليهِ ، ويَسعى عليها سَعياً طويلاً ، اطلُبْ ذلكَ في البشريةِ تَجِدهُ كثيراً ، وكذلكَ مَنْ تجِدهُ في البشريةِ

مَنْ يَسعى على بطنِهِ تجدهُ في المسوخيةِ كذلكَ اطلُبْهُ تجِدهُ في المسوخيةِ كثيراً ، فهذا في تراكيبِ الحيَّات ، وأنَّ منهُمْ منْ يزحفُ على عجزِهِ ورجْلاهُ مَبسوطتانِ بينَ يديهِ لاْ يَطيقُ حراكُهما ولاْ يَستعينُ بهِما بَلْ يَسعى حيثُ يَشاءُ زحفاً على عجزِهِ ، وهذا في تركيبِ العقارِبِ في المسوخياتِ ويؤولُ إلى الطيرانِ بعدَ ذلكَ ، ومَا تَراهُ مِنْ صُنوفِ التراكيبِ في المسوخيةِ فهو مَوجودٌ في البشريةِ مِنْ صَغيرِها وكبيرِها .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ كُلَّ شيءٍ مِنْ كونِ الممسوخاتِ هو بحَسبِ ما كانَ عليهِ في كونِ البشريةِ مِنَ الشدَّةِ والبَطشِ والصولةِ والظُّلمِ والبأسِ والقتلِ ، فكُلُّ ما حُرِّمتْ أوْ أكِلتْ أوْ قُتِلتْ هُنالكَ ينالُها هُنا كذلِكَ ، وكُلُّ مقتولٍ قتلَهُ الوحشُ وهو بَشريٌّ أوْ وَحشٌ قتلهُ بَشريٌّ يُسلَّطُ المقتولُ على قاتِلهِ فيَقتلهُ في مِثلِ تلكَ الحالِ التي كانَ بها عدلاً مِنَ الباري وإنصافاً جَارياً ، أما تَرى البشرَ في كلِّ حينٍ يَقتُلونَ السِّباعَ ، والسِّباعُ تقتلُ البشرَ ، فذلِكَ القتلُ الذي وقعَ بالسبعِ مِنَ البشرِ هوَ مِثلُ القتلِ الذي وقعَ مِنْ ذلكَ بالسبعِ وهو في البشريةِ على قاتِلهِ وهو سبعٌ في المسوخيةِ ، وكذلكَ يقولُ العالَمُ إذا جَرى شيءٌ مِثلُ ذلكَ : لاْ يقتُلُ السبعُ إلاَّ سبعاً مثلُهُ ، وذلكَ لأنهُ في كُلِّ كَورٍ ودَورٍ وحُقبٍ ورَجعةٍ يُنقَلُ ذلكَ

البشريُّ إلى سبعٍ ، ويُنقلُ السبعُ إلى بشريٍّ فيَستوفي الفاعِلُ مَنَ المفعولِ بهِ ، ثمَّ يعودُ المفعولُ بهِ فيَستوفي مِنَ الفَاعلِ عدلاً مِنَ الباري في الخلقِ كافةً ، وكذلكَ يَجري حُكمهُ في جَميعِ أصنافِ البشريةِ والمسوخيةِ وزناً بوزنٍ مِنْ عَضةٍ أوْ لَطمةٍ أوْ خَدشةٍ أوْ رَفسةٍ أوْ دَفعةٍ أوْ قَتلةٍ ، وإنَّ منهُمْ مَنْ تَعتريهِ العِلَّةُ والعاهةُ ، فإذا كانَ ملَكَ شيئاً ملكَهُ ذلكَ الشيءُ مِثلَ مَا مَلكهُ هو ، وإنْ أعتقهُ أعتقهُ ، وإنْ بلغَ بهِ حالٌ بلغَ بهِ حالٌ مثلُهُ .

قالَ المفضلُ : فقلتُ مولاي قدْ أوْصيتني بشرحٍ واحِدٍ أغنَاني وأجزَاني عَنْ شُروحٍ كثيرةٍ لأَنني قدْ عرفتُهُ وفهمتُهُ بفضلِكَ على عبدِكَ ، فأَسأَلُكَ أنْ تُعرِّفَني عَنْ جميعِ أجناسِها ونُعوتِها في كُلِّ محلٍّ تحلَّهُ في البشريةِ والمسوخيةِ ، فقالَ مولانا علينا سلامُهُ : اعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ مَا مِنْ جِنسٍ منها يكونُ ذا صِفةٍ ونعتٍ في البشريةِ إلاَّ ويكونُ ذلكَ في المسوخيةِ ، فإذا كانَ أسوداً كانَ كذلكَ ، وإنْ كانَ أبيضَ كانَ كذلكَ ، وإذا كانَ أصفرَ كانَ كذلكَ ، وإذا كانَ أبرشاً كانَ كذلكَ ، وإذا كانَ أبلقاً كانَ كذلكَ حتى في لونِهِ وشعرِهِ وصفتِهِ ونعتِهِ في جميعِ مَا يُنقلُ إليهِ في الحالينِ البشريةِ والمسوخيةِ ، حتى أنه إذا كُفَّ في البشريةِ كُفَّ في المسوخيةِ ، وكذلكَ إذا حُجبَ في البشريةِ حُجِبَ في المسوخيةِ ،

وإذا حدثَ فيه شيءٌ مِنَ العِلَلِ والعَاهاتِ في البشريةِ حدَثَ بهِ ذلكَ الشيءُ بعينِهِ في المسوخيةِ لا زيادةٌ ولا نُقصانٌ ، حتى إذا حدثتْ به حادثةٌ فإنها تحدُثُ به في مِثلِ ذلكَ الوقتِ واليومِ والساعةِ ، وإنْ زالَتْ عنه في البشريةِ زالَتْ عنه في المسوخيةِ في مِثلِ ذلكَ الوقتِ ، وإنْ طالتْ بهِ في البشريةِ طالتْ بهِ في المسوخيةِ ، وإنْ هَلَكَ بها في البشريةِ هَلَكَ بها في المسوخيةِ في مِثلِ ذلكَ الوقتِ والسَّاعةِ ، حتى لوْ شِئتُ يَا مُفضلُ لَقُلتُ لكَ إنهُ في حالِ نفسهِ وتعُّددِها في البشريةِ والمسوخيةِ سواءٌ بسواءٍ ، حُذو النَّعلِ بالنَّعلِ ، والقذَّةِ بالقذَّةِ في سائرِ أحوالِها ونُعوتِها ، حتى في التعَبِ والنَّصَبِ والشَّقاء والكدَر ، والنِّعمةِ والرفاهيةِ والراحةِ

قالَ المفضلُ : قلتُ مولاي مَا أجلَّ عدلَكَ وأمضَى قضاءكَ ، قالَ : نعمْ يا مُفضلُ إنَّ ذلكَ جارٍ مِنِّي في جَميعِ الأشياءِ المخلُوقةِ المكوَّنةِ مِنَ السمواتِ والأرضِ ، والبرِّ والبحرِ ، والجبَلِ والسَّهلِ ، والأُجَاجِ والعذْبِ ، والعامِرِ والقفْرِ ، والأمنِ والخَوفِ ، ويكونُ كلٌّ مِنها بكَونٍ واحِدٍ ، ثمَّ يَصيرُ مَا كانَ عالياً هابطاً ، ومَا كانَ هابطاً عالياً ، ومَا كانَ محبُوباً مهجُوراً ، ومَا كانَ مهجُوراً محبُوباً ، ومَا كانَ آمِناً خائِفاً ، ومَا كانَ خائِفاً آمِناً ، ومَا كانَ مُجدِباً

مُنبتاً ، ومَا كانَ مُنبتاً مُجدِباً ، ومَا كانَ مُقفِراً عامِراً ، ومَا كانَ عامِراً مُقفِراً ، فتبيَّنْ ذلكَ تجِدهُ وتُعاينهُ ، يَا مُفضلُ وإنكَ لتأتي إلى أرضٍ واحِدةٍ وقد بُذِرَ فيها بذارٌ واحِدٌ ، وغُذِّيَ غِذاءً واحِداً ، فنَبتَ منهُ موضِعٌ وعَدِمَ ذلكَ البذارُ مَكاناً آخرَ ، وإنك لتأْتي إلى موضِعٍ واحِدٍ مِنَ الأرضِ والبقاعِ والجِبالِ فتحفُرُ فيهِ فيخرُجُ ماؤهُ مالِحاً أجاجاً يُمتنَعُ الورودَ منهُ ويكرَهُهُ الناسُ ، وتعدِلُ عنهُ إلى موضعٍ آخَرَ فتحفُرُ فيخرُجُ ماؤهُ عذباً سائِغاً شرابُهُ ، وإنهما في بُقعةٍ واحدةٍ مُتقارِبَانِ لاْ تَباعُدَ بينَهُما ، وكذلكَ في البحارِ المالِحةِ يخرُجُ منها ماءٌ مَعينٌ عذبٌ سائغٌ في جزائِرِها وسواحِلِها مِمَّا قرُبَ منها أوْ بَعُدَ ، وكذلكَ في الأنهارِ العذبةِ الجاريةِ كالفُراتِ وغيرِهِ مِنَ الأنهارِ والأوديةِ يُحفَرُ على سواحِلِها فيخرُجُ منها ماءٌ مَعينٌ ومِلحٌ أجاجٌ ، ومِثلُ ذلكَ قُلَلُ الجِبالِ وبُطونِ الأوديةِ ، وإنهُ ينبُعُ الماءُ منها وفيهِ العذبُ والمالحُ ، وإنهما يكونانِ مِنْ معدَنٍ واحدٍ ، ولذلكَ دليلٌ آخرُ أوْضِحُهُ لكَ وهو : أنهُ ربَّما كانَ مُحتفَرُ الماءِ عذباً شرابُهُ ، فلاْ يزالُ على مرِّ الدُّهورِ والأيامِ حتى يحولُ ذلكَ العذبُ فيَصيرُ مالِحاً يَمْنَعُ شرابُهُ الورودَ منهُ ويتحاماهُ الناسُ ويَصيرُ عَجيباً ، ويَكثرُ تعجُّبُ عارِفيهِ منهُ وأنهُ كيفَ كانَ عذبَاً فُراتاً فصارَ مِلْحاً أجَاجاً فيَصيرُ مَثلاً بتغيُّرِهِ على عارفيهِ في

الحـالَينِ ، وقـدْ يكـونُ مَعينـاً جاريـاً مَعروفـاً يجريـانِ المـاءَ يَمتنِـعُ العبـورُ فيـهِ إلاَّ فـي المراكِـبِ لِعظمتِـهِ وسِـعتِهِ وبُعـدِ قعـرِهِ وكـثرَةِ أمواجِـهِ حتى لاْ يقدرُ أحدٌ علـى العُبـورِ فيـهِ إلاَّ عِنـدَ سُكونـهِ مِنْ هولِـهِ ، فإذا سَكنتْ الرياحُ عنهُ جرتْ فيهِ المراكِبُ ويعبُرُهُ السالِكُ ، ثمَّ يَصيرُ ذلكَ في وقتٍ آخرَ وعصرٍ آخرَ يبِسَاً ويَزولُ كلُّ ذلكَ منهُ حتى يحولَ إلى غِياضٍ وآجامٍ وآكامٍ ، ثمَّ يحولَ إلى قفرٍ وبرٍّ وفلَواتٍ ومغائرَ حتى أنَّ المارةَ تمرُّ فيهِ فيقولُ قائِلُهم : إنه قد قِيلَ إنَّ هـذا الموضـعَ كـانَ يُعهَدُ فـي بعْضِ الأزمِنـةِ بحْراً تجري فيـهِ المراكِبُ والسُّفنُ لِعظَمتِـهِ وسَعَتهِ ، وكـانَ مِنْ وصفِهِ كذا وكذا ، والآنَ قدْ صارَ إلى مَا تَرَونَ ، وربَّما قالَ القائِلُ : لقدْ خبَرتُ هذا الموضـعَ كـانَ مِنْ حالـهِ كذا وكذا : وكـانَ مِنْ نعتِـهِ كذا وكذا ، وليـسَ هـو اليـومُ علـى مَـا وصفُوهُ ، وربَّمـا كـانَ قفراً موحِشـاً لاْ يأْنَسُ إليهِ أحدٌ ويمتنِـعُ مِنْ سُكناهُ مخافـةَ الظمـأِ ، ثمَّ يَصيرُ بعدَ ذلك أوديـةً وأنـهَاراً وبحاراً لاْ يَسلِكهُ أحدٌ إلاَّ بالمراكِبِ لِعظمتـهِ وهولِ مائـهِ ، فيقولُ العارفُ به وهو فـي الحـالِ الأولِ مِنَ البـرِّ والقفـرِ : عهدي بهذا الموضِـعِ مَـا هو كذا وكذا ، وهـو اليـومُ علـى خِلافِ عهدي بـه ، وهذا شيءٌ يتحدَّثُ بـهِ العالَمُ دائمـاً ويتنـاقلُوهُ ويعرِفوهُ مِمَّا قدِ اختَبَروهُ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ ونسُوهُ وبَقِيَ منهُمْ الإقرارُ بـهِ لأنـهمْ

دائِماً يتمثلونَ بقولِهم : النهرُ الذي جرى فيهِ الماءُ لاْ بُدَّ أنْ يعودَ إليهِ ، ويقولُ القائلُ بعدَ هذا الكلامِ : لاْ يعودُ حتى تهلِكَ حيتانُهُ وجميعُ مَا عليهِ مِنَ النباتِ وهُمْ صادِقونَ في هذا الكلامِ لكنهُمْ لاْ يَعرِفونَ حقيقةَ ذلكَ إلاَّ أنْ يصيرَ بَرَّاً .

وقولُهم أيضاً : عُودٌ جرى فيهِ الماءُ لاْ بُدَّ أنْ يعودَ فيهِ ، وهُمْ صادِقونَ في ذلكَ ، وهذا مِنْ أكبرِ دليلٍ على أنهُ إذا عادَ ذلكَ الماءُ إلى حالِهِ وجرَى على سُنَّتهِ القديمةِ ، ينبُتُ جميعُ مَا كانَ على ذلكَ النهرِ والوادي والبحرِ مِنَ الأشجارِ الخضراءِ والنباتِ ، إنْ طَيِّباً فطيِّباً ، وإنْ خبيثاً فخبيثاً ، حتى أنَّ الشجرةَ لَتنبُتُ في موضِعها التي كانتْ فيهِ بِعينهِ ويملِكُها الذي كانتْ له ويهلِكُ عنها ثمَّ يَملِكها بعدهُ غيرُهُ وغيرُهُ قَرناً بعدَ قرنٍ وجيلاً بعدَ جيلٍ ، ولاْ يكونُ مِنْ شيءٍ نبتَ على ذلكَ الماءِ ثمَّ هلَكَ إلاَّ ويعودُ إلى كونِهِ الأولِ ، حتى لاْ يكونَ مِنْ شيءٍ سَكنَ في ذلكَ الماءِ مِنَ الحيتانِ أوْ سَكنَ في البَرِّ مِنَ الوحشِ والدَّبيبِ إلاَّ ويعودُ لكونِهِ الأولِ ، الطيِّبُ طيِّباً والخبيثُ خبيثاً لاْ زيادةٌ ولاْ نُقصانٌ ، بلْ تجدُ الذي عُهِدَ به في الحالِ الأولِ موجوداً في الحالِ الثاني عدلاً مِنَ الباري تعالى وصِراطاً مستقيماً دائِماً بدوامِهِ لاْ يَفنى ولاْ يَزولُ ولاْ يَحولُ ، بلْ يترَدَّدُ كما قدَّرهُ صانِعُهُ الحكيمُ .

ثمَّ يَا مُفضلُ يَأوى كُلُّ جِنسٍ مِنْ سائِرِ الأصنافِ الممسوخةِ إلى حيثُ كانَ ، فالطيرُ تَعرِفُ مجاثِمَها ، والوحشُ تعرِفُ أوكارها حتى لاْ يذهبُ على أحدٍ شيءٌ مِنَ الحالِ الذي عَهِدهُ في الكرَّةِ الأولى إلاَّ أتاهُ وذكَرَهُ وعرَفهُ ، فتتجدَّدُ عليهِ بذلكَ أحزانُهُ .

فهذا يَا مُفضلُ المرادُ بقولهِ تعالى : يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ (إبراهيم 48) .

وهذا هو المرادُ بتبديلِها في الظاهِرِ ، أمَّا في الباطِنِ فإنهُ أرادَ بتبديلِ الأرضِ غيرَ الأرضِ ، عالَمُ المزاجِ الذينَ همْ في الأرضِ ساكِنونَ فإذا تخلَّصوا مِنَ المزاجِ الذي هُمْ فيهِ وصَفُوا رُفِعُوا إلى العُلوِّ وزالتْ عنهُمْ رُتبةَ المزاجِ فيحلُّونَ في غيرِ المحلِّ السُّفليِّ ، أي يَحلُّونَ في العالَمِ العلويِّ النورانيِّ ويعودونَ إلى جوهرِهم الذي بَدوهم منهُ ، لأنَّ جوهرَ الشيءِ هو أصلُ الشيءِ .

أمَّا قولهُ تعالى : منها خلقناكمْ وفيها نُعيدكم ومنها نُخرِجكمْ تارَةً أخرى (طه 55) .

فهذا نصٌّ على أهلِ الجُحودِ والإنكارِ ، لأنهم مِنَ الأرضِ خُلِقوا وفيها يُعادونَ بالمسوخيةِ ومنها يَخرُجونَ إلى الرسوخيةِ بدوامِ الحالِ الجاري الذي لزِموهُ بجُحدِهم وإنكارهمْ وخِلافِهم وكفرِهم ، فهم يُكرُّونَ في الأرضِ بالبشريةِ ثمَّ يَصيرونَ إلى المسوخيةِ بما

اكتسبوهُ مِنْ أعمالِهِمْ ، ثمَّ يَصيرونَ إلى الرسوخيةِ بسوءِ أعمالِهِمْ وإصرارِهِمْ على ذلكَ الجُحودِ ، فهم كلَّما أذِيقوا عذاباً خَرجُوا إلى مَا هُو أشدُّ منهُ ، وعندَ ذلكَ يكونونَ أشدَّ كُفراً وعِناداً ، وأنه لو وردَ عليهم مثلُ تلكَ الدعوةِ مئةَ ألفِ كورٍ في مثلِها تِكرَاراً لَمَا أجابوا ولاْ صدَّقوا ، فهُم في أليمِ العذابِ لاْ يَفتَرُ عنهم عدلاً مِنَ الباري جارٍ فيهم وفي غيرِهِمْ ، يَنتَقِمُ منهمْ في البشريةِ ثمَّ بالنسوخيةِ والمسوخيةِ والفسوخيةِ والرسوخيةِ والوسوخيةِ في كشفٍ بعدَ كشفٍ ورجعةٍ بعدَ رجعةٍ ، وهم على سُننِ مَا جَرى لهمْ مِنَ الجُحودِ والإنكارِ والكُفرِ بجميعِ مَا يظهَرُ لهم مِنَ الحقائقِ .

أمَّا قولُهُ : في السمواتِ : فقد علِمتَ يَا مُفضلُ مَا نَعتَها بهِ السيدُ الأكبرُ محمدٌ (ص) إذْ قالَ تعالى : ثمَّ استوى إلى السماءِ وهي دُخانٌ فقال لهَا ولِلأرضِ أتِيا طَوعاً أوْ كَرهاً قالتا أتَينا طائِعينَ (فصلت 11) .

فهذا نصٌّ على إثنينِ سماءٍ وأرضٍ ، وإجابتِهِما إلى ذلكَ ، فاعرِفْ ذلكَ مِنْ قولِ مولاكَ حتى لاْ يَرِدَ إليكَ شيءٌ مِنَ الشرحِ يشتكِلُ عليكَ .

فقدْ قالَ السيدُ محمدٌ منهُ السلامُ في ظاهرِ الأمرِ : إنَّ للهِ سماءً مِنْ دُخانٍ ، وسماءً مِنْ ضبابٍ ، وسماءً مِنْ فضةٍ ، وسماءً مِنْ

ذهبٍ ، وسماءٍ مِنْ ياقوتٍ ، وسماءٍ مِنْ زمُرُّدٍ ، وسماءً مِنْ نُورٍ ، وكلُّ سماءٍ في الباطِنِ هي سلمانُ ، وهو البابُ وحدانيةٌ ، لاْ يَتغيَّرُ إلاَّ بالظُّهورِ عندَ العالَمِ السُّفليِّ لأنهمْ نظروهُ بأسماءٍ مُختلفةٍ وهي : جبرائيلُ يائيلُ حامُ دانٌ عبدُ اللهِ روزبهْ سلمانُ وهو بالحقيقةِ روزبهْ ، وهو جبرائيلُ نُورانياً ، فتبديلُ السمواتِ مآلُها إلى كونٍ آخرَ ، وتبديلُ كلِّ عالَمٍ فيها بِحَسَبِ مَا يتبَدَّلُ الآخَرُ ، فإنْ داخلَ شخصاً مِنْ أشخاصِ المراتبِ والدَّرجِ أوْ مَنْ جاوَرَهمْ مِمَّنْ صَفا ورَقا حالٌ مِثلُ قولهِ : كُنتُ في منزلةٍ دنيئةٍ فاجهدتُ نفسي حتى تخلَّصتُ منها ورُفِعتُ إلى هذه المنزِلةِ وقد رُدِدْتُ إليها ، فيُداخلهُ مِنْ ذلكَ شكٌّ فيستحِقُّ بذلِكَ عُقوبةً لاعتراضِهِ ، وإنْ علِمَ أنَّ الرِّفعةَ والعُلوَّ يَحُلاَّنِ بحيثُ حلَّ مولاهُ وإسمهُ وبابُهُ وشَكرَ مولاهُ على ذلكَ ازدادَ رفعةً وعُلُوّاً ، وإنْ داخَلهُ اعتراضٌ عندَ تغييرِ ظهوراتِ البابِ بالأسماءِ والصِّفاتِ ، وعندَ امتحانِ المولى للعالَمِ بالظهوراتِ وظهورِ إسمهِ بينَ يديهِ بمثلِ ذلكَ أوْ شكَّ فيما يظهرُ بتِلكَ السَّماءِ استوجبَ ذلكَ الشخصُ عُقوبةً .

فمِنْ ذلكَ كُسوفُ الشمسِ وخُسوفُ القمرِ والتغييرُ الذي يلحقُهما وكذلكَ احتراقُ النُّجومِ وهُبوطها ، وربما يلحقهُ بتقصِيرِهِ في ذلكَ

مَا يَهبطُ بهِ إلى الأرضِ فيُقيمُ فيها قميصاً أوْ قميصينِ أوْ ثلاثةٍ أوْ أقلَّ أوْ أكثرَ ، وهو معَ ذلكَ يَخفي نفسَهُ عَنِ البشرِ وإنْ أحبَّ أنْ يُظهِرَ نفسَهُ لأحدٍ مِمَّنْ كانَ عرَفهُ أظهرَ لهُ نفسَهُ فيقِفُ إلى جانبهِ ويُحادِثُهُ بأشياءَ قد تكونُ تأدِيباً لهُ ويكونُ كلامهُ معهُ على سبيلِ النُّصحِ والأمرِ بالخيرِ والنهيِّ عنِ المنكرِ والمكروهِ .

فمِنْ ذلكَ يَا مُفضلُ إنكَ لَتلقى الرَّجلَ وهو يمشي وحدهُ يتحدَّثُ فتقولُ إنَّ هذا الرجلَ لَيُحدثُ نفسَهُ ويأمُرها وينهاها ، نعمْ يَا مُفضلُ وإنهُ لَيُعلِّي كلامهُ ويقولُ لاْ أفعلُ ، شِبهَ المجيبِ لِمَنْ يُخاطبهُ بقولِهِ ألاْ تفعلُ ، وربما كانَ الرجلُ وحدهُ في بَرٍّ قفرٍ فلاْ أنيسَ ولاْ مُتابعَ ولاْ رفيقَ ، ومعَ ذلكَ تجدُهُ يُحدِّثُ نفسَهُ ويَخْفي صوتهُ وكأنَّ لديهِ مُستمعاً لاْ يُحبُّ أنْ يَسمعهُ ، وذلك كما يفعلُ الرجلُ بمُخاطِبهِ إذا سارَّهُ وأخفى صوتهُ عمَّنْ يخشى استماعه ومِثلُ ذلكَ كثيرٌ ، فالْمُحدِّثُ للرجلِ المؤمنِ في مثلِ هذهِ الأشياءِ هو مَا يَظهرُ لهُ مِنْ خِطابِ العالَمِ الذي هو مِنْ تلكَ الأشخاصِ الموصوفِ لكَ حالُها بأنها هابطةٌ مِنَ العُلُوِّ ، فإنْ أحبَّ ذلكَ الشخصُ أنْ يُظهِرَ نفسَهُ للشخصِ البشريِّ ظهرَ لهُ وآنسهُ ، وإنْ لمْ يُحِبَّ أخفى نفسَهُ ويَجري لهُ معَ البشري كما أخبرتُكَ عنهُ في هذا الشرحِ لأنهُ يوجِدُهُ معاني الأشياءِ ، ولاْ يقعُ طرفُهُ على أحدٍ

يَراهُ .

فمِنْ ذلكَ إنكَ تكونُ على حالةٍ في الوَحدةِ فتُشرِفُ على الهلاكِ ولا يُوجدُ بقربكَ مَنْ تَستعينُ بهِ ، وفيما أنتَ على يأسٍ مِنْ أمرِكَ إذْ يَشرِفُ عليكَ مَنْ يُخلِّصكَ ، ويَكشِفُ عنكَ مخافتكَ ومَا أنتَ فيه مِنَ الشدَّةِ فيكونُ لك عوناً عليها ، فإذا تخلَّصتَ قُلتَ : بعثَ اللهُ لي هذا الرجلَ رحمةً منهُ ونعمةً علَيَّ فأنقذني مِمَّا كنتُ فيهِ فما أدري مِنَ الأرضِ صَعدَ أمْ مِنَ السماءِ نزلَ ، وربما تتبعُهُ وتَطلبُهُ فتعدَمُهُ ولاْ تقدَرُ عليهِ ويكونُ كأنهُ مَا كانَ ، فتقولُ : لستُ أدري مِنَ الأرضِ صعدَ أمْ مِنَ السماءِ نزلَ ، ولاْ تعلمُ إنْ كان في الأرضِ نزلَ أمْ إلى السماءِ صعدَ ، فتبيَّنْ هذا يَا مُفضلُ تعرِفهُ ، واعلمْ أنَّ المولى تعالى يحُلُّ معهمْ في السمواتِ عندَ حُلولِهم فيها ، ويَنزِلُ معهمْ إلى الأرضِ عندَ نزولِهمْ إليها في كلِّ منزِلةٍ ينزِلونَ منها لِتثبُتَ الحُجةُ عليهم ولهُمْ مِنْ حيثُ وجودُهم ذاتهُ في كلِّ محلٍّ يحُلُّونهُ ، فإنْ آثروا وفضَّلوا المنزِلةَ التي كانوا فيها بالعُلوِّ على المنزِلةِ التي همْ بها حلُولٌ وجبَ بذلكَ عليهِمُ الجزاءُ الجاري بهِمْ ويكونُ ذلكَ لإيثارِهِمُ المكانَ على الْمُكَوِّنِ ، ومَنْ آثَرَ الْمُكَوِّنَ على الأمكنةِ كلِّها وعلِمَ أنهُ حيثُ حلَّ الْمُكَوِّنُ فهُناكَ المكانُ العالي الرفيعُ ، فهو على منزِلةِ الثباتِ ولاْ يجرِي ذلكَ على أهلِ

المراتبِ إلاَّ بعدَ ظهُورهم بهذهِ المنزلِةِ التي هي المنزلِةُ الأولى .
ثمَّ يَا مُفضلُ يَجري على العالَمِ العُلويِّ الإختبارُ بعدَ الصفاءِ فيكونُ ذلكَ على حدِّ العذابِ ، كذلكَ الشخصُ في العالَمِ ، وهذا يَا مُفضلُ أصلُ الحكمةِ الأبديةِ ودوامُ الْمُلكِ السرمدي ، ونفاذُ القُدرةِ ، وهو لاْ يَبطُلُ لأنهُ قوامُ العدلِ ودعائمهُ وإنه مُخْتَبِرٌ خَبيرٌ .
واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ الإختبارَ واقِعٌ بالعالَمِ جميعاً وهم في عالَمٍ واحدٍ لَمَّا ظهرَ لهم وأوجدهمْ نفسَهُ ودلَّهمْ على ذاتِهِ ودعاهُم إلى توحِيدِهِ ، وأظهرَ فيهم ظُهوراتٍ لاْ يَفضَلُ أحدٌ على أحدٍ ، ولولا ذلكَ لقالوا لوْ أظهرَ لنا ما أظهرهُ لغيرِنا لصدَّقنا وآمنَّا وعرَفنا الحقيقةَ ، فكانَ العدلُ منهُ أنهُ أبداهم بَدواً واحداً ، وكوَّنهم كَوْنا واحِداً ، ودعاهُم دعوةً واحِدةً ، وظهرَ لهم ظهُوراً واحِداً ، واختبرهم اختِباراً واحِداً ، فعَرَفَ مَنْ عَرَفَ وأنكرَ مَنْ أنكرَ ، وأجابَ مَنْ أجابَ وجَحدَ مَنْ جَحدَ ، فميَّزهم بعلمهِ فيهم وأنَّ لهم في كلِّ منزِلةٍ مَا استحقُّوهُ مِنْ ذلكَ ، فالإختبارُ مِنَ العُلُوِّ أصلُهُ وبَدوُهُ فكيفَ يهمِلهُ مولاكَ ، وإنما الفرعُ بالأصلِ ، واللهُ أعلمُ .

بابٌ في الإختبارِ ومعرِفتهِ :

اعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ مولاكَ يَختبرُ العالَمَ البشريَّ في المنازِلِ والرُّتبِ والرِّفعةِ والإنحطاطِ في البشريةِ لاْ غيرُ ، فإنْ عرَفوا مولاكَ بحقيقةِ المعرِفةِ رُفِّعوا وسهُلَ عليهِمُ الصفاءُ ، وإنْ هُمْ أهمَلوا المعرِفةَ عندَ تكامُلِ أعمالِهِمْ وقالوا كُنا في حالِ دينٍ ودُنيا واليومَ لاْ دينٌ ولاْ دُنيا هلَكوا واستحقوا التردُّدَ في القُمصانِ البشريةِ الصعبةِ حتى يخرُجوا منها ، ثمَّ يُرَدُّونَ عندَ تناهي ذلكَ إلى الحالةِ الأولىَ التي كانوا عليها مِنَ الرُّتبةِ والعُلُوِّ في الدنيا والعلمِ والمعرِفةِ ويُسهِّلُ لهُمُ الصفاءَ ، فمنهمْ مَنْ يَرقا في الغِنى بحالِ الدنيا ، ومنهم مَنْ يَرقَا بالفقرِ ، فهذا اختبارُ العالَمِ السفليِّ البشريِّ ، وذلكَ أنَّ مولاكَ يَظهرُ فيهم ويُقيمُ حكمتهُ ، وأسبابُ الإرتقاءِ هو الصراطُ المستقيمُ السويُّ في العالَمينِ ، وهكذا يجري حكمُ ربكَ يَا مُفضلُ في عبادهِ ، وهكذا يجري أمرهُ في العالَمِ المنكوسِ أهلِ الخِلافِ والجُحودِ والكُفرِ ، يَظهرُ لهمْ في البشريةِ ويَظهِرُهمْ بها ، ثمَّ يُظهِرُ لهمُ الدعوةَ ويَنقُلُهم إلى التناهي في أعلى البشريةِ بحالِ الدنيا والدينِ

إلى الظاهرِ والفَقَهِ في طلب العِلْمِ الظَّاهرِ ، والفَقْهِ والحديثِ والمنطِقِ والجِدالِ والقراءَاتِ والمذاهِبِ لِتقَعَ أفهامُهُمْ على جميعِ عُلومِ الظاهرِ والباطِنِ ، ويُعرِّفُهم مقالاتِ المذاهِبِ ويُسمِعُهمْ معانيها حتى لمْ يبقَ منها شيءٌ إلاَّ وعوهُ وعرَفوهُ ورَووهُ وتكلَّموا عنهُ ، فيرُدُّهمْ إلى الخُمولِ في الدنيا ونُقصانِ الفهمِ ، والعمى عمَّا كانوا يعرِفونهُ ، وعَنْ جميعِ مَا كانَ يَطرِقُ أسماعهُم حتى كأنهُمْ لاْ يعرِفونَ شيئاً ، ولاْ يُفرِّقونَ بينَ حقٍّ وباطلٍ ، وخطأٍ وصوابٍ ، ويسمعونَ ما كانوا هم أعرَفُ بهِ فيجهلونَهُ ويبلُوهم مُدَّةَ اختبارهم ، فإذا تناهى بهِمْ ذلكَ إلى آخرِهِ ردَّهم إلى الجُحودِ والكُفرِ ، وعَكَسهمْ بعدَ ذلك إلى المسوخيةِ ، ثمَّ يُوجِدُهم فيها جميعَ مَا وجدوهُ وعرَفوهُ في البشريةِ ، ويُبيِّنُ لهم مَنْ أطغاهمْ ومَنْ كانَ سببُ تلكَ الضلالةِ ، فيودُّونَ أنْ يُرَدُّوا إلى البشريةِ ليؤمِنوا ، والدليلُ على ذلكَ قولهُ تعالى : ربَّنا اخرِجنا نعملْ صالِحاً غيرَ الذي كُنَّا نعملُ (فاطر 37) .

وقولهُ : أوْ نُرَدُّ فنعمَلَ غيرَ الذي كنا نعملُ (الأعراف53) .

فثبتتْ عليهمُ الحُجَّةُ بقولهِ تعالى : أوَلمْ نُعمِّركمْ ما يتذكَّرُ فيهِ مَنْ تذكَّرَ وجاءكمُ النُّذيرُ (فاطر 37) .

وهو الذي اختبرهم في البشريةِ بالرَّدِّ والكدِّ واتخاذِ علمِ ظاهرِ

وباطنٍ بالكشفِ والدعوةِ عندَ ظهورِهِ ثمَّ أنهُ أخبرَ عنهمْ أنهم غيرُ صادقينَ بقولِهم في قولهِ تعالى : ولو رُدُّوا لعادُوا لِمَا نُهوا عنه وإنهم لَكاذبونَ (الأنعام28) .

فلاْ يزالوا في المسوخيةِ يُنقلونَ في طُغيانهم على سُنَنِ مَا جرى لهُم في البشريةِ مِنَ الإمهالِ في حالٍ واحدٍ ، وصراطٍ واحدٍ يَسلِكونهُ وتجري فيهم القُدرةِ بلا انقطاعٍ لاْ يفتَرُ عنهمُ العذابُ ولاْ يزالونَ فيه إلى الرجعةِ الأُخرى ، فطوبى يا مُفضلُ لِمَنْ عرَفَ شرحَ هذا الباطنِ ووقفَ عندهُ وعمِلَ بهِ وسلَّمَ إليهِ ، وعرَفَ مُرادَ مولاهُ فيهِ ، وويلٌ لِمَنْ شكَّ بهِ وجَحدهُ وصدَّ عنهُ ونَدَّ وخالفَ عليهِ وعاندَ فيهِ .

فقلتُ : يَا مولاي لاْ يَثبتُ على ذلكَ ولاْ يَهتدي إليهِ إلاَّ مَنْ أهديتهُ ، فقالَ : يَا مُفضلُ إنَّ أكثرهم يَقُرُّونَ أنَّ مولاكَ خاطبَ السيدَ محمداً منهُ السلامُ فقالَ لهُ : إنكَ ميِّتٌ وإنهم ميِّتونَ (الزمر 30) .

وقال : ثمَّ إنكم يومَ القيامةِ عندَ ربكمْ تختصمونَ (الزمر 31) .

وقالَ : ثمَّ إنكم بعدَ ذلكَ لَميِّتونَ ، ثمَّ إنكم يومَ القيامةِ تُبعثونَ (المؤمنون 15) .

ثمَّ قالَ في موضعٍ آخرَ : أوَ مَنْ كانَ مَيتاً فأحييناهُ (الأنعام 122) .

وقالَ أيضاً مخبِّراً عنهم : قالوا ربَّنا أمتَّنا اثنتينِ وأحييتنا اثنتينِ فاعترَفنا بذنوبنا فهلْ إلى خروجٍ مِنْ سبيلٍ (غافر 11) .

فقد أوجدَ أنهُ أماتَهمْ وأحياهُمْ وهو يُميتُهم ويُحييهم ، فبدوامِ ذلكَ عليهِمْ يقولونَ ، فهلْ إلى خروجٍ مِنْ سبيلٍ ، أي مِنْ دوامِ هذا الموتِ وهذهِ الحياةِ ، وذلكَ أنَّ قولهُمْ أمتنا اثنتينِ وأحييتنا اثنتينِ ، وهو مُثنَّى مرَّتينِ وكلُّ ما ثُنِيَ كانَ حتماً جازماً ، أمَّا قولهُ : إنكَ ميِّتٌ وإنهم ميِّتونَ ، ثمَّ إنكم يومَ القيامةِ عندَ ربكمْ تختصمونَ ، فقد أرادَ بهِ اختبارَهُم ، فإذا كانَ السيدُ الأكبرُ والإسمُ الأجلُّ الأعظمُ والنفسُ المُحذَّرةُ قد عُنِيَ بهذا القولِ والخِطابِ فكيفَ حالُ أهلِ المراتبِ والدَّرجِ وجميعِ العالَمِ الذينَ همْ مِنْ بعضِ حسناتِ السيدِ الأجلِّ الأعظمِ محمدٍ منهُ السلامُ ، وأرادَ بالقيامةِ البعثَ والكشفَ والظهورَ ورجوعَ كلِّ شخصٍ بشريٍّ ونورانيٍّ وظلمانيٍّ إلى حالِهِ الأولِ والدعوةِ الأولى بالحُجةِ القائمةِ المتقدِّمةِ فلاْ يهلِكُ إلاَّ مَنِ اعتزَّ بقولِهِ : إني عارفٌ ومُصغٍ وخالِصٌ ومُخلِصٌ وناجٍ ، فإذاً الإختبارُ هُنالِكَ أشدُّ وقيعةً وأعظمُ مِحنةً ، وقد قيلَ : احذروا زلَّةَ العالِمِ فإنها لاْ تُقالُ ، ويقالُ : أعوذُ باللهِ مِنَ الذُّلِّ بعدَ العِزِّ ،

ويقالُ : أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الغويِّ والهوى الْمُردي ، وقيلَ : إنَّ زلَّةَ العالِمِ لاْ تُقالُ وزلَّةُ الجاهلِ تُقالُ ، كما أنك إذا عَتِبتَ على شخصينِ أحدهما عالِمٌ والآخرُ جاهِلٌ فتقولُ : إني لا آخذُ على هذا الجاهلِ بجهلهِ وإنما آخُذُ على العالِمِ بعلمِهِ .

فإذا كانَ يَا مُفضلُ أهلُ المراتبِ والدَّرجِ على مثلِ هذهِ الحالةِ مِنَ الإختبارِ فكيفَ يكونُ مَنْ هو دونَهم مِمَّنْ أَلْقِيَتَ إليهمُ المعرِفَةُ وأمِرُوا بعَمَلٍ وكُشِفَ لهم عَنْ شيءٍ مِنَ الباطنِ العظيمِ ولَمْ يحمِلوهُ وقعدوا عنهُ وقنَطوا فيهِ ، وربما داخلَهم فزعٌ ورجِعوا وشكُّوا وإنما هذا منَ الرُّتبِ البشريةِ ومقاماتِ الإمتحانِ ، والتردُّدِ في القمصانِ البشريةِ ، فإنْ تبصَّروا فيما أَلْقِيَ إليهِمْ وقبلُوهُ وحافَظوا عليهِ عدلَ بهِمْ عَنِ التردُّدِ والنُّزولِ في الهياكلِ الصعبةِ ، وأمَّا أهلَ الخِلافِ والجُحودِ والإنكارِ والكُفرِ فهُمْ كلَّما جَحدوا وأنكروا رُدُّوا مِنَ الهياكلِ البشريةِ إلى الهياكلِ الرَّجِسةِ في المسوخيةِ على قدَرِ جُرْمِهِمْ .

وأهلُ المعرِفةِ والإقرارِ فإنَّ منهُم مَنْ يكونُ في منزِلةٍ عاليةٍ سنيةٍ رفيعةٍ فينحَطُّ عنها بشُبهةٍ تعرُضُ لهُ أوْ بشكٍّ يُداخلُهُ ، أوْ بمُمَارِاةٍ يُماري بها ، أوْ بكلمةٍ تكونُ منهُ ، أوْ بظنٍّ يظنُّهُ بأخيهِ ، أوْ بوقيعةٍ يوقعهُ فيها ، أوْ بسُموٍّ يَسْمُوا بهِ عليهِ أوْ يتصوَّرهُ دونهً

إذا كـانَ ذَا دُنيـا ، أوْ يسـتأْثرُ عليـهِ بشـيءٍ مِـنْ حُطامهـا ، أوْ بشيءٍ مِنَ الدِّينِ يسألهُ عنـهُ فيبخَلُ بـهِ عليـهِ ، فالشكُّ بالمعرِفـةِ يؤدي إلى الإنحطاطِ ومعاناةِ البشريـةِ ، ودخولِ العوارضِ والعِلَلِ ، وكـذلكَ التقصيرُ فـي حقـوقِ المـؤمنينَ ، والقيـامُ ضـدَّ أوامِـرِهم ، وعـدمُ اجتنـابِ محـارمهمْ ومسـاوئِهم والوقيعـةُ بهـم ، والإسـتئثارُ دونهم بدينٍ أوْ دُنيا مِنْ فرَحٍ وسُرورٍ يؤدي إلى الإنحطاطِ ومُعانـاةِ البشريـةِ وهو في ذلك بأعظمِ مِحنةٍ وأشدِّ مُطالبـةٍ ، لأنَّ اللهَ تعالـى آلى على نفسِهِ أنْ يهَبَ مَا بينـهُ وبينَ عبادِهِ المؤمنينَ لهُم وأنْ يُمحِّصَ عنهم ذلكَ ولاْ يَعبأَ به ، ما كانَ بينَ عبدينِ مؤمنينِ مِنْ مُطالبةٍ فقد آلى على نفسِهِ أنْ لاْ يدَعَ منها شيئاً إلاَّ استوفاهُ ، وكذلكَ المعاونُ لهُ يُجازيهِ على قدَرِ فعلِهِ بـهِ ، ويأْخُذُ لـهُ بحقِّـهِ ، فبهـذهِ الأفعـالُ يسـتوجبُ الجـزاءُ والعَطـاءُ والمكافـأةُ ، فـإذا كـانَ مولاكَ يوَفي الحقَّ مِنْ نفسِهِ فكيفَ لاْ يَستوفي للمؤمنِ مِنْ غيرِهِ ، وقدْ جعلهمْ سواءٌ في جميعِ الأحوالِ بقولِهِ لهُمْ : كونـوا كنفسٍ واحـدةٍ ، وكمـا نعتَهـم لأنفُسِـهم فقـال : مـا خلقُكـمْ ولاْ بعثُكـم إلاَّ كنفسٍ واحدةٍ ، وأوجدهم أنـهُ خلقهم في كونٍ واحدٍ ونعتٍ واحدٍ ومعنـىً واحـدٍ ، وأنهـم إذا صـاروا كـذلكَ صـاروا مـؤمنينَ حقّـاً خالصينَ مُشاهِدينَ ، ونَعْتُهم وعيانُهم ومشاهدتُهم وإقبالُهم علـى

الإخلاصِ والإيمانِ والصفاءِ يكونُ بالسَّواءِ .

أمَّا مَنْ فضَّلَ أخاهُ المؤمنَ على نفسِهِ وتعبَّدَ للمؤمنينَ فإنما ذلكَ مِنْ تعبُّدِهِ للهِ وطاعتهِ ، ممَّا يستوجِبُ بهِ مِنَ اللهِ الزيادةَ والفوزَ والرِّفعةَ مِنْ حِفظِ الإيمانِ والمعرِفةِ ، فيكونُ بذلكَ دليلاً وسبيلاً وسبَباً يَستوجبُ مِنَ اللهِ أنْ يجعلَ لهُ منزِلةً ويُخلِّصَ بهِ مِنْ عبادهِ مَنْ أحبَّ على قدَرِ اجتهادهِ في تلكَ الطاعةِ للمؤمنينَ وطلبِ رضا اللهِ مولاهُ فيهِم ، فمنهم مَنْ يجعلُهُ اللهُ بفضلهِ عليهِ سبباً لخلقٍ كثيرٍ ، ويزيدهُ اللهُ رفعةً وعلوّاً في الإيمانِ والعِلمِ والعَملِ بهِ ، ومنهم مَنْ يزيدهُ اللهُ رُتبةً مِنَ العلمِ الواضحِ ويجعلهُ مقصداً للمؤمنينَ ، ويَستودِعهُ غوامِضَ عُلومهِ وبواطنها ، ويكونُ بذلكَ حياتهُ ونجاتهُ وحياةُ مَنْ قصدهُ وقبِلَ منهُ ، ومنهم مَنْ يكونُ سبباً لهدايةِ مئةٍ مِمَّنْ أحبَّ اللهُ خلاصَهم ، ومنهم مَنْ يكونُ سبباً لهدايةِ عشرةٍ أوْ أقلَّ أوْ أكثرَ إلى واحدٍ مِنَ العالَمِ يهديهِ اللهُ على يديهِ ويجعلهُ سبباً لخلاصهِ ونجاتهِ ، وكلُّ ذلكَ يجري منهُم وفيهم على قدّر امتثالِهم لطاعةِ اللهِ مولاهمْ في حقوقِ إخوانهم ، فهذا لهُمْ مِنْ عطاءِ مولاهُم ، وقد أشرَكَ صاحِبَ المئةِ بصاحِبِ الواحدِ وجعلهم بالمنزِلةِ والفضلِ سواءً إذْ جعلَهم واحداً بقولهِ : خلقكمْ مِنْ نفسٍ واحدةٍ (الزمر 6) .

وقولهِ : ومَنْ أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعاً (المائدة32) .
وصاحبِ النفسِ الواحدةِ كالذي أحيا أنفُساً كثيرةً ، وأوجبَ على الْمُحيىَ الشُّكرَ والإجلالَ والإكرامَ ، وقال العالِمُ منهُ السلامُ : إنَّ اللهَ يقولُ ما شكرني حقَّ شكري مَنْ لم يَشْكُرِ السببَ الذي بيني وبينهُ ، ثمَّ نطقَ الكتابُ بذلكَ فقال : أنِ اشكُرْ لِيْ ولوالِديكَ إلَيَّ المصيرُ (لقمان 14) .
وقالَ : فاذكُروا اللهَ كذِكرِكُمْ آباءَكم أوْ أشدَّ ذِكراً (البقرة 200) .
وقال : واخفِضْ لهُما جَناحَ الذُّلِّ منَ الرحمةِ وقلْ ربِّ ارحَمْهُما كما رَبَّياني صغيراً (الإسراء 24) .
واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ التربيةَ بالكلمةِ الطيبةِ العذبةِ ثمَّ بالأخرى التي هي أقوى منها طِيباً ، وأحسنُ رَونقاً حتى يَقوى على حَملِها ثمَّ بمداراتهِ على قبولِها والإجابةِ إليها ، ثمَّ ما بعدَها حتى يُعطيهِ المعرِفةَ بذاتِها ، فذلكَ هو الذي كانَ صغيراً فلم يزلْ يُربيهِ بالمعرِفةِ والعلمِ قليلاً قليلاً ، ويرفعُهُ مِنْ رُتبةٍ إلى رُتبةٍ أخرى حتى ربَّاهُ مِنَ الصِّغرِ إلى الكِبَرِ بما أَلْقيَ إليهِ مِنْ معرِفتهِ ، فارتفعَ بهِ مِنَ الضعفِ إلى القوَّةِ بما رَضِيهُ مولاكَ لأهلِ الإقرارِ سبباً ، فهلْ هُمْ مُتمَسِّكونَ بهذا أمْ تاركونَ لهُ .

قَالَ المفضلُ : فقلتُ مولاي أنتَ أعلمُ بهِمْ ، فقالَ مولانا منهُ الرحمةُ : يَا مُفضلُ لَعِلمي بهِمْ وبتقصيرِهِمْ وعدولِهِمْ عَنْ أمري تطاولَتْ بهِمُ المدَّةُ وتضاعفتْ عليهِمُ الكرَّاتُ والرَّجعاتُ ، وتناقلتْ بهِمُ الأدوارُ والأكوارُ والأحقابُ والأعصارُ والدهورُ والأزمِنةُ ، ثمَّ أنهُ يَا مُفضلُ قد يُعاني المؤمنُ بشخصٍ واحدٍ ممَّنْ أحبَّ اللهُ خلاصهُ أعظمُ ممَّا يُعاني المؤمنُ الآخرُ بألفٍ أوْ مئةٍ أوْ أقلَّ أوْ أكثرَ ، وربَّما كانوا على درجةِ القُرْبِ مِنَ القُبولِ والإجابةِ ، فإذا ألقَى الرجلُ المؤمنُ البالغُ إلى الرجلِ المؤمنِ الطالِبِ الكلمةَ ووافقتِ القبولَ فيهِ فيسهَلُ بذلكَ على الآخذِ والمأْخُوذِ عنهُ ، ويَصيرُ يَعي مَا يَقصُدُ مِنْ معاني السُّؤالِ فتَحسُنُ بذلكَ بصيرتُهُ في العِلمِ ويكونُ فَقهُهُ بكلمةٍ واحدةٍ كفَقهِ غيرِهِ بكلِماتٍ كثيرةٍ سَماعاً وبَحثاً وطَلباً لِلعلمِ ومواظبةً عليهِ ، ويشغُلُ فِكرَهُ وسِرَّهُ بهِ ويجعلُهُ مُعوَّلاً يُعَوِّلُ عليهِ ويَقصِدُهُ ويطلُبُ الزيادةَ منهُ حتى لاْ يكونُ لهُ همٌّ سواهُ ، ولاْ مُرادٌ غيرَهُ ويحلُو ذلكَ بقلبهِ ، ويُجانِسُ جوهرَهُ وهو بذلكَ يَقرُبُ مِنَ الدرجةِ العاليةِ ، ويبعُدُ مِنَ الشكِّ والجُحدِ ويتَخلَّصُ فتنجلي عنهُ الظلمةُ ، أمَّا الذي لمْ يُوجِدْ قريباً فذلكَ لِبُعدِ مكانهِ وطولِ مَا عاناهُ في البشريةِ والمزاجِ ، وارتقائهِ في العُلومِ الطالِبيةِ ، وفي درجِ المنطقِ والإحتجاجِ في المذاهبِ ،

وإقرارِهِ بمعانيها ودخُولِها في قلبـهِ ، فهو شديدُ الجِدالِ والتحـرِّي إلـى قبولِ الحقيقـةِ فكلَّمـا اتضـحَ لـهُ حـالٌ لاحَ لـهُ مِنْ ذلـكَ الحـالِ شيءٌ كالمعارضِ لتلكَ الأحوالِ المتقدِّمـةِ .

فلاْ يزَالُ يُوضِحُ لهُ الحُجةَ حتى يَزولَ عنه ذلكَ العارضُ ، ويشرَحُ لـهُ مَـا اشتكلَ عليـهِ فتزولُ عنـه تِلـكَ الآراءُ والظنـونُ مِمَّا سَمِعهُ وتبيَّنَ لهُ ، ويتمكَّنُ عقدُهُ بهِ فيكونُ فيهِ بارعاً مُقتبساً سائِلاً عمَّا يحتاجُ إليهِ ، ويكونُ جِهادهُ لهُ خوفاً مِنَ الرجوعِ إلى مَا كانَ عليهِ أولاً مِنَ الأتعابِ والتردُّدِ ، فهو ذوْ حظٍّ عظيـمٍ مِنَ الثوابِ والعَطاءِ فيكونُ حِينئذٍ مُجاهداً هذهِ النفسَ الواحدةَ مِثلَ مَنْ ألقـى إلـى كثيـرٍ مِـنَ العـالَمينَ المسـتحقينَ للمعرِفـةِ ويَكونـانِ سـواءً فـي الفضـلِ والمنزِلةِ والعطاءِ على صراطٍ واحدٍ في جميعِ أمُورهم فـي البشريـةِ والنورانيـةِ .

وإنما ألزمهم إقامةَ الحقِّ في ذلكَ لِيدفعوا إلـى كُلِّ ذِي حقٍّ حقَّـهُ ، ولاْ يَبخسوا أحداً شيئاً إذا آنَسوا منـهُ رُشداً فإذا مَنـعَ العالِمُ عنـهُ شيئاً فقد جعلـهُ يَتيمـاً وحَجرَ عنـه مالـهُ ، وإذا ألقـى العارفُ إلـى الطالـبِ شيئاً مِـنَ العُلـومِ الباطنـةِ فقدْ خلَّصـهً بهـا وذلـكَ إنْ أقرَّ الْمُلقى إليه الخِطابُ وسلَّمَ وصبرَ واحتملَ ، فإنْ منَعهُ الْمُلقِي إليـهِ مَا استحقَّ إعطاؤهُ إيـاهُ وأنظرَهُ إلـى حينٍ آخرَ بـلاْ سببٍ وعِلَّـةٍ ،

وخلَّفَ تِلكَ النسمةَ التي قد ألقى إليها بعد التوحيدِ (وفي نسخة : بعضَ التوحيدِ) على بصيرةٍ دونَ أنْ يُغذِّيَهُ ويُفقِّههُ ويُربيهِ ويُعلِّمهُ ، وتركهُ حائراً في رُشدهِ تائِهاً في أمرِهِ ، مُتحيراً في خلاصِهِ ، لاْ يدري إلى أينَ يلجأُ ، وكلَّما آنسَ مِنْ أحدٍ رُشداً يَميلُ إليه ويقصدُهُ ويطلبُ منهُ فيمنعَهُ ويُبعِدُهُ ولاْ يَثِقُ بهِ ويقولُ لهُ : اطلُبْ مِنْ حيثُ وجدتَ ، فيَصيرُ بذلِك يَتِيماً لهُ مالٌ قدْ حُجِرَ عليهِ ومُنِعَ منهُ ، فلاْ يَزالُ في تعبٍ ونصَبٍ حتى يجِدَ مَنْ يأنسُ إليه فيُعطيهِ طَلبتَهُ ويُبلِّغُهُ إرادتهُ ، ويكشِفُ لهُ عَنِ الحقِّ بما يُلقيهِ إليهِ ، فإنْ لمْ يجِدْ مَنْ يُخلِّصهُ مِمَّا هو فيهِ نُقِلَ على تلكَ الحالةِ التي خلَّفهُ بها هَلَكَ ذلكَ السببُ لأنهُ يُطالبهُ بفعلِهِ بهِ ، فلاْ يَزالُ يُنقلُ في الهياكلِ البشريَّةِ الصعبةِ حتى يخرُجُ مِنْ جِنايتهِ ، ولاْ يكونُ لهُ عندَ مولاهُ حُجةٌ ، بلْ تكونُ الحُجةُ لتلكَ النسمةِ على والدهِ ، وإذا اخذَ بذلكَ بأمرٍ مِنْ مولاهُ وطلبَ نجاةَ ذلكَ الشخصِ ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ ، وأعطاهُ الكلمةَ ليُخلِّصهُ بها ، ونَصحَهُ وعرَّفهُ مَا يَحتاجُ إليهِ مِمَّا يخرُجُ بهِ مِنَ الشُّبهاتِ ، ويُوضِحُ لهُ مِنهاجَ رُشدِهِ وقصدِهِ ، وفقَّههُ في دينهِ وأودعهُ علُومَ اللهِ حتى لاْ يَدَع للهِ عليهِ حُجةً بلْ تكونُ الحُجةُ لهُ على ذلِكَ الْمُتناسي رجعَ أوْ قصَّرَ أوْ زَاغَ أوْ مَالَ فيقولُ الشيخُ : يَا ربِّ أنتَ أمرتَني أنْ أدفعَ لهُ

مالَهُ الذي جعلتَهُ لهُ عندي ، وقد دفعتُهُ إليهِ كمَا أمرتَ ومَا تركتُ لهُ علَيَّ حُجةً وقد نصحتُهُ كمَا أمرتني ، ولمْ أعدِلْ بهِ عَنْ طريقِ الحقِّ ، وكشفتُ لهُ عَنْ جميعِ مَا قدَرتُ عليهِ ، وكنتَ أنتَ أعلمَ بهِ مني ، فيكونُ شيخُهُ حينئذٍ مُقالَ العَثرةِ مقبولَ العُذْرِ ، ويكونُ المخالِفُ الأمرَ هو الذي يَستوجِبُ ويَستحقُّ مِنَ اللهِ الجزاءَ والعقوبةَ ، لأنَ الحُجةَ لاْ تثبتُ إلا بعدَ وقُوعِ الدعوةِ والإعذارِ والإنذارِ وإيجادِ الحقائقِ ، وإزالةِ العِلَلِ بالبرهانِ والدَّليلِ ، وذلكَ لأنهُ رُبَّما تثبَّتَ الشخصُ على التوحيدِ ولمْ يُداخلهُ ارتيابٌ في معرِفةِ اللهِ تعالى ، ورُبَّما رجِعَ عنِ الشكِّ والإرتيابِ .

واللهُ أعلمُ بالصوابِ ، وفوقَ كُلِّ ذي علمٍ عليمٌ .

باب في معرِفةِ القولِ :

يدخُلُ في هذا الأمرِ ابنُ ثمانينَ ، ويخُرجُ ابنُ ثمانينَ

اعلمْ يَا مُفضلُ أنهُ يدخُلُ في هذهِ المعرِفةِ ابنُ ثلاثينَ ويخرُجُ ابنُ ثلاثينَ ، ويدخلُ ابنُ ثمانينَ ويخرُجُ ابنُ ثمانينَ ، ولهذا باطنٌ أظْهِرُكَ عليهِ لِتعرَفهُ .

اعلمْ أنَّ الدَّاخِلَ وهو ابنُ ثلاثينَ أوْ ثمانينَ فهيَ قُمصانٌ مِنْ قمُصِ البشريةِ ، شكَّ في جمِيعِها ولمْ يخرُجْ في واحدٍ منها إلى المعرِفةِ والإقرارِ ، بلْ لبِسَها وشكَّ فيها ، فإذا دخلَ بعدَ ذلكَ إلى المعرِفةِ بغيرِ تنقُّلٍ في رُتَبٍ أوْ درَجٍ كانَ أوثقَ بمعرِفتهِ ، وأثبَتَ على توحيدِ مولاهُ ، فمَنْ دخلَ برُتَبٍ ودَرَجٍ ومنازِلَ ينتقِلُ فيها إلى المعرِفةِ ويكونُ بذلكَ عجيباً بينَ هذا الخلقِ تُضْرَبُ بهِ الأمثالُ فيُقالُ : إنَّ فلاناً كانَ مِنْ سبيلِهِ ما هو كذا وكذا ولمْ يعرِفْ شيئاً مِنْ هذا الأمرِ الذي هو فيهِ مُذْ دَخلَ إليهِ ، والآنَ توقَّعَ لهُ أدنى شيءٍ منهُ فخرَجَ بما يَعرُضُ عليهِ بارعاً وحظيَ بشيءٍ عظيمٍ ،

واللهُ يُعطي فضلَهُ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ .

أمَّا الخارجُ مِنْ هذا الأمرِ وهو ابنُ ثلاثينَ أوْ ثمانينَ فهي قُمُصٌ يكونُ الشخصُ قدْ أقرَّ فيها في جميعِ كرَّاتهِ ونقلاتهِ ويكونُ في جميعِها بمنزلةِ المقرِّ بالمعرِفةِ فيُداخلُهُ في تناهي ذلكَ ضَعفٌ أوْ شَكٌّ لِذنبٍ فعَلَهُ أوْ جِنايةٍ جَناها على بعضِ المؤمنينَ ، أوْ خطيئةٍ فعلَها مَعَ بعضِ إخوانهِ ، أوْ بسببٍ مثلِ ذلكَ يستوجبُ مِنَ اللهِ أنْ ينقلَهُ في ثلاثينَ أوْ ثمانِينَ قمِيصاً لاْ يَعرِفُ فيها رُشدَهُ ، بلْ يكونُ في جميعِها مُنكِراً مُخالِفاً مُعانِداً جاحِداً ، ويخشاهُ مَنْ كانَ واثقاً بهِ ، ويَستوحشُ منهُ مَنْ كانَ يأنسُ إليهِ ، وذلكَ لِمَا هو عليهِ مِنَ التبذيرِ والخلْفِ والمعاندةِ ، فيُسلَبُ تِلكَ الأسرارَ التي كانَ قدْ عرَفها ، ويَصيرُ بذلكَ مثلاً عَجيباً فيُقالُ : إنَّ فلاناً كانَ مِنْ حالِهِ كذا وكذا ، وعلى نهايةِ البلاغةِ والرِّفعةِ في المعرِفةِ ، وإنه قدْ رجعَ عَنْ جميعِ مَا كانَ عليهِ مِنَ المعرِفةِ حتى كأنهُ لمْ يَسمعهُ ، ولمْ يعرِفهُ قطُّ وقدْ كانَ لهُ سابقةٌ فعلِمَ اللهُ منهُ ذلكَ وسلبَهُ معرِفتهُ وتوحيدهُ بفسادِ نيَّتهِ فيخرُجُ عَنِ المعرِفةِ كأنهُ لمْ يحمِلها قطّ .

فهذا حديثُ الدَّاخِلِ في المعرِفةِ والخارِجِ منها ابنُ ثلاثينَ أوْ ثمانينَ ، ويقولونَ : يدخلُ في المعرفةِ ابنُ ثلاثينَ أوْ ثمانينَ سنةً

ويَستعظِمونَ إقامةَ شخصٍ على معرِفتهِ وإيمانهِ ثلاثينَ أوْ ثمانينَ سَنةً فلما حانَ أوانَ نقلتهِ لحِقهُ الشقاءُ ورجِعَ عمَّا كانَ عليهِ ، كمَا أنهمْ يستعظمونَ إقامةَ شخصٍ على معاندةِ اللهِ وجُحودهِ لهُ وكُفرِهِ بهِ ثلاثينَ أوْ ثمانينَ سنةً فلمَّا حانَ أوانَ هلاكِهِ صدَّقَ بالحقِّ وأقرَّ بالمعرِفةِ وسارعَ إلى توحيدِ مولاهُ ورجِعَ عنْ كُفرِهِ وجُحودهِ وعرَّفهُ اللهُ رُشدَهُ فنَجا وخلُصَ مِنْ حِيرتهِ .

فأيُّهُما أعظمُ يَا مُفضلُ مَنْ رجِعَ عَنْ هذا الأمرِ بعدَ ثلاثينَ أوْ ثمانينَ سنةً أقامَ فيها عارفاً مُقرّاً مُسلّماً مُتفقِّهاً ، أمْ مَنْ دَخلَ في هذا الأمرِ بعدَ ثلاثينَ أوْ ثمانينَ سنةً أقامَ فيها شاكّاً مُعانِداً جاحِداً ، وقدْ قالَ اللهُ تعالى : إنَّ الحَسناتِ يُذهبنَ السيئاتِ (هود 114) .

فالحسناتُ هي المعرِفةُ والإقرارُ والإيمانُ باللهِ مولاكَ الحقِّ ، فإذا عرفَ الشخصُ ذلكَ وأقرَّ بهِ وسلَّمَ إليهِ ، أذهبَ اللهُ عنهُ بإقرارِهِ السيئاتِ .

والسيئاتُ هي المسوخيةُ وذلكَ أنَّ هذا هو الذي دخلَ إلى هذهِ المعرِفةِ بعدَ الثلاثينَ أوِ الثمانينَ قميصاً وهي قمُصُ البشريةِ ينتقِلُ فيها حتى يصِلُ إلى المعرِفةِ ، ويبتلي بها بغِنىً بعدَ فَقرٍ ، وفقرٍ بعدَ غِنىً ، وعِزٍّ بعدَ ذُلٍّ ، وذُلٍّ بعدَ عِزٍّ ، ويكونُ مالِكاً

ومَملُوكاً ، وعالِماً وجاهلاً ، وحُرّاً وعبداً ، وأسودَ وأبيضَ ، يبتلي فيها بهذا كلِّهِ ، فإذا تناهى بهِ ذلك ووصلَ إلى المعرِفةِ فينالُهُ فيها مِنْ هذهِ الصفاتِ مثلَ مَا نالَهُ في القُمُصِ المتقدِّمةِ لاْ يَخرُجُ مِنَ البشريةِ إلى غيرِها ، وذلكَ أنَّ المعرِفةَ ثابتةٌ لهُ ، وإنَّما يُجازى بمقدارِ جُرْمِهِ ويرجِعُ إلى إقرارِهِ ومعرِفتهِ ، والشاهِدُ بذلكَ قولهُ سبحانهُ : إنَّ الذينَ سَبقتْ لهُمْ منَّا الْحُسنى أولئكَ هُمْ عنها مُبعدونَ (الأنبياء 101) .

أي عَنِ المسوخيةِ لأنَّ الإقرارَ والمعرِفةَ سَبقتْ لهُمْ فأزالتْ عنهمُ الشِّركَ والجُحودَ والكُفرَ والعَذابَ .

وكذلكَ الخارجَ عنها إلى البشريةِ يَصيرُ لاْ يَحِلُّ في شيءٍ مِنَ الممسوخاتِ ، لأنَّ المعرِفةَ والإقرارَ ثابتانِ لهُ ، وإنما عليهِ ردٌّ وكرٌّ وكدَرٌ وتصفيةٌ لقولهِ تعالى : ولنبلُونكمْ بشيءٍ مِنَ الخوفِ والجُوعِ ونقصٍ مِنَ الأموالِ والأنفُسِ والثمراتِ وبشرِ الصابرينَ (البقرة 155) .

فنقصُ الأموالِ هو العِلمُ الباطنُ ، والأنفسُ هي المنازلُ التي ينزِلُونها في العُلوّ والرِّفعةِ ، والثمراتُ هي الزيادةُ منها لأنهُ كلَّما زادَ عِلمُهُ علَتْ منزِلتُهُ ، وقولُهُ : وبشرِ الصابرينَ : عنى أهلُ الثباتِ الذينَ لمْ يحُلُّوا بحيثُ حلَّ هؤلاءِ .

فقلتُ : صدقتَ يا مولاي ، فكيفَ يكونُ تزايدُهُمْ في المعرفةِ ونُقصانِهِمْ فيها ، فقالَ مولاي علينا سلامهُ : يَا مُفضلُ التزايدُ في المعرفةِ يكونُ عندما يكونُ أهلُ التوحيدِ مُسلِّمينَ مُقرِّينَ بكلِّ ما وردَ إليهِمْ وظهَرَ لهم مِنَ المعنى الذي أقرُّوا بأحديتهِ وبإسمهِ وبابهِ ، وأجابوا دعوتهُ ، حتى لو ظَهرَ لهُمْ أعجمياً قبلُوهُ أوْ نبطيّاً قبلُوهُ ، ومعَ جميعِ الأجناسِ حتى في اللونِ الأبيضِ والأسودِ ، وكلَّما ظَهرَ لهم في مقامٍ مِثلَ ذلكَ أقرُّوا بهِ ، نعم يَا مُفضلُ ، ولكنْ في المقامِ الثامنِ بعدَ هذا المقامِ يُظهِرُ مولاكَ فيهم ذلكَ ، فيكثُرُ الإرتيابُ والخلْفُ مِنْ أهلِ الشكِّ والجُحودِ ، وأهلِ الحقيقةِ واليقينِ ، حتى يَظهرَ لهُمْ في الطفوليةِ ويَنْطِقُ كما أظهرَ النطقَ في القبةِ المسيحيةِ وهو طِفلٌ صغيرٌ ، ويُخبرُ عَنْ نفسهِ ويُوضحُ البيانَ في ذلكَ ، ويكونُ لهمْ في ذلكَ مُعتبرٌ يرجِعُ إليهِ الْمُختَبَرُ ويَشيعُ ذلك ويَذيعُ ويَسيرُ حتى يكونَ على أفواهِ الرجالِ والنساءِ جميعاً مِنَ المؤالفينَ والمخالِفينَ مشروحاً فيختصِمُ عندهُ أهلُ المعرفةِ وأهلُ الشُّبهةِ ، فيزدادَ أهلُ الإقرارِ معرفةً ويَقيناً وبصيرةً عندَ تسليمِهم لذلِكَ المقامِ الظَّاهرِ بالقُدرةِ والعجزِ ، وفي إثرهِ يعلَمونَ أنَّ ذلكَ العجزَ بعدَ القُدرةِ قدرةٌ ، وأنهُ لاْ فرْقَ بينَ الفِعلينِ ، وأنَّ الإرادتَينِ واحدةٌ وهُنَّ للمعنى الأحدِ القديمِ الأزلِ ، فيكونُ

لهم بذلكَ تزايدٌ في المعرفةِ ، ورفعةٌ في المنزلةِ ولوْ أتاهُم ذلِكَ الشخصُ الذي أقرُّوا بمعنويتِهِ بتحرِيمِ مَا حلَّلَ لهُمْ وتحلِيلِ ما حرَّمَ عليهم ، أوْ دعاهم إلى كلِّ مِلَّةٍ وشريعةٍ ، أوْ أظهرَ لهم شدَّ الزُّنارِ وحَلقَ وسَطِ الرأسِ ، وأمثالَ ذلكَ لقبِلُوهُ وآمنُوا به وصدَّقوهُ وسلَّموا إليهِ ووحَّدوهُ ، وعلِموا أنَّ ذلكَ كلَّهُ منهُ ولهُ وفيهِ ، وإنما هي قُدرةٌ نافِذةٌ واختبارٌ ، وكلما سلَّموا وصدَّقوا بشيءٍ مِمَّا يُوردهُ ذلكَ المقامُ ازدَادوا رفعةً وعُلُوّاً ومعرِفةً وصفاءً ، وهذا لازمٌ لأهلِ التوحيدِ والإقرارِ ، وعليهِ جرَتِ الأدوارُ والأكوارُ والأحقابُ والأعصارُ والدهورُ والأزمانُ ، وبهذا اختبرَ العالَمَ النورانيَّ العُلويَّ والعالمَ السُّفليَّ .

أمَّا التناقصُ فهو أنْ يكونَ العارفُ المقرُّ المسلِّمُ بهذا الأمرِ العظيمِ إذا وردَ عليهِ ما يُبهِرهُ مِنَ القدرةِ العظيمةِ ممَّا شرحناهُ وذكرناهُ فيُداخلهُ ارتيابٌ وشكٌّ ويقولُ : إنَّ هذا شيءٌ ما ثبتَ في عقلي ، فيحكُمُ الجهلُ على المعرِفةِ ، وذلك لأنَّ الجهلَ هو المعارِضُ في قبولِ الوحدانيةِ والمعرِفةِ والإقرارِ ، إذْ هو ثابتٌ على الإقرارِ ، ولوْ أنهُ عندما وردَ عليهِ ذلكَ المبهرُ العظيمُ في نفسِهِ أضافَ إليهِ المعرِفةَ والإقرارَ لزالَ عنهُ الشكُّ فيما وَجدهُ بشكلِهِ ومُجانِسهِ ومَثلِهِ ومنه وإليهِ ، لأنَّ بذلكَ الشكِّ يتناقصُ

المؤمنـونَ وتنحـطُّ منـازلُهمْ وتنقُصُ أنـوارُهمْ وتـنزِلُ درجـاتهمْ عَنِ الرُّتبةِ العاليةِ وقدْ قالَ اللهُ تعالى : قالتْ رُسُلهم أفي اللهِ شكٌّ فاطِرِ السمواتِ والأرضِ (إبراهيم 10) .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ ظُهورَ الوجودِ ، ومشـاهَدةُ هذا العيـانِ بمعنـىً واحدٍ لأنـهُ ظهرَ للفئتينِ عالَمِ الإقرارِ وعالَمِ الإنكـارِ بالسَّويةِ ، لاْ شـيءَ دونَ شـيءٍ ولاْ معـنـىً دونَ معـنـىً ، بـلْ كشـفاً واحِـداً ، وظهورهُ بالقُدرةِ ظهورٌ بحالٍ واحدٍ ، والتصريحُ بالدعوةِ والخِطابِ بمعنىً واحدٍ ، فكانَ اختلافُ العوالِمِ فـي ذلـكَ بـآرائـهِمِ الفاسِدةِ بمـا استحقُّوهُ فأجرى حُكمهُ فيهم بالعدلِ والسَّويةِ والصراطِ المستقيمِ ، فقبلهُ أهلُ الإجابـةِ والسّعادةِ ، وأنكرَهُ أهلُ الكُفرِ والشقاوةِ ، فعندَ ذلكَ قالَ سُبحانـهُ : قُلِ اللهمَّ فاطِرَ السمواتِ والأرضِ عالِمَ الغيبِ والشهادةِ (العالَمُ العُلويُّ والسُّفليُّ) أنت تحكُمُ بينَ عِبادِكَ (أنـت تظهرُ بينَ عبادِكَ) فيما كانوا فيـه يَختلِفونَ (بالإجابـةِ والإنكـارِ (الزمر 46) والله أعلمُ .

بابُ التجلي :

قالَ اللهُ تعالى : سواءٌ منكمْ مَنْ أسرَّ القولَ ومَنْ جهرَ بـهِ ومَنْ هو مُستخفٍ بالليلِ وساربٌ بالنـهارِ (الرعد 10) .

أرادَ بذلكَ مَنْ أسرَّ الإقرارَ والجُحودَ ، وأرادَ بالسَّاربِ بالنـهارِ المقرُّ

بالشخصِ الظاهرِ الموجِدِ القُدرةِ البيِّنةِ الثابتةِ ، وعَنَى بالمستخفِ باللَيلِ المنكرَ لذلكَ الشخصِ الظاهرِ مَا لمْ يَظهرْ بالقُدرةِ الباهرةِ .

وقال تعالى في أمثالِ ذلكَ : فمَحَونا آيةَ الليلِ وجَعلنا آيةَ النهارِ مُبصِرةً (الإسراء 12) .

لقولِ أهلِ الجُحودِ والإنكارِ عنهُ في إظهارِ الغيبةِ إنَّ ذلكَ الشخصَ لمفقودٌ ، وقدْ كانَ نصُّكمْ عليهِ بأنهُ المعنى وهو باروئكمْ وخالِقُكمْ وإلهُكمْ ، وهاقد عاينّاهُ مفقوداً بالحوادِثِ التي ظهرَتْ فيهِ .

فقالَ تعالى في شكِّهِمْ وارتيابهِمْ وكُفرِهِمْ : والليلِ إذا يَغشَى ، والنهارِ إذا تجلَّى (الليل 1) .

فقدْ عَنى بالنهارِ المتجلي ظهورَهُ بالذاتِ ، وبالليلِ المغشيِّ غيبتهُ واستتارَهُ لوقوعِ الْمِحنَةِ ، فجعلَ النهارَ دليلاً على الظهورِ بالشخصِ الموجودِ ، والليلِ دليلاً على الغيبةِ ، ثمَّ أنهُ تعالى أبانَ ظهورَهُ لأهلِ الإقرارِ وهُمْ أهلُ النورِ ، وقالَ في التجلِّي : فلمَّا تجلَّى ربُّهُ للجبلِ جعلَهُ دكّاً وخَرَّ موسى صعِقاً (الأعراف 143) فقد أوجدَ وأورى أنهُ كانَ الدَّليلُ على تِلكَ النارِ وهي النُّورُ الذي ظَهرَ ولاحَ مِنها لِمُخاطبهِ ، فلمَّا طلبهُ وقصدَهُ طلبَ أيضاً معَ وجودِهِ لهُ وتكليمهِ إيَّاهُ أنْ يوجِدَهُ نفسَهُ حتى يراهُ عِياناً ، فقال :

ربِّ أرنـي أنظُرْ إليـكَ ، فراجَعـهُ المعنى بقولِـهِ : لـنْ تراني ولكـنِ انظُرْ إلى الجبَلِ (الأعراف 143) .

أي لا تُدرِكني وأنـتَ فـي البشريةِ وإنْ كُنـتَ نورانيَّاً ، ولكـنِ انظرْ إلى الجِسمِ الذي قدْ أظهرتُكَ بهِ فـي البشريةِ هلْ يحمِلُ شيئاً مِنَ اللَّاهوتيـةِ النُّورانيـةِ ، وعـدلَ عَـنْ كونـهِ الـذي هـو مِـنْ جوهـرِهِ النوراني ، لأنـهُ يعلَمُ أنَّ الجوهرَ النورانيَّ إذا ظهرَ لـهُ مَا يُجانِسـهُ ثبتَ لـهُ ، ومَا دونَ ذلكَ يَهلِكُ .

وقد أبانَ صِدقَ الخطابِ بقولهِ : فلما تجلَّى ربُّهُ للجبَلِ جعلهُ دكَّاً وخَـرَّ موسـى صَـعِقاً ، وموسـى هـو الإسـمُ الأعظـمُ الواقِـعُ علـى الجِسمِ الـذي هو الجبلُ ، لأنَّ الإسمَ إنَّمـا هو إسمٌ للجسمِ وهو موسى ، والصورةُ لها إسمُ موسى ، وذلكَ أنـهُ عنـدَ ظُهورِ الجِسمِ يقعُ عليـهِ الإسمُ فيُسمَّى بـهِ ، ومَا كـانَ غيرُ ذلـكَ فـلاْ يَقـعُ عليـهِ إسمُ الجِسمِ ، لأنَّ للعقلِ إسماً غيرُ إسمِ الجِسمِ ، فكلُّ واحدٍ منـها منفـرِدٌ بإسمـهِ ، فـإذا هلَـكَ ذلـكَ الجِسمُ هلَكـتْ تلـكَ الأسماءُ معـهُ بهِلاكِهِ ، ومَا كانَ مِنْ غيرِ الجِسمِ فهو راجِعٌ إلى حالـهِ الـتي كـانَ بَدوهُ مِنها ، والْمُحْدِثُ لـهُ هو الـذي يُزيلُـهُ ، وذلِكَ أنَّ الجِسمَ عنـدَ هَلاكـهِ مَثلُـهُ كمَثلِ الراقِدِ وهو موجـودُ الجِسمِ ، يُخاطَبُ فـلاْ يَعي ويُسـأَلُ فـلاْ يُجيـبُ ، ويُشـارُ إليـهِ فـلاْ يَنطِـقُ ويُطعَـمُ فـلاْ يأكـلُ ،

ويُبخَّرُ فلاْ يَشمُّ مَعَ أنَّ جَميعَ آلاتِ الجِسمِ باقيةٌّ بحالِها فيهِ ، كالنَّفْسِ والروحِ والدمِ والعقلِ والسمعِ والبصرِ لمْ يُعدمْ فيهِ شيءٌ مِنْ ذلكَ وكذلكَ هو عندَ هَلاكهِ تُؤخذُ منهُ الروحُ ويَبقى الجِسمُ الذي لهُ الإسمُ بحالِهِ ، وذلكَ قولُهُ تَعالى : اللهُ يتوفى الأنفُسَ حينَ موتِها والتي لمْ تمُتْ في منامِها فيُمْسِكُ التي قضَى عليها الموتَ ويُرسِلُ الأخرى إلى أجَلٍ مُسمَّىً (الزمر 43) .

فإمساكهُ الشيءَ هو توقيفُهُ بحالهِ في معدِنهِ ، وإرسالُهُ هو رُجوعُ كلِّ حقٍّ إلى حقِّه لقولِهِ تَعالى : فيُوفِيهم أجورَهم (آل عمران 57) .

وقولِهِ : ثمَّ تُوفَّى كُلُّ نفسٍ مَا كَسبتْ (آل عمران 161) .

وقولِهِ : ووَجدَ اللهَ عندهُ فوفَّاهُ حِسابُهُ (النور39) .

وكثيرٌ مِنْ مِثلِ هذهِ الآياتِ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ الشخصَ الذي يُظهِرُ القُدرَةَ الباهِرةَ وهو بشريٌّ هو المعنى القديمُ الأزلُ الأَحَدُ ، وهو الذي يُظهِرُ إسماً لذلِكَ الشخصِ الذي يَظهرُ بهِ ، كمِثلِ هابيلَ فهو إسمٌ للشخصِ الذي ظَهرَ بهِ المعنى ربُّ العالَمينَ في أوَّلِ البشريةِ ، فإذا أظهرَ الغيبةَ كما يَظُنُّ الناسُ فإنَّ إسمَهُ يَبقى على ألسنتِهِمْ يُذكَرُ بهِ ثمَّ يُظهِرُ الظهورَ بشخصٍ آخرَ كمَا قِيلَ : شيثُ يوسفُ يوشعُ آصفُ

شمعونُ أميرُ المؤمنينَ ، فهذه أسماءُ الصُّوَرِ التي ظهرَ بها المعنى في العالَمِ البشريِّ وتُسمَّى هذهِ الأشخاصُ بهذهِ الأسماءُ في كلِّ مَقامٍ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ النَّهارَ هو إظهارُ الظُّهورِ وفيهِ انتِباهُ الناسِ وسَعيَهم وارتِزاقُهمْ وهرُجهمْ ومرَجُهمْ وأخذَهُمْ وعطاؤهُم وبطشُهمْ وسفرُهُمْ للتجارةِ في البرِّ والبَحرِ ، والسَّهلِ والجَبلِ ، وفيهِ يجِدُ الناسُ الأنسَ ، فلوْ كانَ أحدُهُمْ مطروحاً في القِفارِ والفَلَواتِ فهو يركَنُ إلى نفسِهِ ويأمَنُ عليها ، وفيهِ يَصطنِعُ الناسُ المعروفَ والمنكَرَ ، والخيرَ والشرَّ ، والطاعةَ والمعصِيةَ ، والصِّدقَ والكَذِبَ ، والصنائعَ والتجاراتِ ، وجميعَ أعمالِ البشريةِ ، ويكونُ العالَمُ فيهِ كمَا قالَ اللهُ تعالى : وجعلنا آيةَ النهارِ مُبصِرةً (الإسراء 12) .

وقالَ : وجعلنا النهارَ مَعاشاً (النبأ 11) .

وقال : إنَّ لكَ في النهارِ سَبْحاً طويلاً (المزمل 7)

وكثيرٌ مِنْ آياتِ القرآنِ تدُلُّ على أنَّ النهارَ دليلٌ على الظُّهورِ والتَّجلي واللهُ أعلمُ .

بابٌ في معرفـةِ الكَونِ والتَّكوينِ والتَّجلي :

اعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ العالَمَ عنـدَ الكونِ الكُلِّـي قبلَ التجلِّـي كانَ بَدوُ الْمُبدي لهُمْ كمَا أرادَ ، وكانتْ إرادةُ الباري فيهِمْ إرادةٌ واحِدةٌ ، لأنـهُ أبداهُمْ في البَدوِ الأولِ النُّورانـي حينَ ظَهرَ لهُمْ وكلَّمهُمْ وأظهرَهمْ بنفوسِـهمْ وظهرَ لهُمْ بكونِهمْ ، ثمَّ دعـاهُمْ عنـدَ إيجـادِهمْ أنفُسَـهُمْ وأعلمَهُـمْ أنــهُ المكـوِّنُ لهُـمْ والخـالِقُ لـذواتِهمْ ، وأنـهـمْ مـنْ كونــهِ وإرادتـهِ كـانُوا ، ثمَّ ظهرَ لهُمْ ظُهوراً بمعاينَـةٍ ، فلمَّا عَاينُوهُ وقفُوا كلُّهُمْ عَنِ الإجابـةِ وقفـةً واحِـدةً ، فكـانَ أوَّلُ خِطابـهِ مـعَ ظهـورهِ لهُـم : أنـا ربُّكـمْ وربُّ آبـائِكمُ الأوليـنَ ، أي أنـا ربُّ كـونِكمُ الـذي كُوِّنتُمْ منـهُ ، وهـي الإرادةُ منـه لكونِهمْ ، فكانَ وقُوفُهُمْ عنـدَ ذلكَ سُكُوتاً بغيرِ إضمارِ إجابـةٍ أوْ إنكـارٍ ، ثمَّ أعادَ القولَ الثـاني مِنْ خِطابهِ لهُمْ بقولِـهِ : وإذْ أخذَ ربُّكَ مِنْ بنـي آدمَ مِنْ ظُهُورهمْ ذُرِّيتَـهُمْ وأشهَدَهُمْ علـى أنفُسِـهِمْ ألستُ بربِّكُمْ قالوا بلـى شـهِدْنا (الأعراف 172) .

ومعنـى قولِـهِ : مِنْ ظُهورهم : أي مِنْ وقتِ ظهورهِمْ ودعوتِـهِمْ ، فلمَّا ثنَّى عليهِمُ القولَ أجابَ حِزبٌ وأنكَرَ حِزبٌ ، فكانَ الْمُجيبونَ هُمُ المخبرُ عنهُم حينَ أجابُوا فقالوا : بلـى شـهِدنا ، وكـانُوا فـي

ذلك أطواراً على رُتَبٍ شتَّى ومنـازِلَ أنْزِلُوها فـي العالَمينِ النورانـيِّ والبشريِّ ، فسبقَتِ الإجابَةُ والإنكـارُ كمَـا قـالَ فيهِمْ : فمِنهُمْ شقيٌّ وسعيدٌ (هود 105) .

فكانَ أهلُ الشقاوةِ همُ المنكِرونَ ، وأهلُ السعادةِ همُ المجيبـونَ ، ثمَّ كشفَ منـازِلَ أهلِ الشقاوةِ وأبـانَ منـازِلَ أهلِ السعادةِ ، فقـالَ تَعـالى : فأمَّـا الـذينَ شَقوا ففـي النـارِ لهُـمْ فيهـا زفـيرٌ وشـهِيقٌ ، خالِدينَ فيها ما دامتِ السمواتُ والأرضُ (هود 106) .

فذمَّ الموضِعَ وأتباعهُ .

وقالَ في أهلِ السعادةِ : وأمَّا الذينَ سُعِدوا ففي الجنـةِ خَالدينَ فيها مَـا دامـتِ السـمواتُ والأرضُ(هـود 108) فمـدَحَ الموضَـعَ وأتباعهُ ، فكانَ أهلُ الشقاءِ همْ أهلُ الجُحودِ والإنكارِ وهم خالدونَ في النارِ ، والنـارُ هي المسوخيةُ لاْ يَخرُجونَ منها إلـى المعرِفـةِ ، وكانَ أهلُ السعادةِ هُمْ أهلُ القُبولِ والإجابـةِ وهُم علـى رُتـبٍ شتَّـى عظيمةٍ مِنْ رُتبِ الإجابةِ والإقرارِ واللهُ أعلمُ .

بابُ

الظهورِ والدَّعوةِ الأُولى في الإِجَابةِ والإِنكَارِ :

اعلَمْ يَا مُفضَلُ أنـهُ فـي أكثرِ ظُهوراتِ مـولاكَ عنـدَ الإجابـةِ كـانَ المقرُّونَ يقُرُّونَ والمنكِرونَ يَنكُرُونَ ويَجحـدونَ بكُلِّ مَـا ظَهـرَ لـهُمْ ، ثمَّ أنـهُ جعلَ في النَّهار الإضطرابَ والذَّهابَ والمجيءَ والضوضاءَ والتخاصُمَ والتشاجُرَ والمناكَرَةَ والتشاهُدَ والبيعَ والشراءَ والسَّعيَ في

التِّجاراتِ والسَّفرِ في البرِّ والبَحرِ والسهلِ والجبلِ ، فكانَ النهارُ بهذا الكَونِ وعلى هذهِ الحالةِ ، واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ مولاكَ لَمَّا أثبتَ لأهلِ الإقرَارِ إقرَارَهُمْ وألزمَ أهلَ الجُحودِ والإنكَارِ جُحدَهم وإنكارَهُمْ ، اختبرهمْ بأنْ غابَ عنهُمْ لوقتِهِ فطلبهِ الحِزْبانِ وجعَلَ مَنْ أنكرَ يسخَرُ مِمَّنْ أجابَ فيقولُ المنكِرونَ لأهلِ الإجابةِ : ألم نقُلْ لكُمْ إنَّ هذا الكَونَ الذي ظهرَ لنا هو مِنَّا وإنه مِثْلَنا وبحَالِنَا ، وأنتُمْ تقولُونَ لاْ نقولُ ذلكَ ولاْ نقبَلُ منكُمْ بلْ هو ربُّنا وخالِقُنا ، فأينَ هو الساعةَ فهَا قدْ هلَكَ كمَا نهلَكُ ، وزالَ كما نزُولُ ، فأخبرَ اللهَ عنهُمْ بما جرى في بَدءِ أمرِهِمْ بقولهِ عَزَّ وجَلَّ : إنَّ الذينَ أجرَموا كانُوا مَنَ الذينَ آمنُوا يَضحكونَ ، وإذا مرُّوا بهِمْ يتغامزُونَ ، وإذا انقلَبُوا إلى أهلِهمْ انقلبُوا فَكِهينَ (المطففين 29) .

وذلكَ أنهُ يَا مُفضلُ لَمَّا أوقعَ الغيبةَ وحَجبَ العالَمَ السُّفليَّ عَنِ النظرِ إلى حقيقةِ ذاتِهِ ظهرَ للعالَمِ العُلويِّ النورانيِّ وكانَ حالاًّ فيهِمْ يَرونهُ ويُشاهِدونَهُ ، والدَّليلُ على ذلكَ قولُ المقصِّرةَ : إنَّ الإمامَ غائبٌ عَنْ قومٍ ظاهِرٌ لِقومٍ آخَرينَ موجودٌ مُعاينٌ ، وهمْ في هذا القَولِ صادِقونَ لأنَّهم في هذا على طريقِ البصيرةِ ، إلاَّ أنهُمْ عُمُوا وصَمُّوا عَنْ معرِفَةِ ذلكَ .

فالنهارُ هو الشخصُ الظاهِرُ بالقُدرةِ الباهِرةِ والخَلقُ يَرونَهُ بشرياً مِثلَهُمْ ، فإذا غابَ المعنى عَنْ أهلِ الجُحودِ كانَ ظاهِراً لأهلِ الحقِيقةِ والوجُودِ يَرونهُ ويأتُونهُ مِنْ بابهِ وإسمهِ ، ثمَّ يكونُ معهُمْ أتباعاً ، وهُمُ الذينَ رقُوا وصَفُوا وجاوروا أصحابَ المراتِبِ ، ويكونُ لكُلِّ شخصٍ منهُمْ حظٌّ مِنَ النورِ يُعرَفُ بهِ فيُحْدِقونَ بالقافِ .

فانظُرْ يَا مُفضلُ إلى اللَّيلِ إذا جنَّ هلْ تسمعُ فيهِ لأحدٍ مِنَ العالَمِ كافَّةً نُطقاً أوْ حَركةً أوِ اعتراضاً ، وكذلكَ جَميعُ البهائِمِ والحيواناتِ المحرَّرةِ والمملُوكَةِ يأتِي كلٌّ منها ويأوي إلى رسمٍ رُسِمَ لهُ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ في اللَّيلِ تكونُ مواقِعُ اللصوصِ والسَّرِقةِ والإحتيالِ والأحوالِ الرديئةِ التي أنَزِّهُ هذا الكتابَ عنها وعَنْ شرحِها فيهِ إلاَّ عرَضاً وتلويحاً ، وذلكَ يَا مُفضلُ أنَّ أهلَ الجُحودِ في وقتِ الغَيبةِ وهو الليلُ يَسعونَ في أذيةِ مَنْ يَعرِفونهُ مِنَ المؤمنينَ ويقولونَ فيهِمْ : إنَّ هؤلاءِ يقولونَ قولاً مُنكَراً وكُفراً ، وهمْ في ذلكَ القولِ كَفَروا ولُعِنوا لأنهمْ يُكذِّبونَ على أولياءِ اللهِ وعبيدِهِ المقرِّينَ بتوحِيدهِ ، وإنَّ المخالِفينَ يُشنِّعُونَ عليهِمْ ويقولُونَ لأهلِ الجهلِ فتمتَدُّ الأيدي إليهِمْ وذلكَ بما اكتسبوا مِنْ

ذُنوبِهم يُجازونَ بذلكَ حتى يخلُصوا مِمَّا عليهِمْ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ النجومَ بالليلِ تَسيرُ بمسِيرِ القمَرِ وتَضيءُ دُونهُ إذا حَلَّ معَها ، فإذا غابَ أضاءتْ الضوءَ الذي يُبهِرُ مَنْ يراهُ ، وذلكَ أنَّ ضوءَها في ذاتِها ، وإذا ظهرَ معَها كانت تَضيءُ دُونهُ لأنَّ لَها منزِلةً في خدمتِهِ لاْ يحُلُّها سِواهُ ، فظهورهُ في أوَّلِ الشهرِ هلالٌ ثمَّ يَزيدُ إلى أنْ يتكاملَ في الليلةِ الرابعةِ عشرَةَ ، ثمَّ ينقُصَ ويضعفُ إلى أنْ يَغيبَ في آخِرِ الشهرِ ، إنما هو إشارةٌ للعالَمِ بأنَّ المعنى عَزَّ عُزَّهُ أظهرَ في البشريةِ الصِّغَرَ والزيادةَ في الطفوليةِ ، والكمالَ والقوَّةَ في الشبابِ ، والنُّقصانَ والضَّعفَ في الكِبَرِ ، وهذا كُلُّهُ امتحانٌ للعالَمِ جميعاً في سائرِ الأوقاتِ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ الليلَ والنهارَ اللذينِ هُمَا الظهورُ والغيبةُ قد جعلَهُما اللهُ مؤيدَينِ تُحصى بهِما الدُّهورُ والأزمنةُ والسنينُ والشهورُ والأيامُ ، وهي تجري بهِما وعليهِما لاْ يحُولانِ ولاْ يزولانِ ودائمانِ بدوامِ الأزلِ ، ولذلكَ دليلٌ عظيمٌ وبُرهانٌ موجودٌ عندَ أهلِ الخِبرةِ واليَقينِ والتحقيقِ ، وذلكَ أنَّ السَّنةَ والشَّهرَ والأُسبُوعَ واليومَ كلَّها تُحصَى بالنهارِ ، فيُقالُ يومُ كذا وكذا مِنْ شهرِ كذا وكذا مِنْ سنةِ كذا وكذا ، ويُقالُ أولُ يومٍ مِنَ الأسبوعِ ، وأولُ يومٍ مِنَ الشهرِ وأولُ يومٍ مِنَ السنةِ ، فالأيامُ لهَا أسماءٌ واللَّيالي لاْ

أسماءَ لهَا إلاَّ إذا نُسِبتْ لليومِ ، فإذا سُمِّيتِ الليلةُ تُنسَبُ لليومِ فيُقالُ عنهَا : ليلةَ كذا وكذا بالنسبةِ لليومِ وهو النهارُ ، فاليومُ ينُصُّ على الليلةِ ، وهذا كلُّه دليلٌ على أنَّ النهارَ هو الظُّهورُ والليلَ هو الغيبةُ ، فالنهارُ إسمُ الضوءِ والليلُ غيبةُ ذلكَ الضوءِ ، ثمَّ أنهُ إذا ظهرَ فإنه يَظهَرُ بإسمٍ غيرَ الإسمِ الأولِ كمَا يُقالُ : يومُ الأحدِ ويومُ الأثنينِ ويومُ الثلاثاءِ ويومُ الأربعاءِ ويومُ الخميسِ ويومُ الجمُعةِ ويومُ السبتِ ، فالأيامُ كلُّها أسامي النهارِ الذي هو دليلٌ على الظُّهورِ والليالي لاْ أسماءَ لها ، وإنما إذا نُصَّ عليها فيُقالُ : ليلَةُ كذا وكذا بالنسبةِ لليومِ الذي هو إسمُ النَّهارِ .

كما أنَّ المعنى سُبحانَهُ إذا ظهرَ بشخصٍ تَسمَّى بإسمِ ذلكَ الشخصِ وإذا غابَ الشخصُ بقيَ الإسمُ يُذكَرُ فيهِ ، وكذلِكَ الليلةُ إنما تُسمَّى بإسِمِ ذلكَ النهارِ المقبلِ الدالِّ على الظُّهورِ ، ثمَّ يَظهرُ بإسمٍ ثانٍ وتُنسَبُ الليلةُ لذلكَ الإسمِ الذي هو النهارُ الدالُّ على الظهورِ ، وهذا جارٍ كما أجراهُ المعنى القادرُ على الأشياءِ بقُدرتهِ والتي لاْ انقضاءَ لها ولاْ انقطاعَ ، فإذا أرادَ المعنى أنْ يظهرَ بها ويُظهِرَ غيبتَها فالإرادةُ لهُ في سائرِ أفعالهِ ، لا يُسئَلُ عمَّا يَفعَلُ وهُمْ يُسأَلُونَ .

ثمَّ قالَ المولى : يَا مُفضلُ أزيدُكَ في إدالةِ الليلِ مِنَ النهارِ ،

وإدالةِ النهارِ مِنَ الليلِ ، ونُقصانِ كُلٍّ منهُمَا وأخذهِ مِنْ صاحبهِ ، وذلكَ أنَّ الليلَ يأْخُذُ مِنَ النهارِ في بعضِ السنةِ ، ثمَّ يعُودُ النهارُ فيأخذُ مِنَ الليلِ مَا أخذهُ منهُ ، وذلكَ أنَّ بينَ الغيبةِ والظُّهورِ رُتَباً لاْ بُدَّ مْنْ حُلولِها ، وذلكَ أنَّ الغيبةَ مِثلُ الظهورِ وإنْ تطاولتِ المدَّةُ في العالَمِ ، لأنَّ في الغيبةِ يكونُ ظهورُهُ في العالَمِ العُلويِّ النُّوراني بالسَّويةِ والقِسطِ والصِّراطِ المستقيمِ ، كما كانَ ظهورُهُ في العالَمِ السُّفليِّ سواءً بسواءٍ لاْ زيادةٌ في مقامٍ منها ولاْ نُقصانٌ عدلاً منهُ وإنصافاً ، وذلكَ القِسطُ بالحقِّ فاعرَفهُ يَا مُفضلُ وتبيَّنهُ ، واعلَمْ أنَّ صراطَ ربِّكَ عظيمٌ لاْ يُوصَلُ إليهِ بالتوهمِ ، وإنما يُوصلُ إليهِ بالتَّسليمِ واليقينِ إذا صحَّ للعبدِ ذلكَ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ الشخصَ الظاهِرَ بالمعنويةِ هو ربُّ كونِكُمْ الذي كوَّنكمْ منهُ ، وأنَّ ذلكَ الوقوفَ الذي وقَفَهُ العالَمُ عندَ دعوةِ مولاهُمْ لهمْ كانَ سُكوتاً بغَيرِ إضمارِ جُحودٍ وإقرارٍ بلْ كانَ وقوفَ مُتحيِّرينَ لاْ يدرونَ مَا يقولونَ ، فلمَّا أعادَ القولَ ثانيةً بقولِهِ : وإذْ أخذَ ربُّكَ مِنْ بني آدمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُريَّتهم وأشهدهُمْ على أنفُسِهمْ ألستُ بربِّكمْ قالوا بلى شهِدنا (الأعراف 172) .

ومعنى قولِهِ : مِنْ ظهورِهِمْ : أي مِنْ وقتِ ظُهورِهِمْ ، ومعناهُ إظهارُهُ لهُمْ ، فلما ثنَّى عليهِمُ القولُ أجابَ حِزبٌ وأنكَرَ حِزبٌ ،

فكـانوا فـي ذلـكَ أطـواراً علـى رُتَـبٍ شـتَّى ، ومنـازِلَ أنزِلُوهـا فـي العـالَمَينِ النُّورانـيِّ والبشريِّ ، وقـالَ تَعـالى : فمنهُـمْ شـقيٌّ وسـعيدٌ (هود 105) .

فأهلُ السعادةِ هم أهلُ التوفيقِ والقُبولِ والإجابـةِ ، وأهلُ الشقاوةِ همْ أهلُ الشَّكِّ والجُحودِ والإنكـارِ الـذينَ هُمْ فـي النـارِ خالِـدونَ ، والنارُ هي المسوخيةُ ، فإذا خرجُوا منـها رُدُّوا إلـى الرُّسوخيـةِ كمَـا قـالَ تَعـالى : كلَّمـا نضَجتْ جُلودُهم بدَّلناهُمْ جُلُوداً غيرَهـا ليذوقوا العذابَ إنَّ اللهَ كانَ عزِيزاً حكيماً (النساء 56) .

وقـالَ : قـلْ كونـوا حِجـارةً أوْ حديـداً ، أوْ خَلقـاً مِمَّـا يكبُـرُ فـي صُدُورِكم (الإسراء 50) .

يُريدُ بـذلكَ الـذهبَ والفِضـةَ والجواهِرَ وأنـواعَ الرُّسوخِ ، فلمَّـا أعـادَ فيهِمْ الظهورَ والكَشفَ بإعلانِ الدَّعوةِ وإشارتـهِ إلـى ذاتـهِ المعنويـةِ وإسمِهِ وبابـهِ بيـنَ يديـهِ يُشـيرانِ إليـهِ ويَدُلاَّنِ عليـهِ ، ثبـتَ لأهـلِ الإقرارِ إقرَارِهُمْ فأجابوا فـي سـائرِ الـدَّعواتِ عنـدَ الظُّهـورِ والكشـفِ فـازدَادُوا يَقينـاً وإيمانـاً ، وقـدْ قـالَ اللهُ تَعـالى : فـاليومَ الـذينَ آمنـوا مِنَ الكُفارِ يضحكونَ ، علـى الأرائكِ ينظُرونَ ، هلْ ثُوِّبَ الكُفارُ مَـا كانوا يَفعلونَ (المطففين 34) .

ثمَّ أنـهُ جعَلَ الغيبـةَ الـتي أظهَرهـا وهـي الليلُ لِباسـاً يلتَبسُ حالُهـا

على أهلِ الجُحودِ والإنكارِ ، فلاْ يقومُ أحدُهمْ على الحقِّ بوجْـهٍ ولاْ سببٍ ، وأظهرَ ظهوراتهِ لأهلِ القُبولِ والإجَابةِ ، وحَجبَ معناهُ عَنْ أهلِ الجُحودِ والإنكارِ .

واعلَمِ يَا مُفضلُ أنَّ المقامَ إذا كانَ ظاهِراً ناطِقاً فلاْ يجوزُ لمقامٍ ثانٍ أنْ يظهَرَ وينطِقَ إلاَّ عندَ إرادةِ المقامِ الأولِ إظهارَ الغيبةِ فيُظهِرُ للعالَمِ أنهُ قدْ ظهرَ بشخصٍ غيرِ الأولِ وذلكَ مِحنةٌ على الخلْقِ المنكوسِ بما استحقُّوا واكتسَبوا ، وهو سُبحانهُ لاْ يحولُ ولاْ يَزولُ ، ولاْ ينتقِلُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ ، بلْ هو أحدٌ أبداً سرمداً لاْ يتغيَّرُ عَنْ كيانهِ وإنْ ظَهرَ لعيانهِ ، وإنما يُغيِّرُ أبصارَ الناظرينَ إليهِ ويُقلِّبُ قلوبَهُمْ لِمَا بهِمْ وعليهِمْ مِنَ العِلَّةِ التي تضطَّرُّهمْ إلى ذلكَ .

وقد حَبَستُ عنكَ مِنَ الشرحِ خِطاباً وبياناً أكشِفُهُ لكَ وأسألُكَ كُتمانهُ إلاَّ عَنْ أهلِهِ ومُستحقيهِ وهو : إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ عندَ ظهورهِ بالبشريةِ ونُطقهِ بلِسانِ العربِ ، كلَّمَهُمْ مِنْ حيثُ هُمْ ، فلمَّا وجِلوا وتداخلتهُمُ الهَيبةُ رجِعُوا على أنفُسِهم ، وقالَ تَعالى : ومَا ظلمناهُمْ ولكِنْ كانوا أنفُسَهُم يَظلِمونَ (النحل 118) .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ الشخصَ الناطِقَ في وقتهِ لاْ بُدَّ أنْ يَكونَ بأزائهِ شخصٌ صامِتٌ فيُشيرُ ذلكَ الناطِقُ إلى الصَّامِتِ ويدُلُّ عليهِ

، فتكونُ إشارتهُ إلى ذلكَ الصامتِ دليلاً على ظهورهِ بذلكَ الصامتِ عندَ إظهارِ الغيبةِ ، فكلُّ إشارةٍ مِنْ ظهورٍ مَثليٍّ للمعنى بنُطقٍ إلى الصامتِ فهي دليلٌ على ظُهورهِ بذلكَ الصامتِ عندَ إظهارِ الغيبةِ ، فإذا أتى مِنَ الصامتِ فِعلٌ بعدَ إشارةِ الناطِقِ إليهِ فإنما هو دليلٌ على المعنويةِ ، لأنَّ العالَمَ أثبتُوا البشريةَ على المعنى عندَ ظهورهِ كمِثلِهِمْ وهو بذاتِهِ لاْ يحولُ ولاْ يزولُ ولاْ يتغيَّرُ ، فإذا ظهرتِ القُدرةُ مِنْ ذلكَ الموجودِ عندهُمْ بذلكَ الشخصِ كانَ العالَمُ فيها على منازلَ ومراتِبَ ودَرجٍ لاْ يقدُرُ أحدُهُمْ أنْ يتجاوزَ مَا أوقِفَ عندهُ ، لأنَّ مِنَ العالَمِ مَنْ يَراهُ بالرُّبوبيةِ ، ومنهُمْ مَنْ يَراهُ بالنُّورانيةِ الحقيقيةِ ، ومنهمْ مَنْ يَراهُ بالعبوديةِ ، ومنهمْ مَنْ يَراهُ مُستضاماً غيرَ منصورٍ ، وأنهُ مُحتاجٌ إلى أعوانٍ وأنصارٍ ، وأنهُ ذوْ فاقةٍ وفَقرٍ ، ومنهمْ مَنْ يَراهُ أنهُ لهُ مكانٌ مِنْ باريهِ وأنهُ يَقدُرُ على البطشِ ولهُ عِزٌّ ومَنَعةٌ .

فهذا يَا مُفضلُ أصلُ صِراطِ ربِّكَ فاعرَفهُ وتبيَّنهُ ، فقد شرحتُهُ وكشفتُهُ لكَ ، وأنا أوصِيكَ أنْ تشرحَهُ لجميعِ أتباعِكَ المقرِّينَ بالمعرِفَةِ والتوحيدِ ، فبمعرِفةِ هذا الصِّراطِ يصُحُّ عَقدُهُمْ ، ويتَّضِحُ لهُمْ رُشدُهمْ ، ويَصِلُونَ إلى هدايتِهمْ وهو الصِّراطُ الذي لاْ يَسلِكُهُ إلاَّ أهلُ المراتبِ والدَّرجِ والمنازلِ العاليةِ ، أمَّا أهلُ الخِلافِ والعِنادِ

فإنهمْ جَاحِدونَ مُنكِرونَ لِمَا رأوهُ ظاهِراً بمثلِ صُورِ العالَمِ ، وأنهُ يَجري عليهِ مَا يجري عليهِمْ مِنَ الأمراضِ والعِللِ والموتِ والقتلِ والشِّدَّةِ والرَّخاءِ ، وقامَ في نفُوسِهمْ أنَّ ذلكَ ثابتٌ فيهِمْ ، وهو يجِلُّ عَنْ أنْ يكونَ فيهِ شيءٌ مِنْ هذا .

وقالوا : إنَّ هذِه الحوادِثَ والعوارِضَ جاريةٌ علينا وعليهِ ، فكيفَ يكُونُ مُكوِّناً ، ولوْ كانَ كذلكَ لأزالَ عَنْ ذاتِهِ هذِهِ العوارِضَ التي تحُلُّ بنا وبهِ ، ولمْ يحفَلوا بالقُدرةِ التي تظهَرُ منهُ والموجُودةُ القاهِرةُ ، وليسَ فيهِمْ منها شيءٌ بَلْ هي لهُ خاصَّةً ، فلو أنَّهُم عندما نسَبُوا إليهِ تِلكَ الأحوالَ عَلِموا أنَّهم عاجِزونَ عَنْ أنْ يَأتُوا بشيءٍ مِنْ تلكَ الأفعالِ ، وذلِكَ مثلُ خلْقهِ مِنَ الطينِ كهيئةِ الطيرِ ونفخِهِ فيهِ حتى صارَ طيراً بإذنِهِ ، وقالَ تَعالى : وأبرِئُ الأَكمَهَ والأَبرصَ وأحيِ الموتى بإذنِ اللهِ (آل عمران 49) .

وقالَ تَعالى : هلْ مِنْ خالِقٍ غيرُ اللهِ (فاطر 3) .

وقالَ تعالى : قلِ اللهَ خالِقُ كلِّ شيءٍ (الرعد 16) .

وقالَ تعالى : أمَّنْ يُجيبُ المضطرَّ إذا دَعاهُ ويَكشفُ السُّوءَ (النمل 62) .

وقالَ تَعالى : فكَشفنا مَا بهِ مِنْ ضُرٍّ (الأنبياء 84) .

فلَوْ عَقِلوا يَا مُفضلُ هذا الخطابَ ومَا شاكلهُ لَعلِموا أنَّ هذهِ

الأفعالَ لاْ تكونُ إلاَّ مِمَّنْ نَصَّ على نفسِهِ أنهُ القادِرُ عليها ، وأنـهُ يَظهَرُ بمـا يَشـاءُ كمـا يَشـاءُ لِمَـنْ يَشـاءُ ، فـي شـخصٍ كبـيرٍ أوْ صـغيرٍ ، فلـوْ سـلَّموا إليــهِ وعلِمـوا أنَّ إظهـارَ العجـزِ هـو نفـسُ المعجِزِ والقُدرةِ لسُعِدوا ، ولكنهُمْ محجُوبونَ عَنْ فهمِ ذلكَ ، قالَ تباركَ أسمهُ : ومَا قدَروا اللهَ حقَّ قدرهِ (الزمر 67) .

لأنَّ في ظُهورهِ للعالَمِ بالبشريةِ قُدرةً ، وقدْ رأوها منـهُ وهمْ يَرونـهُ أنــهُ كهُمْ ، وذلـكَ أنــهُ بهَرَهم بالقُدرةِ وإظهارها ، وإظهـار العجـزِ عقيـبَ ذلـكَ ، وإظهـارِ الغايــةِ مِـنَ الفعـلِ ، وأوجـدَهمْ ذلـكَ مِـنْ أشخاصٍ بشريَّةٍ ناسوتيَّةِ الظهورِ ، فما حقَّقوهُ ولاْ سلَّموا إليـهِ ولاْ أقرُّوا بمعنويتـهِ ، وهكذا لَمَّا ظهرَ لهم بالنورانيـةِ والذاتيـةِ الكليَّـةِ زُهِلـوا عَنْ إدراكِـهِ ولـمْ يُحيطـوا بـهِ خُبراً ، ولاْ صحَّ لهـمُ العِيـانُ ، وكانوا في الحالَينِ غيرَ مُدركِيْنَ ولاْ مُحيطيْنَ بـهِ ، فهذهِ أوصافُ أهلِ الجُحودِ والكُفرِ .

باب

في معرِفةِ إبليسَ وقبيلهِ وذُرِّيَّتهِ :

اعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ إبليسَ وقبيلهُ وذريَّتهُ يعرِفونَ المؤمنينَ المقرينَ مِنْ يَومِ الأظلَّةِ والنداءِ في الذَّروِ والكَشفِ والتَّصريحِ لأنهُمْ عرَفوا مَنْ أجابَ في وقتِ الدَّعوةِ ، والمؤمنونَ عالَمُ الإقرارِ والإجابةِ لاْ يَعرِفونَ إبليسَ وقبيلَهُ وذُريَّتهُ لموضِعِ المزاجِ الذي هو فيهِمْ حتى يُرَدُّوا إلى المسوخيةِ لأنهُمْ كانُوا في وقتِ الدَّعوةِ همْ وعالَمُ الإقرارِ بكَونٍ واحدٍ ، فظهرَ المعنى للجميعِ وأخذَ مَا أخذَ ، وعرَّضَ مَا عرَّضَ ، فأجابَ مَنْ أجابَ ، وأنكَرَ مَنْ أنكَرَ ، وكانَ إبليسُ وقبيلهُ المنكِرينَ ، فعَرَفوا مِنْ ذلكَ الوقتِ مَنْ نَدَّ عنهُ ومَنْ أجابَ ، فعارضَ إبليسُ بقولِهِ : أنا خيرٌ منهُ خلقتني مِنْ نارٍ وخلقتَهُ مِنْ طِينٍ (ص 76) .

فمعرِفتُهُ بهِمْ مِنْ هُناكَ .

وكذلكَ يَا مُفضلُ إذا حَلُّوا في المسوخيةِ يَكشِفُ لهُمْ عَنِ

المؤمنينَ حتى يجِدُوهمْ كوجودِهِمْ لهُمْ يومَ الأظلَّةِ والدَّعوةِ ، فلوْ كانوا مُطلَقينَ النُّطقَ لقالُوا هذا كذا وكذا ، ويَعرِفُ أحدُهمْ أبَاهُ وأمَّهُ وأخاهُ وابنهُ وبنتَهُ وأهلَهُ وقومَهُ حتى أنهُ لاْ يغرُبُ عليهِ أحدٌ منهم وربما يمرُّونَ في المسوخيةِ على الذي يَعرِفونَهُ مِنَ المؤمنينَ فيُضمِرونَ لهُ الإساءَةَ والهَلاكَ والبَطشَ ، فإذا أصبَحوا ضَرَبَ اللهُ على قلُوبهم فنَسُوا ذلكَ وغابَ عنهُمْ حتى لاْ يذكروهُ ولاْ كأنهم أضمرُوهُ ، ولاْ يزالُ ذلكَ مَنسيَّاً ولوْ بقيَ ألفَ عامٍ حتى يتجدَّدَ لهمْ نظرٌ ثانٍ فيجِدونَ مثْلَ ذلكَ ويَضمِروهُ لهمْ ويعزِمُونَ عليهِ إذا باتُوا ، وإذا أصبحُوا نَسَوْهُ ، ولوْ رأوهُ في كلِّ يومٍ ألفَ مرَّةٍ لأضمَروا لهُ ذلكَ ، ثمَّ يَبيتونَ على مَا أضمروهُ ، فإذا غدُوا عليهِ وهمُّوا به ضربَ اللهُ على قلُوبهِمْ فلاْ يذكِرونَ شيئاً منهُ وذلكَ مقابلْ ظهورِهِم في البشريةِ ، ولوْ نظروهُ بالنهارِ ألفَ مرَّةٍ لوجدتهُمْ على مَا شرحتهُ لكَ مِنْ إضمارهم الإساءةَ إليهِ والتعقُّبِ لهُ ، وإذا لقوهُ بشُّوا لهُ وآنَسوا إليهِ وكذَّبوا عنهُ ، وإذا غابَ عنهُم نسوهُ ، فهذهِ منزِلةُ الوليِّ معَ الشيطانِ العدوِّ وقبيلهِ ، وقالَ تعالى : وإمَّا ينزَغنَّكَ مِنَ الشيطانِ نزغٌ فاستعِذْ باللهِ إنهُ سميعٌ عليمٌ (الأعراف 200) .

واعلمْ يا مفضلُ أنَّ أهلَ الإقرارِ والتوحيدِ على رُتَبٍ في إقرارِهمْ

وتوحيدهمْ لاْ يتساوى إثنانِ في منزلةٍ واحِدةٍ ، وذلكَ جارٍ مِنَ الإسمِ الأزليِّ القديمِ والبابِ المقيمِ والأيتامِ والنقباءِ والنجباءِ والمختصينَ والمخلِصينَ والممتحنينَ ، وسائرِ أهلِ المراتبِ السُّفليةِ وعالَمِ المزاجِ مِنْ أهلِ الإقرَارِ لأَنهُ تَعالى قالَ في كتابهِ : ورَفعَنا بعضهُم فوقَ بعضٍ درجاتٍ (الزخرف 32)

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ الدرجاتِ هي صِراطٌ مُستقيمٌ ، ومَسلكٌ ومَطلبٌ للعارفينَ ، فإذا طلبَ الرَّاغِبُ المريدُ الزِّيادةَ مِنْ تلكَ المعرِفةِ الحَقيقيةِ وقَصدَ إلى مَنْ يَعلمْ أنهُ فوقهُ في العِلمِ وأرفعُ في المنزِلةِ فسمِعَ منهُ وأخذَ عنهُ صارَ في منزِلةِ الملقي إليهِ وفي درجتهِ ، وكانَ لذلكَ الملقي العِلمَ والمعطي المعرِفةَ عندَ مولاهُ أجراً عظيماً ، وعطاءاً كبيراً على فعلِهِ ونُصحهِ للطالِبِ الذي بلغَ إلى محلِّهِ وساوَاهُ في علِمهِ فيرفَعهُ مولاهُ بذلكَ إلى المنازِلِ العاليةِ الرفيعةِ السنيةِ ، وهكذا تجرِي النعمةُ مِنَ اللهِ على أوليائهِ مَا داموا لاْ يبخلُونَ بما عندَهمْ مِنْ علُومِ اللهِ تباركَ وتعالى على إخوانِهم الطالبينَ المقرينَ بالتوحيدِ ، وكلَّما كشفَ لذلكَ الطالبِ الرَّاغبِ عِلماً وألقَى إليهِ شيئاً مِنْ توحيدِ اللهِ قويَ بهِ عزمُهُ زادتْ رُتبةُ الآخذِ والمأخوذِ عنهُ ، فإنِ اقتنعَ الطالِبُ بما سمِعهُ أولاً ولمْ يطلُبِ الزيادةَ منهُ ولمْ يسأَلْ عَنْ باطنهِ فهو

موقوفٌ أبداً عندَ تلكَ المنزِلَةِ الأولى لاْ يزولُ عنها ولاْ يَرقى إلى غيرِها بلْ هو بحالِهِ ومنزِلتهِ في الهياكِلِ البشريةِ التي يُعاني فيها الشقاءَ والتعبَ ، فإنْ وُفِّقَ إلى مَنْ يَبدوءُ ويُنعِمَ عليهِ بالزيادةِ مِنَ النعمةِ التي أنعمَ اللهُ بها عليهِ ، وكانَ لهُ حظٌّ الطالِبِ المريدِ علَتْ درجتهُ وكانَ للمُتفضِّلِ على ذلكَ المتثاقِلِ عَنْ الطلبِ فضلٌ لسعيهِ بإعلاءِ درجتهِ وطلبهِ لهُ التوفيقَ للإجتهادِ ، وإنهُ في مثلِ ذلكَ يكونُ ساعِياً وقدْ قيلَ : الساعي بالخيرِ كفاعِلهِ ، فطوبى يَا مُفضلُ لمنْ أنزَلَهُ مولاهُ هذهِ المنزِلةَ ، وأهَّلَهُ لهذهِ الحالةِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

باب

في معرِفةِ القُمُصِ النيِّرةِ والمظلِمةِ :

اعلَمْ يَا مُفضلُ أنهُ إذا كانتْ منازِلُهمْ دَرجاً فلاْ تَستوي درجتانِ اثنتانِ في العِلْمِ ، بلْ أنَّ كلَّ واحدٍ منهُمْ في درجةٍ ومنزِلةٍ ومقامٍ مِنَ العِلمِ ، وكذلكَ هياكُلهُمْ التي يُنقَلونَ إليها والقُمصانُ التي ينزِعونَها ، وذلكَ يَا مُفضلُ أنَّ الشخصَ لاْ يزَالُ في تلكَ الدرجةِ وهو في قَميصهِ وهيكلِهِ ، فإذا رَقا إلى منزِلةٍ أعلى مِنَ التي كانَ فيها لَبسَ قميصاً أشفَّ وأصْفَا وأحسنَ مِنَ القميصِ الذي نُزِعَ

عنـهُ ويكـونُ ذلـكَ منـه بِحَسَبِ الدرجـةِ التـي رقَـا إليهـا ، وإنْ كـانَ ممَّنْ قدْ جَنى على نفسِهِ وأذنبَ وشَكَّ وارتـابَ وزاغَ والتبَسَ عليـهِ استوجَبَ بذلكَ أنْ يُحطَّ عنـهُ ويُنزَعَ ذلـكَ القميصُ ويلبسَ قمِيصاً أكدَرَ وأظلمَ وأدنـى منَ القميصِ الذي نُزِعَ عنـهُ .

واعلـمْ يـا مفضـلُ أنَّ هـذهِ القمصـانَ الـتي نُزِعهـا العـارفونَ والجاحـدونَ ، والهياكِلَ الموجـودةَ لهـم فـي البشـريةِ هـيَ بمنزِلـةٍ سواءٍ مِنْ حِيثُ أنهـا تُعاني الشقاءَ والتعبَ وتُوارى فـي الثرى ، وتأتي عليها الدهورُ والأزمنةُ ، ويكونُ لهَـا هولٌ وبعثٌ ، ونُشورٌ وحسابٌ وجزاءٌ ، وهم بذلكَ صادِقونَ فـي ظنِّهم ودعواهم إلاَّ أنـهمْ عُمُوا عَنْ معرِفتـهِ ولاْ يَعرِفـهُ إلاَّ القليلُ مِنْ أهلِ الصفاءِ والمنـازِلِ والدَّرجِ . واللهُ أعلمُ .

باب
فِي معرِفةِ الـهياكلِ :

اعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ هياكِلَ العارفينَ والمخالِفينَ وهياكِلَ أصحابِ المراتِبِ والدَّرجِ إذا أودِعتِ الثرَى يُرِيُهمُ المولى أنها تُضافُ إلى هياكِلِ المقاماتِ التي ظهرَ بها المعنى والإسم والبابِ ، ويُرِيهِمْ أنها تَحُلُّ محلاًّ واحِداً معَ هياكِلِ الشياطينِ والأبالِسةِ مِنْ ذكرٍ وأنثى ، وحُرٍّ وعبدٍ ، وأسودٍ وأبيضٍ ، وعربيٍّ وأعجميٍّ ، وروميٍّ ونبطيٍّ ، وهاشميِّ النسبِ وطالِبيِّ الحَسبِ ، كُلُّ هذهِ الهياكِلِ تحُلُّ محلاًّ واحِداً ، ويُصنعُ بها صَنيعاً واحِداً ، ويَجري على جميعِها مَا يَجري على صغِيرها وكبيرِها عدلاً مِنْ مَولاكَ وإنصافاً ، وإقامةَ قسطٍ وصِراطاً مُستقيماً .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ هذهِ الهياكِلَ إذا أودِعتِ الثرَى وصُنِعَ بها مَا صُنِعَ صَحَّ عندَ هذا العالَمِ أنها قدْ هلَكتْ وإنما هي غيرُ هالِكةٍ ، وإنما مثلُها كمَثلِ بذارٍ يُزرَعُ فيزِيدُ وينقُصُ ، وأنهُ إذا مضتْ عليهِ المدةُ التي قدْ ألزَمهُ اللهُ إياها يَستوجِبُ أنْ يطلَعَ على وجهِ الأَرضِ وتكونُ فيهِ منافِعُ للبشرِ مِنْ أغذيةٍ وأدويةٍ وأعنابٍ وغيرِها مِنَ الثمراتِ ، فيكونُ مِنْ هياكلِ أهلِ المراتبِ مِمَّنْ قاربَ منهُمُ الصفاءَ اليلَنجوجاتُ والعنبَرُ والطيبُ والرَّياحينُ والعبَاهرُ بأجنَاسٍ وصنُوفٍ شتَّى .

ويكونُ مِنْ هياكِلِ الأضدادِ الملاعينِ المخالِفينَ الرَّجِسينَ السُّمومَ القاتِلةَ والأَنواعُ المكروهةُ مِنَ الدفلي والعلقَمُ والصبرُ الْمُرُّ والحنظَلُ والحسَكُ والعَوسجُ وكُلُّ نباتٍ يكونُ منظَرُهُ حسَناً ومذاقُهُ مكروهاً ورائحتُهُ خبيثةً ، فذلكَ مِنْ جِنسِ مَا تعقبُهُ هياكِلُ الأضدادِ ، ففي المنظَرِ وإنْ كانَ لهُ رَوعةٌ وجَمالٌ فهو بمعنى مَا يُظهِرونَهُ ظاهراً مِنَ الْمَكرِ والخِداعِ والرِّياءِ والعَفافِ والشفقةِ ولِينِ الجانبِ والتواضُعِ والسَّكينةِ والشُّكرِ والتعبُّدِ والزُّهدِ والوَرعِ والقُنوعِ ، فإذا اختُبرَ ذلكَ منهم وكُشِفَ عنه وُجِدَ أنه كلُّهُ مكرٌ وخداعٌ ورياءٌ واغتيَالٌ وحِيلةٌ ، فكمَا تعافُ النفسُ مَنْ يكونُ بهذهِ الحالةِ كذلكَ تعافُهُ إذا صارَ بمعنَى ذلكَ النباتِ المكروهِ ، وذلكَ أنَّ الإنسانَ

يَرى ثمرةً فيَشتهِيها لِمَا يَراهُ مِنْ حُسنِها وبَهائها ، ورُبَّما تدعوهُ نفسُهُ إلى أنْ يقطفَها ، فإذا قطَفها واختبَرها بالذوقِ والرائحةِ وجدَها على خِلافِ ذلكَ لِمَا فيها مِنَ الكراهيةِ والنَّتنِ فيَرمي بها مِنْ يدِهِ ويَبصِقُ عليها ويلعنُها ويَلعَنُ مَا أشبهَها .

وكذلكَ يَا مُفضلُ يجري أمرُهُ وهو في البشريةِ بينَ هذا العالَمِ ، فقدْ تَرى منهم تلكَ الظواهرُ الجميلةُ ، فإذا اختبرتَهم وجدتَهُم بخِلافِ ذلكَ مِنَ الْمَكرِ والخِداعِ والرِّياءِ فيُبْغَضُونَ ويُلعَنونَ ويُشتَمُونَ .

فهذا مَا يعقبُ منهُم منْ هذهِ المكروهاتِ وهي ملعُونةٌ في الظاهِرِ والباطنِ لأنها السُّمومُ القاتِلةُ ، وقدْ شرحتُ لكَ يَا مُفضلُ في خِطابٍ سَلفَ حالَ السُّمومِ القاتلةِ التي يُتْلَفُ بها الوليُّ والعدوُّ وهي مِمَّا تعقبُهُ هياكِلُ الأضدادِ والجَبابرةِ الذينَ أقامُوا أنفُسَهُم مقامَ مولاكَ وتَسمُّوا بإسمهِ وشارَكوهُ بهِ وأضلُّوا عنهُ العالَمَ ، وكانوا أدِلاَّءَ لهُمْ على الكُفرِ والجُحودِ ، فأجابُوا دعوتَهُم وكانُوا هُمْ سَبباً لإتلافهم في البشريةِ ، ثمَّ صارُوا إلى المسوخيةِ التي تأتِي على كُلِّ شيءٍ ، وأنَّ مِنَ الهياكِلِ مَا يَفضُلُ بعضُهُ على بعضٍ في الشِّدَّةِ والقوَّةِ والعُتوِّ والهَيبةِ ، ولهُمْ منهَا رُتبٌ ودَرجاتٌ في الكُفرِ والإقرارِ أيضاً .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ كُلَّ هيكلٍ تراهُ مِنَ المسوخياتِ في الأجناسِ التي شرحتُها لكَ مِنَ البهائِمِ والهوامِّ والطيرِ والدبيبِ وغيرِها مِنَ الأجناسِ تحلُّ محلَّ الهياكِلِ البشريةِ ، ويجري عليها مَا يجري على البشرِ مِنَ الموتِ والقتلِ والحَرقِ والغرَقِ وغيرِ ذلكَ ، وأنا أفسِّرُ لكَ وأشرَحُ مَا يَسكنُ في المياهِ والبَراري والجِبالِ مِمَّنْ يَسعى على بطنِهِ ، ومِمَّنْ يَسيرُ على أربعٍ ، وأكْشِفُ لكَ عَنْ معاني صُورِها ، فكُنْ لذلكَ سامِعاً واعِياً ، وافهَمْهُ تَقرُّ بمَعرِفتهِ عيناكَ ، وعليكَ إبلاغُ مَا ألقِيهِ إليكَ إلى أهلِ المعرِفةِ والإقرارِ بالتوحيدِ ، فاحمَدْ مولاكَ على معرِفتهِ وتوفِيقهِ لكَ ، واسألهُ أنْ يُوَفِّقَ أهلَ القبُولِ والإجابةِ إلى الثباتِ عليهِ والإقرارِ بهِ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ مَولاكَ أكملَ كلَّ شيءٍ خَلقاً ، وأتقنهُ صُنعاً ، وحَكمَ بهِ عدلاً ، ووسِعهُ وأحصَاهُ عِلْماً وعدّاً ، ثمَّ أجرَاهُ في خلقِهِ بالسَّويةِ ، وحكمَ فيهم حُكماً واحِداً ، يجري في العالَمِ النورانيِّ والعالَمِ الظُّلميِّ لتكونَ الحجَّةُ مؤكَّدةً ، والقُدرةُ نافِذةً بإرادتهِ ، فَمِنْ ذلكَ مَا قدَّمتُ لكَ شرحهُ وسألتُكَ كُتمانَهُ إلاَّ عنْ أهلهِ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ البَشرَ المنسوبينَ إلى هذا المعنى والذينَ تقمَّصوا هذا القميصَ ، ورضُوا بأنْ يُقالَ فيهِم أنهُم مِنْ ولدِهِ ويُدعَونَ بهِ ، فإذا نُسِبوا بهذه النسبةِ افتخَروا وسَمُوا بها على

العالَمِ ، وذلك أنَّ مولاهم قدْ أنحلَهمْ ذلكَ نِحْلةً لَمَّا ظهرَ فيهِمْ وأظهرهمْ منهُ ، وكانَ ذلكَ الفِعلُ سابقاً لهمْ بعملٍ استوجبُوا بهِ ذلكَ فأعطاهُم هذهِ المنزِلةَ الرفيعةَ العاليةَ في العالَمِ ، وأحلَّهمُ المحلَّ الجليلَ إلاَّ عندَ العارفينَ الموحدينَ فإنهمْ يعرِفونَ ويعلَمونَ أنهُمْ على ضلالةٍ في ادِّعائهِمْ تلكَ النسبةَ ، وهُمْ معَ ذلكَ في ظاهِرِ الأمرِ إذا رأوهُمْ ألزمَهمْ إجلالَهُمْ وتعظيمَهمْ وإنْ كانوا عارفينَ بباطِلِهمْ ودعواهُمْ ، لأنهُمْ إذا عاينوهم ونظرُوا إلى مواقعِ الإسمِ والنِّسبةِ عظَّمُوا المعنى ونزَّهوهُ عِنِ ادِّعائهم ، وقالَ تَعالى مُخْبراً عنهمْ : وقالتِ اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحبَّاؤهُ قلْ فلِمَ يُعذِّبكمْ بذنوبكم بلْ أنتمْ بشرٌ مِمَّنْ خلقَ (المائدة 18) .

فقولهُ : بلْ أنتمْ بَشرٌ مِمَّنْ خلقَ أوْكدُ دليلٍ على أنهُ يلزَمُهُم ويجرِي عليهِمْ مَا يَجري على البشرِ في النَّقلةِ والكرَّةِ ، لأنهُ بيَّنَ لهُمْ أنهمْ ينزِلونَ الطبقاتِ بعدَ الطبقاتِ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ الذينَ ادَّعوا النسبةَ إلى الميمِ يَحُلُّونَ غيرَ المحلَّ الذي يَحُلُّهُ مَنِ ادَّعى النسبةَ إلى العينِ إذْ قيلَ أنهُ ابنُ عمِّهِ ، ونِسبةُ العينِ هي الحقيقةٌ بذاتِها ، وأنَّ مَنْ كانَ يُنسَبُ إلى الميمِ إذا أردتَ أنْ تعرِفَ محلَّهُ وتَرى منزِلتهُ في نقلتِهِ التي خصَّهُ المولى بها ، فانظرْ إلى الشهاري والخيلِ العِتاقِ التي لها

الفخرُ والخطَرُ والذِّكرُ الرَّفيعُ عندَ مالِكِها ، فهُمُ الهاشميُّونَ الذينَ فخَروا بمحمدٍ (ص) وهذا موجودٌ في العالَمِ معروفٌ مُعاينٌ عندَ أهلِ المعرِفةِ والتوحيدِ ، وهم في ذلكَ على مراتبَ ومنازلَ يفضُلُ بعضُها على بعضٍ في المنظَرِ والمخبَرِ والتنافُسِ فيها ، وهي صُنوفٌ وضُروبٌ وأجناسٌ كما أنَّ أهلَ النسبةِ المحمديةِ يفخُرُ بعضُهم على بعضٍ ويرتفِعُ بعضُهم على بعضٍ كذلكَ يكونونَ في كُلِّ محلٍّ يحُلُّونهُ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ طائفةً منهُمْ تحُلُّ في مِياهِ البحارِ ، وقد ذكروا ورَوَوا عَنْ ثِقاتهم أنَّ الخيلَ بِدؤها مِنَ البحرِ ومنهُ خرجتْ إلى وجهِ الأرضِ ، وأنَّ في البحرِ مثلَها ممَّا يُعاينُ ويُبصَرُ ، ورَوتْ طائفةٌ أنها مركوبُ الشياطينِ ، وفي البِحارِ مِنْ أجناسِها مِثلُ الدَّلفينِ والسلحفاةِ والتمساحِ والكوسجِ والقِرشِ والدَّلقِ ومَا يُشاكِلُ ذلكَ ويُجانِسُهُ ، وهي أصنافٌ كثيرةٌ ، فهذهِ كلُّها رُتَبُ المدَّعينَ النسبةَ الهاشميَّةَ والذينَ فخروا بمحمدٍ (ص) وصِفاتُهم فيها شتَّى ينزِلونها ويَحُلُّونها في دقيقٍ وجليلٍ ، وقويٍّ وضعيفٍ .

أمَّا مَا كانَ مِنْ رُتَبِ وأجناسِ المدَّعينَ النسبةَ العلويةَ فهُمْ : الحمامُ الراعبيُّ المحبوبُ ، ومَا كانَ مِنَ الحمامِ وصنوفِهِ كالورشانِ والفصيحِ مِنَ الطيرِ يتحدَّثُ ويُجاوبُ ، ومَا كانَ منها

محلُّـهُ فـي المياهِ فهو معروفُ الشـخصِ وهو يقرُبُ فـي الفعلِ والحركـةِ إلـى الطيرِ ، ويجري عليـهِ مَا يجري عليـهِ مثـلاً بمثلٍ ، وأنها في مياهِ البحار والأنهارِ كالسمكِ والشبُّوطِ والزَّجْرِ والبِنـيِّ ، وكلُّ جِنسٍ حسَنِ المنظرِ شهِيٍّ في الذوقِ والطعمِ ، وهي تملِكُ نفسَها في المياهِ فتسرَحُ حيثُ تَشاءُ ولاْ يقدَرُ أحدٌ على صيدِها إلاَّ بالحيلَـةِ عليها ، وكذلكَ الحمامُ وغيرُهُ مِنْ أصنافِ الطيورِ تملِكُ نفسَها بأجنحَتِها ، فتسلِكُ حيثُ تشاءُ ولاْ يقدَرُ أحدٌ على صيدها إلاَّ بالحِيلةِ عليها ، فالفِعلُ جارِ عليها في الحالينِ مجرىً واحدٍ ، ومنها مالـهُ رُتَـبٌ ومنـازلُ وصُنوفٌ وضُروبٌ ونُصوصٌ تنُـصُّ عليها ، ويُختارُ بعضُها على بعضٍ ، ويُفضَّلُ بعضُها على بعضٍ كما يُفضِّلُ أهلُ الظاهرِ ولدَ الحُسَيْنِ على ولَدِ الحسنِ ، وولَـدَ الحسَنِ على ولَدِ محمدٍ ابنِ الحنفيـةِ ، وولَدَ محمدٍ بنِ الحنفيَّـةِ على ولَدِ العبَّاسِ بنِ عليٍّ ، وولَدَ العبَّاسِ بنِ عليٍّ على ولَدِ عَمْرِ بنِ عليٍّ ، وولَدَ جعفر على ولَدِ عقيلٍ وهكذا .

انظرْ إلى مَا شرحتهُ وكشفتهُ لكَ فلا تَبُحْ بهِ إلى أحدٍ مِنْ أهلِ الظاهِرِ ، فإنه إذا بلغَهُمْ ذلكَ عنكَ استحلُّوا دمَكَ ، وإنْ كُنتَ تُظهرُ لهُمْ أنكَ مولاهم ، لأنكَ إنْ فعلتَ ذلكَ معَهُم فهِموا أنكَ أبطلتَ نسبَهُم ، وأدحَضتَ شرَفهُم ، وأخمَلتَ ذِكرهمْ ، ونزَعتَ عنهُمْ

تاجَهُمْ وجعلتَهُمْ أدْعياءَ ، فاحفَظْ مَا أوصَيتُكَ بهِ .

أمَّا مَا كانَ في المياهِ مِنْ نوعٍ آخرَ مثلِ : الجريِّ والزِّبيرِ والشَّلبَةِ والسَّراطينِ وغيرِها ممَّا يُجانِسُ مَا ذكرتُهُ لكَ فهو مِنْ أجنَاسِ العالَمِ المنكوسِ وهي مذمُومةٌ في البشريةِ والمسوخيةِ ، والظاهِرِ والباطِنِ ، ومكروهةٌ تعافُها الأنفُسُ ولاْ يأنَسُ إليها أحدٌ ، وأنا أنهاكَ عنها ، وأتقدَّمُ إليكَ أنْ تُقدِّمَ إلى سائرِ أهلِ المعرفةِ والإقرَارِ ذلكَ وتنهَاهُم عنهُ ، وتشرَحَ لهُمْ مَا شرحتُهُ لكَ ، وتُوصِيهم بما أوصيتكَ بهِ ، وتُعرِّفَهُمْ استعمالَ التقيّةِ والكتمانِ والسَّترِ ، فهذا أصلُ الدينِ وقُطبُهُ وفرعُهُ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ اللهَ سرَّاً وأحبَّ أنْ يُعبَدَ سِرَّاً ، ومعنى ذلكَ إنَّ السِّرَّ لا يَطَّلِعُ عليهِ أحدٌ ولاْ يَعرِفهُ البشرُ ، وكذلكَ نفسُ الإنسانِ سِرٌّ ، لأنَّ المعنى أسرَّ ذاتَهُ عَنِ العالَمِ المنكوسِ وأحبَّ أنْ يُعبدَ سِرَّاً ، ويُعرَفَ سِرَّاً بكيفيتِهِ ، وأوجدَ القُدرةَ ليُعرَفَ بها ، فكانَ لاْ يعرِفُهُ إلاَّ مَنِ اصطفاهُ بمعرِفتهِ ، فكانتْ هذهِ العِبادةُ سِرَّاً ، إذْ عرَفهُ قومٌ في البشريةِ ، وعرَفهُ قومٌ بالإختصاصِ ، وعرَفهُ قومٌ آخرونَ بالربوبيةِ الحقيقيةِ والشخصُ بينهُم ولدَيهم واحِدٌ لاْ يتغيَّرُ ولاْ يزولُ .

أمَّا معرِفةُ أفعالِ القُدرةِ التي حدَثْ بأهلِ المعرِفةِ والتوحيدِ إلى

الإقرَارِ بـهِ وإثبـاتِ الوجـودِ لـهُ ، فـذلكَ لأنهُـمْ علِمـوا أنَّ القُدرةَ لاْ تكونُ إلاَّ مِنْ القـادرِ ، ولاْ تكونُ مُستعارةً ولاْ موهوبـةً ، فإنْ قـالَ لنا قائلٌ يَا مُفضلُ إنَّا وجدنا مِنْ أشخاصِ الأضدادِ مَنْ أتـى بقُدرةٍ ثمَّ احتجَّ عليكَ وقالَ : إنَّ فِرعونَ سارَ بمسيرهِ نِيلَ مصرَ ووقفَ بوقوفـهِ فكانـت تلـكَ قُـدرةً ، وإنِ احتـجَّ أيضـاً بكتابَـةِ عمـرِ بـنِ الخطابِ خُرقةً وهو في الحِجازِ إلى نيلِ مِصرَ أمَرَهُ فيها أنْ يجري فجَرى وأنْ يَسكُنَ فسكَنَ ، فكانـتْ تِلـكَ قُدرةً أيضـاً ، وقـد نـادى بساريةَ وهو في خُراسانَ عندما داهمتهُ خُيولُهمْ فقالَ : يَا ساريةَ الجبلَ الجبلَ ، فلمـا لجأَ ساريةَ ومَنْ معهُ إلـى جَبلِ نهاوندَ نجا ومَنْ معه .

ورُويَ عَنْ ساريةَ أنـهُ قالَ : كنتُ قد أشرَفتُ أنا وأصحابي علـى الهَلاكِ فنـاداني عُمرُ وهو فـي الحجـازِ وأنـا بنهاونـدَ وقـالَ : يَـا سـاريةَ الجبـلَ الجبـلَ ، فوقـعَ صـوتُهُ فـي مَسـمَعي ولجـأتُ أنـا وأصحابي إلى الجبلِ فنَجَونا فكانت تلكَ قُدرةً .

هذا يَا مُفضلُ في القبةِ الهاشميةِ ، وفي الظهوراتِ مِثلُ ذلكَ كثيرٌ ، ولكـنَّ الخلـقَ المنكوسَ عَمُوا عَنْ معرفـةِ ذلـكَ وحقيقتـهِ ، ولـوْ تيقَّنوا أنَّ القُدرةَ لاْ تتجزَّأ ولاْ تتبعَّضُ ولاْ تأتي إلاَّ بأمرٍ مِنْ صاحبِ الأمرِ ، فهو الذي يأمُرُ شخصاً مِنَ الأشخاصِ وليَّاً كانَ أمْ ضِدَّاً

أنْ يفعلَ فِعلاً ، أوْ يَأتي بحَالٍ ، فيُظهِرُ ذلكَ الشخصُ الفِعلَ بأمرِ القادِرِ فيقعُ بهِ العِيانُ والمشاهدةُ ، فيعلَمُ أهلُ المعرِفةِ أنهُ للمعنى القادِرِ ، ويَراهُ أهلُ الجُحودِ لجهلِهم وحِيرتهم وكُفرِهم أنهُ مِنْ فِعلِ ذلكَ الشخصِ وبإرادتهِ ، لاْ منْ أمرِ ربِّهِ وبفعلِهِ ، وهكذا الأفعالُ التي جرتْ مِنَ الضِّدِّ ، فإنَّ القادرَ يأمُرُ شخصاً ضِدَّاً كانَ أمْ وليَّاً بأمرٍ فيقولُهُ ذلكَ الشخصُ ويُمضِي القادرُ فعلَ القدرةِ ، فلاْ يُسمَعُ مِنَ الضِّدِّ إلاَّ القولُ يكونُ كذا وكذا ، ويَمضي فعلُ القُدرةِ للقادِرِ عليها وهو المعنى ، ولاْ يجري هذا مِنْ ضِدٍّ إلاَّ عندَ إظهارِ القادِرِ القُدرةَ وأمْرِهِ للشخصِ وليَّاً كانَ أمْ ضدَّاً بأنْ يُظهِرَ القولَ فقطْ ، فيكونُ القولُ مِنْ ذلكَ الشخصِ بأمْرِ القادِر ويُمضي القادِرُ الفِعلَ بقُدرتهِ ، فبهذا يُحتجُّ على مَنْ يدَّعي أنَّ للضِدِّ قُدرةً أوْ أنهُ يقدرُ على أنْ يأتي بشيءٍ مِنْ ذلكَ مِنْ تِلقاءِ نفسِهِ بغيرِ أمرِ القادِرِ ، وكُلُّ مَا يجري مجرى ذلكَ مِنَ الأفعالِ العظيمةِ الخطيرةِ في كُلِّ عصرٍ وزمَانٍ ودهرٍ وأوانٍ فهيَ بأمرِ القادِرِ ، ومَنْ قالَ إنَّ القُدرةَ الجاريةَ للضدِّ فقد عبَدَهُ وجعَلهُ القادِرُ في حينِ أنَّ القادِرَ هو الذي أظهرَ على يدِ الضدِّ هذهِ القُدرةَ ، وقد بيَّنَ ذلكَ بقولِهِ تعالى : وإذا أردنا أنْ نهلِكَ قريةً أمَرْنا مُترَفِيها ففَسَقوا فيها فحقَّ عليها القولُ فدمَّرناها تدميراً (الإسراء 16) .

فالقريـةُ هـي الرجـالُ أوِ القـومُ المجتمعـونَ بـدليلِ قولِـهِ تعـالى : واسـألِ القريـةَ الـتي كنّـا فيهـا والعيرَ الـتي أقبَلنـا فيهـا (يوسـف 82) .

ولمْ يَعنِ بذلكَ القريةَ بلِ الرجالُ والجماعةُ الذينَ كانُوا فيها ، وقالَ تَعالى : ولقدْ أتَوا على القريةِ التي أمْطِرتْ

مطرَ السَّوءِ (الفرقان 40) .

فالقَريـةُ الممطورةُ هي القومُ الذينَ أمْطِروا بحجارةٍ مِنْ سجِّيلٍ ، وأنَّ الهَلاكَ الـذي وقـعَ بتِلـكَ القريـةِ هـو بـالأمرِ الـذي يـأتي بـهِ الْمُترَفُ وهو الضِدُّ ، وذلكَ أنَّ الأمرَ الذي يُظهِرُهُ الشخصُ ضِدّاً كـانَ أمْ وليّـاً فيـأتي بقُدرةٍ بـأمرٍ مِنْ صاحبِ القُدرةِ والأمـرِ ، لأنَّ القُدرةَ لاْ يـأتي بهـا غيرُ القـادِرِ عليهـا وهـو المعنى تَعالى ، وأنَّ جميـعَ مَـا ظَهـرَ مِـنَ الأفعـالِ والقَـدَرِ مِنْ محمـدٍ وسلمانَ وجميـعِ أصـحابِ المراتـبِ والـدَّرجِ ، كالحيـاةِ والمـوتِ والخِلقـةِ والـرِّزقِ والنشأةِ فالفِعلُ هو للمعنى وحدَهُ ، وهو تَعالى يـأمُرُ الشخصَ أنْ يفعَلَ الفِعلَ فيفعَلُهُ بأمرِ المعنى .

ومِمّـا يُبيِّـنُ أنَّ تلـكَ الأشخاصَ مـأمورةٌ بـذلكَ قولُـهُ تَعـالى : ومَـا فعلتُهُ عَنْ أمري (الكهف 82) .

وقولُهُ : فإذا جاءَ أمرُنا وفارَ التنورُ (المؤمنون 27)

وقولُهُ : وأمِرتُ أنْ أكونَ مِنَ المؤمنينَ (يونس 104) .
وقولِهِ : إنَّ اللهَ يأمركم أنْ تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها (النساء 58) .
وقولهُ : أتى أمرُ اللهِ فلاْ تَستعجِلوهُ (النحل 1) .
وقد ذُكِرَ الأمرُ في القرآنِ كثيراً وشرحُهُ واضِحٌ موجودٌ ، وإنما استحقَّ الضدُّ العذابَ الأليمَ لأنهُ أمِرَ بالقولِ فقالَهُ ، وجرَى الفعلُ مِنَ القادِرِ ولمْ يُسلِّم إلى مولاهُ ذلكَ ، بلِ اتخذَهُ لنفسِهِ وليسَ على مَنْ سمِعهُ ورآهُ منهُ ، وأظهرَ أنهُ ليسَ لهُ وليسَ للقادِرِ الذي أمرَهُ بفعلِهِ معَ أنَّ القادِرَ هو الذي أمضاهُ ، ولذلكَ استحقُّوا العذابَ الأليمَ والخُلودَ في قَعرِ الجَحيمِ ، وإنَّ أهلَ التوحيدِ المحقِّينَ تيقَّنوا أنَّ الفِعلَ والقُدرةَ للقادِرِ وأنهُمْ بأمرِهِ يعمَلونَ ذلكَ ، ولذلكَ استحقُّوا الفوزَ العظيمَ والخلودَ في دارِ النعيمِ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ مولاكَ ظهرَ فيما ظَهرَ بهِ مِنَ التوالُدِ والمصاهرةِ والأولادِ ، ونظروهُ في حالةِ الطفوليةِ بالبشريةِ ، كُلُّ ذلكَ إيناساً آنسَ بهِ الخلقَ ، وأنَّ كُلَّ مَا جَرى عليهِ مِنْ عوارضِ الضُّرِّ والضَّيمِ والمرَضِ والقَتلِ والموتِ وغيرِهِ مِمَّا أظهرَهُ أنهُ واقِعٌ بهِ فهوَ واقِعٌ بالضِّدِّ ، ويظنُّهُ العالَمُ المنكوسُ أنهُ واقِعٌ بالمعنى ، وقدْ وقعَ بالضِّدِّ مُجازاةً لهُ على جُحودهِ حينَ أولاهُ مولاهُ تلكَ

الأشياءَ فلمْ يُسلِّم أنها لهُ بَلِ اتخذَها لنفسِهِ ، وظنَّ أهلُ الجُحودِ أنها كذلكَ فوقَعَ بهِ ، وجَازاهُ عليها بذلكَ العذابِ في الترَدُّدِ بالقوالِبِ الخبيثةِ الرَّجسةِ النجِسةِ الملعونَةِ الكريهَةِ ، والتنقُّلِ في الأشخاصِ والأجناسِ وصُنوفِ الصُّورِ المذمومةِ والتراكيبِ الصعبةِ ، فيَبْغُضُهُ العالَمُ في سائِرها وتقسُوا عليهِ القلوبُ ، ويسألونَ اللهَ الزيادةَ لهُ فيما هو فيهِ ويلعنُهُ سائِرُ الخلقِ مِنْ مؤالفٍ ومخالِفٍ فيقولونَ : إذا جَرى لهمْ حالٌ مِنَ الأحوالِ لعنَ اللهُ إبليسَ ، وذلكَ لزيادتِهِ في طُغيانهِ وكُفرِهِ وجُحودهِ وإنكارِهِ وكَثرةِ بلائهِ وشرِّهِ إلى الداني إليهِ والقاصي عنهُ ، ألا تَرى يَا مُفضلُ انكَ تَرى شخصاً ليسَ بذي رحِمٍ ولاْ قريبٍ ولاْ نسيبٍ حتى ولاْ لكَ فيهِ معرِفةٌ ولاْ صداقةٌ ولاْ مؤانسةٌ ولاْ اجتماعٌ فإذا نزَلَ بهِ شيءٌ مِنَ الشدائدِ والْمِحنِ فإنكَ ترِقُّ لحالِهِ وترحمُهُ وتعطِفُ عليهِ ولَوْ قدرتَ لفديتهِ مِمَّا هو فيهِ بجميعِ مَا يُمكِنكَ عليهِ مِنْ مالٍ وأهلٍ ووَلدٍ ، وإنكَ لتَرىَ ذا رحِمٍ وقرابةٍ وحُبٍّ وصداقةٍ ووَلَدٍ ووَالِدٍ في أليمِ العذابِ فلاْ ترِقُّ لهُ ولاْ تعطِفُ عليهِ ولاْ تأسى لهُ ، وتسألُ اللهَ أنْ يُضاعفَ لهُ ذلكَ ، وقد يفزَعُ إليكَ ويَستصرِخكَ وتعلَمُ أنهُ مظلومٌ مُضطهدٌ ، وإنِ استصرخَكَ ودَعاكَ إلى حالةٍ يَستعينُ بكَ عليها كُنتَ عليهِ لاْ معهُ ، حتى يقولَ : استعنتُ بكَ لِتنصُرَني فإذا أنت

علَيَّ ، فيكونُ منكَ أشدَّ استغاثةً وأشدَّ تظلُّماً ، ومَا ذلكَ إلاَّ لحالٍ سلفَ مِنْ بعضٍ إلى بعضٍ فاستوفاهُ منهُ

نعم يَا مُفضلُ وإنكَ لَتَرى ظَالِمَ القومِ الجائرَ عليهِمْ وهُمْ يَستغيثونَ منهُ بالعالَمِ وليسَ بينَكَ وبينهُ معرِفةٌ ولاْ مشاهدةٌ ، فإذا رأيتَهُ وقدِ اضطهدهُ الناسُ وألَمُّوا بهِ دافعتَ عنهُ وقُمتَ بنُصرَتهِ وبذلتَ المهجةَ دونهُ ، وكذَّبتَ مَنْ يقولُ إنهُ ظالِمٌ أوْ غاشِمٌ حتى يُقالَ لكَ : لاْ نعرِفُ بينكَ وبينهُ صداقةً مُتقدِّمةً لتقومَ بنصرتهِ وإنكَ لأعرفُ الناسِ بما جَرى مِنْ ظُلمهِ وتعدِّيهِ ، فليسَ ذلكَ إلاَّ جَزاءً ومُكافأةً على مَا سلفَ لكَ معهُ مِنْ فعلٍ في وقتٍ مَا ، وإنْ كانَ على درجةِ المخالفةِ فإنهُ يَستوفي مالَهُ ويَفي مَا عليهِ .

فتبيَّنْ هذا تجدهُ في العالَمِ عِياناً موجوداً لأنهُ سُبحانهُ قدْ سبقَ منهُ القولُ بقولِهِ تَعالى : لِيُوفيَهُم أجورَهُم (فاطر30) .

وقولِهِ : ثمَّ تُوفَّى كُلُّ نفسٍ مَا كسبتْ وهُمْ لاْ يُظلمونَ (البقرة 281) .

وقولِهِ : فوفَّاهُ حسابهُ (النور 39) .

وقولِهِ : إنْ أحسنتمْ أحسنتُم لأنفُسِكمْ وإنْ أسأتُمْ فلَها (الإسراء 7) .

وذلكَ بما قدَّمتْ أيديهِم ، فهذا الخطابُ وأمثالُهُ يَا مُفضلُ لاْ يَعقِلهُ

النَاسُ ولاْ يَعرِفونهُ بتأويلهِ الذي أبينهُ لكَ مِنْ سَواءِ صِراطِ ربكَ في خلقِهِ وإقامَةِ عدلِهِ فيهم ، وقد بيَّنَ وشرحَ وفسَّرَ وشرَعَ وجعَلَ مِلاً وكُتُباً وشرائِعَ ورُسُلاً ونسخَ بعضُها بعضاً وأبانَ الدَّاعي القولَ عنهُ بقولِهِ : وإنَّ هذهِ أمَّتُكمْ أمةً واحِدةً وأنا ربُّكم فاتقونَ (المؤمنون 52) .

فإذا كانتْ أمةً واحدةً فَمِنْ أينَ تفرَّقتْ على مرِّ الأوقاتِ والأزمِنةِ حتى قيلَ : أمَّةُ موسى وأمَّةُ عيسى وأمَّةُ محمدٍ ، ومَا قبلهُمْ مِنَ المقاماتِ الواضحةِ الدعوةِ ، وقد قالَ اللهُ تعالى : وإنْ مِنْ أمَّةٍ إلاَّ خلاْ فيها نذيرٌ (فاطر24) .

والذي خَلا فيها هو ظُهورُ الشخصِ الدَّاعي بغيرِ الصُّورةِ والدَّعوةِ والشريعةِ والكتابِ والسُّنةِ والمِلَّةِ ، ومِنْ ذلك يُحلِّلُ مرَّةً ويُحرِّمُ أخرَى ، وقد قالَ تَعالى : وقالتْ أوْلاهم لأُخْرَاهم (الأعراف 39) . وقالَ : قالتْ أخْرَاهُمْ لأُوْلاهُمْ (الأعراف 38) .

انظرْ إلى غامِضِ هذا الخِطابِ مِنْ قولِهِ : قالتْ أخرَاهم لأُوْلاهُم وذلكَ أنَّ أخراهُم مِنْ أوْلاهم ، وأوْلاهُمْ منْ أخراهم ، ولاْ يكونُ أولاً إلاَّ بآخِرٍ ولا آخِراً إلاَّ بأوَّلٍ ، وكلُّ ظهورٍ يَا مُفضلُ يَظهَرُ القادِرُ بهِ فهو تجديدٌ للحَالِ الأولِ ، وإنْ ظهرَ بإسمٍ مِنَ الأسماءِ ونعتٍ مِنَ النُّعوتِ يُوجِدُ مِنْ ذلكَ الإسمِ والنعتِ مَا كانَ يُوجدهُ في الأولِ

، ولكنْ بإسمٍ غيرِ ذلكَ الإسمِ ونعتٍ غيرِ ذلكَ النعتِ ، لأنَّ الظهورَ واحِدٌ عند أهلِ الإقرارِ والمعرِفةِ ، فلا يجدونَ ثانياً إلاَّ ما أوجَدهم أولاً ، والعالَمُ المنكوسُ لاْ يُثبتونَ لهُ المعنويةَ والربوبيةَ ولو أظهرَ الدعوةَ وأوضَحها ، إلاَّ أنهُ يُظهِرُ بعدَ ذلكَ الزمانِ أغلالاً وآصاراً وتكليفاً وجِهاداً وتشديداً ، والظهوراتُ كُلُّها سَواءٌ ، والعالَمُ مَعَ ذلكَ ساهونَ وعنها مُعرِضونَ ، لاْ معرِفةَ لهُمْ بالإختبارِ ، ولاْ يُوافيهمْ معَ القولِ اعتبارٌ .

وكذلكَ يَا مُفضلُ تجري القُدرةُ في العالَمَينِ العُلويِّ والسُّفليِّ وتجري على الأشخاصِ الباطِنةِ التي أقيمتْ لها أشخاصٌ ظاهرةٌ كالسَّمواتِ والأرضِ والبحارِ وذلكَ إنَّ السماءَ لها حِجابٌ يَحْجُبُ الأرضَ بما بينهما مِنَ السحابِ الذي يحْجُبُ العالَمَ السفليَّ أنْ يَرى أوْ يُشاهِدَ ما كانَ يُعاينُهُ منَ السماءِ ، وكذلكَ يحجبُ مَا كانَ يُعايَنُ مِنَ الأرضِ ، ومَا كانَ يُعايَنُ مِنَ العالَمِ العُلويِّ ، وكذلكَ الشمسُ يكونُ لها سُلطانٌ على العالمِ العالَمِ العُلويِّ في وقتٍ وزمانٍ ، ولاْ يكونُ لها على العالَمِ السُّفليِّ ، بلْ يَتمنَّى ويَشتهي ويَرغَبُ ، فإذا ظهرتِ الشمسُ استبشرَ بها ، وإنْ حُجِبَتْ يألَّمَ لها وتوجعَ لِفقدِها ، وكذلكَ هي في وقتٍ وزمانٍ تكونُ ظاهِرةً موجُودةً في العالَمِ السُّفليِّ كما كانتْ ظاهرةً موجودةً في العالَمِ العُلويِّ حتى

يتألَمَ منها العالَمُ السُّفليُّ ويَحْجُبوا أنفسَهُم عنها ، ويَتخذونَ منها عِوَضاً بعدَ تلكَ الرَّغبةِ فيها والميلِ إليها ، ويكونُ لهم التَّوقي منها والنهيُّ عنِ القُربِ إليها خَوفاً مِنَ التأذي بها والضَّررِ ، كما كانَ منها النَّفعُ ، وذلكَ صِراطٌ مُستقيمٌ يجري عليهِ مِنْ ربكَ تدبيرُ القُدرةِ في العالَمِ بالسَّويةِ ، وكذلكَ الرُّعودُ والبروقُ والأمطارُ والنَّدى والظِّلُّ والحرُّ والبردُ والثلجُ وغيرُ ذلكَ مِنَ الأفلاكِ والنُّجومِ والسماءِ والأرضِ التي وقعَ لها أسماءٌ ظاهِرةٌ وباطِنةٌ ولها أشخاصٌ بَشريةٌ ونُورانيةٌ ، وهي رُتبُ العالَمِ العلويِّ النوراني ومنازلُهُم في العالَمِ الظلِّي البشري الترابي بمنزِلةٍ واحدةٍ تجري في الحالَتينِ اللتينِ شرحتُهما لكَ ويكونُ فيهما مِنَ الإدالةِ والإنصافِ كما كشفتُهُ لكَ وشرحتُهُ ، وإنكَ لو ثبتَّ قليلاً على مَا شرحتُهُ لقرُبَ عليكَ فهمُهُ ، وقويَ ذَهنُكَ على إدراكِهِ والإحاطةِ به ، والحقُّ أنَّ فيهِ مِنَ التفسيرِ والشرحِ والكشفِ كفايةٌ لِمنْ عقِلَ ، وذِكرى لِمنْ تذكَّرَ ، وكانَ لهُ قلبٌ أوْ ألقَى السمعَ وهو شهيدٌ واللهُ أعلمُ .

باب : في معرِفةِ السَّماءِ وهي دخانٌ :

اعلَمْ يَا مُفضلُ أني قد قدَّمتُ إليكَ بأني سأشرحُ لكَ مَا خاطبتكَ بهِ مِنْ قولِهِ تَعالى : ثمَّ استوى إلى السماءِ وهي دخانٌ فقالَ لها وللأرضِ ائتيا طَوعاً أوْ كَرهاً قالتا أتينا طائعينَ (فصلت 11) .
وذلكَ يَا مُفضلُ أنهُ لَمَّا كانَ قدْ بَدأ السماءَ وهي البابُ المقيمُ مكوِّنُهُ وهو السيدُ محمدٌ البيتُ القديمُ الذي هو حجابُ مولاكَ العظيمُ وإسمهُ باطِناً ، وعبدُهُ ورسولُهُ ظاهراً ، فلمَّا كوَّنهُ بذاتهِ كوَّنَ مِنْ كونِهِ الأرضَ وهي اليتيمُ الأكبرُ الذي هو المقدادُ كوَّنهُ مِنْ جوهريتهِ ، ثمَّ كشفَ لهُ عَنْ ذاتِهِ فعاينهُ بالعَظمةِ فكبَّرهُ وعظَّمهُ وحارَ في إدراكهِ ، فأوجدَ في نفسهِ أنَّ فوقهُ غايةً فوقفَ عَنْدَ ذلكَ عَنِ السُّجودِ ، وارتقبَ مَا وَجَدهُ وعقِلَهُ مِنْ مُرادِ مولاه ، فظهرَ لهُ الأزلُ الذي لمْ يزلْ وأوجَدهُ معنويتَهُ فسلَّمَ لهُ بالإخلاصِ ، ثمَّ ظهرَ لهُ السيدُ محمدٌ بالبشريةِ التُّرابيةِ وأوجَدهُ أنهُ كوَّنَ جِسمهُ مِنْ ذلكَ الترابِ ، فلمَّا أظهرَهُ بالبشريةِ ظَهرَ له بالإستواءِ وهو بشريٌّ فقالَ هُنالكَ للسماءِ وهي دخانٌ ، أي وهي نورانيةٌ الكونُ الأولُ ولِلأرضِ وهي في البشريةِ الأرضيةِ وذلكَ بوقتٍ واحدٍ فقالَ : ائتيا طَوعاً أوْ كَرهاً قالتا أتينا طائعينَ ، وكانَ ذلكَ عندَ ظهورهِ لهُما ونظرِهمَا إليهِ وتصديقِهما بهِ في وقتٍ واحدٍ ، فأجابَ الشخصانِ جميعاً لَمَّا ظهرَ لهُما في البشريةِ وعَلِما أنهُ

هو وكانت تلكَ الإجابةُ التي هي أتينا طائعينَ ، إجابةَ البابِ واليتيمِ بإقرارِهما للمعنى بالأحديةِ ولإسمهِ بالواحديةِ ، وقدْ ثبتَ لكَ يَا مُفضلُ أنَّ كُلَّ سماءٍ سلسلُ بالنورانيةِ ، وكلَّ أرضٍ مقدادُ في الترابيةِ ، ومَنْ كانَ بعدهُما مِنْ أهلِ المراتبِ والدَّرجِ لأنهم مِنْ جوهريتهِ ظهروا وهو جوهرهمْ ، وكذلكَ كلُّ رُتبةٍ هي حُجةٌ على منْ دونها لأنَّ بعضهُم مِنْ جوهريةِ بعضٍ ، وأصلهُمْ مِنْ جوهريةِ البابِ ، والبابُ مِنْ نور نورِ الإسمِ ، والإسمُ مِنْ نُورِ ذاتِ المعنى .

فليَعْقِلِ العالَمُ هذا الشرحَ وذلكَ يَا مُفضلُ جارٍ في العالَمينِ العُلويِّ والسُّفليِّ ، لأنَّ كلَّ ظُهورٍ يَظهرُ فهو حُجةٌ على مَنْ دونهِ في المنزِلةِ والرتبةِ ، فافهمْ ذلكَ يَا مُفضلُ فهذا ما وعدتُكَ بهِ قدْ كشفتُهُ لكَ وشرحتُهُ ، واللهُ أعلمُ .

باب
في معرفةِ إرادةِ المولى وابتداءِ الْمُلكِ :

اعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ لِمولاكَ إرادةً أمضاها في خلقِهِ يُظهِرُها حيناً ، ويَخفيها حيناً ، فإذا أظهرَها كانَ جَزاءً عمَّا أخفاها ، وإذا أخَفاها كانَ جَزاءً عمَّا أظهرها ، فَمِنْ ذلكَ أنَّ العالَمَ النُّورانيَّ إذا أظهرَهُمْ معهُ بظهورهِ في البشريةِ كانَ جَزاءً عَنْ أفعالٍ سلَفتْ في النُّورانيةِ استوجَبوا بها ذلكَ الظهورَ ، وكذلكَ إذا ظهرَ للعالَمِ المنكوسِ أهلِ الجُحودِ والكُفرِ وأوجدَهُمْ ذاتَهُ أنهُ كَهُمْ ، ودلَّهُمْ

على نفسِهِ ، ودعاهُمْ إلى الإقرارِ بهِ والتسليمِ إلى حِجابهِ وبابهِ فيكونُ منهُمْ مِثْلُ مَا كانَ أولاً مِنَ الجُحودِ والكُفرِ والإمتناعِ عَنْ طاعةِ حِجابهِ ، والإنكارِ لِبابهِ فينقُلُهُمْ إلى المسوخيةِ حتى يَصيرَ في وقتٍ وزمانٍ مَنْ كانَ محمُولاً قَبْلُ حامِلاً لِمَنْ حمَلهُ ، ومَنْ كانَ مقتولاً يَصيرُ قاتِلاً لِمَنْ قتلَهُ ، ومَنْ كانَ مملُوكاً يَصيرُ مالِكاً لِمَنْ ملَكهُ ، ومَنْ كانَ مركُوباً يَصيرُ راكِباً لِمَنْ ركِبهُ ، ويجري ذلكَ فيهِمْ مِنَ الفيلِ والأسدِ والجملِ إلى الحيَّةِ والعَقربِ والدُّودِ الذي يأكلُ بعضُهُ بعضاً ، فيقتُلُ بعضُهُ بعضاً ، ويركَبُ بعضهُمْ بعضاً ، ويُعنِّفُ بعضهُم بعضاً مَثلاً بمثلٍ وشيئاً بشيءٍ ، فلَوْ عقِلَ العالَمُ المنكوسُ مَا سَمِعوهُ وعرَفوهُ لأشفَقوا على أنفُسِهِمْ ولَعَلِموا أنَّ الإحتياطَ الذي يحتاطُهُ البشري على البَهيمةِ والطيرِ والهوامِّ وسائرِ المسوخياتِ إنما يحتاطهُ لنفسِهِ ، والإحسانَ الذي يُحسِنُهُ عليها يُحْسِنُهُ إلى نفسهِ ، والإساءَةَ التي يُسيئُها يُسئُها إلى نفسِهِ وذلكَ عندما يُرَدُّ بها ، وإنهُ لَيَملِكُ المالِكُ المملُوكَ والمملُوكُ المالِكُ ، والحرُّ العبدَ والعبدُ الحرَّ ، كلُّ ذلكَ جَزاءً ومكافأةً مِنْ بعضٍ لبعضٍ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ المسوخياتِ تأخُذُ بأوتارها وحُقوقِها عندَ كونِها وردِّها إلى البشريةِ ورجُوعِها إلى المسوخيةِ تُردُّ في كُلِّ نوعٍ مِنْ

أنواعِها مِمَّا وجبَ عليها الحُلولُ فيهِ مِنَ النسخِ والفسخِ والمسخِ والوسخِ والرسخِ ، فإذا كانَ حَديداً وقُطِعَ بهِ حديدٌ في عهدٍ مَا يُرَدُّ ذلكَ المقطوعُ في زمانٍ آخَرَ وعَهدٍ آخَرَ قاطِعاً يَقطعُ الذي قَطعهُ ، ويُردُّ كلُّ فاعِلٍ فيَصيرُ مفعولاً بهِ ، وكُلُّ صانِعٍ فيَصيرُ مَصنوعاً بهِ مَثلاً بمثلٍ ، وكذلكَ الحَجرُ الذي يُقْطعُ بالحديدِ يُردُّ الحديدُ حَجراً والحَجرُ حديداً حتى يقطَعَهُ مثلاً بمثلٍ ، وكذلكَ مَا كانَ مِنْ رصاصٍ ونُحاسٍ وفِضَّةٍ وذَهبٍ يُردُّ إلى الحالِ الذي يجري عليهِ فيها مَا كانَ جَرى منهُ في غيرِها حتى يَستوفي كلٌّ مِنْ كلٍّ .

وأزيدُكَ يَا مُفضلُ في ذلكَ شرحاً واضِحاً ليسَ هو مَعكَ ، اعلمْ أنهُ مَا مرَّ شيءٌ مِنْ هذهِ الأجناسِ على أحدٍ مِنَ العالَمِ الظُّلمي وهو في البشريةِ إلاَّ ومرَّ عليهِ وهو في المسوخيةِ والرسوخيةِ مثلُهُ ، لأنَّ في كلِّ دهرٍ وزمانٍ يُردُّ ذلكَ البشريُّ إلى المسوخيةِ ومِنها إلى الرسوخيةِ ومِنها إلى البشريةِ ، فيَستوفي المفعولُ بهِ مِنَ الفاعِلِ مثلاً بمثلٍ ، فما كانَ بشرياً وقَطَعَ حِجارةً بحديدٍ ، فتصيرُ الحِجارةُ حديداً والبشريُّ حِجارةً والحِجارةُ بشراً فيقطَعُ المقطوعُ القاطِعَ ، ويَصيرُ الحديدُ حِجارةً فيَقطعَ قاطِعَهُ ، وكذلكَ الحِليةُ تصيرُ بشراً وتتحلَّى بالبشرِيِّ الذي تحلَّى بها ، لأنَّ البشريَّ يُردُّ إلى الرسوخيةِ والرَّسخَ إلى البشريةِ مثلاً بمثلٍ حتى يَستوفي كُلُّ

واحدٍ مِنَ الآخَرِ ما أخَذَ منهُ .

فانظُرْ إلى طبقاتِ العالَمِ الظُّلمي وتراكيبهِمْ في البشريةِ مِمَّنْ قد مُكِّنَ لهُ الْمِكنَةُ العظيمةُ لاْ يكادُ يتحلَّى بالكثيرِ منَ الحلْيِ معَ أنهُ لوْ أرادَ أنْ يكونَ عليهِ الكثيرُ منها لكانَ ، وأنَّ منهُم مَنْ يتَّخذْ آنيةً يَستعمِلُها في مأكولاتهِ ومشرُوباتهِ ، فكذلِكَ يجري عليهِ منها مِثلُ مَا جَرى منهُ عليها .

وإنكَ يَا مُفضلُ لَتَجِدُ في العالَمِ الظلمي مَنْ لاْ يملِكُ إلاَّ دِرهماً واحِداً وهو محتاجٌ إلى القوتِ فيمنَعُهُ عَنْ نفسِهِ ويصوغُهُ خاتَماً يتختَّمَ بهِ وذلكَ لِيستَوفي مالَهُ على ذلكَ الخاتَمِ ، وأنَّ منهُمْ مَنْ لاْ يدَعُ أنْ يَتحلَّى بالفِضةِ والذَّهبِ والنُّحاسِ والرَّصاصِ والحديدِ والزجاجِ ، وأنَّ منهم منْ يُعلِّقُ برقبتِهِ أوْ في عضُدِهِ أوْ في وسَطِهِ الخرَزَ والحِجارةَ وغيرَ ذلكَ منْ أنواعِ الرسخِ كلُّ ذلكَ ليتزينَ بهِ كما تزيَّنَ بهِ أولاً وهو في كونِ البشريةِ ، وكذلكَ الخيلُ والجِمالُ والحَميرُ والدوابُّ والكلابُ وأنواعُ البهائمِ والطيرِ حتى الحياتِ والدبيبِ ، أمَا رأيتَ سَمكاً مُقرَّطاً قد صِيدَ وجُعِلَ في أذُنِهِ قروطاً وخرَزاً ، ويوجدُ ذلكَ كثيرُ ، وهو يجري عليها بحسبِ ما أجرتْ على تلكَ الحِلْيِ في تراكيبها مثلاً بمثلٍ وعدلاً مِنْ مولاكَ وقِسطاً بالحقِّ .

قَالَ المفضلُ : فوجلَ قلبي عندَ ذلكَ وعلِمَ مولاي مَا في نفسِي فقالَ لي : يَا مُفضلُ لقد اشتكلَ عليكَ في نفسِكَ شيءٌ وتُريدُ أنْ تسألَني عنه وهو : إنَّ المؤمنينَ يَستعمِلونَ هذه الأشياءَ التي شرحتُ لكَ فيها هذا الشرحَ العظيمَ فيكفَ حالُهُم في ذلكَ وكيفَ يخلِصُونَ منهُ ، قالَ المفضلُ : فقلتُ مولاي أنتَ العالِمُ ما بنفسِي مِنْ سِرِّي وإعلاني ، وإنكَ لأعلَمُ بهِ مني كمَا وصفتَ نفسَكَ بقولكَ : ونعلَمُ مَا تُوسوسُ بهِ نفسُهُ ونحنُ اقرَبُ إليهِ مِنْ حبْلِ الوريدِ (ق 16) .

فقالَ المولى علينا سلامهُ : إنَّ المؤمنينَ يَا مُفضلُ لاْ يَدخُلونَ في ذلكَ ولاْ يَجري عليهم شيءٌ منهُ ، بَلْ كلُّهُ للمؤمنينَ حَلالٌ طَلَقٌ في العالَمَينِ العُلويِّ والسُّفليِّ ، أمَا سمِعتَ قولُهُ تَعالى : قلْ مَنْ حرَّمَ زينةَ اللهِ التي أخرجَ لِعبادِهِ والطيباتِ مِنَ الرِّزقِ قُلْ هي للذينَ آمنوا في الحياةِ الدُّنيا خالِصةً يومَ القيامةِ كذلكَ نفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يَعلمونَ (الأعراف 32) .

وذلكَ يَا مُفضلُ إنَّ اللهَ تعالى قد ملَّكَ المؤمنينَ حالَ الكافرينَ وأنفُسَهُمْ وأهلَهُم وولَدَهُمْ ، وروحُهُمْ فيهِ تعيشُ ، ولولا المؤمِنُ لَمَا عاشَ الكافِرُ ولاْ تذوَّقَ طعمَ الدُّنيا ولاْ تنسِّمَ الهواءَ ولاْ تنعَّمَ

في حياتِهِ بحالٍ مِنَ الأحوالِ ، وإنما بالمؤمِنِ ينالُ الجَاحدونَ مَا ينالونهُ ، لأنَّ بأفعالِهِمِ الجميلةِ معَ المؤمنينَ ، وباصطِناعِ الخيرِ لهُم يُداخِلُ المؤمنُ مِنَ السُّرُورِ ما يُثابُ عليهِ الكافِرُ الذي قدْ أدَّى إليهِ هذا السُّرورَ فيكونُ لهُ في البشريةِ عُلُوَّ الرِّفعةِ والغِنى والعِزُّ والجاهُ والأحوالُ السَّنيةُ ، ولهُ في المسوخيةِ أيضاً مِثلُ ذلكَ في حالِ ردِّهِ إليها .

نعم يَا مُفضلُ وبالمؤمنينَ وأفعالِهم بهِمْ القبائحَ يهلَكُونَ ويَحُلُّ بهِمْ مَا يَحُلُّ في البشريةِ والمسوخيةِ ، ويَكشِفُ للمسوخِ أنَّ بأفعالهِم بالمؤمنينَ نالَهُمْ ما هو حالٌّ بهمْ فيَوَدُّونَ أنْ يُرَدُّوا إلى البشريةِ حتى يَزيدوا في فِعلِ الجميلِ بالمؤمنينَ ، فإذا رُدُّوا إلى البشريةِ زادوا في فِعلِ القبيحِ فيرُدَّهم بذلكَ الفِعلِ إلى المسوخيةِ وغيرِها مِنَ الوسخِ والرسخِ لأنهُم كلَّما رُدُّوا إلى البشريةِ تناسَوا توحيدَ مولاهم وتعدُّوا على أوليائهِ ، فيعكِسُهُمْ إلى الفسخِ والمسخِ والوسخِ والرَّسخِ لِيُعذَّبوا فيها بأيدي المؤمنينَ كمَا قالَ تَعالى : قاتِلوهم يُعذبْهُمُ اللهُ بأيديكمْ ويُخْزِهمْ ويَنصُركُم عليهِم ويَشفِ صُدورَ قومٍ مؤمنينَ (التوبة 14) .

فاعرِفْ هذا الشرحَ يَا مُفضلُ وتبيَّنهُ وافهمْهُ فقد سَلكتَ صِراطَ

ربِّكَ ، وأوجبتُ عليكَ فيهِ إلزامَ نفسِكَ باستعمالِ ما شرحتُهُ لكَ وعرَّفتُكَ بهِ وأنْ تشرَحَهُ أنتَ لِمَنْ هو دونكَ ومَنْ آلَ إليكَ وتأمُرَهُم باستعمَالِ فَقهِهِ وقُبُولهِ وإقامتهِ بشروطهِ والعملِ بهِ وتصديقِهِ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ مولاكَ أجرى أمُوراً في البشريةِ وأوجدها وأمضاها وقدَّرها وحتَمَها فهي تجري على سننها ورُتبها ، وذلكَ أنكَ تجدُ في العالَمِ الظلمي مَنْ يَستنكِحُ ويَنكِحُ البناتِ والأمهاتِ والأخواتِ ، وهكذا تجدُهُم في المسوخيةِ فترَى الرَّجلُ يُزوِّجُ أمَّهُ أوْ أختَهُ أوْ بنتَهُ مِنْ رجلٍ قدْ تزوَّجَ أمَّهُ أوْ أختَهُ أوْ بنتَهُ ، وكذلكَ في المسوخيةِ فإنكَ تَرى الرَّجلُ يملِكُ النِّعمَ وغيرَها منَ البهائمِ والطيرِ ، وإنَّ سائرَ أجناسِ المسوخياتِ مِنْ دوابٍّ وحَميرٍ وجِمالٍ وبَقرٍ وغَنمٍ ومَاعزٍ وكِلابٍ وغيرِها يثِبُ بعضُها على بعضٍ في تبايُنِ فعلِها وأجناسِها ، ويكونُ منها ما يكونُ مِنَ البشرِ في التوالُدِ والتناسُلِ والتربيةِ ، وكذلكَ تتوالدُ العربياتُ في الأكرادِ والعَجمِ والرُّومِ والأرمَنِ والنَّبْطِ وسائرِ أصنافِ العالَمِ وأجناسِ السُّودانِ أيضاً كما تتزاوَجُ ويقعُ النِّكاحُ بينها فيتزوجُ الحرُّ بالعبدةِ ، والحرَّةُ بالعبدِ ، والأعجميُّ بالعربيةِ ، والعربيةُ بالأعجميِّ ، وكذلكَ اليهوديُّ والنصرانيُّ يتزوجانِ بامرأةٍ تَدَّعى الشرَفَ كمَا أنهُ ينكِحُ المرأةَ مَنْ لمْ يكُنْ كُفواً لها في النَّسبِ والأصلِ ، وكذلكَ ينكِحُ

الرجلُ مَنْ لمْ تكنْ لـهُ كفُواً فـي النَّسبِ والأصلِ ، وكُلُّ مَا يجري عليهم فـي البشريـةِ يجري عليهِمْ فـي المسوخيةِ ، ويُرَدُّ لكُلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ ، ويخرجُ كُلُّ مَنْ عليهِ شيءٌ مِمَّا عليهِ .

وكـذلكَ يَـا مُفضـلُ تتزوَّجُ المـرأةُ الدَّينـةُ بالرجُلِ النصـرانيِّ ، ويعلُـوا الفرسّ العربيةَ البرزونُ الدنيُّ ، ويعلُوا الحِصانُ الرَّمكـةَ ، ويعلُـوا الحِمارُ الفرسَ ، وذلكَ لأنَّ الفرسَ كانت حِماراً وكان الحِمـارُ فرَسـاً ، وكذلكَ يجري عليهِم في البشريةِ ، فينكِحُ المسلِمُ النصرانيةَ فـي ظهورٍ ، ثمَّ تعودُ النصرانيةُ في ظهورٍ ثانٍ بالذكوريـةِ ويكونُ فـي الشريعةِ الحنفيـةِ ، ويعودُ الرجـلُ فـي التأنيـثِ ويكـونُ فـي الملَّـةِ النصرانيةِ فيتزوجُها ويأخُذُ منها كُلَّ مَا لَهُ عندها مِنْ حقٍّ .

واعلـمْ يَـا مُفضـلُ أنـهُ يجـري عليهـا فـي المسوخيةِ كـذلكَ فيكـونُ بعضُها في ظُهورٍ فرَساً فيركَبُها الحِمـارُ ويصيرُ فـي ظهـورٍ حِمـاراً ويعودُ الحِمارُ فرَساً فيركَبُها ، ولاْ يكونُ اجتماعٌ في ظهورٍ واحدٍ ، لاْ فـي البشريةِ ولاْ فـي المسوخيةِ ، وكمَـا أنـهُ لاْ يجـوزُ للنصـرانيِّ أنْ ينكِحَ امرأةً مُسلِمةً كذلكَ لاْ يتـهيَّأُ للحصانِ أنْ يثِبَ علـى أتانٍ ، ولكنْ يتـهيَّأُ للحمار أنْ يثِبَ على أتـانٍ ، ويتـهيَّأُ للمسلِمِ أنْ ينكِـحَ النصرانيةَ كما تركَبُ الحميرُ الخيلَ ، وهذا إقامةً للعدلِ مِنْ مـولاكَ في الخلقِ المنكوسِ بما استحقُّوا واكتسبوا .

وأنا أزيدُكَ يَا مُفضلُ في ذلكَ عِلماً ليسَ هو عندكَ ولاْ علِمتهُ ولاْ علِمهُ أحدٌ قبلَكَ ، فإنَّ اليهودَ الذي ثبتَ عليهِم هذا الإسمُ في البشريةِ لاْ يُنكِحُونَ نساءَهُم للمُسلمينَ ولاْ للنصارى ، وكذلكَ لاْ يَنكِحونَ المسلمةَ ولاْ النصرانيةَ لأنهُ محظورٌ عندهُمْ ، ولاْ يقدُرُونَ عليهِ ، وكذلكَ يجري أمرُهُم في المسوخيةِ وهُمُ البِغالُ التي لاْ يُوثبُ عليها ولاْ تثِبُ هي على شيءٍ بلْ هي بحالِها مُنفرِدةٌ فيما هي فيهِ كما كانت في البشريةِ ، وربما يُنالُ منها شيءٌ على سبيلِ الإغتيالِ والإكراهِ ، فهو يجري منها مجرَى ما كانَ سلفَ لها في البشريةِ ومِنْ ذلكَ وثوبُ بغلٍ على فرَسٍ ، وفَرسٍ على بغلةٍ ، ولذلكَ لاْ يكونُ بينهما توالدٌ في البشريةِ ولاْ في المسوخيةِ وهي في الرسخِ والرصاصِ الأسودِ ، ألا ترى إلى ظلمتهِ وسوادِهِ .

فهذا يَا مُفضلُ دليلٌ واضِحٌ لأنَّ الرصاصَ الأسودَ لاْ يعلُو على شيءٍ مِنَ الأشياءِ إلاَّ أفسَدهُ ، ومَا وقعَ بهِ مِنَ الممازجةِ بغيرِهِ مِنَ الرصاصِ القلعيَّ فهو بمعنى مَنْ أسلمَ أوْ تنصرَنَ مِنَ اليهودِ ، فإنْ وقعَ عليهِ إسمُ الإسلامِ أوِ النصرانيةِ جازَ لهُ أنْ يتزوجَ منهُمْ وينكِحَ منهُمْ ، وهكذا الممازجةُ تقعُ بهِ وهو في الرسوخيةِ بالتزاوجِ بغيرِهِ مِنَ الرصاصِ القلعيِّ فيُضافُ به تزاوجهُ فيما يَحتاجُ إليهِ ، فإنْ أردتَ أنْ تَعرِفَ أشخاصَهمُ في المسوخيةِ

فـانظُرْ إلـى كُلِّ مَـا رأيتَـهُ مِـنَ الـدوابِّ يُشـاكِلُ البغالَ فـي معانيـها ، فذلكَ مِمَّا وصفتُهُ لكَ وشرحتهُ . واللهُ أعلمُ .

باب
في معرفةِ منْ ظاهرهُ بشرٌ وباطنهُ مسخٌ :

اعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ فـي العالَمِ أموراً وأحـوالاً وبـواطِنَ ظاهِرُها عنـدَ العالَمِ بشرٌ وهي في الباطنِ مِسخٌ ، وشرحُ ذلكَ وبيانُهُ فـي العالَمِ الظلميِّ ، فإنكَ تجِدُ فيهِمْ مَنْ يهدِرُ هديرَ الحَمامِ ، ويَنهِقُ نهيقَ الحَميرِ ، ويَصهِلُ صَهيلَ الخيلِ ، ويَشحَجُ شحيجَ البغالِ ، ويَنبَحُ نَبيحَ الكِلابِ ، ويَعِجُّ عَجيجَ البَقرِ ، ويَصيحُ صِياحَ الـديوكِ ، ويَضبحُ ضِباحَ الثعالبِ ، ويُشقشِقُ شقشقةَ الفأرِ ، ويَصيحُ صِياحَ القِرَدةِ ، ومنهُمْ مَا يَنوحُ مثلَ الطيورِ في الأسواقِ والطرقِ ، ويجعلهُ مربَحَهُ ومعيشَتهُ التي يُعرَفُ بها ، وتَرى في العالَمِ مَنْ يَعتني بتربيةِ الكِلابِ أوِ الحمامِ أوِ القِططِ أوْ أيِّ جِنسٍ مِنْ أجناسِ المسوخِ ، كُلُّ ذلكَ لأنَّ رُوحهُ ترَتاحُ لإلفةِ ذلكَ الجِنسِ

بحيثُ أنهُ قد حلَّ بها قَبْلَ ذلكَ الوقتِ ، وكذلكَ مَنْ أَلِفَ الجوارِحَ والصيدِ بها ، فيَعرِفُ ما كانتْ تعرِفُهُ قديماً فتُمسِكُ على صاحِبِها بمقدارِ ما أمسَكَ هو عليها ، وكما ضرَّاها تُضريهِ وهو في المسوخيةِ بكُلِّ نوعٍ منها ، وكذلكَ يعودُ في غيرِهِ مِنَ الأجناسِ بمقدَارِ مَا كانَ الْمُعاني لهُ .

وذلكَ أنكَ يَا مُفضلُ تَرى في العالَمِ مَنْ يؤْثِرُ القِردَ والكلبَ والدُّبَّ والبهيمَةَ والقِططَ والطيرَ الجارِحَ على نفسِهِ ، ويَضرُّ بنفسِهِ ويُحْسِنُ إلى ذلكَ الذي قد أغرِيَ بهِ ، وذلكَ بقدَرِ مَا كانَ أوْلاهُ وأبداهُ إليهِ وآثرَهُ بهِ في الكرَّةِ الأولى ذلكَ المسخُ وهو في البشريةِ ، والبشريُّ وهو في المسوخيةِ بذلكَ الجِنسِ ، فانظُرْ إلى ما شرحتُهُ لكَ وكشفتُ عنهُ تجدْهُ وتُعاينْهُ وتعرِفْهُ وتعرِفُ مَنْ هو بهِ ، فليحمَدْ أهلُ الإيمانِ والتوحيدِ مولاهُم على ما أولاهُمْ مِنْ إسبَاغِ نِعمتهِ على أوْلِيائهِ فأنقذَهُمْ مِنَ الظلمةِ وجعَلَهُمْ أهلَ النورِ ، ثمَّ أوجدَهُمْ معانِي أهلِ الخِلافِ والجُحودِ والإنكارِ .

واعلَمْ يَا مُفضلُ أنَّ في العالَمِ النورانيِّ مَنْ يَعرِفُ فضلَهُ على مَنْ هو دونَهُ فيسألُ اللهَ لهُ الزيادةَ والإرتقاءَ والبُلوغَ إلى تناهي الدَّرجاتِ لأنَّ اللهَ تَعالى يقولُ : ورَفَعنا بعضهُمْ فوقَ بعضٍ درجاتٍ (الزخرف 32)

وقالَ : ورفَعَ بعضُكمْ فوقَ بعضٍ درجاتٍ (الأنعام165) .
ثمَّ أوجدَ ذلكَ في جميعِ المكوناتِ مِنَ العالَمينِ الكبيرِ النُّورانيِّ والعالَمِ الصغيرِ البشريِّ أصحابَ المراتبِ والدَّرجِ ، فأوجدَ فضلَهُمْ على مَنْ دونهُمْ في المنزِلةِ مِنَ العالَمِ الترابيِّ أهلِ الإجابةِ والإقرَارِ بالمعرِفةِ ، ثمَّ أوجَدَ فضلَ هذهِ المنزِلةِ على عالَمِ الجُحودِ والإنكارِ ، وأوجَدَ فضلَ عالَمِ الجُحودِ والإنكارِ مَا دامُوا في البشريةِ على مَنْ هو دونَهُم في الفسوخيةِ ، وأوجَدَ فضلَ مَنْ هُمْ في الفسوخيةِ على مَنْ هُمْ في المسوخيةِ ، وأوجَدَ فضلَ مَنْ هُمْ في المسوخيةِ على مَنْ هُمْ في الوسوخيةِ ، وأوجَدَ فضلَ مَنْ هُمْ في الوسوخيةِ على مَنْ هُمْ في الرسوخيةِ ، وهذهِ كلُّها درجاتٌ في معَانيها بعضُها فوقَ بعضٍ ، ويرفَعُ بعضَها فوقَ بعضٍ في جميعِ ما جَرى عليهم بكُلِّ رُتبةٍ ومنزِلةٍ مِنْ تلكَ الرُّتبِ والمنازِلِ يعلُو فيها بعضُهُمْ على بعضٍ ، فمالِكٌ ومملوكٌ ، ومؤسَرٌ ومُعسَرٌ ، وشقيٌّ وسَعيدٌ ، وآمِنٌ وخائِفٌ ، وعزِيزٌ وذليلٌ ، في البشريةِ والمسوخيةِ والرسوخيةِ وجميعِ ما جَرى عليهِ في الكرَّاتِ والرَّجعاتِ بالأكوارِ والأدوَارِ والأحقَابِ والأعصارِ ، ظهوراتٌ يعودُ فيها مِنَ الشِّدَّةِ إلى الرخاءِ ، ومِنَ الضَّعفِ إلى القُوةِ ، ومِنَ المملوكِ إلى المالِكِ ، وهذا يَا مُفضلُ ليسَ عنهُ رجعةٌ ولاْ حَدٌّ ولاْ رخصةٌ ، فلينظُرِ العالَمُ

الظلمي إلى ما شرحتُهُ لكَ والجاحِدونَ لأنفُسِهِمْ يُقدِّمُونَ ، فقد أنذرتُهُمْ وحذَّرتُهم فلاْ تَلقُوا بأنفُسِكمْ إلى التَّهْلكةِ ، والتهلُكةِ هنا هي المصيرُ إلى البهائمِ .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ مولاكَ أقامَ لهُم نفسَهُ مقامَ الدَّاعيْ الرؤوفِ الناصِحِ المشفِقِ العَطوفِ فقالَ سُبحانهُ : وأَوْفوا بعهدي أوْفِ بعهدِكُمْ (البقرة 40) .

وقالَ : اذكُروا نِعمةَ اللهِ عليكُمْ (المائدة 11) .

وقالَ : فلاْ تحسبَنَّ اللهَ مُخلِفَ وعدِهِ (إبراهيم 47) .

وقالَ : أنْ تقولَ نفسٌ يَا حَسرَتي على ما فرَّطتُ في جَنبِ اللهِ وإنْ كنتُ لَمِنَ الخاسرينَ (الزمر 56) .

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ في خِطابِ اللهِ الموجودِ مِنْ أوضحِ المعاني مَا لَوِ انكَشفَ للعالَمِ وتبينوهُ لغَنَوا بهِ عَنِ السُّؤالِ والجوابِ والبحثِ ، ولكَانَ لهُم دليلاً ومقصَداً ، لكنَّهُم عُمُوا عَنِ المشاهدةِ والعِيانِ والوجودِ والبَحثِ وهُمْ في غفلتِهِم وعَمَاهم أجهَلُ وأكفرُ وأحيَرُ وأضلُّ سَبيلاً ، وقد جعلَ في أهلِ الإقرَارِ والإجابةِ والمعرِفةِ والتوحيدِ نُوراً للتوحيدِ والقُبولِ ، فلاْ تمرُّ بهِمْ آيةٌ مِنَ الآياتِ إلاَّ اعتَبَروا بها وفكَّرُوا فيها ، وكانتْ لهُمْ دليلاً وشاهِداً على صِحةِ اليقينِ بمَيْلِهم إلى الحقِّ وقولِهِمِ الصدقَ ، واجتنابِهِمِ الباطِلَ ،

فـزادَهُمْ مـولاهُمْ بـذلكَ إيمانـاً وهُـدىً كمَـا قـالَ تَعـالى : وإذا تُلِيَـتْ عليهِمْ آياتُهُ زادَتهُم إيماناً وعلى ربِّهِمْ يتوكَّلونَ (الأنفال 2) .

فكلَّما جاءَتهُم آيةٌ زادَتهُمْ هُدىً ، وقـالَ مُخبِّراً عنْهُمْ حيثُ قالُوا : ومنـهُم مَنْ عاهدَ اللهَ لئنْ آتَانا مِنْ فضلِهِ

لنصَّدقنَّ ولنكونَنَّ مِنَ الصالحينَ (التوبة 75) .

وآيـاتٌ مِثـلُ هـذا كثـيرةٌ وليـسَ ذلـكَ إلاَّ لأهـلِ الإيمـانْ والقُبـولِ والتسليمِ ، أمَّا أهلُ الجُحودِ والإنكارِ والكُفرِ والظلمـةِ والكَدَرِ فإنـهُ أخـبرَ عنـهُم بقولـهِ : مـا يـأتيهم مِـنْ ذِكـرٍ مِـنْ ربِّهـم مُحـدَثٍ إلاَّ استَمعُوهُ وهُم يلعَبونَ (الأنبياء 2) .

وقـالَ : ومـا نُـريهِم مِنْ آيـةٍ إلاَّ هـي أكبـرُ مِـنْ أختِهـا (الزخـرف 48) .

وقـال : ولـو أننـا نزَّلنـا إليهِـمْ الملائكـةَ وكلَّمَهُـمُ الموتـى وحشـرنَا عليهِم كلَّ شيءٍ قُبُلاً ما كانوا لِيؤمِنوا (الأنعام111) .

وقـالَ : ولَـو أنَّ قُرآنـاً سُيِّرتْ بـهِ الجِبـالُ أوْ قُطِّعتْ بـهِ الأرضُ أوْ كُلِّمَ بهِ الموتى (الرعد 31) .

وقالَ : وما تَأتِيهمْ مِنْ آيةٍ مِنْ آياتِ ربِّهِمْ إلاَّ كانُوا عنها مُعرِضينَ (الأنعام 4) .

وآياتٌ في القُرآنِ كثيرةٌ مثلُ هذا في مقامَاتِهم على الجُحودِ والكُفرِ

والإنكارِ والمخالفةِ والعِنادِ ، كلُّ ذلكَ لتبَايُنِهِمْ على الجُحودِ الأولِ في الدَّعوةِ الأولى في الذَّروِ الأولِ وانتقالِهِمْ في تلكَ الظُّلماتِ ، وكلَّما عَتَوا وتعدُّوا زَادتْ ظُلمتُهم لقولِهِ تَعالى : ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ إذا أخرَجَ يدَهُ لمْ يكدْ يَراها ومَنْ لمْ يَجعلِ اللهُ لهُ نُوراً فمَا لهُ مِنْ نُورٍ (النور 40) .

وقالَ : أوْ كظلُماتٍ في بحرٍ لُجيٍّ يَغشَاهُ مَوجٌ مِنْ فَوقِهِ مَوجٌ (النور 40) .

فهُمْ فيهِ يلِجُونَ ويُولجونَ ، فالظُّلماتُ في البحرِ اللُّجي هي المسوخياتُ وهي طبقاتٌ مترَادِفةٌ مُتدارِكةٌ في أصنافِ العَجائِبِ والتراكيبِ يصعُبُ وصفُها على الواصِفينَ ، ونعتُها على المخلوقِينَ لِكثرةِ أجناسِها واختِلافِ صُورِها ، وتَغييرِ أشكالِها وتِعدادِ أسمائِها ، وسُكناها في معادِنِ الأرضِ والجِبالِ والرياحِ والبحارِ والهواءِ والآجامِ ، وهي أعدادٌ كثيرةٌ لاْ تُحصى ولاْ يُحاطُ بها ، فهذهِ ظُلماتُ البحرِ اللُّجيِّ ، أمَّا الظُّلماتُ الثلاثُ فهي الرَّسخُ في معادِنِ الذهبِ والفضةِ والحديدِ والنُّحاسِ والرَّصاصِ فإنها مِنْ جنسٍ واحِدٍ ، وإنما علا الذهبُ على الفِضةِ لِعُظمِ منزِلتهِ على كُلِّ مَنْ هو رسخٌ ، فالذهبُ يُفضَّلُ على الفضةِ في كُلِّ مَا يَأتي منهُ لأنهُ أعلى منهُ في المنزِلةِ ، فشخصُ الذهبِ

الشيطانُ الرجيمُ الثاني لعنهُ اللهُ ، لكونِ الواحِدِ منهُ بأضعافِهِ مِنَ الفِضةِ ، وذلكَ أنَّ الأولَ والثالثَ كانَا تِبعاً للثاني وتحتَ أمرهِ وطاعتِهِ ، وكذلكَ الفضةُ شخصُ الأولِ ، لأنَّ الواحِدَ مِنَ الفِضةِ يُباعُ بأضعافهِ مِنَ الحديدِ ، والحديدُ شخصُ الثالثِ وكانَ تِبعاً للأولِ وتحتَ أمرهِ ، ومطيعاً لهُ فيما يأتيهِ منَ الأمرِ ، ألاْ تَرى إلى ظُلمةِ الحديدِ وشِدَّتهِ في كونهِ ، أمَّا النحاسُ فهو بقيةُ الأشخاصِ التابعينَ لهؤلاءِ الثلاثةِ ، وكذلكَ الرصاصُ والحِجارةُ ومَا جانَسها فهيَ مِنَ الثاني وإليهِ وهو أصلُها وأسُّها وجوهرُها في كلِّ كونٍ وحُدوثٍ ، فهذهِ هي الظُّلماتُ الثلاثُ التي ذكرَها اللهُ تَعالى بقولِهِ : في ظلماتٍ ثلاثٍ (الزمر 6) .

أمَّا الحديدُ فليسَ فيهِ مِنْ كونِ الذهبِ وسلامتهِ ، ولاْ مِنْ ثمَنِ الفضةِ شيءٌ بَلْ هو مُظلِمُ الجوهرِ لشدَّةِ كونِ مَنْ هو شخصُهُ في الطُّغيانِ والكُفرِ ، وثباتِهِ على الجُحودِ والإنكارِ ، وهو في شِدَّةِ ظُلمتِهِ لاْ يخرُجُ عمَّا هو فيهِ ، بَلْ يُتَّخذُ لقتلِ وتلفِ كُلِّ مَنْ صَغى إليهِ وقَبِلَ منهُ ، أوْ آنيةٍ وآلةٍ تُصنَعُ بها سائرُ الأشياءِ مِنَ النِّجارةِ والخرَزِ والخِياطةِ والحَفْرِ والحَرْثِ وغيرِها مِمَّا تجري فيهِ آلةُ الحديدِ ، وكذلكَ كانَ مِنْ بدءِ كونِهِ في البشريةِ ، والثالثُ مِنَ الظُّلُماتِ فهيَ الحِجارةُ يؤلِمُها الحديدُ ، وإنْ هي أصابتْ شيئاً

آلَمَتهُ ، وليسَ فيها نَفعٌ غيرَ ما يُشَيَّدُ أوْ يُردَمُ بها ، ومنها مَا يُصنعُ أحياناً ليُستَعانَ بهِ على البناءِ وغيرِهِ ، وذلكَ كالنَّورةِ والجصِّ والإسفيداجِ ومَا شاكلَ ذلكَ فهُو بمَعنَى الشخصِ الذي مِنْ جوهرِها ، والحديدُ يُلائِمُ الحجارةِ وهو مُتلِفُها ، والنارُ تَتلِفهُ قالَ تَعالى : ثمَّ قسَتْ قلوبُكم مِنْ ذلك فهي كالحِجارةِ أوْ أشدُّ قَسوةً (البقرة 74) .

فأوجدَ أنَّ فوقَ الحِجارةِ مَا هو أشدُّ مِنها قَسوةً ، وذلكَ هو الحديدُ الذي يأتِي على الحِجارةِ ، والحَجرُ نوعٌ مِنْ أنواعِ الحديدِ مُكَوَّنٌ مِنْ جَوهرِهِ .

فهذا بيانُ ما خَتمَ به حينَ قالَ : قلْ كونُوا حِجارةً أوْ حديداً ، أوْ خَلقاً مِمَّا يكبُرُ في صُدوركمْ (الإسراء51)

وقدْ بيَّنتُ لكَ في هذا الشرحِ لهذهِ الظلماتِ أشخاصَاً في البشريةِ قبلَ نُزُولِها الرسوخيةِ ، فالذهبُ هو أصلُ الطُّغيانِ والكُفرِ ، والفضةُ فهو تِبعُهُ لأنَّ الأولَ كانَ تِبعاً للثاني ومُطيعاً لهُ لأنهُ بابهُ ، والثالثُ تِبعُ الأولِ والثاني وهو أظلَمُ منهُمَا في كونِهِ وكدرهِ وبنُو أميَّةَ هُمْ أتباعُ الثالثِ لأنهُمْ مِنْ جِنسهِ وقومِهِ ، وبنُو العبَّاسِ هُمْ أشخاصُ الرصاصِ وهُمْ ألعَنُ الجميعِ ، والنحاسُ هو أشخاصُ التابعينَ لبَني أمَيةَ وبَني العبَّاسِ ، وذلكَ مِثلُ مالكٍ أبي الهزيلِ

العلاَّفِ والشافِعيِّ وأبي حَنيفةَ ومَنْ كانَ مِنْ أمثالِهِمِ ، لأنَّ الذهبَ كما تقدَّمَ هو بشخصِ سكدَ لعنهُ اللهُ وهو الشيطانُ الرجيمُ الضِّدُّ اللعينُ ، إبليسُ الأبالسةِ ، والفضةُ بشخصِ بابهِ زازمدٍ ، لقولِهِ : إنَّ لي شيطانَ يعتريني وهو سكدُ ، والحديدَ بشخصِ سجكوقٍ الذي هو أظلَمُ الظُّلماتِ الثالثُ وهو الذي آزرَ الثاني وعاضَدهُ وبايَعهُ وتابَعهُ وكتَبَ لهُ الصحيفةَ : أنْ لاْ تُطيعوا محمداً وآلَ بيتِهِ ، وهو الذي غلبَ وتغلَّبَ على الخِلافةِ وغيَّرَ المصاحِفَ وأحرَقها ، ونَفى أبا ذرٍّ الغفاريِّ ، وآوَى مَروانَ بنَ الحكمِ إلى المدينةِ وكانَ الرسولُ (ص) قدْ نَفاهُ ، وبنُو أميةَ أتباعهُ في ذلكَ ، والرصاصُ تقدَّمَ أنهُ أشخاصُ بني العبَّاسِ المتلبِّسونَ بالخِلافةِ الْمُتسَمُّونَ بأُمرةِ المؤمنينَ ، والنحاسِ بشخصِ الفُقهاءِ الذينَ نصَّبُوا أنفُسَهُمْ لإضلالِ مَنْ تَبِعهُمْ ، وصدُّوا العالَمَ عَنْ أهلِ البيتِ ، وأورَدوا مِنَ الأكاذيبِ مَا رغَّبَ الناسَ في زازمدٍ وسكَدَ وسجكوقٍ وبني أميةٍ وبني العبَّاسِ ، أمَّا الحِجارةُ وجميعُ أنواعِ الرسوخِ فهم أتباعٌ لهُمْ في المنزِلةِ .

واعلَمْ أنَّ الظُّلمةَ مقرونَةٌ بسائِرِ الأشياءِ ، لأنَّ الظَّاهرَ كلَّهُ مِنَ الظُّلمةِ ومُمَازجٌ للباطِنِ ، فلَوْ ذهبَ العالَمُ إلى معرِفَةِ أحدِهِما لَمَا عرَفهُ إلاَّ بضدِّهِ الذي هو خِلافهُ ، ولولا الظاهرُ مَا عُرِفَ الباطِنُ ،

وكذلكَ لولا الباطِنُ مَا عُرِفَ الظاهرُ .

فاقرأ ما حدَّثتُكَ بهِ فإذا عرَفتَهُ غَنيتَ به عَنْ شُروحٍ كثيرةٍ ، ولولا الظاهرُ الذي هو الظلمةُ ما عُرِفَ الباطنُ الذي هو النورُ والقُدرةُ ، فلمَّا ظهرتِ القُدرةُ بالأشخاصِ والهَياكلِ الطينيةِ أقامتْ معَ الضدِّ في مقاماتٍ فناسبَها ، ورأتْ أنها مُساويةٌ لهُ وتقومُ مقامَهُ ، وأورَى القادِرُ أنهُ يطلبُ النصرَ مِنَ الخلقِ المنكوسِ وعلى الضدِّ الذي أظهرَ الظُّلمَ ، كما أورَى أنهُ تحتَ الضَّعفَ حتى إذا أكمَلَ فيهِمْ معرِفةَ الظُّلمةِ وحقَّقها ومَكَّنها وبَسطَها وأنفَذَها عندَ العالَمِ أتَى بالقُدرةِ ، وهي الباطِنُ على الظاهرِ فأهلكَتهُ ، وهو عندَهُمْ ظهورَ البغيِّ مِنَ الظُّلمةِ التي هي الضِّدُّ ، فلمَّا غلَبتِ القُدرةُ الضدَّ ودحضَتهُ كانَ كأنْ لمْ يكنْ شيئاً ، ودليلُ ذلكَ قولُهُ سُبحانهُ : ليُحِقَّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطِلَ (الأنفال 8)

وقولُهُ : ويمحُ اللهُ الباطلَ ويُحقُّ الحقَّ (الشورى 24)

فالحقُّ القُدرةُ والباطِلُ الضدُّ ، ومثلُ ذلكَ ظُهورُ فِرعونَ وهامانَ ، وقارونَ والنمرودِ ، وعادٍ وثمودَ ، وكلُّ ما كانَ مِنْ ظهوراتِ الضِّدِّ قبلَ ذلكَ أوْ بعدهُ مِمَّنْ ادَّعى الربوبيةِ في أوقاتِهِ فأجابُوهُ واتخَذوهُ إلهاً ، وكانتِ القُدرةُ الباطِنةُ قائمةٌ بذاتِها في الدعوةِ ، فأورَى في كُلِّ مقامٍ ضَعفاً كالغَرَقِ في البحرِ ، والحَرقِ بالنارِ والحَبسِ والقَتلِ

والصَّلبِ ، ومَا يجري مَجرى ذلكَ فكانَ لذلكَ كلِّهِ ظاهِراً وباطِناً يُمَيِّزُ الظاهرُ مِنَ الباطنِ والباطنُ مِنَ الظاهرِ ، وكانَ اختيارُ العالَمِ للباطنِ وجوهرِهِ ووجودِهِ ، فبانَ الفَرقُ بينَهُ وبَينَ الظاهرِ حيثُ أتَى بما لمْ يأتِ بهِ الظاهرُ وهو الضدُّ مِنْ تغريقِ فرعونَ وأخذِ النمرودِ بالبليَّةِ ، وإهلاكِ عادٍ وثمودَ وغيرَهُما بالصيحةِ والريحِ والخُسوفِ والتنكيلِ ، وكانَ ذلكَ جَزاءً على الأفعالِ التي أجراها الضدُّ بالوليِّ في المقامِ ، وإنْ كانَ الفِعلُ الأوَّلُ واقِعاً بالضِّدِّ ، وإنما وقَعَ الجَزاءُ عليهِ لإظهارِهِ للعالَمِ أنهُ هوَ أوقعَ ذلكَ بالقُدرةِ ، فكانَ ذلكَ جزاءَهُ ،

واعلمْ يَا مُفضلُ أنَّ الظُّلمةَ مُقارنَةٌ ومُقاومَةٌ للنورِ ، فمِنْ ذلكَ الليلُ والنهارُ ، وإقامةِ المولى يجري معَ الظهورِ بلا زيادةٍ ولاْ نُقصانٍ منهُ بَلْ هو دائِمٌ بدوامِ المُلكِ ، لأنَّ الباطنَ والظاهرَ قِسمانِ على الدَّهرِ كُلِّهِ ، ظُلمةٌ ونُورٌ وليلٌ ونَهارٌ ، يَتزايدُ النهارُ في بعضِ السنةِ فينقُصُ الليلُ ، ويتزايدُ الليلُ في وقتٍ آخَرَ مِنَ السنةِ فينقُصُ النهارُ ، وكذلكَ تظهرُ القُدرةُ والدَّعوةُ في زمانٍ طويلٍ ويخمُدُ الباطلُ في زمَانٍ آخَرَ ، وتَخفى دعوةُ الحقِّ كمَا كانَ ذلكَ في زمنِ نوحٍ عليهِ السلامُ ، أقامَ نوحٌ وهو الإسمُ ثمَّ ظهرَ المعنى كمِثلِ صورتهِ على ما رأتْ العامةُ تسعمائةٍ وخمسينَ سنةٍ

، وفي زمنٍ غيرِهِ أقلُّ مِنْ ذلكَ إلى الوقتِ الذي نحنُ فيهِ ، وهكذا كانَ في آخِرِ القبةِ ، فقد أخفَى مولاكَ شخصَهُ عَنِ المنكرينِ ومَنِ استحقَّ مِنَ المقرينَ وذلكَ بما سَلفَ لهُم مِنَ الذنوبِ فظهرتْ دعوةُ الباطلِ حِيناً طويلاً مِثلما كانت دعوةُ الحقِّ ظاهرةً في الأولِ على عهدِ آدمَ تسعمائةٍ وثلاثينَ سنةً ، وهكذا لمْ تزلْ تظهرُ دعوةُ الحقِّ ودعوةُ الباطلِ إلى ظُهورِ الكَشفِ ، حيثُ يَتساوى ظُهورُ الحقِّ والباطِلِ حتى أنهُ لوْ ذهبَ العالَمُ إلى أنْ يَجِدوا زيادةً بأحدِهما على الآخَرِ أوْ نُقصاناً عنه فلَم يجِدوا ذلكَ ، بلْ وجدُوهما شيئَاً واحِداً ، وكذلكَ الظهورُ والغيبةُ ، يَرُدُّ الليلَ مَا أخَذهُ مِنَ النهارِ ثمَّ يَرُدُّ النهارُ ما أخَذهُ مِنَ الليلِ ، وكذلكَ الظاهرُ يَرُدُّ على الباطنِ ما أخَذهُ منهُ ، ثمَّ يَرُدُّ الباطنُ على الظاهرِ ما أخَذهُ منهُ ، حتى تَصيرُ الغيبةُ والظُّهورُ شيئاً واحِداً يَتساويانِ ويَعتدلانِ ، فيصيرُ في أهلِ الخلافِ أغلالٌ وآصارٌ بزيادتِهِ ونُقصانهِ ، وحَرِّهِ وبردِهِ ، فيصومونَ في أطولِ نهارٍ وأصعَبِ يومٍ مِنَ السنةِ ويُصلُّونَ ويُجاهدونَ فيَمُرُّ على الصائِمِ مِنْ طولِ النهارِ وشِدَّةِ حرِّهِ وسُمومهِ شِدَّةٌ عظيمةٌ ، وكذلكَ في زمانٍ آخَرَ عندما يُدركُهُ الصيامُ في أقصَرِ يومٍ مِنَ السنةِ فيَلحَقهُ مِنْ شِدَّةِ البردِ في الوضوءِ حالٌ عظيمٌ ، وهكذا يَلحقهُ في الجهادِ مِنَ الصعوبةِ حالٌ

شديدٌ ، ومثلُ ذلكَ في الحجِّ مرَّةً في شِدَّةِ الحرِّ ومَرَّةً في شِدَّةِ البردِ فينالُهُ مِنْ ذلكَ عذابٌ عظيمٌ .

وهذا يَا مُفضلُ صِراطُ ربِّكَ وعدلِهِ في ذاتِهِ وظهوراتِهِ في الظاهرِ والباطنِ وهُما النورُ والظُّلمةُ ، فإذا بانَ لكَ ذلكَ وانكشفَ وجدتَهُ في خلقهِ خاصِّهم وعامِّهم ، وقد حدَّثتُكَ بهِ يَا مُفضلُ مِنْ ظهورهِ في مقامِ آدمَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمدٍ في مقامِ الإمامةِ إلى حيثُ أنتَ تُعاينهُ ، ثمَّ بعدَ ذلكَ تكونُ غيبةُ البلاغِ فيقومُ الظاهرُ إلى الكشفِ ويكُونُ بعدَ ذلكَ مَا كانَ جارياً في مُلكِ مولاكَ لاْ نفادَ لهُ ولاْ انقضاءَ ولاْ زوالَ .

فلاْ يغُرَّنكَ يَا مُفضلُ مَنْ نعتوهُ لكَ فهُمْ كمَا قالَ اللهُ تَعالى : لِيحمِلوا أوزَارَهمْ كامِلةً يومَ القيامةِ ومِنْ أوزارِ الذينَ يُضلُّونهم بغيرِ عِلمٍ (النحل 25) .

وذلكَ أنهُم أضلُّوهُم ، ولمْ يُرضِهمْ ذلك حتى أضلُّوا العالَمَ الخبيثَ بضلالِهم ، وقدْ قالَ جلَّ وعَلا مُخبراً عَنْ قولِهمْ : وقالَ الذينَ كَفروا ربَّنا أرنَا اللَّذينِ أضلاَّنا مِنَ الجنِّ والإنسِ (فصلت 29) .

فمِنَ الجنِّ الثاني سكدُ لأنهُ الجاني المعصيةَ والفاعِلُ لها ، ومِنَ الإنسِ الأوَّلِ اللَّذينِ هُما شخصَا الذهبِ والفضةِ ، ثمَّ أخبرَ عنهُمْ بقولِهِ تعالى : ربنا إنَّا أطعنا سادتنا وكبراءَنا فأضلُّونا السبيلا

(الاحزاب 67) .
فالسَّـادةُ والكُـبراءُ هُـمُ الـذهبُ والفِضــةُ وهُمـا أصـلُ كُـلِّ ضـلالةٍ وطُغيانٍ وهُما الأولُ والثـاني ، وقد بيَّنتُهما لكَ يَا مُفضلُ فاعرِفْ نِعمةَ ربكَ عليكَ واحمَدْهُ على هذا الشرحِ فقد أجبتكَ عَنْ كُلِّ سُؤالٍ أردتَ أنْ تسألَ عنـهُ ، وهذا صِراطُ ربكَ فتمَسكْ بـه ، فهو يُغنيكَ عَنْ سؤالِ الغيرِ ، وقد أوسعتُ عليكَ بالجوابِ ، فادَّخِرهُ ليكونَ لكَ صِراطاً تَمشي عليـهِ ، ونُوراً تَستضـيءُ بـهِ وتَهديـهِ إلـى العارفينَ وتُلقيـهِ إليهِـم ، وتـأمُرهم بكُتمَانــهِ والعمـلِ بــهِ والصَّـبرِ عليــهِ ، والإجتهادِ والزيادةِ منهُ والخروجِ عَنِ المكروهاتِ وقبولِ الحقيقةِ ، فطُوبـى لِمَنْ أخَذَ منـهُ مَا لـهُ وتَركَ مَا عليـهِ وقـامَ بواجِبـهِ ، فكُنْ لِمولاكَ مِنَ الشـاكرينَ ، ولأنعَامـهِ مِنَ الحَامِدينَ ، وعلـى معرِفتـهِ مِنَ الثـابتينَ ، وصلَّـى اللهُ علـى حِجابـهِ الأعظَمِ وسلَّمَ تَسليماً ، والحمـدُ للهِ ربِّ العـالَمينَ أولاً وآخـراً ، وحَسـبيَ اللهُ ونِعـمَ الوكيـلُ ونِعمَ المولـى ونِعمَ النصيرُ ، وكَفـى بـاللهِ حَسيباً ، وفـوقَ كُلِّ ذي عِلمٍ عَليمٌ .